محمد العدناني – شاعراً

"دراسة نقدية"

أ.د. يوسف شحدة الكحلوت

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

محمد العدناني – شاعراً

"دراسة نقدية"

أ.د. يوسف شحدة الكحلوت

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



اهـــــداء

إلى والديّ . . . . رحمهما الله

وإلى زوجي وأبنائي

وفاء ومحبـة .

المقدمـة

١. أهمية الموضوع:

يقف الأدب العربي المعاصر في فلسطين – بصفته رافدا من روافد الأدب العربي المعاصر – ليُعبّر عن واقع الفكر والثقافة الفلسطينية، وليحدد معالم القضية المركزية لدى العرب والمسلمين كافة وليُثبتَ عدالة القضية المحورية للصراع العربي الصهيوني الذي اتصف بأنه صراع حضاري استخدمت فيه أخطر الأسلحة الفكرية والثقافية والمادية، لهذا فان الأدب الفلسطيني نتيجة لهذه الاعتبارات، ونتيجة لظروف النكبة يُعتبر أدبا ثريا عميق الجذور غنيا بمحاوره وعلاقاته ومواقفه. والشعر – أحد فنون الأدب – هو التعبير الوجداني عن معاناة الأمة ومنه نستقي الواقع السياسي والاجتماعي للمجتمع الفلسطيني قبل وأبان النكبة التي حفزت همم الشعراء ليُبدعوا لنا آثارا شعرية خالدة.

٢. سبب اختيار الموضوع:

حظي الأدب الفلسطيني بدراسات علمية جدية حدد بعضها معالم الحياة لهذا الأدب مذ كان جنينا حتى وصل على قمته الحقيقية، وركز بعضها الآخر على أثر النكبة على الوعي الفلسطيني، حضارة ومستقبله، ودور الأدب والشعر في هذا الوعي، ودراسات اهتمت بالشخصية الفلسطينية عبر محاور الصراع العربي الإسرائيلي قبل النكبة وبعدها، وملامح هذه الشخصية عبر أجيال الصراع المرير والطويل.[١]

وعلى الرغم من ثراء هذه الدراسات التي تعددت اتجاهاتها، إلا أن كثيرا من شعراء فلسطين لم يحظوا بدراسات علمية وافية، هذا إذا استثنيا الشاعر إبراهيم طوقان باعتباره أديبا كبيرا مثل جيلا جهاديا من الشعراء الذين شاركوا في الثورة بسلاح الفكر والكلمة. فقد كُتِبتْ فيه دراسات كثيرة حددت معالم هويته الشعرية وأعماله الأدبية وقضاياه الوطنية. مع ذلك بقي كثير من الشعراء والأدباء الفلسطينيين بعيدين عن حق الدراسات العلمية المتخصصة.

وشاعرنا محمد العدناني من الشعراء الذين غُمِطَ حقهم في مثل هذه الدراسات رغم أنه يقف في مصاف الشعراء المبدعين الملتزمين بقضيتهم. وتشكل دراسته أهمية كبيرة لأنه:-

– قدم دواوين شعرية متنوعة صدرت عن فكر واع وعاطفة متقدة ولغة بليغة وخيال واسع عبر بها عن آمال العرب وآلامهم ووقف معهم في معظم الأحداث التي غيّرت مصير

---

[١] انظر ، مصادر الموضوع ، ص (ج).

حياتهم، حتى غدا شعره وثيقة تاريخية وأدبية هامة شاهدة على عصرها بما عبرت عنه أصدق تعبير.

- كونه جسد بفلسطينية وحضوره مأساة شعبه من خلال تجربة فنية واقعية عاش أحداثها متشردا بعيدا عن أرض وطنه المغتصب يرنو إليه بعيون شعبه وقد أثقلته شقوة الحياة منذ الانتداب البريطاني إلى الاغتصاب الصهيوني وما تبع ذلك من تهجير وتشرد من أرض إلى أرض.
- كونه لغوي كبير له صولات وجولات في هذا الميدان بما ألف من معاجم لغوية عديدة منها معجم الأخطاء الشائعة ومعجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، والعديد من الكتب النحوية، كالنحو البسيط، والإعراب (في خمسة أجزاء) وغيرها من الكتب والدراسات في هذا المجال، [1] فمثل هذه الثروة اللغوية جعلت من شعره حقلا لغويا غنيا فيه القوة البيانية والفصاحة اللغوية التي عبرت عن حسن شاعر متمرس امتلك زمام اللغة فحرك قوافيه كيفما شاء.

كل هذه الأمور جعلت للعدناني أهمية خاصة شكلت في مجموعها موضوعا جديرا بالدرس والبحث.

٣. مصادر الموضوع:

تنوعت مصادر الدراسة في هذا البحث فكان على رأسها دواوين محمد العدناني وما كتبه تباعا في مجلة الأديب اللبنانية، إلى جانب العديد من الدراسات الأدبية في الأدب الفلسطيني وهي على سبيل المثال:-

❖ دراسات كامل السوافيري:

- الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠-١٩٦٠، وقد ترجم فيه للشاعر محمد العدناني.
- الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر.
- الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من ١٩٠٠-١٩٦٠.

❖ دراسة عبد الرحمن ياغي:

- حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة .... حتى النكبة.

❖ دراسة عبد الرحمن الكيالي:

---

[1] انظر ، آثار الشاعر، في هذا البحث، ص٣٠ – ٣٢.

- الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين.

❖ دراسة واصف أبو شباب:

- شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر.

❖ دراسات ناصر الدين الأسد:

- الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردنز
- الشعر الحديث في فلسطين والأردن، وقد ترجم فيه للعدناني.

❖ دراسة يعقوب العودات:

- أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ترجم للعدناني أيضا.

٤. صعوبات الموضوع:-

واجهت البحث صعوبات أمكن التغلب على معظمها بعون الله، نذكر منها:-

❖ عدم إعادة طباعة دواوين منذ عام ١٩٦٦ مما شكل صعوبة في الحصول عليها، فاضطررت للسفر حتى تمكنت من الحصول على نسخ قديمة كان الشاعر محمد العدناني قد أهداها إلى الدكتور كامل السوافيري وعليها تصحيحه لكثير من أشعاره بخط يده.

❖ صعوبة الحصول على جميع أعمال العدناني الشعرية، خاصة أن العدناني ذكر في مقدمة ديوانه الروض أن له عشرة دواوين طُبع منها خمسة وهي التي أجريت عليها الدراسة، أما الخمسة الباقية والتي ما زالت مخطوطة حاولت الحصول عليها ولكن تعذر ذلك بسبب وفاة العدناني وانقطاع أخبار أسرته التي تقطن مدينة صيدا اللبنانية.

❖ قلة الدراسات حول العدناني وشعره إذ لم تُقَدّم عنه دراسة علمية، ولم يخصه أحد الكتاب بكتاب مستقل على الرغم من غزارة شعره وثرائه، غير أننا نجد في بطون الكتب والمجلات صفحات معدودة تشير إلى بعض روائعه إشارة سريعة.

❖ قلة المراجع في الأدب الفلسطيني في المكتبة السودانية مما دفعني إلى مراسلة بعض جامعات العراق والأردن ومصر وقطر للحصول على الكتب التي أحجت إليها إلى جانب الكتب التي أحضرتها معي أثناء قدومي إلى السودان.

٥. منهج وخطة الموضوع:-

التزمت في هذه الدراسة خطا منهجيا قائما على:-

❖ الاهتمام بالجانب التاريخي المتعلق بفلسطين وما جرى لها من أحداث.

❖ عرض مضامين العدناني الشعرية من خلال ما احتوت دواوينه من قصائد شعرية متنوعة.

- ❖ مناقشة هذه المضامين بما حوته من أفكار وآراء مع الاستدلال على هذه المضامين من الوقائع السياسة والتاريخية والاجتماعية ومن الواقع المعاش سواء بما يوافقها أو بما يعارضها.
- ❖ تحليل دواوين الشاعر من الناحية الفنية وذلك بدراسة اللغة والموسيقى والصورة في شعره، وبينت مدلول هذه العناصر الفنية والنفسية ومدى ارتباطها بنفسية الشاعر وشخصيته.

أما خطة الموضوع فهي كالآتي:

قامت هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمه، وقد قدمت في التمهيد لمحة تاريخية عن فلسطين وأثبت فيها أحقية عرب فلسطين بها، ثم تناولت الحياة السياسية والحياة الفكرية والثقافية والحياة الاقتصادية والاجتماعية في الفترة التي عاشها الشاعر، ثم تناولت شخصية الشاعر والتي تضمن نشأته وأعماله واعتقالاته وأسرته ونسبه وأخلاقه وثقافته وآثاره.

أما الباب الأول والذي بعنوان "قضايا المضمون في شعر محمد العدناني" فقد سبق فصوله تمهيد صغير عن الفترات التي عاشها العدناني على شعره، وكانت فصول هذا الباب كالآتي:

- ❖ الفصل الأول: "المضمون القومي والوطني" وقد تناولت فيه مواقف العدناني القومية والوطنية من خلال أعماله الشعرية المختلفة، والتي ظهر من خلالها تفاعله القوي مع أحداث أمته وأحداث وطنه.
- ❖ الفصل الثاني: "المضمون السياسي" تناولت فيه شعر العدناني المتعلق بالقضايا السياسية المرتبطة بالعالم العربي عامة وبفلسطين خاصة والتي بدورها أظهرت مدى وعي الشاعر بهذه القضايا واهتمامه بها .
- ❖ الفصل الثالث: "المضمون الاجتماعي" تناولت فيه القضايا الاجتماعية التي تعرض لها العدناني في شعره والتي برز من خلالها مربيا ناجحا ومصلحا اجتماعيا واعيا يعمل على إصلاح مجتمعه من المفاسد التي أطاحت بصرحه الأخلاقي.
- ❖ الفصل الرابع: "المضمون الوجداني والإنساني" وتناولت فيه القضايا المتعلقة بمشاعر العدناني الخاصة كالفخر والغزل والحنين والحلم وغيرها من المشاعر التي أظهرت عفة غزله، واعتدال، فخره، وشدة حنينه، وسعة حلمه، وعمق عاطفته.

والباب الثاني كان بعنوان "قضايا الشكل في شعر محمد العدناني" وقد سبق فصولهُ تمهيدٌ عن بناء القصيدة تناولت فيه بناء القصيدة في القديم وماطراً عليه منت تجديد، ثم بناء القصيدة والوحدة العضوية في شعر العدنانوي، وكانت فصول هذا الباب على النحو الأتي:-

- ❖ الفصل الأول: "اللغة" وقد تناولت فيه خصائص لغة الشاعر وأسلوبه، وبينت فيه تأثره باللغة الشعرية القديمة واللغة القاموسية المعجمية، إلى جانب اتسام أسلوبه بالحكمة والرصانة وقوة السبك.
- ❖ الفصل الثاني: "الموسيقى" وتناولت فيه الموسيقى الخارجية الأوزان والتي أظهر كَلَفَ الشاعر بأوزان وقوافي الأقدمين مع إحداثه نوعا من التجديدات المسموح بها من قبل العروضيين كالسمط والموشح والمزدوج وغيرها. والموسيقى الداخلية التي أظهرت براعة الشاعر في تجويد تناغم شعره الداخلي حتى خرج شعرا عالي الإيقاع جميل النغم.
- ❖ الفصل الثالث: "الصورة الشعرية" وتناولت فيه التصوير الشعري عند العدناني من خلال التصوير التشبيهي والاستعاري والكنائي، ومدى ارتباط هذه الصور بنفسية الشاعر وشخصيته، ومدى ما توحيه هذه الصور من مدلولات ايجائية نابعة من أحاسيس الشاعر ووجدانه.
- ❖ وأنهيت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.
- ❖ وأثبت بعد ذلك قائمة بأسماء المصادر والمراجع، فابتدأتها بالقديمة ثم الحديثة فالمترجمة فالرسائل الجامعية فالدوريات.

هذا والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقه إياي على إتمام هذا البحث.

وأخيرا أقدم أسمى آيات الشكر لمشرفي الدكتور بشير عباس على ما لقيته منه من عناية واهتمام وتوجيه، كما وأشكر لجنة المناقشة التي وافقت على مناقشة البحث، فجزآهم الله كل خير وبارك الله فيهم.

ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا، واليك المصير،،،.

تمهيـــد

- لمحة تاريخية عن فلسطين
- عصـر الشاعـر
- شخصيـة الشاعـر
- آثــار الشاعـر

لمحة تاريخية عن فلسطين

حبا الله فلسطين موقعا متفردا وهاما، إذا جعلها حلقة وصل بين القارات، وجعلها قلب العالم العربي وهمزة وصل بين أنحائه كافة، وبارك في أرضها إذ خصها بمسرى ومعراج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ }[١] ، فجعلها الله سبحانه مباركة ، ومن حولها يعني بلاد الشام [٢] ، وكذلك جعلها قبلة المسلمين الأولى عندما كان المسلمون يولون وجوههم شطر بيت المقدس زهاء سبعة عشر شهرا إلى أن نزل قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ }[٣] .

ولقد كانت فلسطين موطنا لهجرات مختلفة من الأمم على مر التاريخ، فكان أولها هجرة الكنعانيين الذين مثلوا الموجة الثانية من الهجرات التي انطلقت من الجزيرة العربية، وكانت الموجة الأولى قد انطلقت من هذه الجزيرة إلى المناطق المحيطة بها بحثا عن الكلأ والمرعى فاستقرت في أرض سوريا والعراق، [٤] واستقر الكنعانيون في الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام الذي دعى منذ ذلك الحين بـ "أرض كنعان" ويرجع الطبري نسبة الكنعانيين إلى العمالقة فيقول: "فعمليق أبو العمالقة كلهم، أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق، وأهل عمان، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون[٥] ويقول في مكان آخر: "فعاد، وثمود، والعماليق، وأميم، وجاسم، وحديس، وطسم هم العرب" [٦] وقد حكم الكنعانيون فلسطين حوالي ألف وخمسمائة سنة، من سنة ألفين وخمسمائة ق . م إلى سنة ألف ق . م.

والجديد بالذكر أن الفلسطينيين هم قسم من الكنعانيين، ففي أوائل القرن الثاني عشر ق . م هاجرت قبائل جزر بحر ايجه وخاصة قبائل جزيرة كريت من جراء هجمات القبائل اليونانية على هذه الجزر، وكان ممن هاجر من جراء ذلك قبيلة "بولستي" باحثة عن مكان جديد إلى أن "وصلت إلى السواحل المصرية ، ولكن فراعنة مصر صدوها، فتوجهت نحو الرقعة الساحلية

---

[١] سورة الإسراء ، آية رقم (١).

[٢] أنظر شهاب الدين أ[ي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: كتاب معجم البلدان، ط١ (القاهرة مطبعة السعادة، ١٩٠٦) ج٥، ص٢١٩.

[٣] سورة البقرة آية رقم(١٤٤)

[٤] أنظر قسطنطين خمار، الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ط٢ (بيروت، طبع ونشر الكتب التجاري، دون تارخ) ص١١.

[٥] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ط١، (القاهرة، المطبة الحسينية المصرية، ١٣٤١هـ) ج١، ص١٠٣.

[٦] نفس المرجع ، نفس الصفحة.

الجنوبية الغربية من (أرض كنعان) (جنوب غزة)، وتمكنت من الاستيلاء على الأراضي الساحلية، الممتدة من جنوبي غزة، جنوبا، حتى إلى ما بعد الكرمل شمالا"[١] وعرفت منذ ذلك الحين بأسم "فلسطين". وهجرة قبيلة بولستي إلى أرض كنعان واستقرارهم فيها قد سبقه نزوح وهجرة قبيلة بولستي إلى أرض كنعان واستقرارهم فيها قد سبقه نزوح هذه القبيلة من "هذه المنطقة ضمن" الهجرات العربية "القديمة فيما قبل التاريخ التي امتدت على أفريقية الشمالية والبلقان وايطاليا واسبانيا، وعرفت بأسماء موجات أقوام البحر الأبيض المتوسط"[٢] ويظهر من هذا التفسير أن الفلسطينين إنما عادوا إلى موطنهم الأصلي أرض كنعان، مما يوحي إلى نوع من العلاقة بين الفلسطينيين و الكنعانيين يؤكدها الأثرى الفرنسي "هيليردوبار اتون" الذي يقول: "الايتروسكيين" هم فرع من الفنيقيين السوريين، وأن "الفلسطينيين" هو أحد أسمائهم، وأن معنى، "الأيتروسك" في اللغة المصرية القديمة هو "بحارة النيل" وأن معنى "الفلسطينين" هو الجنود المحاربون"[٣] ، علما بأن "الفلسطينيين" أنفسهم استغلوا موقع بلادهم الهام فكانوا هم "بحارة النيل"[٤] كما أفاد نفس البحاثة السابق وعندما تحدث عن أسماء الفنيقيين السوريين، والتي تختلف حسب عقائدهم "أخذ يعدد هذه الأسماء ومنها "الفلسطينيون" عملا بمهنتهم الحربية[٥] " ورأي أيضا أن أسم "الفلسطينيين" هو أسم لفريق من الكنعانيين اتخذوا الحرب والجندية حرفة لهم"[٦] ، وبناء على ذلك تكون "عودة الفلسطينيين من جزر بحر ايجه إلى هذا المكان بالذات يؤكد أنهم هم "العمالقة" المعروفون في التاريخ في هذا المكان، وأن هذا المكان بالذات هو موطنهم الأصلي المخصص جزء منه لتدريب الجنود واقامتهم فيه، ولذلك عادوا إليه، فهم إذن عرب لا شك فيهم، وهم كنعانيون فينيقيون سوريون، وأنهم هم "الجبارون" الذين عناهم القرآن الكريم"[٧] ، في قوله تعالى على لسان بني إسرائيل: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ}[٨] .

وكان اليهود قد دخلوا فلسطين في أواخر القرن التاسع ق.م عندما نزح سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وآله من العراق إلى الجزء الجنوبي من بلاد الشام الذي كان يعرف حينها بأرض كنعان وفيها ولد له إسحاق، وولد لإسحاق يعقوب المعروف باسم "إسرائيل" واليه ينتسب اليهود، وقد أنجب يعقوب عليه السلام من السيدة سارة أثنى عشر غلاما هاجروا إلى مصر عندما

---

[١] قسطنطين خمار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص١٣.

[٢] معروف الدوليبي: "من هم الفلسطينيون؟ " مجلة الأديب ، الجزء ٤ ، السنة ٣٢، ابريل ١٩٧٤ ، ص٢.

[٣] نفس المرجع، ص٣.

[٤] نفس المرجع، ونفس الصفحة.

[٥] نفس المرجع، ونفس الصفحة.

[٦] نفس المرجع، ونفس الصفحة.

[٧] نفس المرجع، ونفس الصفحة.

[٨] سورة المائدة آية رقم(٢٢).

أصاب الجدب الأراضي الكنعانية في أواسط القرن السابع ق.م ، وقد تكاثروا هناك وعظم عددهم، وتعرضوا لبطش فرعون فأرسل الله نبيه موسى عليه السلام لينقذهم من هذا البطش، ويأخذوهم إلى أرض سيناء تمهيدا لدخول الأرض المقدسة "أرض كنعان" وكان ذلك في أوائل القرن الثالث عشر ق.م ، ولكنهم عصوا هذا التكليف فحرمها الله عليهم وكتب عليهم التيه في الأرض [١] ، ويظهر موقفهم هذا في قوله تعالى لسان نبيه موسى عليه السلام ولسان قومه: " {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ}[٢] وفي تحريمها عليهم والحكم عليهم بالتيه قوله تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [٣] وبذلك لم يتمكن اليهود من دخول فلسطين في عهد موسى عليه السلام، وخلوها في عهد خليفته يوشع بن نون عبر نهر الأردن فسموا لذلك بالعبرانيين لعبورهم النهر. ونشب القتال بين اليهود وبين الكنعانيين في عهد يوشع وفي عهد من جاءوا بعده من قضاء بني إسرائيل، فاستولوا على باقي الأرض الكنعانية التي ظل الكنعانيون يحتفظون بجزء كبير منها[٤] إلى أن جاء النبي داود عليه السلام وسيطر على زمام الأمور في عام ألف وسبعة ق . م ، وقد دخل في حرب مع الكنعانيين حتى تم له الاستيلاء على بيوس (القدس) وجعلها عاصمة لمملكته، وكانت آخر حصن من حصون الكنعانيين، وخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام فكانت فترة حكمه من أقوى الفترات حيث أقيم في عهده هيكل سليمان وتوسعت الدولة وازدهرت وأُقامت حلفا مع الكنعانيين سكان البلاد الأصليين، وظلت هذه المملكة قوية حتى تسعمائة وثلاثة وعشرين ق.م، حيث انقسمت إلى مملكتين بعد سليمان عليه السلام، فكانت مملكة في الشمال عرفت بمملكة إسرائيل وعاصمتها السامره – وهي قرية سبسطية حاليا – وقد قضى عليها الأشوريون عام سبعمائة وواحد وعشرين ق.م بقيادة "بخت نصر"، ومملكة في الجنوب عرفت باسم مملكة يهودا وعاصمتها القدس والتي قضى عليها الكلدانيون عام خمسمائة وستة وثمانين ق.م ، وقد حكم بعد هذه الحقبة الأموريون والكلدانيون ثم الفرس الذين بدورهم سمحوا لليهود بالعودة إلى فلسطين لاتخاذهم عملاء لإمبراطوريتهم، ثم جاء بعد ذلك عهد اليونان على أثر الغزوات التي قام بها الأسكندر الأكبر عام ثلاثمائة واثنين وثلاثين ق.م حيث ألحق فلسطين بالدولة الإغريقية، ثم الرومان الذي شهد حكمهم ثورتين يهوديتين تم سحقهما، وطرد

---

[١] أنظر، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (بن الأثير): الكامل في التاريخ (بيروت، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥) ص١٩٥ – ١٩٦.

[٢] سورة المائدة (٢١ – ٢٢)

[٣] سورة المائدة (٢٦)

[٤] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص٢٠٠ – ٢٠٣.

اليهود من فلسطين تحريم سكانها على أي يهود وخاصة مدينة القدس. ومنذ ذلك العهد انقطع عهد اليهود بفلسطين وتشتتوا في البلدان المجاورة لها [١] ، وبقى حكم الرومان قائما إلى أن دخل الفاتحون المسلمون فلسطين بنور الإسلام فنعمت بعزة نفوسهم وقوة إيمانهم إلى أن جاءت الحملات الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي التي غزت فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين، وبقى الأمر على هذا الحال إلى أن ظهر القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على تلك الحملات وفتح فلسطين في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. وظلت فلسطين بعد هذه القبة يتراوح على حكمها دويلات عربية مختلفة إلى أن جاء المسلمون الأتراك في القرن السادس عشر فظلت تحت رعايتهم حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث ثم القضاء على الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية مما عرض فلسطين وباقي الدول العربية والإسلامية لقبضة المستعمر الأجنبي من جديد وبقيت فلسطين في أسر الاحتلال إلى يومنا هذا.

ومن خلال العرض السابق نلحظ أن اليهود مكثوا في فلسطين مدة قصيرة وصفها هـ.جـ ويلز في كتابه "موجز التاريخ" بأن مملكتهم لم تكن " سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسوريا وآشور و فينيقيا،[٢] " في المقابل بقي الكنعانيون في فلسطين طوال حقب التاريخ دون انقطاع رغم كثرة الحملات عليهم لمحاولة طردهم منها، وحتى في عهد سليمان عليه السلام واليهود في أوج قوتهم لم يغادر الكنعانيون أرضهم، بل عقد معهم سليمان حلفا ليأمن جانبهم ويكسب ودهم.

---

[١] قسطنطين خمار: الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ص ١٤ – ٧ وأنظر، عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث ،ط١ (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٠) ص ١٨ – ١٩.

[٢] قسطنطين خمار: الموجز في تارخ القضية الفلسطينية ،ص١٥.

عصر الشاعر

١. الحياة السياسية:-

تعتبر الفترة التي عاشها العدناني من أكثر الفترات حرجا وذلك بسبب تفجر على فلسطين. وظهرت بدايات هذا الصراع أواخر العهد الإسلامي العثماني، واستمر بدخول قوات الانتداب البريطاني وقيام الدولة اليهودية، وقد قدر للعدناني أن يشهد هذه الفترات المتعاقبة في هذا الصراع.

ومن أهم الأحداث السياسية البارزة في أواخر فترة الخلافة الإسلامية هي إصدار الدستور في يوليه من عام ألف وتسعمائة وثمانية، حيث قامت جماعة الاتحاد والترقي[(١)] بمساندة من اليهود بفرضه على السلطان عبد الحميد الثاني آخر سلاطين هذه الدولة، وذلك ليتسنى لهم القضاء على الخلافة الإسلامية وإقامة الدولة التركية العلمانية. والجدير بالذكر أن اليهود كانوا بمثابة العقول المفكرة والمخططة لهذه الجمعية[(٢)] لأنهم كانوا يسعون من وراء هذه الخطط القضاء على الصبغة الإسلامية لدولة الخلافة. وبالتالي انفراط عقدها الذي قام على هذا الأساس، مما يجعل الطريق أمامهم لفلسطين ممهدا لذلك فقد ارتبط مصير فلسطين بمصير الخلافة ومصير السلطان عبد الحميد، وقد أوضح هذا المفهوم السلطان عبد الحميد نفسه عندما طلب اليهود منه أن يؤسسوا وطنا قوميا لهم في فلسطين فقال لهم: "إنكم لودفعتم ملئ الدنيا ذهبا ... فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين"[(٣)] ورغم ذلك ظل اليهود والاتحاديون ينهشون في كيان دولة الخلافة حتى استولوا على الحكم في عام ألف وتسعمائة وتسعة، واتخذت جماعة الاتحاديين في سياستها" اتجاها قوميا واستبعدت منذ سنة ١٩٠٩ الوحدة الإسلامية، ووجهت كل عنايتها إلى تركيا والي الأتراك"[(٤)] مما أدى إلى إهمال شئون العرب في النواحي السياسية وغيرها لأنهم لا يعتبرون ضمن قوميتهم الطورانية التي يدعون لها ، وأدى أيضا إلى سوء أحوال العرب وازدياد تمسكهم بقوميتهم العربية كرد فعل لما قام بها الأتراك بالدعوة إلى قوميتهم الطورانية، فكونوا الجمعيات السرية للمطالبة بحقوقهم وباتوا ينتهزون الفرصة للانقضاض على حكم الاتحاديين إلى أن جاءت فرصة الحرب العالمية الأولى فاستغلتها بريطانيا لتأليب هذا الشعور عند العرب ضد

[(١)] جمعية الاتحاد والترقي هي اللجنة التنفيذية لجمعية تركيا الفتاة، وهي الجمعية التي كانت تطالب بتركيا العلمانية – أنظر، أحمد نور النعيمي: أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين (بغداد، مطبعة بغداد، ١٩٨٢) ص١٠١.

[(٢)] أنظر ، نفس المرجع،ص١١٣.

[(٣)] عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني: مكائد يهودية عبر التاريخ، ط٥ (دمشق، دار القلم، ١٩٨٥) ص٢٥٩.

[(٤)] أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، ط٤ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دون تاريخ) ج٥،ص٧٣٨.

تركيا، فخاضوا معها الحرب بقيادة الشريف حسين بن علي شريف مكة، آملين من وراء ذلك نيل استقلالهم بعد انتهاء الحرب كما وعدتهم بريطانيا، ولكن الغدر من طرفها كان مصير هذا التحالف، إذ في الوقت الذي كانت تُمني فيه العرب بالاستقلال، كنت تقيم المواثيق والمعاهدات مع فرنسا لاقتسام البلاد العربية فيما بينها، وقد تبع ذلك إصدار بريطانيا وعد بلفور الذي يمكن اليهود من إقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بدأت كل من بريطانيا وفرنسا باقتسام الغنيمة، فقسمت بلاد الشام إلى قسمين، أحدهما شمالي وضع تحت الإدارة الفرنسية، والثاني جنوبي وضع تحت الإدارة البريطانية، مما مكن بريطانيا من فرض انتدابها على فلسطين بمباركة عصبة الأمم وتأييدها. وأقيمت بعد ذلك الحواجز بين الأقطار العربية المقسمة مما ساعد على تشتيت الشمل وتفريق الكلمة، ووجدت بريطانيا أن الفرصة سانحة في ظل هذه الظروف لتنفيذ وعودها التي أعطتها لليهود في فلسطين لذلك سهلت لهم الهجرة إليها والاستيطان بها وأعطتهم حقوقا وامتيازات تفوق الحقوق المعطاة للسكان العرب الأصليين.

وقد تنبه عرب فلسطين من مسلمين ومسيحيين لهذه النوايا الخبيثة "فأسسوا جمعية سميت (الجمعية الإسلامية المسيحية) وأخذت تقدم المذكرات برفض وعد بلفور والهجرة اليهودية"[١] وقد انتشرت الجمعيات في سائر فلسطين وأخذت تصدر مذكرات الاحتجاج المتتالية على الممارسات التي يقوم بها البريطانيون واليهود على السواء وكان فحوى قرارات هذه المذكرات رفض وعد بلفور الهجرة اليهودية ورفض دعوى اليهود بأن لهم الحق في فلسطين[٢]، ورغم استمرار هذه الاحتجاجات إلا أن السلطات البريطانية استمرت في تمكين اليهود من فلسطين، مما دعى العرب في نيسان ابريل عام ألف وتسعمائة ستة وثلاثين بالقيام" بالإضراب الشامل المستمر إلى أن توقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود ويقوم حكم وطني نيابي"[٣] واستمر هذا الإضراب قرابة ستة أشهر، شارك فيه آلاف المجاهدين من فلسطين وغيرها من الدول العربية المجاورة الذين قاموا بعمليات عسكرية قاتلة لسلطات الانتداب واليهود وبعد فشل السلطات في إيقاف الإضراب لجأت إلى الملوك والرؤساء العرب ليوقفوه واعدة إياهم بإعادة النظر في القضية وحلها حلا عادلا، وكل ذلك بمثابة المسكن لثورة شعب فلسطين دون أن يروا بصيص أمل في وعودها، فعادوا إلى الثورة من جديد من خيف عام ألف وتسعمائة وسبعة وثلاثين مما اضطر بريطانيا أن تطرح حلولها، كحل مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية وجعل مدينة

---

[١] محمد عزه دروزه: العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها (بيروت، دار الكلمة للنشر، ١٩٧٩) ج٢،ص٣٣-٣٤.

[٢] أنظر، نفس المرجع ،ص٣٥.

[٣] نفس المرجع ، ص٥٤.

القدس دولية بسبب الأماكن المقدسة التي تخص الديانات المساوية. هذا وقد أعطى قرار التقسيم لليهود "مساحات شاسعة من أراض فلسطين ٥٦,٤٧ بالمئه من مجموع مساحة بلادها لكي تقيم "الدولة العربية" عليها. بينما خصص المساحة المتبقية ٠,٦٥بالمئة للقطاع الدولي حول مدينة القدس، ووضعه تحت إدارة الأمم المتحدة".[١]

والجدير بالذكر أن عرب فلسطين رفضوا هذا القرار وازدادوا في ثورتهم شدة وعنفا حتى وصلت أخبارهم إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، مما حدي بكثير من الدول المشتركة في اتخاذ القرار التفكير في العدول عنه وإعادة القضية من جديد لهيئة الأمم، فأزعج ذلك اليهود ورأوا أن "خير وسيلة لمواجهة هذا الموقف الجديد هو وضع حد للمناقشة بإعلان قيام دولتهم"[٢] وقد ساعدتهم بريطانيا على ذلك فقدمت موعد انسحابها من فلسطين وحددته في اليوم الرابع عشر من مايو عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين وهو اليوم الذي أعلن فيه اليهود قيام دولتهم، وعلى الفور منحتها الأمم المتحدة الاعتراف وقبلتها الجمعية العمومية عضوا دائما كباقي الدول الأخرى مما زاد من ثورة أهل فلسطين وباقي الشعوب العربية والإسلامية وازدادت نقمتهم على دول الغرب والأمم المتحدة المتواطئة مع اليهود. ودخل الشعب الفلسطيني والجيوش العربية حربا مع العصابات الصهيونية في الخامس عشر من مايو من نفس العام ودارت الحرب الضروس على ترابها المقدس، إلا أن الحرب حُسمت لصالح اليهود وذلك لما اتسم به الجانب العربي من المرونة والقبول بالهدنات والحلول السليمة حيث قبل الزعماء بالهدنة الأولى والثانية اللتين كانتا وبال على المقاتلين العرب والمسلمين، اذ مكنت اليهود من استعادة قوتهم العسكرية والبشرية في الوقت الذي منع ذلك عن الجانب العربي، وشرد أبناء فلسطين عن أرضهم وديارهم فلجأوا إلى قطاع غزة الذي أشرفت عليه الحكومة المصرية، والى الضفة الغربية لنهد الأردن الذي أشرفت عليه الأردن، والى الأقطار العربية المجاورة كالأردن وسوريا ولبنان ومصر.

واستمرت الأوضاع السياسية المضطربة قائمة بعد ذلك، فقام اليهود بحرب عام وتسعمائة وستة وخمسين بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا، وبحرب عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين، وذلك لإشباع غريزة التوسع، ولإضعاف الموقف السياسي للدول العربية، وصرفها عن المطالبة بحقها في أرض فلسطين. وقد حاول العرب التغلب على غطرسة اليهود بلم شملهم وتجميع كلمتهم وطرح مشاريع الوحدة لتتظافر الجهود وتتجمع الطاقات، فكانت حرب رمضان عام ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين التي وجه فيها لليهود ضربات مفاجئة هزت كيانهم حتى كاد يتهاوى منها صرحهم لولا تدخل الدول الكبرى التي أوقفت هذه الحرب، ليتبع ذلك محاولات

(١) أسعد زروق: الصهيونية وحقوق الإنسان العربي (بيروت، مركز الأبحاث،١٩٦٨) ج٢، ص١٥٢.

(٢) على محمد علي: فلسطين بين عصبة الأمم والأمم المتحدة (القاهرة، الدار القومية للطباعة، دون تاريخ) ص٧١.

الصلح مع اليهود، وقد تم ذلك في اتفاقية "كامب ديفيد" التي لم تعط الشعب الفلسطيني حقوقه، بل أنها اعترفت بالكيان الصهيوني في فلسطين وأعطته صفه الشرعية في إقامته بها اغتصابه لأرضها مما زاد اليهود حدة في عدوانهم على الأمة العربية والإسلامية وازداد إرهابهم ليصل أبناء فلسطين في الدول العربية المجاورة للقضاء عليهم وعلى الروح الجهادية التي ينطلقون منها وعلى إصرارهم بالعودة لأرضهم.

وهذا وما زالت قضية فلسطين بين مد وجزر تتداولها المؤتمرات، وتناقشها الهيئات دون أن تقدم أي شئ يذكر. والحل الوحيد لهذه القضية هو عودة خلافة إسلامية راشدة تيقن أن الصراع بين المسلمين واليهود صراع ديني بين الإسلام العادل واليهودية الحرفة الباطلة، وتعلى الجهاد المقدس على اليهود وغيرهم من أعداء الله لاسترداد فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين المغتصبة.

وقد قُدّر للعدناني معايشة هذه الفترات الثلاث التي تركت أثرها في شعره وشخصيته فعبر عنها أصدق تعبير وتأثر بها أيما تأثر.

٢. الحياة الفكرية والثقافية:-

إن الحديث عن حاضر فلسطين الثقافي والفكري يذكرنا بماضيها العلمي الكبير الذي كان له دور هام في الحركة العلمية والفكرية بين البلاد الإسلامية. فقد ميز الله فلسطين بالمسجد الأقصى الذي جمع حوله كثيرا من العلماء والمفكرين من كافة أنحاء العالم الإسلامي، والذين كانت لهم المداولات العلمية والبحثية في كافة العلوم الدينية والدنيوية. فأثروا بذلك الحركة العلمية فيها، واستمرت هذه الحركة على مر العصور إلى أن جاء الحكم الإسلامي العثماني الذي حافظ على "النشاط العلمي بتياراته المختلفة، مصحوبا بحركة تعليمية فعالة، كان منتشرا في معظم مدن الأقطار العربية الإسلامية"[١] ولم يبق الأمر على هذا الحال ففي أواخر هذا العهد ساءت الأحوال في الدولة بسبب الضعف الذي هز كيانها ومحاولة الدول الغربية القضاء عليها ليُنهوا وجود الخلافة الإسلامية المتمثل فيها، مما ساعد جماعة الاتحاد والترقي من الاستيلاء على الحكم، فازداد في عهدهم الجهل والفساد وسوء الحكم والاستغلال وإهمال مرافق التعليم المختلفة فظلت المدارس والكتاتيب الدينية كما هي دون أي تجديد أو إصلاح فأدى ذلك إلى تأخر أبناء فلسطين التعليمي والثقافي وانتشار الأمية والجهل بينهم. وقد جاء في نشرة وزارة المعارف العثمانية عام ألف وتسعمائة وثلاثة عشر، ألف وتسعمائة وأرعة عشر أنه لم يكن في فلسطين

---

[١] ليلى الصباغ: (نحو تقويم جديد للحياة الفكرية في البلاد العربية في المرحلة الأولى من الحكم العثماني) أوراق العدد الثالث ١٩٨٠،ص٥٧.

غير مدرسة ثانوية واحدة، ومدرستان إعداديتان وخمسة وتسعون مدرسة ابتدائية[١] لذلك كان حجم التعليم في حين يُحرم باقي الشعب من ذلك. وفي المقابل كانت مدارس الأقليات غير المسلمة تتمتع بامتيازات قانونية مكنتها من التفوق على المدارس الأهلية، لذلك كانت مدارس الإرساليات الأجنبية تعم ربوع فلسطين وكانت تقدم للطلاب منهاجا يخدم فكرها وسياستها، مما جعلها من الفاعليات السياسية الهامة التي تساعد على بسط نفوذ البلدان المسؤولية عن مثل هذه المدارس وأدى ذلك بدوره إلى تشتيت الوحدة العلمية والترابط الفكري بين الطلاب. والحال كذلك بالنسبة للمطابع والصحف والمجلات فقد كانت قليلة يمتلكها أصحاب الإرساليات نفسهم وعدد من النصارى.

وفي عهد الانتداب البريطاني لم يتغير الحال إذ " لم ترد ميزانية التعليم طوال عهد الانتداب البريطاني على فلسطين عن ٥% من الميزانية العامة، وهي نسبة ضئيلة بالنسبة إلى ميزانية الدفاع التي كانت تصل إلى ٣٠% من الميزانية. وقد بلغت ميزانية التعليم عام ٤٨/٤٧ (١,٦٥٠,٠٠٠) جنيه فلسطيني كانت تصرف على المدارس الحكومية والمدارس العربية الخاصة والمدارس اليهودية"[٢]، إلى جانب تحول المجهود الشعبي للجهاد ضد اليهود والبريطان، كل ذلك أدى إلى عرقلة تقدم الحركة الفكرية والثقافية.

وعندما أقام اليهود دولتهم عملوا على تشريد المواطنين وتهجيرهم من بلادهم إلى مناطق أخرى، فقامت هيئة الأمم على أثر ذلك بإنشاء المدارس لمراحل التعليم المختلفة في داخل فلسطين وخارجها.

وقد حظي هذا التعليم "باهتمام الأسرة الفلسطينية، ساعدهم على ذلك برنامج الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل الفلسطينين، وأنظمة التعليم شبه المجانية السائدة ... الأمر الذي أدى إلى تطور كمي في عدد المتعلمين من أبناء الشعب العربي الفلسطيني"[٣].

---

[١] أنظر، كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ – ١٩٦٠ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩) ص٢٩.

[٢] موفق ياسين: مشكلات تعليم أبناء فلسطين في مراكز تجمعاتهم الكبرى في الدول العربية (١٩٤٨-١٩٧٣) (بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٦) ص١٦.

[٣] حماده فراعنه: (أهداف التعليم الجامعي في الضفة الغربية وقطاع غزة) صامد الاقتصادي ، العدد٥٨ ، السنة السابعة ١٩٨٥،ص٦٨.

وقد لاحظ فريق من الباحثين أن "أولياء أمور الأطفال كانوا يثيرون مسألة تعليم أطفالهم أكثر من إشارتهم مسائل الطعام والمأوى والكساء"[١]. وقد واكب هذا الاهتمام فتح الدول العربية أبواب جامعاتها لأبناء فلسطين، مما أدى إلى وجود حركة علمية في مختلف الميادين أدت بعد ذلك إلى تمكين أبناء فلسطين من إنشاء الجامعات داخل وطنهم، قبيل عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين، ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين تم إنشاء عدد كبير من الجامعات والمعاهد العلمية والأكاديمية التي كان لها الدور في دفع المستوى المعرفي والثقافي لكافة أبناء فلسطين، وهذه الجامعات والمعاهد هي: جامعة الخليل، وجامعة بيرزيت، وجامعة بيت لحم، والجامعات الإسلامية بغزة، وكلية العلوم التكنولوجية بأبي ديس، وكلية أصول الدين بالقدس، وأما المعاهد، فالمعهد الشرعي في قلقيلية، والمعهد الفني الهندسي البولتكنك في الخليل، إلى جانب عدد كبير من المعاهد التابعة للحكومة ولهيئة الأمم المتحدة.

٣. الحياة الاقتصادية والاجتماعية:-

ينقسم المجتمع الفلسطيني كباقي المجتمعات العربية إلى ثلاث طبقات اجتماعية [٢] هي:-

١. طبقة الحضر، وهم الذين يسكنون المدن من الإقطاعيين ورجال الأعمال وموظفي الدولة والتجار والحرفيين والعمال.
٢. طبقة الفلاحين، وهم الذين يعملون في الأراضي الزراعية ويشكلون الغالبية العظمى من السكان.
٣. طبقة البدو، وهم الذين يسكنون الخيام في صحارى فلسطين وخاصة منطقة بئر السبع جنوب فلسطين.

لذلك كانت "حياة العرب الاجتماعية يغلب عليها طابع البساطة نتيجة علاقاتها الإنتاجية البسيطة، إذ كان المجتمع لا يشغل إلا بالإنتاج الزراعي، وقليل من امتهان الحرف الصغيرة، والاشتغال بالتجارة الضيقة في المحيط الأهلي نفسه، لا يكاد يتعداه فكان (٧٠%) منهم قرويون مزارعون (٢٠%) حضريون حرفيون ومتعلمون و (١٠%) ذوات وأعيان وفقهاء وموظفون".[٣]

---

[١] موفق ياسين: مشكلات تعليم أبناء فلسطين ،ص١١٧.

[٢] أنظر، إبراهيم رضوان الجندي: سياسة الانتداب الاقتصادية في فلسطين ١٩٢٢-١٩٣٩، ط١ (عمان منشورات دار ألكرمك، سلسلة كتاب صامد (٤)،١٩٨٦) ص٥١ -٦٠.

[٣] عبد الرحمن ياغي. حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة ... حتى النكبة ط٢ (بيروت ، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١) ص٥٥.

وقد اتسم سكان المدن بالتحرر من العادات، والميل إلى الترف متأثرين بألوان الحضارة المادية المختلفة، بينما ظلت طبقة الفلاحين والبدو طبقة بسيطة محافظة على تقاليدها الموروثة، مما جعل التطور الاجتماعي فيها بسيطا إذا قيس بالتطور الاجتماعي في المدينة، ورغم هذا التطور الذي شمل المدن، بَقِيَتْ فلسطين بلدا زراعيا كباقي الدول العربية المجاورة، وظلت الصناعة فيها معتمدة على الأعمال اليدوية، كصناعة الخزف والنسيج ودبغ الجلود، وعمل السجاد والأبسطة والصابون وغيرها.[١]

ومع سوء الأحوال في مختلف المناحي في أواخر عهد الدولة الإسلامية العثمانية ضعفت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وزاد من هذا الضعف سياسة الاتحاديين القومية، الذين وجهوا اهتمامهم لتركيا وحدها وتركوا باقي الإمبراطورية دون رعاية، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل أنهم أخذوا الرجال القادرين على العمل والإنتاج إلى التجنيد إضافة إلى أخذ رسائل النقل والجر لتسخيرها للقتال في الحرب العالمية الأولى، مما أدى إلى خلو البلاد من المزارعين والى سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وتعرض الناس للجوع والهلاك.

وازداد الأمر سوءا في عهد الانتداب البريطاني بسبب السياسات التي قام بها لتجويع الناس وإجبارهم للتخلي عن أراضيهم ليحقق وعد بلفور الذي منحه لليهود، لذلك أصدر القوانين لخدمة هذا الغرض فهو مثلا أوقف القروض الزراعية التي كانت تعطي للفلاحين لتسهل عليهم مصاريف الزراعة، وأوقف تصدير المحصولات الزراعية في الوقت الذي ملأ فيه الأسواق بالمحاصيل المستوردة من الخارج، إلى جانب ارتفاع أسعار أدوات الزراعة كدواب الحمل والحرث، وارتفاع معدل الفوائد على الديون، كل ذلك أدى إلى زهد الفلاح في أرضه وتركها بلا زراعة وفي بعض الأحيان بيعها بأثمان زهيدة.

واختلفت الأوضاع في عهد الاحتلال اليهودي، قد استولوا على كل مرافق البلاد، واستولوا على كافة الأراضي الزراعية ليقيموا عليها المستوطنات والمشاريع الزراعية التي تخدم مصالحهم الاقتصادية. وقد استغل اليهود العمالة العربية لبناء دولتهم المزعومة فأقاموا بجهودهم أضخم المشاريع العمرانية والزراعية والصناعية، ومع أن ذلك حقق بعض الانتعاش الاقتصادي لدى العمالة العربية، إلا أنه في الآونة الأخيرة وبعد استغنائها عن هذه العمالة ظهرت البطالة بين العمال مع تزامن ارتفاع الأسعار مما شكل صعوبة في الحياة المعيشية لدى المواطن العربي.

---

[١] أنظر، عنان العامنري: التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني – ١٩٠٠ – ١٩٧٠ (بحث إحصائي) (بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٤) ص٣٠-٣١.

وأما الجانب الاجتماعي فقد عمل اليهود جاهدين على تجريد الشعب الفلسطيني المسلم من قيمه وأخلاقه بنشر الفساد والانحلال لتدمير الأفراد والأسر والمجتمعات.

وقد حرص اليهود على نشر هذا الفساد لأنهم اعتبروه من الوسائل الهامة للسيطرة على معارضيهم ففي بروتوكولاتهم يقول حكماؤهم: "وسرعان ما سنبدأ في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات: كالفن والرياضة وما إليها. هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتما عن المسائل التي سنختلف فيها معه."[١]

هذا وقد استطاع اليهود تكوين جيل من الشعب العربي في فلسطين وجد في هذه الملذات غذاء شهيا وشرابا سائغا، إلا أنه سرعان ما فطن هذا الجيل لواقعه فعاد إلى أصالته وعقيدته وأصبح يشكل خطرا فعليا على عدوه المغتصب لأرضه.

هذا وقد تفاعل العدناني مع هذه الأحوال فعبر عنها أصدق تعبير و فكان له الشعر القومي والوطني والسياسي والاجتماعي الذي عبر من خلاله عن أمته وأمالها.

---

[١] حكماء صهيون: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتعليق: محمد خليفة التونسي،ط٦ (بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٨٢) ص١٥١.

شخصية الشاعر

١. نشأته وأعماله:

ولد محمد العدناني في مدينة جنين الفلسطينية في السادس والعشرين من مارس آذار عام ألف وتسعمائة وثلاثة، وكان والده (فريد خورشيد) حاكم هذه المدينة في العهد العثماني مما مكنه من تلقي علومه في عديد من المدن العربية، في جنين وطولكرم وغزة ودوما ودمشق وصيدا.

وقد كان للعدناني موقف هام مع الشاعر أحم دشوقي حول مسار حياته الأدبية والعلمية، ففي الجامعة الأمريكية ببيروت وبعد دراسته في كلية الطب مدة سنتين عمل بوصية والده الذي كان يريد أن يراه طبيبا،[١] وألقى العدناني أمام أمير الشعراء معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادي التي مطلعها:

لا تَعّذليـــهِ فــإنَّ العَـــذْلَ يُولعُـــهُ   قَـدّ قُلـتِ حقـاً ولكـن لـيسَ يَسـمعُهُ[٢]

فعندما وصل العدناني إلى قوله في معارضته:

رَأَيْتُـــهُ عِنْـــدَها والـــدَّمعُ مُضـــطربٌ   الجِفّـــنُ يَحبِسَـــهُ والوَجْـــدُ يَدْفَعُـــهُ

فَخِلْـت نَفْسـكَ تَـدْري مـا أَلَـمَ بِهَـا   يـــومَ الفـــراقِ ومـــا تُبديـــهِ أدْمُعُـــهُ

وفـــي المـــآقي دمـــوعٌ لســـتَ تُبْصـــرها   وفـــي الضـــلوعِ أنـــينٌ لســـتَ تَسْـــمَعُهُ[٣]

وقف أحمد شوقي وقبله وأصر عليه أن يترك كلية الطب ويتحول إلي كلية الآداب في الجامعة نفسها، على أن يصبح شوقي والده الروحي، وسرعان ما لبى العدناني هذا الطلب واحتفظ بأبوته الروحية،[٤] وأنهى دراسته في هذه الكلية في عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين حاصلا على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، ثم سافر بعد التخرج إلى العراق وأصبح أستاذا في دار المعلمين الثانوية المركزية ببغداد.

ثم عاد العدناني بعد ذلك إلى فلسطين وأصبح أستاذا للآداب في كلية النجاح الوطنية بنابلس ما بين سنة ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين إلى سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثلاثين، ثم انتقل بعدها إلى القدس وعمل فيها أستاذا للأدب العربي أيضا في الكلية الرشيدية قرابة تسع

---

[١] أنظر، كامل السوافيري: الأديب العربي المعاصر في فلسطين، ص١١٢.

[٢] محسن جمال الدين: أباء بغداديون في الأندلس،ط١ (بغداد، دار التضامن للطباعة ومكتبة النهضة للنشر، ١٩٦٢-١٩٦٣) ص٣٦.

[٣] يعقوب العودات (البدوي الملثم): أعلام الفكر والأدب في فلسطين (عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٦)ص٤٣٢.

[٤] أنظر، كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين،ص١١٢.

سنوات، كان في كل هذه الفترات معلما ناجحا "ومربيا فاضلا..كفؤا نادرا، تتلمذ على يديه ألوف الطلبة منخيرة الناشئة في الكلية الرشيدية بالقدس ودار المعلمين العالية ببغداد، وجامعتي دمشق وحلب وغيرها من معاهد التعليم في المدن العربية الأخرى"[١]، وكان "حين يلقي الدرس على تلاميذه، كأنه في محراب، الآذان مرهفة، والقلوب مفتحة، لتقبل ما ينفعها، ويشبع رغباته في تعلم اللغة العربية وآدابها[٢] "كل ذلك مكن العدناني من الفوز في امتحان المعلمين الأعلى في علم النفس والتربية والتدريس نظريا وعمليا بدرجة الامتياز، وكان هذا الامتحان معدا وفق منهاج جامعة لندن في التربية وعلم النفس، وفاز أيضا في عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين بالجائزة الأولى في المباراة الشعرية التي كان موضوعها "حرب الطائرات" والتي شملت شعراء فلسطين والأردن[٣] حيث قدم العدناني قصيدته التي مطلعها:

تَرَوَّعـتِ الأفـلاكُ وانتشَـرَ الـذُّعرُ وضَـج الفضـاءُ الرَّحـب والبـرُّ والبحـرُ[٤]

وعلى أثر النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني في عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين هاجر العدناني إلي مدينة الزرقاء مشردا عن وطنه، فأقام فيها ستة أشهر ثم اتجه بعد ذلك إلى سوريا حيث تولى التدريس في كلية الهندسة في الجامعة السورية التي تُعرف الآن بجامعة دمشق، ثم عمل بجامعة حلب وبدار المعلمين والمعلمات فيها إلى أن أحيل إلى المعاش عام ألف وتسعمائة وأربعة وستين.

وقد شغل العدناني أعمالاً إدارية إلى جانب عمله في التدريس، فكان رئيسا لجمعية العروة الوثقى الأدبية في الجامعة الأمريكية ببيروت، ورئيسا لقسم المحاضرات في بناية وست في الجامعة نفسها، ورئيسا للجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي الفلسطيني في محافظتي حلب إبان الوحدة بين مصر وسوريا، ورئيسا للقسم العربي للامتحانات في دائرة المعارف العامة، وميدرا لكلية المقاصد في صيدا، وأخيرا مديرا لشركة الكات في المدينة المنورة حتى عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين، ثم انصرف بعد ذلك للبحث والإنتاج للغوي والأدبي، وأصبح عضو شرف في المجمع اللغوي الأردني حتى نضب زيت حياته عام ١٩٨١م.

٢. اعتقالاته:

---

[١] جميل بركات: "العدناني ومعجم الأخطاء الشائعة" مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣، ص٥٣.

[٢] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[٣] أنظر، حسان الكاتب: "مع العلامة محمد العدناني" مجلة الأديب، الجزء ٨، السنة ٣٣، أغسطس ١٩٤٧، ص٢٤.

[٤] محمد العدناني: ديوان اللهيب (بيروت، المكتبة العصرية،١٩٥٤)ص٢٥.

عانى العدناني من آلام الحياة الشئ الكثير سواء من قبضة الاستعمار، أو من سطوة بني جلدته وكان في الحالتين صابرا محتسبا. فقد اعتقلته السلطات البريطانية ثلاث مرات أثناء عمله في القدس قُدّم للمحاكمة في أحداها بتهمة اغتيال المستر (أيليف) مدير المتحف الفلسطيني في باب السامرة، ولكن عجزت السلطات إلى مدينة يافا لمواقفه الوطنية المناهضة لها وأفرجت عنه بعد خمس سنوات، وأنذر بالطرد خلال دراسته في مدرسة الفنون الأمريكية بصيدا لإلقائه قصيدتين هاجم فيها الاستعمار ودعي إلى الوحدة العربية.(١)

وأثناء دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين ألقى قصيدة بعنوان " شهداء العروبة" على قبور المجاهدين والتي مطلعها:-

كفكف دموعك، وأشهد أدمع القلم	حمـــراء تهتـــك ســـتر الظلـــم والـــنقم(٢)

وبعد انتهاءه من إلقائها اعتقلته السلطات الفرنسية وكادت تطرده من الجامعة لولا وساطة صديقه عبد الرحيم بك قليلات المدير العام للشرطة اللبنانية آنذاك الذي يقول عنه العدناني: أنه كان "يُغيّر من ترجمة كلماتي العنيفة، لكي يخفف وطأة الحكم، ويهدئ من ثورة القاضي العسكري. وقد نجح رحمه الله، في ذلك نجاحا كبيرا، ولولا أنني كنت قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالشهادة الجامعية النهائية."(٣)

وقد اعتقل أيضا مرتين في العراق أثناء عمله بالتدريس، كانت المرة الأولى عندما حرض على الثورة ضد الانتداب البريطاني على العراق، والثانية عندما شرح لطلبته أهداف الصهيونية ومبادئها الهدامة. وقد عبر العدناني عن آلامه هذه واعتقالاته الكثيرة، فقال:-

لَـئنْ سـلخْتُ حيـاتي فـي مُقارَعـةٍ	للغـــرب يُرْهقُنـــي بـــالظلمِ مُنْتَـــدَبا
كـم زُرْتُ سِـجْناً ببيـروتٍ، ورَوَّعنـي	سِـــجْنٌ ببغَـــدادَ شَـــنَّ الويْـــلَ و الحَرَبـــا
وفــي فِلسْــطينَ تنيكــلٌ، ومُعتقَــل	بَلَــوْتُ فيـــه الضَّـــنَى، الـــبطش والكُرَبـــا
وذُقْتُ في النفيِ، والتشريدِ مُضْطهَداً	وغيـــري بمثلهمـــا مـــا خِلءتُـــهُ نْكِبـــا(٤)

(١) يعقوب العودات: أعلام الفكر والأدب في فلسطين،ص٤٣٣.

(٢) محمد العدناني: ديوان الوثوب (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٥) ص١٩.

(٣) محمد العدناني: (لكل قصيدة قصة) مجلة الأديب، الجزء ٣، السنة ٣٣، مارس ١٩٧٤. ص٤٨.

(٤) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٠.

٣. أسرته ونسبه:

ينتسب العدناني إلى أسرة (خورشيد) وهي العائلة المعروفة بكثرة وزرائها وحكامها ومهندسيها وقادتها العسكريين وشعرائها ورساميها، وتنتسب هذه الأسرة إلى أحد الأجداد وهو (خورشيد باشا الحسني) الذي عاش في منتصف القرن التاسع عشر وآثر أن تنتسب الأسرة إليه. وقد ترك العدناني هذا النسب لما وجد فيه انتسابا للأكاسرة وهو العربي المعتز بعروبته وبقومه لذلك ربط نسبه بعدنان[١] وفي ذلك يقول. "كنت معروفا حتى عام ١٩٣٦ باسم "محمد خورشيد" ثم تركت اسم جدي لأبي وهو "خورشيد" إلى جد الأسرة البعيد (عدنان) وأنا من نسل الحسن بن على إلى عدنان ومنذ ذلك التاريخ أصبحت معروفا بأسم محمد العدناني"[٢]، وقال في ذلك

وحُمِّلــت اســم خورشــيدٍ ولمــا ... تَمُــــتَّ إلــــى الأكاســــرة انتســــابا
لقــد ظلمــوكَ، فالــدَّمُ يعرُبــيٌّ ... مــن الزَّهــراء ســالَ ســني وَطابــا[٣]

٤. أخلاقه وثقافته:-

أ - أخلاقه:-

امتاز العدناني بأخلاق فاضلة كريمة جعلته يحظى بمكانة عالية لدى كثير من الناس، فمن هذه الأخلاق العزة والكرامة التي حاول العدناني أن يدعو أبناء أمته للتحلي بها، فهو الذي رفض لشعره إن يتزلف لدى الملوك والرؤساء وذوي السلطان، وأراد له سدرة المنتهى في عنان السماء مكانا، فقال:

ترفـع عـن مـدح الملـوك قصـيدي ... وأوطــــن جــــوزاء البيــــان نشــــيدي
وصعرت خد الشعر كبرا، فلم يجد ... ســوى ســدرة الإلهــام عــرش خلــود[٤]

---

[١] أنظر، يعقوب العودات: أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص٣٣٥ – ٣٣٤ . وانظر أحم قبش: تاريخ الشعر العربي الحديث (بدون الطبعة أو مكانها أو تاريخها) ص ٤٦٣ – ٤٦٤.

[٢] محمد العدناني. ديوان اللهيب،ص٧.

[٣] نفس المصدر، ص٨.

[٤] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة،ص٤.

وتحلى العدناني بالحلم وسعة الصدر، فقد فتح قلبه لأبناء أمته مسامحا وغافرا لهم زلاتهم.

فقال:-

فَلْيَغْفِرِ اللهُ ما قالوا وما اجترَحُوا مِنَ المآثم، مهما إِثْمهُمْ عَظُما
فإنّ صدري رَحْبٌ، لا يضيقُ بما يأتُون من مُنْكَرٍ، مهما طَغَى وطَما[١]

وقال أيضا:

فلستُ سوى الإخلاصِ والعشْلْم رُكِّبا وقلبٍ وفيٍّ بينَ قومي مُقَسَّمِ[٢]

وتميز أيضا بالتضحية والفداء في سبيل الأهداف السامية والغايات العظام، فهو يقدم روحه فداء لوطنه ولعروبته وإسلامه، فقال:

إذا كان في موتي حياة لموطني فنفس له القربانُ إنْ ينفَعِ الجزْر[٣]

وقال فاديا عروبته:-

وفيَّ الشاعرُ الوطنيُّ يفدِي عُروبتَهُ دمٌ قانٍ وعمرُ[٤]

ومفديا أسامه الذي حاول الفرنسيون أن يسلبوه من البرر بتنصيرهم فقال:-

سَلَبوهُمُ الدِّين الحَنيفَ، فليتَني كنتُ الفِداءَ، وأُطلْقَ الإسلامُ[٥]

وكان محافظا على شعائر دينه، فقال معتمرا:-

وطفت بالكعبة الغراء معتمرا أهدي بروح من الإيمان متقد
ورُحتُ أَدعو إلهي، والرسولَ معاً والوجهُ من دمعيَ المنْهملِّ جِدُّ نَدِى[٦]

---

[١] محمد العدناني: ديوان الروض (بيروت المكتبة العصرية، ١٩٦٦) ، ص١٥٢.
[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص١١٢.
[٣] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٦.
[٤] نفس المصدر: ص٤٠.
[٥] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٥٤.
[٦] نفس المصدر، ص١٢٩.

كل هذه الخصال ألحمده والأخلاق الرفيعة جعلت يعقوب العودات صاحب كتاب "أعلام الفكر والأدب في فلسطين" يقول عنه: "لو قدر هذا كله للشاعر العدناني في فجر الدعوة المحمدية لكان من أوائل من دخلوا في الإسلام ولهاجر إلى يثرب مع الصفوة المختارة وشارك في الجهاد بما ملكت يمينه في سبيل إعلاء كلمة التوحيد ونشرها، ولنافس أبا ذر الغفاري في حماسه للإسلام والجهر به والدفاع عن الدين الطهور، وحسان بن ثابت الأنصاري، في حظوته لدى الرسول بشعر جزل يعبق منه عطر الإيمان"(١).

ب -ثقافته:-

تتحدد عوامل كثيرة في بناء الشخصية الثقافية للأديب، بالإضافة إلى الاستعداد الشخصي والموهبة، فنجد أن ملامح الشخصية الثقافية هذه تبلورت عبر مؤثرات كثيرة، تلعب المدرسة دورا أساسيا في بنائها، والجامعة على بلورتها وصهرها وتوجيهها، وكذلك فإن دراسات الإنسان ومحاولاته الذاتية بالنهوض والرقي بمستواه الثقافي تساعد أيضا في هذه البلورة وهذا التشكيل.

ومن هنا فأن فهم شخصية العداني الثقافية تتحدد من خلال المدرسة، والبيئة الثقافية التي عاشها، فوالده كان حاكما للمدينة ومحط رجالها، ولا شك أن المجالس التي كانت تعقد في بيت والده واللقاءات شكلت النواة الأولى والجذور الأساسية في عملية بنائه الثقافي، إلى جانب دراسته في الجامعة الأمريكية ولقائه بأمير الشعراء، هذا اللقاء الذي أثر على مستوى حياته العامة والخاصة، فطلع علينا العدناني الأديب بعد أن كان العدناني الطبيب.

ولا ريب أن نهم العدناني للقراءة وتشوقه الدائم للاستزادة من الثقافة كلها جعلت مصادره الثقافية متعددة، فمن خلال استقراء سريع ومحدد لأهم مصادر هذه الثقافة نلاحظ أثر القرآن الكريم في تكوين هذه الشخصية وتحديد ملامحها ، وهو القائل:

نشأت على الفصحى صبياً ... ومع شعرائها خُضت العُبابا
ولم تَرَ غيرَ آي اللهِ وِرداً ... فراح اللبُّ يلتهمُ الكتابا(٢)

وتأثر بالأدب العربي القديم شعره ونثره، فأخذ من صورهم وأخيلتهم وألفاظهم وأوزانهم، مع أحداث بعض التجديدات ليوائم العصر، فابتكر في تشكيل الصور يمارسهم من علاقات تخيلية جديدة بين أجزائيها، وبما ابتع من الأوزان المستحدثة كالموشحات والمسمطات والمربعات والمزدوج وغيرها.

---

(١) يعقوب العودات: إعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٤٣١.

(٢) محمد العدناني: ديوان الهيب،ص٨.

وأجاد اللغة الانجليزية، حيث اختير من قبل الحكومة البريطانية لترجمة تقرير لجنة اللورد بيل الملكية البريطانية إلي العربية، هذه الإجادة جعلت إلمامه بالثقافة الغربية سهلا وميسورا، فنهل من كنوزها الشئ الكثير مما أثرى خياله وصوره ومعانيه، ومكنه ذلك أيضا من السير على نظام الملاحم الغربي المنشأ حيث نظم ملحمة الأمومة التي نالت إعجاب الكثير من النقاد. وتظهر ثقافة العدناني أيضا فيثروته اللغوية التي أفرزت لنا معجم الأخطاء الشائعة ومعجم الأغلاط اللغوية المعاصرة والنحو البسيط والأعراب في خمسة أجزاء، وعديدا من المقالات اللغوية والنحوية في الصحف والمجلات العربية.

وظهر تأثر العدناني بالأحداث التاريخية التي استدل بها في مواضيع كثيرة من شعره ونثره للتذكير والتحذير سواء لأبناء أمته أو لأعدائه، ومثال ذلك قوله محذرا الانجليز من غدر اليهود في العهود السابقة:

أيهـــا الانكيـــزُ ! كيـــف نســـيتُم غــدرَ صــهيونَ فــي جميــع العهــودِ
قـــد رعـــتْهم مـــن قـــبلكم دولـــة الرومـــانِ حتّـــى فـــازُوا بعـــيشٍ رَغيـــدِ
فجزوْهـــــا بشَـــــرِّهمْ مُوسَـــــوِياً ورموْهـــــا بـــــالبؤس والتَنكيـــــد
فَعَـــــد تِـــــيطُسٌ لـــــدن طفـــــحَ الكيـــــل علـــــيهم بُعـــــدَّةٍ وعَديـــــد
فَجلاهـــم وطَهّـــرَ الأرضَ مـــنهم مســـتريحاً مـــن الـــبلاءِ المَريـــدِ[١]

كل هذه المؤثرات الثقافية التي صقلت شخصية العدناني جعلته يدرك أن الثقافة "هي سلاحه الحقيقي والضروري، والتنوع في هذه الثقافة ضرورة كذلك يفرضها عصرنا، فلم يعد يكفي الشاعر المثقف أن يلم بالشعر العربي وحده أو بالثقافة العربية وحدها، وإنما هو يحس بضرورة أن تمتد ثقافته فتشمل كل ما يمكن أن يوسع من نظرته إلى الأشياء ويعمقها"[٢] لذلك كانت ثقافته العدناني متنوعة وغزيرة، مما جعلته شاعرا وناقدا ولغويا أثرى الكتبة العربية بكتبه الثمينة.

---

[١] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١٦١ – ١٦٢.

[٢]عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية.

آثار الشاعر

أولا: الآثار المطبوعة:-

أ - **الآثار الشعرية:**

١- ديوان اللهيب - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٥٤.

٢- ديوان الأمومة - ملحمة شعرية - المكتبة العصرية - ١٩٥٧.

٣- ديوان فجر العروبة - المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٥.

٤- ديوان الوثوب - المكتبة العصرية - بيروت ١٩٦٥.

٥- ديوان الروض - المكتبة العصرية - بيروت ١٩٦٦.

ب - **الآثار القصصية:**

١ -في السرير - مطبعة سعد - حلب. (قصة واقعية جرت لمؤلفها).

٢ -الطرائف للأطفال - ثلاث قصص بالاشتراك مع آخرين.

٣ -سيرة أبي بكر الصديق بالاشتراك مع آخرين.

٤ -الروضة خمسة أجزاء بالاشتراك مع آخرين.

٥ -الوردان الوفي.

ج - **الآثار في النقد والأدب:**

١. أمير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ - القدس - ١٩٣٢.

د - **الآثار في النحو واللغة:**

١ -النحو البسيط.

٢ -الإعراب خمسة في أجزاء - (يشمل جميع القواعد العربية).

٣ -معجم الأخطاء الشائعة - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٧٣، وطبع طبعة ثانية لنفس المكتبة عام ١٩٨٣.

٤ -معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة - مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٥.

ثانيا: الآثار المخوطة:-

أ - **الآثار الشعرية:**

١ - ديوان الغروب.

٢ - ديوان العبير.

٣ - ديوان وحي الفؤاد.

٤ - ديوان قلب.

٥ - ديوان زهر.

٦ - ديوان سلمى (ملحمة غزلية).

ب - **الآثار القصصية:**

١ - عربي في برلين (قصة جرت حوادثها للمؤلف).

٢ - أقاصيص موضوعة.

٣ - أقاصيص للأطفال (سبعة وتسعون أقصوصة).

٤ - أقاصيص ترجمة أو تعليق (أربعة أجزاء).

٥ - قصص عالمية (تلخيص وتعليق).

٦ - أقاصيص الفدائيين.

ج - **الآثار في النحو واللغة:**

١ - فلسفة الأسماء.

٢ - معاجمنا (ما لها وما عليها).

٣ - الطب في معاجمنا.

د - **الآثار الأدبية والنقدية:**

١ - مقالات أدبية ودراسات (تسعة أجزاء).

٢ - الشعر المقفى والحر.

٣ - العروبة في الشعر الجاهلي.

٤ - العروبة في شعر العصرين الراشدي والأموي.

٥ - العروبة في شعر العصر العباسي.

٦ - شوقي وحافظ.
٧ - الكفاهه في الشعر العربي.
٨ - جذور الأدب.
٩ - روائع الأدب العربي وطرائفه (في سبعة عشر مجلداً).
١٠ - آراء وخواطر في الأدب.

<u>هـ/ الآثار المتنوعة:</u>

١ - عمر بن الخطاب – جزءان.
٢ - روائع عمر بن الخطاب.
٣ - "أنا" تاريخ حياة المؤلف.
٤ - الخواطر (اجتماعية) (جزءان).
٥ - طرائف العرب (عشرة أجزاء).
٦ - كلمات خالدة (نثر وشعر).
٧ - المرأة في اللغة العربية.
٨ - من الذاكرة (مذكرات سياسية).
٩ - طاغور.
١٠ - أحداث (مذكرات سياسية).
١١ - الآراء (توجيهات قومية واجتماعية).
١٢ - صور من البشر.
١٣ - دروس في الحياة.
١٤ - بطولات العرب.
١٥ - نكاتي.

البـاب الأول

قضايا المضمون في شعر محمد العدنـاني

- الفصل الأول: المضمون القومي والوطني
- الفصل الثاني: المضمون السياسـي
- الفصل الثالث: المضمون الاجتماعي
- الفصل الرابع: المضمون الوجداني والإنساني

تمهيد:-

إن طبيعة الحياة التي عاصرها العدناني تتسم بكثير من التغييرات الجذرية التي تؤثر في بناء الشخصية الإنسانية، ففي طفولته عاصر أواخر عهد الدولة العثمانية في فترة حكم جماعة الاتحاد والترقي الذين ظلموا الأمة الإسلامية والعربية خاصة، وعاصر جحافل الانتداب البريطاني وهي تدوس تراب وطنه الغالي الذي يفديه بكل ما يملك، ووعي المخططات الصهيونية الرامية إلي إذابة هوية أبناء أمته، ووعي أيضا طلائع الفكر العربي والتحولات الفكرية التي غيرت في بنية المجتمع العربي وتشكيله، وشاهد ضياع فلسطين وتشريد أهلها وموقف الجيوش العربية غير الحازم في الدفاع عنها، وعايش مجاهدة الأمة العربية للتخلص من أغلال الاستعمار ومحاولتها توحيد الكلمة ولم الشمل من أجل تحقيق غاياتها.

كل ذلك أثر في شعر العدناني وجعله يقدم لنا كثيرا من المضامين الشعرية التي عبر من خلالها عن همومه وهموم أمته، وعن مستجدات العصر السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومن خلال الاستقراء لدواوين العدناني ظهرت أربعة مضامين يمكن تناولها خلال هذا الباب، بإفراد كل مضمون في فصل مستقل، وهذه المضامين هي:-

١ - المضمون القومي والوطني.
٢ - المضمون السياسي.
٣ - المضمون الاجتماعي.
٤ - المضمون الوجداني والإنساني.

الفصل الأول

المضمون القومي والوطني

المضمون القومي والوطني

أولا: المضمون القومي:

وهو المضمون الذي عبر فيه العدناني عن مشاعره تجاه بني قومه العرب من خلال قصائده الشعرية التي ترجع هذه المشاعر لتتفاعل مع الأمة العربية في أفراحها وأحزانها وفي آمالها وآلامها. وقد احتوى هذا المضمون على القضايا الآتية:-

١ -التغني بأمجاد السابقين:-

تعتبر الأمة المسلمة والعربية خاصة من الأمم التي تفتخر بماضيها التليد لما فيه من مواقف عزة وكرامة وحق وعدل، ولما حملته هذه الأمة على عاتقها من نشر رسالة الإسلام الخالدة في ربوع العالم فأبدلت ظلامه نورا، وجهله علما.

كل ذلك دفع العدناني للتغني بهذه الأمجاد فقال:-

ســــائلوا التـــاريخ عنّـــا والرُّبـــا	ووِهـــــاداً عَرفَتْنــــا ونِجـــــادا
ودمـــاءً خُضِّـــب التُـــربُ بهـــا	قـــد ســـفحناها نِضـــالاً وذِيـــادا
وعُـــــداةً ولّـــوا الأدبـــارَ لـــم	يشـــهدوا فـــي الحـــرب كـــالعُرْبِ جـــلادا
وعهـــوداً قـــد رعيناهـــا وكـــم	دولـــةٍ تـــنقُضُ عَهـــداً ووَدادا
ســـائلوها ... تجـــدونا أمـــةً	أصـــبحتْ للمجـــدِ فـــي الـــدنيا مـــرادا[١]

تغنى العدناني في هذه الأبيات بأمجاد أمته، ودعى لمسائلة التاريخ عنها ومسألة الربا والوهاد والأنجاد والدماء التي خضبت التراب نضالا وذيادا، والعداة الذين ولوا الأدباء فرارا والعهود التي رعوها في وقت تنقض فيه الدول العهود والمواثيق والوداد.

---

[١] محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص٥٩.

وتغنى أيضا بأمجادهم في موقعة بدر الكبرى، ودعى لمسائلة التاريخ عن جلادهم في هذه الحرب التي سحقوا فيها الشرك دون لين وفرقوا صفوف الكافرين، فكان لكل ثلاثة منهم واحد من الأباة الشوس المؤمنين الذي يخوض النقع بقلب كالصخر تنفجر منه المنايا عيونا، ولا يبتغي من ذلك سوى الحمام تزف له بعده حور العين في جنان الفردوس، فقال:-

سـلو التـاريخ عمـا قـد فعلنـا وقـد دارت رحـى بـدر طحونـا
سـحقنا الشَّـرك فيهـا دونَ لِـينٍ ومزَّقْنـا صُـفوف الكافرينـا
لكـلِّ ثلاثـةٍ مـنهم شُـجاعٌ مـن الشـوسِ الأبـاةِ المؤمنيـا
يَخُـوضُ النَّسـقع بُغْيَتُـهُ حِمـامٌ يَـزُفُّ الحُـورَ فـي الفـرِدوْسِ عِينـا
بقلـبٍ كالصَّـفا، منـه المنايـا علـى أعدائـهِ انفجـرتْ عيونـا[1]

ورأى العدناني أن "التغني بالمآثر مفيد لتشجيع الآخرين وحملهم على الأقتداء بالممدوح"([2]) لذلك قال:-

فلـن يُجـدي إلـى أمـس التفـاتٌ إذا وجـهُ الغـدِ المـأمول غابـا
ومـا مضـى الشـعوب سـوى عظـات نشـيم بهـا الحقيقـة والصَّـوابا[3]

ورغم تغنيه هذا الذي قصد منه تشجيع اللاحقين وحملهم على الاقتداء بالسابقين الا أنه وجد أن قومه باتوا على هذه الأمجاد بما غنى لهم الزمان عليها ملاحم فأشجاهم بلحونه حتى أنساهم أمانيهم فراحوا للصغار، وللصبوات الحمر، واللهو معربدين فقال العدناني في ذلك:-

وبِتنـا مـن مفاخرنـا نشـاوي نجـوسُ رُبَـى الخُلـودِ مظفَّرينـا
وجُـنَّ بنـا الزّمـانُ هَـوىً، فَغَنَّـى مَلاحِمَنـا، فأشـجانا لُحونـا
وأنسـتنا الآمـاني مـا بَـذَلْنا لِنَقـنِصَ صُـبْحَ وثْبتِنـا مُبينـا
فرُحنـا نرشُـفُ الصَّـبواتِ حُمْـراً ونلـتمِسُ الصَّـغارَ مُعَرْبـدينا[4]

---

[1] نفس المصدر، ص٧٠ – ٧٠
[2] نفس المصدر، ص ٥٩.
[3] نفس المصدر، ص ١١٧.
[4] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٨٢.

وفي لحظة طغت فيها المشاعر النفسية الانفعالية على شاعرنا على أثر المذابح التي أقيمت لأبناء وطنه كمذبحة دير ياسين وكفر قاسم وغيرها، دعى العدناني الى ترك التغني بهذه الأمجاد، وترك نعمة العلا التي تربطه بالمثاليات ولا تمكنه من التأر والتشفي من أعدائه، فهو يريد للأعداء قتلة ظالم، وقسوة نيرون، وعزمة خالد، واقدام عمرو، وتدمير جنكير، ووثبة رومل، وفعل هولاكو في انتهاك المحارم، فبعض هذه الأعمال لا تقبلها نغمة الأمجاد، فقال:

فَعَيْنٌ بعينٍ إنْ عدلتمْ، وضربةٌ   بعشرٍ إذا رُمتم نصيحةَ حازمِ
دعُونا بحقِّ الله من نَعمةِ العُلا   ومن وتَر الأمجاد من عهد آدمِ
ومن نفحاتٍ للمُروءةِ جَمّةٍ   ومِن سَعَةٍ في الحِلم شَتّى المغارمِ
وهاتوا لنا الحِقْدَ العميمَ مُخلجِلاً،   وغِلْظَةَ أكبادِ، وفتكةَ ظالمِ
وبطشاً يَشيبُ الدهرُ من هوْل فعلِم   وقلباً عتيّاً كالصُّخور الصَّلادمِ
وقسوة نيرونِ، وعزمةَ خالدِ،   وإقدامَ عمروٍ كالسِّيول العوارمِ
وتدميرَ جنكيز ووثبةَ روملٍ   ووجْدَ هُلاكو بانتهاكِ المحارمِ[١]
فلن تسمَعَ الدُّنيا سوى الهولِ قاصِفاً   ولا أُذُنُ العَلْياءِ غيرَ الزَّمامِ[٢]

٢ -الوحدة العربية:-

تعتبر الوحدة حلما يناجي النفس الأنسانية على مر العصور وذلك لما تحققه لها من أمن وقوة وعزة وكرامة نابعة من جمع الشمل وتوحيد الكلمة ورص الصف، من أجل ذلك تغنى الشعراء بها كغيرهم من الأدباء الذين وجدوا فيها مصدر قوة للأمم والشعوب، فجعلوها بذلك مصدر ايحاء والهام لكثير من أعمالهم الأدبية.

وشاعرنا العدناني كباقي الشعراء أحس بأهمية هذه الوحدة لأمته العربية، وخاصة بعد أن لقى من فرقتها وشتاتها الذل والهوان، فكان من دعاتها منذ الأربعينات من هذا القرن. ففي عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين انتهز العدناني فرصة عيد الفطر ليقدم لأمته تحية العيد والتي دعى من خلالها الى الوحدة فكانت هذه بمثابة الدعوة الأولى التي تظهر في دواوينه، فقال:

عواصِمَ الضَّادِ! كوني في الخُطوبِ يَداً   على البلاءِ، تذودي الويلَ والحَربا
قد كان مجدُكِ مِلءَ السَّمْعِ، فابتعِثي   مجداً يُحلِّقُ، حتّى يَعْلُوَ الشُّهُبا

---

(١) رومل: هو القائد الألماني الذي أرجع قوات الخلفاء الى العلمين في الحرب العالمية الثانية – أنظر ، محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص١٠٠.

(٢) نفس المصدر، ص٩٩ – ١٠٠

وحَقِّقــي الوَحــدةَ الكبــرى تعزِّزُهــا الْــــ أَخــلاقُ ناصِــعةً، والعِلــمُ مرتَغبــا[١]

وقد جدد العدناني دعوته للوحدة في عام ألف تسعمائة وأربعة وأربعين منتهزاً مناسبة العيد أيضا، وقد جعل دعوته في هذه المرة مشوبة بالأمل في استهلاك فجرها الذي أصبح قريبا، فقال:

أَيُّهــا العيــدُ !هــذهِ وَحــدة العُــر ... بِ أطلَّــتْ، وأبْرزَتْهــا الغُيُــوبُ

حَلَّقَــتْ فــي الفضــاءِ نسْــراً، فَيــاقَوْ ... مِ اقنِصُــوه فَرُبَّمــا لا يَــؤُوبُ

وانصِــبُوا مِــنْ قُــواكمُ، وهــواكُمْ ... شَــرَكاً مِنــهُ لا يُتــاحُ الهُــروبُ

إنْ تَضِــيقْ بالِّصــعابِ مــنكم صــدور ... فلــدهر الــدءوب صــدر رحيــبُ

لا تخــافوا مــن خيبــة تتــراءى ... بعــد جهــد، إن تصــبروا لا تخيبــوا

واطــردوا اليــأس إن دهــى، فالــذي لا ... يخطــئ اليــوم، فــي غــدٍ لا يُصــيبُ

مــا نَجَــا قَــطُّ مــن أرادَ نُهوضــاً ... مِــنْ عِثــارٍ، ومــا شــأنهُ تثريــبُ

تــربص الأســد قبــل أن تــثِ الأســدُ ... ويــأتي بمُبتغاهــا الوُثُــوبُ[٢]

فالعدناني يدعو قومه للوحدة التي يراها محلقة في الفضاء كالنسر، ويدعو العرب لكي يغنصوها ويجعلوا من قوتهم وأمانيهم شباكا وأشراكا ليصطادوا بها هذه الوحدة، وينظر الشاعر الى الصعاب التي تحول دون تحقيقها، فيدعوهم الى الصبر على هذه المتاعب وتلك الصعاب وطرد اليأس، وبعث الأمل في النفوس، وتهوين مصاب الأخطاء التي اقترفوها، وجعلها بداية الصواب، وجعل العثار بداية النهوض تماما كالأسد الذي يثب فينال مبتغاه بعد الربوض.

ويمضي شاعرنا في دعوته للوحدة العربية دون يأس أو ملل من عدم استجابة قومه لدعوته أو الأذعان لنصيحته، ففي عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين، وفي ذكرى بدر الكبرى، دعى العدناني قومه للتماسك والوحدة مبينا لهم ما تعيد عليهم هذه الوحدة من منافع جمة، فوجدتهم تقوض البغاة وتذهب عنهم الداء فقال:

بنــي قــومي! إعبــدوا عهــد بــدرٍ ... وكونــوا كالصَّــفا متماســكينا

فوحــدتكم تقــوض كــل بغــيٍ ... وتجلــي عــنكُم الــداء الــدفينا

وكونــوا– إن تفــوهتم – لســانا ... يقــول الحــق وضــاحاً مبينــا

وقلبــاً واحــداً، إنْ نــاب شَــرٌّ ... نُهَدِّمْــهُ بــه مستبســلينا

وكَفــا فــدة فــي الحــرب نبــري ... بهــا هــامَ الطغــاةِ المعتــدينا[١]

---

[١] محمد العدناني: ديوان الوثوبو ص ٤٨ – ٤٩.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص ١٠٠ – ١٠١.

ويضرب شاعرنا العدناني لأمته مثالا بمعركة بدر التي كانت مدعاة لتوحيد صفوف المسلمين في الجزيرة العربية ويرى أن فلسطين التي تعلقب بها الأماني ستجمع أيضا كل القلوب وتحدهم لتخترم النوائب والشجون، فيقول:-

لقد كانت نواة النصر بدر	فحزت من أعادينا الوتينا
ووحدت الجزيرة فاستقرت	بها العلياء ومشرقة قرونا
وأحسب في فلسطين الأماني	ستورق رغم أنف الكاشحينا
ونكبتها ستجمع كل قلبٍ	فنخترم النوائب الشجونا
ونصبح سادة الدنيا،	ونمشي على هام الدهور ممجدينا[٢]

واذا كان العدناني يرى أن فلسطين سوف تجمع حولها القلوب كما جمعت بدر قلوب المسلمين العرب من أهل الجزيرة العربية فأنه لم يذكر السر الذي كان وراء تجمع قلوب شباب هذه الجزيرة فكانوا كالبنيان المرصوص، وكذلك عندما جعل القلوب تتآلف وتجتمع فأنه جعل سبب تجمعها وتألفها هي نكبة فلسطين. ومن الواضح جليا أن رجال الجزيرة في معركة بدر كان وراء وحدتهم الأسلام الذي فجر طاقات نفوسهم، وألف بين قلوبهم، ونقى ما في نفوسهم من تباغض وتحاسد وتنابز، فكانوا يدا واحدة ضربت أروع الأمثال في مجدها وصفاءها.

فنكبة فلسطين لا تعد فكرا ولا مبدأ تقام عليه وحده، ففلسطين الى اليوم نكبتها قائمة وتهويدها يزداد يوما بعد يوم، وأهلها يشردون في كل لحظة، والمذابح تقام على رقابهم في كل بلد فما أدت هذها النكبة وتلك الآلام إلى أي اتحاد ولا إلى جمع كلمة أو رأب صدع، بل ازداد العرب فرقة وشتاتا، حتى امتدت يد اليهود الى البلاد العربية المجاورة مهددة أياهم بالفتك والدمار والتشتت.

ويشتد ايمان العدناني بالوحدة حتى أنه تهون أمامه النكبات والمصائب اذا كانت ستؤدي الى وحدة أمته، فهو يرى أن نكبة فلسطين نعمة لأنها كانت مدعاة لألفة واخاء بين العرب:-

تلكم النكبة الوبيلة كانت	نعمة جمة الآل الضاد
أيقظت قومي الكرام جميعا	من خمولٍ، ومن طولِ رُقادِ
فتنادوا لألفةٍ، وإخاءٍ	وأطرحِ النفورِ، والأحقادِ

---

[١] محمد العدناني: ديوان الهيب ، ص٧٢ -٧٣.

[٢] نفس المصدر ، ص٧٣.

ونُهـــــوضٍ مـــــن كبـــوةٍ، انـــدفاعٍ لاتحـــاد يفـــض شـــمل العـــوادي

ويرحب العدناني كذلك بالنزوح عن شعبه وأصحابه، بالخطوب التي تقسم ظهره، وبالدواهي الي تحول دون مراده، وبالحنين الذي يفتر قلبه حتى ينذره بانتهاء العمر، وبالموت الذي ييتم نسله ويجعلهم دون راع وهاد، وبالدمار طالما أن فيه شمل أمته واتحادهم:-

مربـــاً بـــالنزوح عـــن غيـــل شـــعبي وصـــحابي، وطـــارفي، وتـــلادي
مرحبـــاً بـــالخُطوب تقصـــمُ ظهـــري والـــدّواهي تَحـــول دون مـــرادي
وحنـــين بالقلـــب بـــرح حتـــى أنـــدرا العمـــر زيتـــه بالنـــاد
فســـراجي لـــم يبـــق لـــي فيـــه إلاّ ومضـــة، ثـــم يحتبـــى بالحـــداد
مرحبـــاً بـــالردى يُيـــتمُ نســـلى فيضـــلوا بـــين الـــورى دون هـــاد
مرحبـــا بالـــدّمار، إن كـــان فيـــه لـــم شـــمل الصـــيابة الأنجـــاد(١)

ورغم هذه التضيحات التي قدمها العدناني من أجل الوحدة العربية حين اعتبر نكبة فلسطين نعمة وحين رحب النزوح رغم ما فيه من مآسي، الا أن رؤساء أمته وحكامها لم يقيموا هذه الوحدة، فقال شاعرنا:

فمـــالكُم تخـــاذلتُمْ؟ وإنّـــا لَيُسْـــعِدنا أذاكُـــمْ مجمعينـــا
وإن شـــئتم بنـــا التنكيـــل يومـــاً ومحـــق نفوســـنا فقـــراً وهونـــا
فأنـــا نشـــرب الأرزاء صـــرفاً ولـــو حملـــت كؤوســـكم المنونـــا
ولكـــن حـــاذروا أن لا تجيئـــوا بهـــا يـــوم الهـــلاك موحـــدينا(٢)

يقبل العدناني بالتنكيل والمحق وشرب الأرزاء ولو حملت كؤوس الموت شريطة أن يأتي العرب بها متوحدين، من أجل ذلك شن العدناني هجوما على كل الدعوات التي كانت تعارض فكرة الوحدة وتدعو إلى التجزئة كالفرعونية في مصر، والأشورية في العراق والفينيقية في بلاد الشام، فقال في محاولة فرعنة مصر:-

مـــا بمصـــرٍ مـــن العُروبـــة إلاّ مثـــلُ مـــا فـــي الشّـــاَمِ منـــذُ القـــديم

---

(١) نفس المصدر، ص ١٢٢

(٢) محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص١٤٤.

وفِلَسطينُ ، والعراقُ ، ونجدٌ فلذٌ من فؤاد جسم كليم
تجمعُ الضادُ شمل يعريبَ إمّاً فرقته أيدي العدو الغشوم
يا صحابي ! ما لهرُ غليف رحتم تخلدون الرقيم ، بعد الرقيمِ
سلمتكم فصحى اللغات زماماً فسبرتم بالبحث غور العُلومِ
أنتم العرب مهجة، ولساناً، وإباءً ، ووفرةً في الحُلومِ
لستم من توتخمون، فأنتمْ نسلُ عدنانَ ذي النِّجارِ الكريمِ[1]

ويتحقق أمل العدناني بالوحدة وذلك عندما أذاع الرئيس جمال عبد الناصر خبر قيامها بين مصر وسوريا عام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين على أن تسمى بلداهما "الجمهورية العربية المتحدة" فقال العدناني معبرا عن هذه الفرحة:-

لمّا سمعتُ جَمَالاً ينُبِئس العربا بوحدةٍ، فاض دمع القلب وانسكبا
فقد رأي الأمل المنشُود بارغةً شُموسُهُ ، تبهر الآفاق والحقبا
فجن في الصدر مخموراً بغبطته وراح يرقُص في أرجائهِ طَربا
ولو أتيح من الأضلاع منطلقٌ له ليمم مصراً يمتطى السُّحُبا
وحَطَّ مُلْتَهِباً شوْقاً، على شَفَيْ فذٍّ لأُمّتِهِ خَفَّاقَهُ وهَبَا[2]

وتضم اليمن في الثامن من مارس عام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين الى الوحدة القائمة بين مصر وسوريا ، ليصبح بعد ذلك "اتحاد الدول العربية" [3]، فقال العدناني في ذلك:

والفجر أقبل مزهواً بغرتهِ بها الأمل المنشود أصبح دانيا[4]
وحُققتْ وحدةٌ قامتْ دعائمها على الشّامِ، ومصر العربِ واليمنِ[5]

ويتعاظم أمل العدناني ويمتد طموحه ليرى كل الدول العربية وقد أصبحت دولة واحدة، فقال: "وأرجو مخلصا ألا ينطفئ سراج الحياة، الذي كان زيته أن يضب ، قبل أن أرى الدول العربية كلها من خليجها إلى محيطها ، قد اتحدت، وصار أسمها "الولايات المتحدة"[6] وعبر عن هذه المشاعر بقوله:-

---

(1) محمد العدناني: ديوان الوثوب ، ص ٢٨ – ٣٠.

(2) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ص ٩.

(3) أنظر ،محمد محمد سطيحجة: اليمن شماله وجنوبه(القاهرة ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، معهد الدراسات الاسلامية،١٩٧٢) ص ١٠٢ – ١٠٣.

(4) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص٩.

(5) نفس المصدر ، ص ١٣١.

(6) محمد العدناني: ((الى هلال ناجي)) مجلة الأديب ، الجزء ١٠ ، السنة ٣٠ ، أكتوبر ١٩٧١،ص٥٦.

مـــا كنـــت أحلـــم أن أحيـــا الـــى زمـــن فيـــه أرى أملـــي فـــي نصـــرنا خصـــبا
بشـــائر الوحـــدة الكبـــرى لأمتنـــا عنهـا نضـت بعـد ليـل المحنـة الحجبـا
وأقبـــل الفجـــرُ مزهـــواً بغرتـــه وبالـــدماء، دمـــاء الثـــأر مختضـــبا
غـــداً يمـــدُّ لنـــا الأردن راحتـــهُ مـــع الحجـــاز، ويمســـي المرجفـــون هبـــا
وفـــي العـــراق يطـــل الصـــبح مبتســـماً وفـــي الجزيـــرة نجلـــي الوغـــد مغتصـــبا[١]

وشاعرنا العدناني يرى أن الوحدة ليست غاية في ذاتها، وانما هي وسيلة لتحقيق ما استقر في نفسه من آمال في استعادة فلسطين، فيرى أن تشمل الوحدة مصر وسوريا ولبنان وغيرها من الدول العربية ليصنع بذلك طوقا على الصهاينة الذين اتخذوا من أرض فلسطين مستقرا، ويكون ذلك بمثابة مقدمة لاستردادها، وعودة الحق السليب إلى أهلها فقال:

وبالمناضـــل لبنـــان نـــتم غـــداً حـــول الصـــهاين طوقـــاً مرعبـــاً ضـــربا
ونســـترد فلســـطينا يؤازرنـــا نصـــر مـــن الله يجلـــو الشـــك والريبـــا
وتلـــبس القـــدس، قلـــب العـــرب، مشـــرقة مـــن بعـــد ليـــل الأســـى، أثوابهـــا القشـــبا
ويضـــحك المســـجد الأقصـــى، وصـــخرتهُ وقبـــة فوقهـــا قـــد بـــزت القببـــا

***

غـــداً بيافـــا وحيفـــا نجتنـــي أمـــلاً إن الطريـــق إلـــى أمجادنـــا لحبـــا
ســـفينة العـــرب لـــن تلقـــي مراســـيها إلا بتـــل أبيـــب، فالغـــدُ اقتربـــا[٢]

---

[١] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص١٦ – ١٧.

[٢] نفس المصدر ، ص ١٧ – ١٨.

وظل محمد العدناني متغنيا بالوحدة التي قامت بين مصر وسوريا، وداعيا الى الوحدة الكبرى بين الدول العربية لما لهذه الوحدة من فعالية في القضاء على الاستعمار، وفي عودة الحق السليب الى أهله، ولكن آمال العدناني لم يكتب لها الاستمرار، فسرعان ما انتهى عهد الوحدة في سبتمبر عام ألف وتسعمائة وواحد وستين حين وجه الضباط السوريون بيانا عبر اذاعة دمشق يعلنون فيه نهاية عهدها بين القطرين السوري والمصري، والتي استمرت قرابة ثلاث سنين ونصف علقت عليها الأمة العربية الآمال العظام والمسؤليات الجسام إلا أنها آلت إلى الانفصام والفرقة.(١)

ولقد كان واقع هذا الانفصام أليما على نفسية العدناني باعتباره ممن كانوا يحملون بها ومن الداعين لها قبل حدوثها ومن المتألمين بمآس الفرقه والشتات، ولكن تحطمت نفسه وخاب حلمه وضاعت دعوته وطغت آلامه ومآسيه، وعلى آثر ذلك نظم قصيدة أسماها "بقايا حكامي" قال فيها:-

ووحـــــــدة نحروهـــــــا	قبيـــل يـــوم الفطـــامِ
وألســـــــن شـــــــهروها	لضـــرب أهـــل كـــرامِ
وأنفـــــسٍ شـــــحنوها	حماقـــــة بالســـــهامِ
وأضـــــلع حطموهـــــا	فخضـــــبت بـــــالكلامِ
نكـــأت جـــرح فـــؤادي	وســـرت شـــطر مقـــامي
ونهيتـــي فـــي ذهـــولٍ	وأدمعـــي فـــي انســـجامِ
ورحـــت ألقـــي همـــومي	علـــى بقايـــا حُطـــامي(٢)

وتبدأ خيبة أمل العدناني بالعرب وبأشبال قحطان الذين تغني بهم جل حياته بالظهور في قصائده الشعرية، ففي قصيدة أسماها "خيبة الظن" والتي جاءت مباشرة بعد قصيدة بقايا حكامي عبر فيها عن خيبة أمله هذه، فقال:

إنـــي كفــرت – وحــق العــرب – بــالعرب	قـــومي الـــذين بـــأمي أفتـــدي، وأبـــيِ
كـــانوا أهـــازيج، ثغـــر الـــدهراً أنشـــدها	فأصـــــبحوا ســـــبة الأقـــــلام والكتـــــبِ
وأغضوا عن المجد في تاريخهم عبقا	وعــن مــديح الــورى فــي ســالف الحقــبِ

(١) أنظر المنظمة العربية للتربية: مجلة شئون عربية (عدد خاص عن الوحدة العربية) سبتمبر ١٩٨٥، تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ١٠ وما بعدها – وانظر ، عبد الرحمن الناصر: مجلة المجتمع (بعد ربع قرن على الانفصال: لماذا تفشل مشاريع الوحدة بين العرب؟!) العدد ٧٨٦ السنة ١٧ ، أكتوبر ١٩٨٦ ص ٢٦ -٢٧.

(٢) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٣٥ – ١٣٦

ثـــم انتضـــوا قضـــب الأحقـــادِ بيـــنهمُ وكشـــروا عـــن نيـــوب الشـــر والعطـــبِ
وأغمـــــدوا الـــــود والقربـــــى كـــــأنهم لـــم يعرفـــوا بيـــنهم مـــا قـــام بـــه نســـبِ
وأرهفـــوا ألســـناً حـــراً، قـــد انبثقـــتْ منهـــا الســـموم بـــلا ذوقٍ، ولا أدب[1]

وطالما ربط العدناني الوحدة بتحرير فلسطين وذلك بأحداثها وطوقا حول عنق اسرائيل ثم الانقضاض على اليهود وافتراسهم، فأنه في المقابل وجد أن فشل الوحدة العربية وانفصامها أدى إلى ازدهار أحلام اليهود وآمالهم وضياع فلسطين وآماء الأمة العربية كافة، فقال:-
والغاصـــبون فلســـطيناً قـــد ازدهـــرت أحلامهـــم ، بعـــد تشـــريد وحرمـــان[2]

ولقد اهتز انتماء العدناني بعد هذا الانفصام للوحدة وفقد الثقة في أمته واصبح يرى أن الانتساب لها لا يجدي، وأن المصائب بعد هجرهم بيان سواء كانت نكبة أو موتا ، رغم أن العدناني سخر جل شعره في مدح العرب والتغني بأمجادهم.

ويتعرض العدناني الى تجمع اليهود من كل بقاع الأرض وتوحدهم في اقامة دولتهم على أرض فلسطين دون أن يجمعهم دم ولا لسان ولا أمجاد واحده ، في حين أن العرب تجمعهم أواصر عديدة كاللغة والدم والتاريخ المشترك مع ذلك لم يتحدوا ولم يتماسكوا:-

والغاصـــبون فلســـطيناً قـــد ازدهـــرت أحلامهـــم، بعـــد تشـــريد وحرمـــان
لملمـــوا الشـــمل، وتحـــدوهم قلـــوبهم إلـــى فلســـطين فـــردوس الـــورى الثـــاني
وليـــنس يجمـــع أبنـــاء اليهـــود دمٌ ولا لســـانٌ ولا أفعـــال إنســـانِ

***

ولكـــنهم فـــي فِلســـطين قـــد اجتمعـــوا مثـــل الحجـــارة فـــي أســـوار بُلـــدانِ[3]

---

(1) نفس المصدر، ص ١٤٥ – ١٤٦.
(2) نفس المصدر ، ص ١٤٨.
(3) نفس المصدر ، ص ١٣٨ – ١٣٩.

أما عن تفرق العرب رغم الأواصر التي تجمعهم قال:-

ونحـــنُ تجمعُنـــا القُربَـــى، وتربُطُنـــا أمُّ اللغـــاتِ بعـــدنان وغسّـــانِ
وأرضـــنا بـــدمِ الأجـــدادِ قـــد رويـــتْ مـــاتوا عليهـــا، ومـــا لفـــوا بأكفـــانِ
وتحـــت قبتهـــا الزرقـــاء قـــد نبتـــت فروعنـــا، فشـــمخنا فـــوق كيـــوانِ[١]
فمـــا لنـــا فـــي خضـــم اليـــأس قـــد مخـــرت منـــا الســـفين، ولـــم يـــنجح لشـــطانِ[٢]

يبدو من خلل هذه الأبيات أن العدناني طرح مشروع الوحدة على أساس قومي متأثرا في ذلك بالفكرة السائدة في عصره والتي أولت الجانب القومي كل عنايتها، فأثرت في عقول الأدباء والشعراء الذين يعتبرون لسانعصرهم. ولعلنا نلتمس للعدناني العذر في عدم طرحه الوحدة على أساس إسلامي، وذلك لأن الفكرة الإسلامية والصحوة الفكرية الإسلامية أيضا لم تكن متبلورة بهذا المفهوم وهذا الحجم التي هي عليه اليوم، لذلك كانت ا لأفكار الأخرى وخاصة القومية حائزة على الميدان الفكري مما ترك أثره في ثقافة العصر.

هذا وقد فطن اليهود الى خطورة الفكرة القومية على كيانهم في أنها تذيب رباطهم وتجعل كل جماعة من اليهود يتبعون قومية البلد التي يقطنون فيه، لذلك طرحوا وحدتهم ولم شتاتهم على أساس ديني نابع من عقيدتهم اليهودية، فستغلوا هذه العقيدة أيّما استغلال للم هذا الشتات المتناثر في سائر بلدان العالم، فجعلوا الهجرة الى أرض الميعاد – حسب زعمهم – فريضة آثم تاركها ، وأسموا دولتهم باسرائيل وهي تعني عبد الله وهو اسم سيدنا يعقوب عليه السلام ، وشكلوا علمهم ليعبر عن عقيدتهم أيضا، فقد جعلوا نجمه سيدنا داؤد عليه السلام وسط خطين أزرقين علامة على نهر النيل ونهر الفرات، ويعنون بذلك أنهم سيقيمون دولتهم المنتظرة من النيل الى الفرات.

والجدير بالذكر أن أي وحدة لا تأخذ لعقيدة الأمة ووجدانها أي اعتبار لا يكتب لها النجاح، كما لم يكتب لكثير من مشاريع الوحدة، كالمشروع الثلاثي بين مصر وسوريا وليبيا في بداية السبعينات، ومشروع الوحدة بين مصر وليبيا وبين سوريا وليبيا وبين تونس وليبيا، ومشروع الوحدة بين اليمن الشمالي والجنوبي وبين سوريا والعراق، وكان آخرها مشروع وحدة بين ليبيا والمغرب، فكل هذه المشاريع لم يكتب لها النجاح لأنها لم تدرس دراسة متأنية ولم تأخذ عقيدة

---

[١] كيوان: اسم زحل ، أنظر ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ط١ (بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦) ص ١٥٨٥.

[٢] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٣٩ –١٤٠.

الأمـة أساسـا لهـا، فالوحـدة يجـب أن تقـوم علـى "أسـس مدروسـة متأنيـة لا تقتـرن ابـدا بالعجلـة والسرعة والأندفاعيـة العاطفيـة ... فالقضـايا المصـيرية لا تتعلق برغبـة حـاكم أو اتجاهـات حـزب ... والنقطـة الأهـم فـي قضـية الوحـدة تتعلـق باعتمـاد الأسـاس الفكـري والوجـداني الـذي يـربط الجمـاهير العربيـة بربـاط وثيـق لا ينغصـم ... وهـذا لا يتحقـق سـوى باعتمـاد المـنهج الأسـلامي أساسا لقيام دولة الوحدة ..."[١] ، وعليه فقد "آن لنا أن نجتمع لأن الأسلام يدعو إلى هذا التجمع، ولأننا أن لم نجتمع بشعار الإسلام وحده، وذهب كل اقليم الى تجمع لا يحمل شعار الإسلام تقع الحـروب بـين المسـلمين، ويقاتـل المسـلمون اخـوانهم مـن المسـلمين تحـت ظـل لـواء غيـر لـواء الإسلام".[٢]

والجدير بالذكر أيضـا أن علمـاء المسلمين اهتموا بمشروع الوحدة علـى أسـاس اسلامي، ووضـعوا فـي ذلك حلـولهم وأطـروحتهم، ومـن هـؤلاء العلمـاء الشـيخ محمـد أبـو زهـره الـذي رأى أن الوحدة الإسلامية تتحقق في ثلاثة أمور هي[٣]

أ - أن تعتبـر الأخـوة الأسـلامية فـوق كـل الجنسـيات والعصـريات والقوميـات، وأن تتحـد مشـاعرنا بالإحسـاس بهـذه الأخـوة ، وأن نضـع فـي حسـبابنا أن أول حكـم تكليفـي نفـذه رسـول الله صـلى الله عليه وسلم هو المواخاة بين المهاجرين والأنصـار وبين الأنصـار أنفسـهم وبين المهاجرين أنفسهم أيضـا، ففعل الرسول صـلى الله عليه وسلم يدل علـى أن الأخوة الإسـلامية هـي القـادرة علـى هذا التجميع وأن العقائد والتكليفات هـي وحدها القـادرة علـى أحداث الوحدة وأن مادمنهـا لا يؤدي إلا الى الفرقه.

ب -تحقيـق الوحـدة الثقافيـة واللغويـة والاجتماعيـة التـي تجمـع بـين مشـاعر المسـلمين وأحاسيسـهم، فتكـون ثقاتـة المسلم واحده بحيث يقرأ كـل المسلمين شيئا واحدا ليؤدي بهـم الـى هدف واحـد، ويحـاربوا كـل مـا فيـه هـدم للإسـلام، ويجتمعـوا علـى كـل شـئ يرفعـه ويحقـق العـزة للمسـلمين، ويؤدي الى قيام مجتمع مسلم على مبادئ الاسلام الصـحيحة.

ج -ألا تقوم بين اقليم اسلامي وآخر حرب أيا كان نوعها وأيا كانت أساليبها، سواء أكانت حربـا اقتصـادية أو اجتماعيـة أو سياسـية أو كانـت بالكلمـة أو بجمـع الوسـائل الحربيـة الآخـرى لأنهـا تؤدي إلـى أضـعاف قوي المسلمين وتهوين شأنهم.

---

[١] عبد الرحمن الناصر: مجلة المجتمع ، العدد ٧٨٦ ،ص٢٧.

[٢] تجميع، عبد الكريم بي آزار السيرازي: الوحدة الإسلامية – أو التقريب بين المذاهب السبعة ، ط١ (بيروت، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات دون تاريخ) مقال لمحمد أبو زهرة، ص ١١٥.

[٣] نفس المرجع، مقال لمحمد أبو زهره ص ١١٩.

بهذا المفهوم يمكن أن يضمن للوحدة النجاح والدوام لأن "الوحدة التي يكون أساسها الدين الأسلامي تكون العدالة الحقيقية التي لا تفرق بين جنس وجنس، ولا لون ولون، وانما التفرقة في توزيع العدالة تكون في العنصرية[١] ، وغيرها من الأفكار الهدامة.

٣ – شحذ الهمم واستنهاض العزائم:-

أدراك العدناني وظيفة الشعر في المعركة وما يتركه في النفس من أثر، فبادر بنظم قصائده الملتهبة مستغلا كل مناسبة قومية ليشحذ فيها الهمم ويستنهض بها العزائم، ليتسنى لهم التخلص من الأستعمار الذي شمل معظم الدول العربية، فهو مثلا يشحذ عزائم أبناء سوريا الذين اعتصرهم الظلم والفتك من قبضة المستعمر الفرنسي فيذكرهم بآبائهم الشهداء الذين سقطوا تحت رايات المجد دفاعا عن وطنهم:-

أبـوك قضـى فـي ثـورة الأمـس ذائـداً   مـن الـوطن الغـالي فأخلـده الـذكرُ
وهـاهي أجنـادُ العـدو تكـاثرت   وهـا قـد أتـى يـدعوك ياولـدي الـوتر
فمـت ولـواء الفخـر يفشـاك ظلـهُ   أبـوك لـه شـطر، وأنـت لـه شـطرُ
لـئن لـم تجـد قبـراً مشـاداً فهـذه   حنايـا ضـلوع المجـد يـا بنـي هـي القبـر
أرق دمـك الغـالي لتحريـر سـوريا   فروحـك الاسـتقلال أمتنـا مهـرً[٢]

وقد آتي استنهاض العدناني للهمم ثمارة حيث سارع الشباب الى الجهاد حاملين رايات الفخار التي حملها آباؤهم ، فأذاقوا معسكرات العدو الويل ودمروها، فلم يبق ثكنة من ثكناتهم الا أذاقوها من ويل بأسهم نفوسهم، فقال العدناني واصفا ذلك:

وسـارا الـى حيـث العـدو معسـكرُ   فـي كـل كـف منهمـا يكمـن الـذعر
فمالبثـا أن دمـرا كـل ثكنـةٍ   وعـادا ، وقـد غنـى لعودهمـا النصـرُ[٣]

---

[١] نفس المرجع، مقال لمحمد أبو زهرة ص ١١٧.
[٢] محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص١٦.
[٣] نفس المصدر ص ١٧

ويستعمل العدناني اسلوب الحكمة في حفره الهمم التي يظهر من خلالها خلاصة عقله وثمرة تجربته وقمة معرفته:-

فمن راح يبغى في ساحة الوغي ... مضى الموت عنه واستطال به العمر
ومن طلب استقلاله بسوى الدما ... تدفق مثل الغمر، أو دونها الغمر [(١)]

وقال:-

ما عجيب أن يصحو السعد، ولكن ... أن يطول الكرى عليه عجيبُ
لاح في الأفق نجمُهُ، فأغنموا السَّـ ... ـعْدَ ولا تَترُكوهُ يَغِيبُ
إنَّ معنى الشُّروقِ عِزٌّ، وَمَجْدٌ ... وإباءٌ بهِ تَفوزُ الشُّعوبُ
كُلُّنا اليومَ "خالدٌ" فاطمئنُّوا ... مالشمس الفخار عنا غروبُ[(٢)]

يُذّكر العدناني أبناء أمته في هذه الأبيات التي امتزجت بالحكمة أن الذي يبغى الموت ويستطيل به العمر، وأن الذي يطلب ا ستغلاله بغير الدماء تدفق دمه كالبحر الغامر أو يكون البحر الغامر دونه في القوه. ويستمر شاعرنا في شحذ همم أبناء أمته فيرى أنه لا عجب أن يأتي السعد ويزول الاستعمار ولكن العجب في دوام عهد الكرى والظلم والاستبعاد من قبل المستعمر، ويرى أن في الأفق نجمة مؤملة بالسعد فعلى العرب أن يغنموا السعد منها قبل أفولها لأن معنى الشروق عنده عز ومجد واباء، وأن كلهم اليوم أصبحوا خالد ليبقوا على شمس الفخار دون غروب.

ويستعمل العدناني في حفره للهمم أسلوب التذكير بالماض الذي تظهر فيه النغمات التربوية التي يهدف من ورائها ربط حاضر الأمة بماضيها الذي سادت به الأرض في وقت كان الزمان فيه عصيبا، ويذكرهم أن عين التاريخ ما زالت تنظر اليهم ليعيدوا المجد الكبير، ويدعوهم الى ترك الخوف لأن حال الخائف الي المشيب، والدهر حمل اذا أرادوا القوة والمجد، وذيب اذا أرادوا الذلة والهوان:-

يا بني قومي الأباة! قديماً ... سدتم الأرض، والزمان عصيبُ
إنَّ عين التاريخ ترنو إليكم ... ليس فيكم إلا السرى النجيبُ
لا تخافوا من صولة الدهر يوماً ... من يخف منه، نابه ما يشيبُ
حمل دهركم إذا ما أردتمْ ... وهو، إن شئتموه، يا عرب! ذيبُ[(٣)]

---

(١) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٢) محمد العدناني: ديوان: فجر العروبة، ص١٠٠.

(٣) نفس المصدر، ص ١٠٢.

ومهما اشتدت النكبات وزاول اليأس القلوب، يبقى الشاعر مستشعرا بعظم رسالته تجاه أبناء أمته، ففي الوقت الذي كانت فيه أمة العدناني في بحار اليأس، كان هو يدعوها لتكفينه في غياهب الأتراح ليدوي عاصف البأس من خالد وصلاح:-

كَفِّنــوا اليــأس يــا رجــال الكفــاحِ وأدفنـــــوه فــــي غيهـــب الأتـــراحِ
نفـض العـرب عـنهم كلكـل الـذلِّ، وزانـــوا تـــاج العلـــى بالأضـــاحي
....
لم يزلِ في عروقنا قاصف البأسِ يـــدوي مـــن خالـــد، وصـــلاحِ[١]

ويحاول العدناني استنهاض سوريا بعدما رأى من استشراء اليهود وتعاظم أمرهم مقابل ركود العرب وتسليمهم لهذا الواقع دون ابداء أي مقاومة تذكر، فيحاول العدناني أن يغير من هذا الركود منتهزا ذكرى اغتصاب فلسطين بمخاطبة سوريا حاثا أياها بالنهوض ومقاومة الصهاينة والاستعمار:-

حنانــك ســوريا يــا قلــب قــومي أميطـــي عـــن عزيمتـــكِ الحجابـــا
....
فماعهـــدُ الصَّـــليبيين ســـرٌّ غـــداة أذلَّ قائـــدنا الرقابـــا
صـلاح الـدين منـكِ، أتـى، فخلـى جنـــان منـــاهم قفـــراً يبابـــا
وســـاقهم كـــأنهم قطيـــع مـــن الأغنـــام مـــن مـــر عـــاه آبـــا
ســوف يقــوم فيــك غــداً صــلاح وينـــزل بالصـــخاينة العقابـــا[٢]

هكذا حاول العدناني شحذ أبناء قومه واستنهاض عزائهمه ليقضوا على المستعمر ولينهوا عهد الظلام الذي خيم على معظم البلاد العربية.

٤ - **<u>مشاركة العرب آمالهم:-</u>**

شارك العدناني أمته في آمالها وأفراحها في مواقف عديدة ذلك لما وجد في هذه المشاركة من مهمة عظيمة على الشاعر أن يؤديها تجاه أمته، ففي حادث أمته قناة السويس وحادث العدوان الثلاثي الذي شنته القوات البريطانية والفرنسية والأسرائيلية على مصر في عام ألف وتسعمائة وسته وخمسين" بحجة أن تدخلها انما يحول دون استمرار العمليات الحربية بين القوات

---

(١) نفس المصدر، ص٢٩ - ٣٠.

(٢) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١٢١- ١٢٢.

المصرية والاسرائيلية مما تتعطل معه سلامة الملاحة في القناة"[١] ، فقال العدناني معبرا عن فرحة أمته بهذين الحديثين:–

وأمَّمْنــا القَنــاةَ بجمــرِ بــأسٍ جُنــودُ الانجليــزِ لــه دُخــانُ
....
ولَقَّنَّــا أعادينــا دروســاً بلــوا منهــا الــدّواهي، فاســتكانوا[٢]

وقال:–

وَبــذَتْ انكلتــرا وفرنســا كالفقــاقيعِ فــي خضــم بــلادي
مزقتهــا انتفاضــة مــن جمــالٍ جعلتهــا أســطورة الإزبــادِ
لــم تكــد مصــر بالحديــد تحــدَّى لهمــا جحفــلاً، مريــع العتــادِ
وتحــيط القنــاة بالنــار حتــى كفتــا رهبــة عــن الإرعــاد
لا يشــن الكــابوس حربــا إذا مــا تفــض الجفــن عنــه عــبء الرقــادِ[٣]

ويبدو أن العدناني أعتبر معركة العدوان الثلاثي على مصر انتصارا لأمته على القوى المهاجمة، لذلك نجده أكثر من التغني بهذه المعركة في حين أنها لا تعتبر كذلك لأنه كان ينقصها التخطيط السديد، ففي الوقت الذي كانت المظلات الاسرائيلية تتدفق على ممر متلا كانت الطائرات المصرية عاجزة عن ايقافها لعدم توافر الوقود للطائرات[٤]. الى جانب أن رجال الثورة أنفسهم شعروا بهذا العجز فبدأ بالمشاورات لانهاء الحرب، فصلاح سالم مثلا يقترح على عبد الناصر بحضور عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي "أننا يجب أن نجنب البلاد من ويلات التدمير والتخريب... وأقترح على أن يعلن بيانا على الشعب يخبره فيه بأنه رأى أن المصلحة تستدعي تجنب البلاد الدمار والخراب، وأن يعلن أنه سيطلب وقف القتال الاستسلام ... ونقوم ونسلم أنفسنا لـ "تريفليان" السفير الانجليزي"[٥] وفي الوقت نفسه تقدم جمال للجنة "مانزيس" بطلب " للدول المعتدية يجعل مصر محايده كسويسرا وكذا قناة السويس، وأن تضمن

---

[١] محمد كمال عبد الحميد: معركة سيناء وقانة السويس (القاهرة، طباعة دار النشر لجامعات املصرية، دون تاريخ) ص ١٦.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٣٥ – ١٣٦.

[٣] نفس المصدر ص ٨.

[٤] انظر، صلاح شادي: صفحات من التاريخ – حصاد العمر – (القاهرة، مطبعة التقدم، ١٩٨١) ج١ ، ص ٢٨٠ – وأنظر ابراهام وغنر: القرار الاسرائيلي "دراسة للقرار الأسرائيلي في حربي ١٩٦٧ – ١٩٧٣" ترجمة: ميخائيل الخوري، ط١ (بيروت ، دار القدس، ١٩٧٨) ص ٣٥ –٣٦.

[٥] عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي (القاهرة ، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٧) ج١، ص٣٤٥.

هذه الدول حياد مصر وذلك يجنب البلاد ويلات الحرب والدمار والخراب والاحتلال"(١). وعلى ما يبدو أن العدناني لم يكن مقدرا لمصير هذه الحرب وذلك لتأثره بالدعاية التي أعقبتها والتي حولت الهزيمة انتصارا.

ويمضي العدناني في مشاركة أبناء أمته قضاياهم وآمالهم وأفراحهم، ففي العراق قامت ثورة قضت على الحكم الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية، وفي الساعات الأولى من هذا الاعلان قال:-

الله أكبــر إزال الويــل والحــرب   وحققت حلمها، رغم العدى، العربُ
وثــار أبطــال بغــداد، تــؤازرهم   يــد إلالــهِ، فــأودى الشــر والكــرب
ودكَّ عـرشٌ علـى إنكلتـرا رفعـتْ   لــه دعــائم قامــت فوقهــا نصــب(٢)

وقال معبرا عن مدى فرحته أيضا بهذا الحدث:-

ضيعت من فرحي العظيم صوابي   لمــا ســمعت بثــورة الأحبــاب
وخلعــت أبــراد الوقــار جميعهــا   وفقــدت ســيطرتي علــى أعصــابي
ومضيت أقفز بين صحبي غبطةً   وكــأنني فــي عُنفُــوانِ شــبابي
ولثمــت كــل مــواطن قابلتــه   وحملـتُ مـن صـادفت مـن أصـحابي
وهتفـت مـن أغـوار قلبـي منشـداً   ومرحبــاً بالجحفــل الغــلابِ
سحق الطغاة، فأصبحوا في لحظةٍ   مغموســةً أشــلاؤهم بتــرابِ(٣)

وينتهز العدناني فرصة حلول عيد الفطر عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين ليهنئهم بحلوله وليشاركهم فرحتهم به، فقال عبر موجات الاذاعة:

مــوج الأثيــر! رد الصــيابة النجبــا   وأحمل لهم من سلام العيد ما عذبا
إذا سـريت، ألفيـت السـماح علـى   غـر الوجـوه، عرفـت السـادة العربـا
....
تحية المسجد الأقصى، يطير بها   شطر الحجاز رسول يسبق السحبا
أقصى المنى كعبة حف الجلال بها   باتــت لكــل فتــى ذي نهيــةٍ أربــا
طف يارسول بمصر العرب، إن لها   شـعباً همامـاً يشـيد العلـم والأدبـا(١)

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٤٦.

(٢) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص ٧٨.

(٣) نفس المصدر: ص ٨٠.

ثم يأمر العدناني الرسول أن يطوف على العراق وصنعاء والامارات وعواصم الضاد كافة، ويختم تحيته هذه بدعوة العرب الى الاحتفال به والابتسام للنوائب حتى يقترن صبح المنى:-

هـذا هـو العيـدُ، وافـاني، ولـي بِهِـمُ عِيدٌ مَدَى العُمْرِ يَجْلو الأُنسَ والطَّرَبا
يـا قـوميَ! احتفلـوا بالعيـدِ، وابتسـموا للنّائبـاتِ تـروا صُـبح المنـى اقتربـا
من لم يثب فوق صدر الدَّهرِ مجترِئاً عليـهِ، ألفـى أخـا الـويْلاتِ قـد وثبـا[٢]

وفي ذكر جلا الفرنسيين عن سوريا شارك العدناني شعبها وأمته جميعا في هذه المناسبة فقال:-

فكـان جـلاءٌ قـامَ فـي الصّـدر عُرسُـه وغنَّـى لـهُ مـن منبـر الأضـلعِ القلـبُ
وازدهـرت الآمـال فانحسـر الأسـى وأقبـل مزهـوا بنـا الأمـل الرطـبُ
وباتـت رحـاب الـنفس جـد فسـيحةٍ وأخصـب مـن نعمائهـا الفرفـد الجـدب
وهبـت نسـيمات الأصـيل عليلـة وجـاءت إلـى جنـات سـورية تحبـو
ومرغـت الخـدين فـي تـرب مـوطني فأكسـب خـديها الشـذا العـابق التـرب
وراحـت نجـوم الليـل تغمرنـا هـوى وفـي الطـرف ومـض سـحره الفذ لا يخبو
وغـردت الأطيـار فـوق عصـونها شـجى لحـونٍ، بـات تجتازهـا اللـبُ
وفـي بـردى الأمـواه حـاكي خريرهـا غنـاء كعـابٍ صـوتها فـاتنٌ عـذبُ
وغنت على العاصـي النّواعيرُ بعدما شـجتنا أنينـاً، دُونـه النـوح والنـدب
وفـي كـل بيـت للعروبـة فرحـة ولـم تخـل مـن ترديـدِ أنغامنـا درب[٣]

ان فرحة العدناني هذه بذكرى الجلاء عن سوريا لا يشاركه فيها ابناء أمته فقط بل شاركته الطبيعة بأسرها فالقلب في عرس، والآمال في ازدهار، والأسى في انحسار، والأمل اقبل مزهوا، والنفس اتسعت وأخصب من نعمائها الفدفد الجدب، وجاءت الطبيعة لترسل نسمات

---

[١] محمد العدناني: ديوان الوثوب ، ص ٤٤ – ٤٦.
[٢] نفس المصدر ، ص ٥١.
[٣] نفس المصدر، ص ٩١ – ٩٣.

الأصيل العليل، وجاءت أيضا جنات سوريا تحبو فمرغت خديها في تربة فعلق فيها العطر، ونجوم الليل التي راحت تغمر هوى، والأطيار وأشجعت بلحونها الأغصان، وخرير مياه بردى الذي كان كغناء الكعاب في حسنه وفتنته، ونواعير العاصي التي تغنى، حتى عمت الفرحة كل بيت من أبناء العروبة.

وانتهز العدناني هذه الفرصة وهنئ مصر والأردن ومراكش وتونس والخرطوم لخلاصهم من المستعمر، فقال عن الأردن:-

ولم يبق في الأردن جيش أعاجمٍ وطارَ جُلوبُ[1] الوغدُ تحمله النكبُ[2]

وعن مراكش وتونس قال:-

وزحزحَ عن مُرّاكشٍ، ثم تُونُسٍ بلاءُ فرنسا، فانجلى الويل والرهثُ[3]

وأما عن السودان قال:-

وأردكت الخُرطومُ سُؤلَ أُسودِها وتَمَّ على المستعمِرينَ لها الغَلْبُ[4]

وفي حرب العشار من رمضان، السادس من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين التي حققت فيها الجيوش العربية انتصارا على القوات الاسرائيلية، مما زاد الأمة العربية اعتدادا وثقة بنفسها، فقال العدناني معبرا عن فرحته وفرحة أمته:-

حتى أتى يوم أطرنا لبَّهم فيه، وأصبح دمعهم دأماء
ودماؤهم رويت بها أرجاؤنا ثأراً لأحباب قضوا شهداء
من يسفح الدم ظالماً متغطرساً ويشنُ حرباً كالردى هوجاء
ويدك آمال الشعوب بريئة ويسومها الإذلا ل والإيذاء
يف فادح الدين، الذي عنقه، في حومة الحرب الضروس دماء
....
فالعرب آسادُ المعامعِ في الدنى قهروا العدى ، واستعبدوا الآلاء
من فرحياً من ضرام وغاهم شكر الإله، وحمد الآلاء
قد عطر التاريخ ذكر فتوحهم وتضوعوا بين الورى أنباءٍ

---

[1] هوجون ناجوت غلوب، ولد عام ١٨٩٧ وعمل في العراق عام ١٩٢٦ ضمن قوات الجيش البريطاني، ثم أسس وقاد عام ١٩٤٠ الجيش العربي في الأردن الى أن نجى في عام ١٩٥٦، وتوفي في مارس عام ١٩٨٦. أنظر، مجلة الدستور: ((أبو حنيك تفوق على "لورانس العرب)) (لندن) العدد ٤٢٠ ، السنة ١٦ ، مارس عام ١٩٨٦، ص ١٦ – ١٧.

[2] محمد العدناني ديوان الوثوب ، ص ٩٥.

[3] نفس المصدر ، ص ٩٦.

[4] نفس المصدر ، نفس الصفحة .

٥ - **مشاركة العرب آلامهم:**

تفاعل العدناني مع قضايا أمته في آلامها ، فكان شعره تعبيرا عما يكن في نفسه من حرقة وأسى على ما تلاقيه، ففي بلاد الشام حيث جمال باشا القائد التركي وعضو جماعة الاتحاد والترقى الذي سام أهلها ألوانا من الظلم، فنصب لأبنائها أعود المشانق، وفتح السجون على مصراعها للشرفاء الذين قدموا دماءهم رخيصة من أجل حرية وطنهم واستقلاله، فقال العدناني معبرا عن هذه الآلام:-

هو العسف لا يألوا يسدده الدَّهرُ ... الى مهجة المحزون أنهكه الشرُّ
أتاخت به الآلام تترى كأنَّها ... ذأب فلاةٍ عضَّ أحشاءها الشعرُ
فراحت تبث الشام خالص ودها ... وما الود إلا الناب ينهش والظفر
رماها جمال بالأسى يصرع المنى ... وأرهقها ماشاء للغاشم الضر
حد صيدها للحتف قد نصبت له ... أراجيح من أعوادها نبت الفخر
علوها وفجر المجد يفتر غبطة ... يغتيته الأبرار زانهم البشر
وما وزرهم إلا إباء نفوسهم ... وأنهم عرب، فيا حبذا الوزر[١]

ووقف مع سوريا أيضا ضد الاحتلال الفرنسي، فقال:-

ترى هدموا البستيل كيما يشيدوا ... لنا مثله في جوفه يدفن الحر
لقد بخسونا حقنا وتسربلوا ... بمكرهم، والعرب أعياهم الختر[٢]

وتتعاظم آلام العراق من حكامها الطغاة الذين ألهبوا ظهور شعوبهم وبثوا العيون لمراقبتهم فجاشت مشاعر العدناني وقال:-

نزل العراق البغي مشبوب اللظى ... لنا مثله في جوفه يدفن الحر
لقد بخسونا حقنا وتسربلوا ... بمكرهم، والعرب أعياهم الختر

---

(١) محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص ١١ -١٢.

(٢) الختر: الغدر – أنظر ، محمد بن أبي عبد القادر الرازي: مختار الصحاح (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨١) ص ١٣.

وتتعاظم آلام العراق من حكامها الطغاة الذين ألهبوا ظهور شعوبهم وبثوا العيون لمراقبتهم فجاشت مشاعر العدناني وقال:-

نـزل العـراق البغـي مشـبوب اللظـى ... فاصـــأر جنتـــه جحـــيم عـــذابِ
أحصـــى علـــى أبنائـــه أنفاســـهم ... والشـــدق منـــه مســـدد الأنيـــاتِ
مـــن لـــم يضـــم السـجن حطامـــه ... كـــان الضـــريح لـــه أحـــب قـــرابِ
بثـــوا العيـــون، وأرهفـــوا آذانهـــم ... وترصـــدوا الأفـــواه خلـــف البـــابِ
وتـــذرعوا بـــالظن فـــي أحكـــامهم ... متشـــــبثين بـــــأوهن الأســـــبابِ
حتـــى غـــدا القطـــر الشـــقيق مقـــابراً ... والغمـــد لا يـــؤوي ســـوى القرضـــابِ
ووزارة الإعمـــار لـــم تـــك تبتنـــى ... إلا الســـجون لصـــفوة الأقطـــابِ
قـد أخطـأوا فـي الإسـم، فهـي وزارة ... - يـــاويحهم - قـــد أنشـــئت لخـــرابِ
نهبـــوا الـــبلاد، وجوعـــوا أبناءهـــا ... وجنـــوا ثـــراءهم مـــن الأســـلابِ
تطـوي الرعيـة نومـاً فـوق الثـرى ... وهـــم علـــى الـــديباج، والأطيـــابِ
قـــد أوردوا الشـــعب المغـــدى آســـناً ... حـــين ارتـــووا مـــن، خمـــرةٍ ورضـــابِ(١)

يعرض العدناني في هذه الأبيات آلام الشعب العراقي التي ذاقها من حكامه الذين أحصوا عليه أنفاسه وأوردوه السجون وجعلوه يتمنى الموت بدلا من الحياة، وجعلوا الظنون عماد أحكامهم الجائرة عليه، وسخروا وزارة الأعمار لبناء السجون بدلا من بناء المساكن والمرافق العامة، وناموا هم على الديباج وتركوا الرعية تفترش الثرى.

ويعتصر العدناني ألما على جرح الجزائر الدامي الذي أحدثه الفرنسيون:-

كـــم مضـــى جـــرح الجزائـــر ... وقضـــت علـــى حلمـــي المجـــازر
وســـــلخت ليلاتـــــي علـــــى ... بركـــان حزنـــي، وهـــو ثـــائر
ومضـــــغت آلامـــــي فلـــــم ... أقـــذف بهـــا فـــي وجـــه جـــائر
وســـــكتُّ، والثـــــأر العنيـــــ ... ـــف يـــرج صـــدري، وهـــو هـــادر
وتركـــــت للأقـــــدارِ كفـــــ ... ـــكفة الـــدموعِ مـــن المحـــاجر(٢)

---

(١) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص ٨١ - ٨٣.

(٢) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٧٨ - ١٧٩.

لقد أرق العدناني جرح الجزائر فسلخ لياليه على بركان حزنه الثائر، ومضغ آلامه دون أن يقذفها في وجه أي جائر، وسكت ثأره العنيف وترك للأقدار كفكفة دموع العيون تاركا آلامه وأحزانه تؤرقه.

ويصـــــف العــــدناني آلام الجزائـــــر ومـــــراكش، داعيـــا قومــــه الــــى التذرع بالصبر:-

جعلـــــوا النفــــوس مقــــابراً	وارت غياهبهــــــا الضـــــمائر
وعــــــدوا علــــــى مـــــراكشٍ	وقضــــوا علـــى صـــبرِ الجزائـــرْ
وســـــقوْا كـــــؤوس المـــوتِ أط	ــــــفالَ العروبــــــةِ والجزائــــرْ
ومشـــوا علـــى جثـــث الشـــيو	خ كـــــأنهم بــــــاتوا فســــــاروْ
....	
فتـــــذرعوا بالصــــــبرِ يـــــا	قـــــومي! فللظلمـــــاتِ آخـــــرْ [١]

وشارك شاعرنا آلام أمته في حرب حزيران عام ألف وتسعمائة وسعبة وستين، تلك الحرب التي عملت على انتقال الفكر الصهيوني من مشروع انشاء الدولة الى مشروع توسيعها، علما بأن هذه الحرب أعطت "للمشروع الصهيوني أبعادا سياسية واجتماعية جديدة وشكلت نتائج هذه الحروب المحك العلمي لاختيار مدى ملاءمة المشروع الصهيوني للظروف الجديدة التي واجهها في احتلاله للأراضي العربية"[٢] ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الاسرائيلية تأخذ تجهيزاتها النهائية للقتال وتعلن ذلك على الملأ خلال جلسات الكنيست، كانت ترسل "حشود الجيش المصري الى سيناء للتهويش" [٣] ويؤكد ذلك عبد اللطيف البغدادي في مذكراته فيقول: "أما بالنسبة لما يهدف اليه جمال من تحريك قواتنا العسكرية الى سيناء فأنه لا يمكن أيكون جادا في الدخول في معركة مع اسرائيل، وانما يهدف فقط الحصول على نصر باستعادة شرم الشيخ وتهديد ملاحة اسرائيل في مضايق تيران دون الدخول في معركة حربية"[٤]. لذلك كان استعداد الجانب العربي لهذه الحرب استعدادا ناقصا، وبذلك دخل الجيش المصري (حرب ٠٠٦٧ بدون تجهيز ولا اعداد حقيقي تمام كحرب سنة ٥٦ التي اعوزتها قدرة القادة على الحرب ولم يعوزها السلاح فقط) [٥] مما حقق الهزيمة في المعركتين. كل هذه العوامل مجتمعة جعلت آلام العدناني

---

(١) نفس المصدر، ص ١٩٧ – ١٨٣.

(٢) كمال الخالدي: الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني ١٩٤٨ – ١٩٧٣، ط١ (دمشق، مطابع دار الجاحظ، ١٩٨٤) ص ١٢٥.

(٣) صلاح شادي: صفحات من التاريخ، ص ٢٩١.

(٤) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي، ج٢ ، ص٢٦٤.

(٥) صلح شادي: صفحات من التاريخ، ص٢٩٢.

بهذه الهزيمة شديدة لأنه لم يخطر بباله أن تهزم هذه القوات العربية التي أخذت من أسباب القوة المادية والمعنوية الشئ الكثير. فقال معبرا عن هذه الآلام:-

أنـــــا لا أصـــــــدق أننــــــا   أمـــــس انهزمنــــا، لا أصـــــدقْ
قـــــول إذا اســـــتمعت إليـــــه   الـــــروح يومــــاً، كـــــاد يزهـــقْ
ويجمـــــــد الأنفـــــاس فـــــي   صــــدري، وفــــي ليلــــي يـــؤرقْ
ويـــــذرف العبــــرات حتـــــى   روضــــــة الآمـــــال يغـــــرقْ
أنـــــا لا أصـــــدق أنَّنــــــاَ   أمــــس انهزمنــــا، لا أُصَّـــدِّقْ[1]

وقال أيضا فيها:-

فحزيــــر ان شــــل لبـــي، وأودى   بشـــباب القـــريض، فـــي العنفـــوانِ
عَثَــرتْ أُمَتِــي، فطـــاش صـــوابِي   وهَمَـــي الـــدّمعُ قانيـــاً مـــن جنـــاني
أنـــا إن غالـــت المصـــائب قـــومي   لاذ قلبــــي الجـــريح بالأشـــجانِ
وغـــدت قـــوتي النوائـــب حمـــراً   وشـــرابي مـــا فـــاض مـــن أجفـــاني[2]

وهكذا وقف العدناني مع أبناء أمته معبرا عن آلامهم ومآسيهم وحروبهم باثا من خلال موقفه هذا آلامه وأحزانه وحرقته.

٦ - **المدح:**

كان المديح ذا قيمة كبيرة في العصور القديمة، وذلك لما كان يلاقيه الشعراء والمداحون من رعاية وعطاء من قبل الممدوحين مما كان يحفزهم لقول المزيد من قصائده. وقد سار بعض الشعراء في العصر الحديث على هذا النهج ولكن بصورة أقل، ذلك بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها العالم العربي، فقد احتوت شعارهم على نبرة من التزلف والتهديل أفقدت الشعر قداسته ومكانته السامية، وبقى البعض الآخر من الشعراء رافضا هذا المسار ومحافظا على مكانة أشعاره، ومن أمثال هؤلاء شاعرنا محمد العدناني.

---

[1] حسان الكاتب: "مع العلامة محمد العدناني" مجلة الأديب، الجزء ٨، السنة ٣٣، أغسطس ١٩٧٤، ص٢٦.
[2] محمد العدناني: "من محمد العدناني الى الشاعر الملهم فؤاد الرفاعي" مجلة الأديب ، الجزء ٧ ، السنة ٣٠ يوليو ١٩٧١ ، ص٥٠.

ولم يكتف العدناني بتبني هذا المسلك، بل هاجم كل الذين يتزلقون بشعرهم لينالوا العطايا والمغانم، وقد علق العدناني على الشاعر عمر أبو قوس[١] في الأبيات التي قال فيها:-

وضـربت فـي أرض العروبـة باحثـاً عـن صــاحبٍ حلـوّ الشـمائل أمجـدِ
يُعطـي علـى الحمـد الكثيـرِ، ولا يـرى فضــلاً لــه فــي الجـودِ إن لـم يــزدد
ويصـون وجهـي عـن سـواه مبـادلاً حبـــي بحـــب مثلـــه أو أزيـــد
وأنـــا الـــزعيم لـــه بـــذكر خالـــدٍ يبقــى علــى مــر الزمــان الســرمدِ[٢]

فقال العدناني معلقا على هذه الأبيات: "أني أضن بكرامة الشاعر أن تراق على عتبات الأغنياء، وكنت أرجو أن لا ينزل شاعرنا الملهم من سمائه الى أرض الأثرياء الموبوءة بالأنانية والغارقة في جحيم المباذل، والمشوهة بضروب اللهو والمجون".[٣]

وقد وجه العدناني نداء الى النقاد الذين يصححون مسيرة الشعراء بأن "بأن يحملوا حملات شعراء على كل شاعر يهدر كرامته بمدح الأثرياء، الا اذا قاموا بأعمال جليلة وتضحيات كبيرة من أجل أمتهم وعروبتهم ووحدتهم" [٤] لذلك قال العدناني عن شعره:-

ترفـع عـن مـدح الملـوك قصـيدي وأوطــن جــوزاء البيــان نشــيدي
وصـعرت خـد الشـعر كبـراً، فلـم يجـدْ ســوى ســدرة الإلهــام عــرش خلــودِ
ربــأت بــه عــن كــل أروع ماجــدٍ يســيرُ علــى هــام الأبــاةِ الصــيد[٥]

---

[١] ولد في حلب عام ١٩١٣ من أسرة معروفة بالتصوف والشعر، وكتب في مجال القصة والشعر والمسرحية وله العديد من الدواوين الشعرية، وعمل معلما ثم مديرا لمطبوعات حلب واذاعتها – أنظر، أحمد قبش تاريخ الشعر العربي الحديث، ص ٧١١.
[٢] محمد العدناني: ((ديوان عمر أبو موسى)) مجلة الأديب ، الجزء ٨، السنة ٣٢، أغسطس ١٩٧٣ ، ص ٤٥.
[٣] نفس المصدر، نفس الصفحة.
[٤] نفس المصدر، نفس الصفحة.
[٥] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ص ٤.

واذا كان العدناني قد ترفع عن مدح الملوك وأوطن شعره جوزاء البيان وصعر خد الشعر كبرا فلم يجد سوى سدرة المنتهى مقرا له، الا أنه قد وجد أن هناك شخصيات قامت بأعمال وتضحيات كبيرة من أجل أمتها، ومن هذه الشخصيات الرئيس جمال عبد الناصر الذي قام عنه "أحللته قلبي قبل أن آراه، وللشعراء حاسة سادسة تميز السمين من الغث ، والقائد الذي حوّل الجمهورية العربية المتحدة وقلوب الشعوب العربية قاطبة الى قلعة حصينة للعروبة"[١] لذلك تغنى العدناني بأعمال عبد الناصر في معظم دواوينه وخاصة ديوان فجر العروبة الذي شمل الكثير من القصائد عن أعماله مدحه، فهو عندما سمع بقيام الوحدة بين مصر وسوريا قال:-

لما سميت جمالاً ينبئُ العربا	بِوَحْدةٍ، فاض دمعُ القلبِ وانسكبا
....	
ما عطر الكون ذكر لاسمه أبداً	إلا ابن جنبي في الضلوع صبا
ما جاء بعد صلاح الدين من بطلٍ	سوى جمالٍ، لجمع الشمل قد ندبا
عزيمة، كقضاء الله، ماضية	وسيرة ، في سواها المجد ما رغبا
لو كان ثمة للعلياء من سببٍ	لكنت وحدك، عبد الناصر، السببا[٢]

لقد أثر الأمل بالوحدة – الذي طالما داعب خيال العدناني في مدحه، فهو مثلا غالي في مدحه لجمال عبد الناصر وذلك لما قام به من تحقيقٍ لحلمه، فقد وجد العدناني أنه لم يأت بعد صلاح الدين من بطل سوى جمال. ومما لاشك فيه أن ثورة الحماس التي اكتنفت العدناني عند سماعه بتحقيق حلمه عبر الأثير على لسان جمال هي التي جعلته يقدم لنا مثل هذه الصورة من المدح ، والا لو أنه طالع حركة التاريخ العربي والاسلامي لقرأ صفحات من البطولة والفداء للحفاظ على الوحدة والكرامة والعزة الاسلامية، ولسنا بحاجة الى أن نعدد موكب هذه البطولات الاسلامية، فهو موكب طويل جدا ابتداء من صلاح الدين والمظفر قطر بل عين جالوت التي عادت للأمة الاسلامية نبضها وأوقفت جحافل التتار التي أرادت أن تهدم كيان الأمة الاسلامية، فكانت عين جالوت فتحا جديدا في دنيا الاسلام والعزة الاسلامية، وانتهاء بالسلطان عبد الحميد الثاني في مواقفه البطولية تجاه فلسطين الذي منع اليهود من الهجرة اليها لاقامة وطنهم المزعوم فيها، ومحاولته لم شتات المسلمين بطرح فكرة قيام الجامعة الاسلامية ليقيم الوحدة على أساس أسلامي.

---

(١) محمد العدناني: ديون الوثوب ، ص ٧.

(٢) محمد العدناني: ديون فجر العروبة ص ٩ – ١٢.

ويستمر العدناني في مدح محقق حلمه وأمله بشئ من المبالغة فيرى أنه لولاه ما طالت قوادمنا وقضت على الأعداء، ولما تفجر عزمنا قط حتى أصبح كالبركان يغلي، ولا ذاق جنبول ويل الخرب، لذلك فشاعرنا لا يرض أن تلقى مراسينا التي ربانها ناصر الا في حيفا مع أن شيئا من ذلك لم يحدث:-

لـو لا جمـال، لمـا طالـت قوادمنـا حتـى انقضضـنا علـى العـادي شـواهينا
لــولاه، لــم تتفجــر قــط عزمتنــا حتــى غلـت فــي بنــي قـومي براكينـا
لــولاه، مــا ذاق جنبــول وعصــبته فــي حومــة الحــرب زقومـاً وغســلينا
ولـم تسـيطر علـى الأجـزاءِ أنسـرنُا ولـــم تهـــاد كـــأعلامٍ جوارينـــا
ربانهــا، ناصــرٌ لا يرتضــى أبــداً فـي غيـر حيفـا بـأن تلقـي مراسـينا[١]

ويجعل شاعرنا جمالا حبيبا شغل القلب فأصباه حتى جعله مدار صبوته وحنينه، فهو الذي أنساه ضناه وكربه وضمد جراحه وكفكف دموع قلبه الحزين:

يـا جمـال الحبيـب! يـا شـغل قلبـي ومـــــداراً لصـــــبوتي، وحنينـــــي
أنـــت أنســـيتني ضـــناي، وكربـــي وانبعـــاث الأنـــين تلـــو الأنـــين
أنـــت ضـــمدت يـــا جمـــال جراحـــي ثـــم كفكفــت دمــع قلبــي الحــزين[٢]

ويمضى العدناني في مدحه هذا متحمسا له لما قام به من أعمال. ولعلنا نلتمس العذر للشاعر في مقالاته هذه ، وذلك لأن شاعرا كالعدناني كان يحلم بتحقيق الوحدة منذ الأربعينات من هذا القرن، بل كان من العاملين والداعين لها دوما، وفجئة يعلن عبد الناصر عن قيامها، فما كان أمام شاعرنا الا أن يمدحه بكل ما يملك من قوة وحماس وبيان، لذلك جعله مدار كل سعادة حلت في العالم العربي. ولكن سرعان ما خابت آمال الشاعر عندما آلت هذه الوحدة الى الزوال، فتوقف عن المدح وكفر بالعرب واستسلم لليأس والقنوت الى حين.

وقد مدح العدناني الطرف الثاني من قطبي الوحدة وهو الرئيس السوري شكري القوتلي لما كان له من دور في تحقيقها، فقال عنه مصورا قلبه وهو يلثمه:-

---

[١] نفس المصدر، ص ١٢٨.

[٢] نفس المصدر، ص٢٦.

وراح يلـثم شـكري وهـو فـي ظمـأ   الـى معـين مـن الإخـلاص قـد عـذبا
ولـم يغـره منصـب يعنـو الزمـان لـه   وآثـر اليـوم أن يفـدي بـه العربـا
فحـل مـن شـعبه عرشـاً دعائمـه   قلـبٌ بحـب أبـي حسـاننا وجبـا

....

فـإنني حـين شـكري النـدب طـالعني   بعـوده مـن فـم الأهـوال قـد صـلبا
وروحـه وهـو فـي الهجـاء يبـذلها   لقومـه، ويعـاف الأهـل النشـبا
بدوت في عين نفس في الدنى قزماً   أمـام مجـد لشـكري بالـدما كتبـا[١]

ورأى العدناني أن الروس اذا أطلقوا في الأفق قمرا، فأن العرب قد أطلقوا بدرين لا يباريهما أحد في نسبهما وهما شكري وجمال، فقال:-

إن أطلق الروس في أفق الدنى قمراً   مـتن الفضـاء إلـى عليائـه ركبـا
فـالعرب قـد أطلقـوا بـدرين مالهمـا   نـد يباريهمـا بـين الـورى نسـبا
شـكرى الـذي كلـل التـاريخ هامتـه   غـاراً، وشـد إلـى الشـعرى لـه طنبـا[٢]
والأسمر الفذ عملاق الوغى، وفتى   أحلامنـا، وصـباح المجـد مرتقبـا[٣]

ومدح العدناني المجاهدة الجزائرية جميلة بوحيدر[٤] التي شغلت فرنسا بنضالاتها الوطنية، فاعتقلوها وأذاقوها ألوانا من التعذيب والقهر، فقال:-

جميلـة إيـا ملكيـة كـل قلـبٍ   هفـا نحـو البطولـة، واسـتطابا
جميلـة إيـا ضـياء لـم يكـن لـي   سـوى فجـرٍ ينيـر لـي الـدربا
أضـاء شـبابه سـبل الأمـاني   ورد إلـى عروبتنـا الشـبابا
صـبرت علـى العـذاب ولـم تبـوحي   بسـرك فأفتـديت بـك الصـحابا
سـكت، فكنـت أبلـغ مـن عرفنـا   لعمـر الحـق فـي الجلـى خطبـا[١]

---

[١] نفس المصدر ص ١٠ -١١.

[٢] الشعري: نجم سماوي – أنظر ، محمد الرازي، مختار الصحاح، ص٣٤٠.

[٣] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص ١٤ – ١٥.

[٤] وهي المجاهدة الجزائرية التي قاتلت الفرنسيين في حرب الجزائر حتى وقعت في أسرهم فأذا قوها "ألوانا من العذاب والتنكيل – أنظر محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص ٥٩.

ومدح شاعرنا العرب بما عرفوا من شجاعة وكرم واباء واجارة وبغيرها من الشيم، ففي شجاعتهم قال:-

ما في مآقى ليوث العرب ساخنةٌ بل في عزائمهم يوم الوغي حمم
اذا تنادوا الى بذل وتضحيةٍ لبوا خفافاً، وفي أحداقهم ضرمُ[٢]

وفي حسن جوارهم قال:-

يعزُّ بقومي الجارُ، حتّى إذا الردى نوى خطفهُ يوماً ، تملكهُ الرُّعْبُ
يكادُ قضاء الله – إن هم تبسموا – يهشُّ، ويبدو لؤلؤ المبسم الرطبُ
ويربد منه الوجه حين يراهمُ غضاباً، من الأحداق يندلع اللهبُ[٣]

وقال أيضا:

وجارهم في حمىً من كل عاديةٍ حتى يكاد من الأقدار يعتصمُ[٤]

ومدح العدناني أخلاق العرب في اكرامهم واعزازهم للجار مستعشرا بذلك أصالة العرب التي حض عليها الدين الإسلامي الذي أوصى بالجار كثيرا، وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[٥]، وكان العرب قد عرفوا بحسن الجوار واجارة الملتجئ، ومن يطلب الحماية، ولكن العدناني بالغ في هذا الجوار، وجعل الجار في حنى من الموت ومن قضاء الله والأقدار. والمعروف أن الموت والقضاء والأقدار بيد الله سبحانه وتعالى، وما لأحد فيها من سلطان. فأن خرجت المبالغة عن نطاقها لتمس معتقد الأمة ودينها وأعطت صلاحية هذه الأمور لغير الله سبحانه وتعالى تكون بذلك غير موفقة، فجعل قضاء الله يهش اذا العرب ابتسموا ويريد وجهه اذا هم غضوا والله سبحانه وتعالى يقول: "انما أمره اذا أراد شيئا أن

[١] نفس المصدر: ص ٦٢.
[٢] نفس المصدر: ص ١٥٨.
[٣] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ٣٨ – ٣٩.
[٤] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ص ١٥٩.
[٥] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم (استنامبول، الطبعة العثمانية، ١٣٣٤) م٣، ج٨، ص٣٧.

يقول له كن فيكون"[١]، ورغم أن العدناني استعمل لفظه "يكاد" ليخفف من وطأة هذه المبالغة الا أنها تبقى شديدة على الأسماع لأنها تعارض أصلا في الدين. فالمبالغة تقبل "اذا جرت على منهج الاعتدال وهذا رأي جمهور العلماء، ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة، وترد اذا جاءت على وجه الأغراق والفلو، ويذم مستعملها، كما درج على ذلك أبو نواس وابن هانئ الأندلسي والمتنبي وأبو العلاء ، وغيرهم"[٢]

ومضى العدناني في مدحه لأمته العربية وقومه العرب فعن كرمهم قال:-

صحائف وشتها يد الكرم الذي غدا مضرب الأمثال يشدو به الركب
فشرق حتى عطر الشرق ذكره وغرب حتى كاد يعشقه الغرب
وأضحى فم الدنيا يشيد بجودهم وأنى يباري العرب في جودهم شعب[٣]

وقال:-

تندى أكفهم بالجود منهمراً وكلهم حاتم الطائيُّ، كُلُّهُم[٤]

ومن أغاثتهم ووفاءهم قال:-

مغيثون في الجلى، وهيهات ينثني فتاهم عن الإنجاد مهما التظى الكربُ
وأسياد، حلوا بالوفاء نفوسهم ومرتعه كالجود منبسط رحبُ[٥]

وعن الذياد عن أعراضه قال:-

ويحيون، والأعراض بيض مصونةٌ تأرج، لم يعبث بنضرتها ثلبُ
يذودون عنها بالنفوس، وبالظبى ومر الردى، في الذود عن حصنها عذبُ[٦]
وقد وازن الأطوادفي الروع لبهمْ وليس لهم – إن مس عرضهم – لُبُّ[٧]

ومدح العدناني أيضا لبنان التي حظيت بأقامته ، فقال:-

[١] سورة ياسين، آية رقم ٨٢.
[٢] أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة – البيان والمعاني والبديع، ط٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦) ص ٣٣٦ – ٣٣٧.
[٣] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ٣٩.
[٤] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص١٥٩.
[٥] محمد العدناني: ديوان الوثوب ص ٤٠.
[٦] الظبى: مفردها ظبة، وهي حد السيف، أنظر، الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، ص ١٦٨٧.
[٧] محمد العدناني: ديوان الوثوب ، ص ٤٠ – ٤١.

لبنانُ! يا بلد الجمالِ وكناس[1] ربات الحجالِ[2]
وحراء كل الملهمين (م) من الغواني والرجالِ
والحافظ الفصحى – زمانَ (م) الظالمين – من الزوالِ
والناثر الثلج النقيَّ (م) على شماريخ الجبالِ
والزارع الآمال في (م) الصدر المطلِّ على المحالِ[3]

ثم عاد العدناني بمدحه الى الماضي التليد، الى الجيل الذي حمل رسالة الاسلام وراية الحق ونشرها في ربوع العالمين، فمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد، فقال في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يعتبر دليلنا الى المحد والثبات على المبدأ الأسمى:-

هذا رسول الله دليلنا إلى المجد، والضراء ظمأى إلى الدمِ
فلم يتزحزح مرة قيد شعرةٍ عن المبدأ الأسمى، ولم يتكتمِ
وصمم – والخصم الألد مهاجم- على نيل ما يبغى ينصح ومخذمِ[4]

وفي مدحه لشجاعته وجلاده في فضض الجحافل اللجب واقدامه الذي يروع أعدائه بما يسقيهم من المنايا مرغمين، قال:-

وحسبهم الرسول أخا جلادٍ يفض الجحفل اللجب الحرونا
فيمعن في جناحيه اقتحاماً ومن لم يقض خلفه طعينا
ويوغل أروعاً في القلب حتى يفر كماته متضعضعينا
فإن محمداً يسقى المنايا فيشربها الأعادي مرغمينا[5]

---

[1] الكناس: بيت الظبي، أنظر، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٧٣٦.
[2] ربات الحجال: كناية عن النساء، والحجال: موضع ثياب ستر العروس – أنظر، نفس المرجع ، ص ١٢٧٠.
[3] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٨٧ – ١٨٨.
[4] خذمة: قطعة – مخذم – هي آلة القطع وهو هنا كناية عن السيف ، أنظر الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، ص ١٤٢١.
[5] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص ١٠٨.

ومدح شاعرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدله وتواضعه وشجاعته ورجاحة عقله، فقال:-

وقد وطد الفاروق بالعدل ملكهم ... وما عمر إلا الشجاعة، واللبُّ
لئن جهلوه وهو بين جنوده ... فما مازه ثوبٌ، ولا مازه عجبُ
بنى للورى صرح المساواة سامعاً ... وأصبح من أساسها بعده الصلب
عليها شبول العرب شبوا جميعهم ... ومن وردها السلسال، مذفطموا، عبوا[١]

ومدح شجاعة خالد لولب الحرب الذي عرفته الخيل والبيد والحرب بصولاته وبسيفه راعف الحد الذي يجذب الأرواح كأنه ممغنطا، فقال:

سأذكر دوماً لولب الحرب خالداً ... وقد عرفته الخيل، والبيد، والحربُ
يصول بسيفٍ راعف الحد كلما ... تغذى من الأرواح، لج به السغب[٢]
إذا هزة تحت العجاج حسبتهُ ... نذير الردى من حده يقطر الرعبُ
كأن صقيل المتن كان ممغنطاً ... يجمع أرواح العدى حوله الجذب[٣]

٧ - **الآمل بالنصر:-**

رغم النكبات التي تمر بها الأمة العربية من نكسة الى نكسة ومن هزيمة مؤلمة الى هزيمة قاتلة، الا أن ذلك لم يفل عن عزيمة العدناني شيئا، فظل دائما متفائلا بالنصر "حتى في فترة التوجس التي تمر بها الأمة العربية، وهو توجس قد يصل حد التشاؤم، نجد .. العدناني متفائلا، كما عودنا دائما، برغم كل الأحوال. القاسية التي مر بها هو شخصيا ومررنا بها ومرت بها بلاده وأمته"[٤] لأنه كان مؤمنا أنه، يكفي لأمته ما لاقت من أحزان ومآسي فعليها أن ترفع أملها ومعنوياتها "لأننا – نحن العرب – قد شربنا، منذ نكبة ١٩٤٨ الفادجه، كؤوس الأسى والتشريد والقلق والشك حتى الثمالة، وما عدنا نطيق قشة واحدة من الحزن، خوفا من يقصم ظهورنا"[٥]

---

١ محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ٣٣ – ٣٤.

٢ السغب: الجوع : أنظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص ١٢٤.

٣ محمد العدناني: ديوان الوثوب ، ص٣٤.

٤ محمد ابراهيم: ((معجم الأخطاء الشائعة)) مجلة الأديب، الجزء ١٠ السنة ٣٢، أكتوبر، ١٩٧٣، ص٤٤.

٥ محمد العدناني: ((من محمد العدناني الى القاص الأستاذ الياس قنصل)) مجلة الأديب ، الجزء ١، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣، ص ٤٩.

وقد حاول العدناني توجيه حركة النقد والأدب لخدمة الأمل وبعثه في النفوس، فهو مثلا عندما قدم له الشاعر عدنان مردم بك[١] مسرحيته الشعرية "مصرع غرناطة" قال العدناني في نقدها: "ليت الشاعر ينظم لنا مسرحية عن فلسطين الثائرة الفدائية، لا فلسطين الذبيح، وعن فتح غرناطة لا عن مصرعها، لأن حرب التيئيس النفسية، وبث الروح الانهزامية في الشعوب، هي اليوم أشد وطأة من حرب الصورايخ والقذائف والطورابيدات والألغام"[٢] لذلك كان العدناني دائما يدعو الشعراء لنظم مسرحية عن "صلاح الدين الأيوبي وكيفية طرده غزاة الغرب ومستعمريه، الذين جاءوا متنكرين بثياب الدين، وفي صدورهم قلوب الذئاب، وفي أفواههم أنياب الأفاعي، واجتاحوا بلادنا، وهزموا جيوشنا، التي عادت فكرت عليهم ، عندما توحدت مصر والشام تحت راية وحده"[٣] ويدعو أيضا أن ينظموا عن خالد بن الوليد الذي هزم بعبقريته الروم والفرس، وعن أبي بكر الذي لم الشمل بعد تفرق، وعن عمر بن الخطاب الذي علمنا العدالة والنزاهة في الحكم.[٤] وقد سخر الشاعر قطاعا كبيرا من شعره لبث هذا الأمل ، فبعد النكبة في عام ألف وتسعمائة وخمسين، قال:-

أرى خلف ستر الغيب بارق نهضةٍ	تغنـي لها الدنيا، ويبتسم الزمن
يقوم بها منا شباب تكحلت	بهم أعين للمجد لا تعرف الوسن
يصدون عن مالٍ من الغرب دافقٍ	يكون لنخاسي شعوبهم الثمن
ويشرون بالأرواح جنات عدنهم	متى اكتسحوا الأعداء ذوداً عن الوطن
ولن يملكوا إما تنادوا الوغى	هواة أراجيح الحمام سوى، الكفن[٥]

وفي الذكرى العاشرة لنكبة فلسطين يأمل العدناني بعودة لواء الأسكندرونه الى بلده الأم سوريا رغم أنوف الترك والعجم، وعودة فلسطين الى أبنائها من أيدي الصهاينة الطغاة فيقول:-

غداً يغيرون، والإسكندرون لنا	تعود رغم أنوف الترك، والعجم
ونسترد فلسطيناً، وقد زرعت	من الصهاين بالأجداث، والرمم
يرى اليهود غداً منا عمالقة	في الحرب، تجعلهم لحماً على وضمِ

[١] ولد في دمشق عام ١٩١٧ وتخرج من كلية الحقوق عام ١٩٤٠ ومارس المحاماة والقضاة وأتقن الفرنسية والانجليزيةو وله العديد من الدواوين الشعرية، وهو ابن الشاعر السوري خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي – أنظر أحمد قبس: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص ٧٠٨-٧٠٩.

[٢] محمد العدناني: "مصرع غرناطة" مجلة الأديب، الجزء ٤، السنة ٢٣ ابريل ١٩٧٣، ص٤٤.

[٣] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[٤] أنظر، نفس المصدر، نفس الصفحة.

[٥] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ص ٤٩.

غـداً، يـرون نسـور العـرب مرعـدةً تـرميهم بالمنايا الحُمْـر كالـديمِ
غـداً نصـب علـيهم ثأرنـا حممـاً تنسـى جهـنم مـا فيهـا مـن الحمـمِ
غـداً سـننزل جنـاً فـي ربـوعهم والحقـد طـي بـين الأضـلاع فـي ضـرمِ
غـداً، سنصـهرهم فـي جـوف بوتقـةٍ تحـدو جحـافلهم طـراً إلـى العـدمِ
غـداً، سـنفتك – والهيجـاء– ورايـةٌ بكـل مـنفطمٍ، أو غيـر مـنفطمِ[1]

ويأمل العدناني بالنصر على الفرنسيين في الجزائر وعلى الانجليز في عمان، فيقول:-

وتتجلـي غيمـة دكنـاء، لبـدها جـور الفرنسـيس، أهـل الغـدر والـنقمِ
ففـي الجزائـر آسـادٌ إذا زأروا دوى زئيـرهم فـي البيـد، والأجـمِ
ومـا فرنسـا لـديهم فـي جحافلهـا سـوى قطيـع أوروبـي مـن الغـنمِ
وفـي عمـان سـيجثوا الانجليـز غـداً إزاء غالـبَ[2]، فـي إطـراق منهـزمِ[3]

ولا يمكتفـي العـدناني بالنصـر علـى فرنسـا بـل يريـدها أن تـأتي صاغرة:-

أيـا فرنسـا! غـدا تـأتين صـاغرة وردا مـن الهـول، أرض العـرب منبعـة[4]

ويمتد أمل العدناني ليرى جيوش العرب وهي تحوس أرض باريس لتجعل من بلاد السين أندلسا:-

غـدا تجـوس جيـوش العـرب ظـافرة خـلال بـاريس تلقـي الرعـب والمحنـا
الله أكبـر! إن دوت حناجرنـا بهـا، تزلـزل ركـن المعتـدي وهنـا
وأصـبحت أرض شـعب السين أندلسـاً سيخضـع العـرب فيهـا الخصـم، والزمنـا
ولـن يزحـزحهم عنهـا عمالقـة مـن الخطـوب تـزف الويـل؛ والشـجنا
ولـن تـرى غيـر قعـر الـيم مـدفنها فرنسـة، وسـوى أموهـه كفنـا[5]

ويأمل العدناني أيضا بزوال حلف بغداد:-

وحلـف بغـداد لـن يبقـى لـه أثـرٌ فـي أرضـنا فيـزول السـم فـي الدسـم[1]

---

[1] نفس المصدر ص ٥٥ – ٥٦.

[2] هو امام عمان الشرعي، وكان له دور فعال في الجهاد ضد الانجليز – انظر ، نفس المصدر ، ص ٥٧.

[3] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

[4] نفس المصدر ، ص ٧٤.

[5] نفس المصدر ، ص ٧٧.

وزوال الذين نشزوا وباتوا يأتمرون بأمر أمريكا وغيرها:-

غداً تزيل جنود الضاد من ونشزوا   منا، وباتوا لأمريكا من الخدمِ
فلن نرى عاهلاً أقصى مطامعه   أن يلبس التاج، مزهوا على الحشم
ويعتلي العرش، لو كانت دعائمه   جماجم الشعب لم يخضع لمتهم[2]

فالأمل عند العدناني لا بد منه لأمته لأنها أصبحت في أمس الحاجة الى شعاع يضئ لها "طريق اليأس، والى قشه من الفأل تحملها نفوسنا، قبل أن يقصم ظهورنا حمل التشاؤم الذي ران على القلوب والنفوس والمهج والأرواح، والذي تكبدت غيومه السود في سماء العالم العربي، حتى حجبت عنه نور التفاؤل وشعاع الايمان[3]" فقال:

لابد من فجر لنا   فالليل ماضٍ، غير خالد
والعرب لبسوا الرماد،   فجمر شعبي غير خامدْ
وغداً تزيل رمادهُ   ريحٌ ستحْطُم كلَّ ماردْ
ويُزلزل الظلم الجموح   ويسحق الطاغي المعاندْ[4]

٨ - **خيبة الأمل:-**

صور العدناني في قصائده السابقة ربط الأمل المشرق الدافق بالمستقبل المنير، فطاف في دنيا من الرؤى والأحلام الجميلة، وهوم بنا في مسارب وبناء عالم متغير يقوم على الاعتزاز بهذه العروبة، فحلم شاعرنا على أثر هذا الأنبثاق بعالم مثالي هام كثيرا برسم آماله الخاصة به وبأمته، حتى اذا اصطدم بالواقع وأحس بضغطه وثقله، شعر بوخزة الأسى وخيبة الأمل وقساوة الحياة واضطرابها.

---

[1] نفس المصدر ، ص٥٧.
[2] نفس المصدر، ص٥٦.
[3] محمد العدناني: "مصرع غرناطة" مجلة الأديب، الجزء ٤، السنة ٣٢ ابريل ١٩٧٣.ص٤٤.
[4] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٦٢.

فالعدناني صُدم بواقع مثقلٍ بالحزن والألم، ففلسطين هي فلسطين المحتلة، القومية العربية لم تتحرك من مرحلة التنظير الى لحظة فعل ثوري واحد كما توقع، والدول العربية غدت دولا ضعيفة متفككة تلعب بها وبحكامها قوى الشرق والغرب، ومشاريع الوحدة لم تنجح في لم شتاتها وجمع كلمتها، ورؤساؤها أذاقوا شعبوبها مرارة الحياة فضيقوا على أنفاسه وقضوا على أحراره. كل هذه المعطيات التي شهدت العدناني أثرت في نفسه وجعلته يشعر بخيبة الأمل وبمرارة الهزيمة في التغيير، فعبر عن هذا الواقع المؤلم بقصائد هي صورة من قلبه الجريح وفكره النازف:-

يابسمةً عَرَفَتْها العُربُ حْولَ فَمي	غيضي فإن المُنى زلتْ بها قدمي
وأترع اليأس كأس النفس فاندفعتْ	ولهى تخبط في يم من الظلمِ
وكلما لاح في شُطْآنِهِ أملٌ	خضت العباب بعزمٍ غير منثلمِ
حتّى إذا خلتني أدركته رجعتْ	أحلامي الغربي مخضوبة بدمي[1]

وكما غابت البسمة عن فم العدناني التي طالما عرف بها، فأن قلبه أيضا اصابته الحسرة وأوطن فيه اليأس حتى بات يشكو من آهات الألم على حال العرب الذين وثق فيهم فضيعوا ثقته وخيبوا أمله، فقال فيهم:-

والهف قلبي على الآمال	ولهف نفس على أحياء كالرمم
وقفت عزمي وشعري والحياة على	إيقاظ مانام في قومي من الهممِ
ورحت أخدعهم – واليأس يقتلني	منهم – بأنهم ريحانة الأمم
وأسكب الدم جمراً في عروقهم	لأجعل العزم مجنوناً من الضرمِ
وأنفخ الروح إعصاراً لتحملهم	على جناحين من بطش ومن نقمِ
وأقذف الشعر رعداً من منابركم	كأن كل قوافيه من الحممِ
به أهز الرواسي الشم مشرفةً	على السحاب وأحيى ميت الشممِ
وأسمع الفلك الدوار ما هتفتْ	روحي اليهم به ملهوفة وفمي[2]

---

[1] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١٢٣.

[2] نفس المصدر ، ص ١٢٣ – ١٢٤.

ولكن أبناء أمته لم يعبروا دعواه هذه أذنا صاغية، فظل يسكب الدم جمرا في عروقهم، وينفح الروح عصارا لتحملهم، ويقذف الشعر رعدا من منابرهم، ويهز الرواسي الشم، ويسمع الفلك الدوار ماهتف، دون أن يأخذ العزم المجنون من الضرم، ودون أن يطيروا على جناحين من البطش والنقم، وكان موقفهم كما قال العدناني:-

فما أعاروا هتافي، وهو منفجر، سمعاً كأنهمُ كأنهم في مطبق الصممِ
وعدت يفتك بي اليأس المرير وقد أصبحت من فتكه لحماً على وضم[1]
واغتيل نضر شبابي في الربيع أسىً ورحت أردح مفجوعاً إلى الهرمِ[2]

ويرى العدناني أبناء أمته وقد سلموا لحكامهم الطغاة القياد حتى أصبحوا عبيدا لهم، فغادر دم خفاقه غضبا وقال:-

وخال أبناء عدنان يصدهم من الزعامات ماعانوه من غممِ
حتى إذا شامهم ظلا لمن نكبوا به من القادة الأوغاد كلهم
وأبصر القوم قد شادوا لهم صماً فأصبحوا – ويحهم – من أعبد الصنمِ
فار الدم الحر خفاقه غضباً وانصب جمر القوافي منه كالرجمِ
وصار من خيبة الآمال مبتئساً كيافع قد رماه الدهر باليتمِ
وبات تغريده الفتان زمجرةً تطغى على صرخة الآساد في الأجمِ[3]

ووصلت خيبة أمل العدناني الى كفرانه بالعرب الذين كان يفيدهم بأمه وأبيه، فقال:-

أكاد أكفرُ – رغم القلب – بالعربِ وأحسب الحدث المهجور أجدر بي
أُدير طرفي في قومي، فلست أرى غير التفسخ، والأدواءِ، والكربِ[4]

ورغم تملك اليأس من العدناني الا أنه بطبعه لا يقبل هذا الحال، لذلك وجدناه يعاقب قلبه على هذه النغمة المأسوية في قوله:-

عاتبت قلبي على اليأس الذي نشبت منه الأظافر حتى كاد يصرعه

---

[1] الوضم: خشبة الجزار التي يقطع بها اللحم – أنظر محمد الرازي: مختار الصحاح، ص١٢٥.
[2] محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص١٢٥.
[3] نفس المصدر، ص ١٢٦ – ١٢٧.
[4] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ، ص ٦٩.

ورحـت أمسـح دمعـاً قانيـاً سـفحتْ ســـيولهُ، وحيـــاة القلـــب أدمعُـــهُ[1]

ولكن قلبه يواجه بالحقائق ، والنكبات التي حدثت لأمته مما لا يدع مجالا للومه على هذا اليأس الذي هو فيه، بل أنه يطلب من العدناني ألا يدعى الصبر الذي لا طاقة له به، فقال شاعرنا على لسان قلبه:-

فقال: لا تدع الصبر الذي صفرت منـــه الجـــوانح، واســـتهوتك أربعـــه
ألم تر الموت في أرض الجزائر قد ألقـــى عصـــاهُ ودك الغيـــل مدفعـــهُ
صبت عليه براكين الوغي حمماً لـــم يلـــق قطـــر لهـــا نـــداً يروعـــهُ
وباتت الغيد أشلاء، كما انتثرت أفـــلاذ أكبـــاد شـــعبٍ ثـــار أجمعـــه
وللشيوخ أنينٌ عندما احتضروا غيـر الضـمير مصـيخاً، لـيسَ يسـمَعُهُ[2]

وتموت أماني العدناني وآماله لأن المصاب أقوى وأكبر من مشاعره ومن صبره، ويرى نفسه مستسلما لهذا اليأس، فيقول معبرا عن هذا الموت وعن استغلال الحكام لضعف شعوبهم:-

ماتت على جرف البؤسى أمانينا وضـــيع الشـــعب فـــي الأوهـــام راعينـــا
قد ساقنا غَنَماً، حتّى إذا التَهَبَتْ أطماعُـــهُ أتَّخـــذت منّـــا القرابينـــا[3]

وهكذا ضاع أمل العدناني الذي طالما حلم بتحقيقه، فعبر عن ضياعه وألمه على هذا الضياع من خلال شعره السابق.

[1] نفس المصدر ، ص٧٣.
[2] نفس المصدر، ص٧٣ – ٧٤.
[3] نفس المصدر ، ص ٧٠.

٩ – **لوم وعتاب:**

وجه العدناني لأبناء قومه لوما وعتابا على مواقفهم التي قصروا فيها اتجاهه وتجاه أبناء وطنه، وكان في هذا التعاب همسات من الرقة والأخوة لأنه كان يهدف من وراءه أن يقوموا اعوجاجهم ويصحموا من مسارهم، ومن ذلك عتاب العدناني لوزارة المعارف السوريه لما طلبته في عام ألف وتسعمائة وخمسين من الأساتذة ((الفلسطينيين، الذين لجأوا الى سوريه.. بعد نكبتهم الفادحه في فلسطين، أن يؤدوا امتحانا في المواد التي يدرسونها، لأدخالهم في ملاك الدوله بعدما درسوا في سوريه ... عامين شهد لهم خلالها القاص، والداني بالكفاءة والأخلاص وجلهم جامعيون من مفاخر التدريس في العالم العربي))[١] ويقول العدناني قاصدا نفسه: "ومنهم من عمل بضعة وعشرين عاما بذل خلالها ضياء عينيه وزهرة شبابه"[٢]. وقد رد العدناني على وزارة المعارف السوريه معاتبا أياها على هذا الأمتحان:

أمــن ضــمن البقــاء لــه قــريضٌ	وأمتعـــــه بعـــــرش الخالـــــدينا
ولمـــا يبلـــغ العشـــرين عامـــاً	ويجـــن نهـــاه أثمـــار الســـنينا
يســاق إلــى امتحــان فــي القــوافي	وفـــي المنثـــور بعـــد الأربعينـــا
إذا مـــا الخـــط وافانـــا هـــزيلاً	فـــإن الخطـــب يقفـــوه ســـمينا[٣]

يوجه العدناني لومه وعتابه للوزارة على هذا الامتحان الذي قدموه الى الذين أعطوا جل فكرهم وخلاصة عملهم، فمنهم من تولى الشعر نجاحه وبقاءه فجعله في صفاف الخالدين كالعدناني الذي نظم القوافي وأبدع القريض، وعمل في التدريس عشرين عاما في كثير من عواصم الدول العربية، ثم تأتي الوزارة لتجري لهم امتحانا لتختبر مستواهم المعرفي وقدرتهم على الأداء، فاذا لم يوفقوا خسروا الملاك والعمل بل والمعيشة والأقامة، ويكون الخطب عليهم جسيما، فهم المشردون عن بلادهم والمهجرون من أوطانهم، واذا كتب لهم الفوز فيه فانهم يقتصون الحظ السمين والملاك والعمل والأقامة.

---

[١] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص ١١٩.

[٢] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[٣] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

ويتسأل العدناني معاتبا عمن أنشدت العنادل ما تغنى، ورددت الربى قصائده نورا ونارا، وهو الذي أشجى الطبيعة نغما، والوغى أتونا حتى أصبح فوق رأس المجد تاجا تألّق دُرّة في العالمين قاطبه، ثم يقال له تقدم لامتحان لتصبح فيه من الناجحين:-

أمـن دخـل المـلاك، مـلاك خلـدٍ ففـاز بـه علـى المتسـابقينا
وأنشـدت العنـادلُ مـا تغنـى بـه مـن شـعره سـحراً مبينـا
ورددت الربـى نـوراً، ونـاراً وفـي المنثـور بعـد الأربعينـا
إذا مـا الخـط وافانـا هـزيلاً فـإن الخطـب يقفـوه سـمينا[1]

يوجه العدناني لومه وعتابه للوزارة على هذا الامتحان الذي قدموه الى الذين أعطوه جل فكرهم وخلاصة عملهم، فمنهم من تولى الشعر نجاحه وبقاءه فجعله في صفاف الخالدين كالعدناني الذي نظم القوافي وأبدع القريض، وعمل في التدريس عشرين عاما في كثير من عواصم الدول العربية، ثم تأتي الوزارة لتجري لهم امتحانا لتختبر مستواهم المعرفي وقدرتهم على الأداء، فاذا لم يوفقوا خسروا الملاك والعمل بل والمعيشة والأقامة، ويكون الخطب عليهم جسيما، فهم المشردون عن بلادهم والمهجرون من أوطانهم، واذا كتب لهم الفوز فيه فانهم يقنصون الحظ السمين والملاك والعمل والأقامة.

ويتسأل العدناني معاتبا عمن أنشدت العنادل ما تغنى، ورددت الربى قصائده نورا ونارا، وهو الذي أشجى الطبيعة نغما، والوغي أتونا حتى أصبح فوق رأس المجد تاجا تألق دره في العاملين قاطبه، ثم يقال له تقدم لامتحان لتصبح فيه من الناجحين:-

أمـن دخـل المـلاك، مـلاك خلـدٍ ففـاز بـه علـى المتسـابقينا
وأنشـدت العنـادلُ مـا تغنـى بـه مـن شـعره سـحراً مبينـا
ورددت الربـى نـوراً، ونـاراً قصـائده فأسـكره الحزونـا
إذا غنـى الطبيعـة كـان نفحـا وإن غنـى الـوغي كـان الأتونـا
وأصـبح فـوق رأس المجـد تاجـاً تـألق دره فـي المعالمينـا
يقـال لـه: تقـدم لامتحـانٍ لتصـبح فيـه بـين الناجحينـا؟[1]

---

[1] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

ثم يدعو العدناني أصحاب هذا القرار أن يسألوا عن شعره بيت المقدس والمنابر والنوادي ألوف المعجبين وأمواج الأثير وبنى قومه والفصحى لينالوا الجوانب عنه وعن قدره ومكانته.

وفي الذكرى الثانية لدخول الجيوش العربية لفلسطين قال العدناني معاتبا أيضا:-

تعالوا نسدل اليوم النقابا   على الماض ونعتزل العتابا
....
بنى قومي! عدوكم لدود   يومل أن يهشمنا ضرابا
علام نلوم – مادمنا خرافاً-   أعادينا إذا هجموا ذئابا
لئن هزموا جحافلنا نضالا   فإنا قد هزمناهم سبابا
دعونا من تخاذلنا دعونا   وعودوا للوغى أسداً غضابا
أمن غنى الأزاهر عندليباً   كمن ينقض في الجلى عقابا[٢]

يوجه العدناني لومه وعتابه لبني قومه على تخاذلهم حتى باتوا خرافا وأعداؤهم الذئاب، ويذكرهم بهزيمة الجيوش العربية في فلسطين بنضال أعدائهم غير انهم هزموا أعدائهم بالسباب والشتائم، ثم يدعوهم لترك التخاذل والعودة للوغى كالأسود الغضاب لأن من غنى الأزاهر عندليبا من النصر لا كمن نقض الجلى عقابا من الهزيمة.

ويوجه العدناني عتابه أيضا لأمته التي وجد أن كل واحد منها لا يهمه الا نفسه، وأنه ناذر شرا لأخيه ليفتك به، ويرى أنه لو لا هذا الشعور وذاك التخاذل لما وجدنا زعامتنا بهذه الصورة فهم الذئاب وشعوبهم من الغنم، ولا رأينا عصابة الجبن والعار والتعتير والعرم تغصب أرضنا وتشردنا، ويحذرهم معاتبا بأنهم أن ظلوا في غوايتهم هذه ولو يولوا أمورهم القائد الشجاع كابن الوليد فأنهم حتما سائرون الى العدم:-

يالقومي! ماذا دهى اليوم قومي   فتنادوا لفرقة وصدودِ
عقدوا أمس في دمشق اجتماعاً   لا أراه يجيئنا بجديد
فالتئام، فخطبة، فنقاش   فاختلاف، فنثر عقد الوفود
قد تناسوا عدوهم وهو يسعى   لاقتحام السهول بعد النجود

---

[١] نفس المصدر ، ص ١٢٠.

[٢] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١١٧ – ١٢١.

ونضــوا بيــنهم ســيوفاً، وراحــوا | يـــــدفعون اعتــــــداءه بــــــالغمود
يطلــق الصــاعقات تتــرى وقــومي | يطلقــــون احتجـــاجهم بالبريـــــد
كيـف تصـفى إلـى احتجـاج أمركـا | وترومــــــان آلـــــــه التهويــــــد[1]
لــم يقــم هيئــة مــن الأمــم الهــوج | جميعــــــاً إلا لـــــدعم اليهـــــود[2]

ويقدم العدناني عتابا للرؤساء والحكام العرب باسلوب جميل تندى منه جبين أهل الحياء:-

أيـن الـذين تفـدى الشـعب مهجـتهم | ويقــــدمون إذا أجنــــادهم فشـــلوا
ومــــالهم هــــدف إلا فنــــاؤهمُ | فـي خدمـة الشـعب إن حلـوا وإن رحلـوا
ينســون أنفســهم، والحــرب دائــرة، | ولـيس فـيهم إذا مانـادى الـردى وكـل[3]
ويحفظـــون رعايـــاهم كـــأنهم | مجنهـا إن دعـاهم فـي الـوغي الأجـلُ
والله يكلــؤهم ممــا يحيــق بهــم؛ | فـالموت يُـدبرُ مـالم يقبـل الوجـل[4]

١٠ - **الهيجاء:-**

تطورت مشاعر العدناني النفسية تجاه تخاذل أبناء أمته، فابتدأت مشاعره هذه بتسجيل خيبة أمله ثم عتابه ولومه، وانتهت بهجائه المر الذي مثل قمة ثورته النفسية والانفعاليةعلى مواقفهم، ومن ذلك هجاءه القاسي للزعماء الرؤساء والملوك العرب الذين تخاذلوا عن قضايا أمتهم وكانوا لمصالح المستعمر أحرص من مصالح بني جلدتهم، فثار عليهم العدناني ثورة عارمة وهجاءهم هجاء مرا، فقال عن خيانتهم:-

وهـات مـن الـوحي المـؤجج ماحقـاً | مــن الثــورة الحمــراء يضــرمها الشــعر
فتلـــتهم الأوغـــاد مـــن زعمائنـــا | وقــد لفهــم أحيــاء فــي الكفــن الغــدر
فكـم أزورا الأخصـام سـراً، ومـادروا | بـــأن فـــؤاد الـــدهر لـــيس لـــه ســـرُ
أبـــاحوا حمـــاهم للعـــدو خيانـــة | ولـــم يســـتطع إخفـــاء جـــرمهم ســـترُ[5]

---

[1] ترومان: هو رئيس الولايات المتحدة آنذاك
[2] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٦٥ – ١٦٦.
[3] الوكل: الجبان والعاجز والبليد – أنظر، ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط (القاهرة، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، ١٩٦٠) ج٢، ص ١٠٦٧.
[4] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١٣٢.
[5] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٤٤.

يتعرض العدناني في هذه الأبيات لحال ذوي السلطان الذين يبرمون الاتفاقيات السرية مع أعداء أمتهم معتقدين بأن ذلك يظل سرا خفيا عن شعوبهم، والدهر لا يخفى سرا ولا يكتم اخبارا للذين خانوا شعوبهم وأباحوا حماهم للأعداء. وينظر شاعرنا الى هؤلاء القادة فلا يراهم الا مستوردين تشبثوا بالكرسي المزيف وهمهم ملء الجيوب وليلهم حمر المخازي، اذا لبسوا الخز النفيس تبختروا على شعوبهم ولو كانت شعوبهم تلاقي المنية وهي عارية، وديدنهم حشوا البطون شراهة وان كان شعبهم يلقي المنية جائعا، ويسيل العابهم ان رأوا الغادات ولو كان الواحد منهم شيخا فانيا، فقال شاعرنا:-

أقلب طرفي في البلادِ، فلا أرى	زعيماً، نمته العرب، يقظان واعيا
تشبث بالكرسي كل مزيفٍ	من القادة المستوردين الدواهيا
غرامهم ملء الجيوب، كلهم	إذا مادجا الليل، استساغوا المخازيا
إذا لبسوا الخز النفيس تبختروا	وإن لقى الشعب المنية عاريا
وديدنهم حشوا البطون شراهة	ولو ورد الشعب المنية طاويا
وإن شاهدوا الغادات، سال لعابهم	ولو كان شيخاً، عاشق الغيد، فانيا[1]

وقال عنهم أيضا:-

وقادتنا لاه بحواء جلهم	وأوسمة زانوا، بوافرها الصدرا
اذا ما تلاقوا، فالعناق مؤجج	وبث هوى يجلو أمانينا خضرا
وإن حل كل منهم بطن حجره	نضاحجب البهتان، وادرع الغدرا
وراح يجافي قومه متبجحاً	بماجاء من نكر، وتاه به فخرا[2]

ويهجوا العدناني قادتنا الذين يقابلون حمم المنايا بخطاب ركيك اللهجة :-

يرعى الحمام بني قومي هنا بلا	رفق، بجيش شديد البطش جرار
وبعض قادتنا الأوغاد عمدوا	إلى احتجاج ركيك النسج خوار
هناك فاجرة الدنيا، قد انفجرت	منها القنابل أمريكية الدار
وعندنا انفجرت في كل عاصمة	حناجر هددت بالفتك والثار[3]

---

[1] نفس المصدر، ص٤٥

[2] نفس المصدر، ص ٤٨

[3] نفس المصدر، ص ٧٥.

ويخص العدناني بالهجاء زعماء، بعينهم وذلك لبيان مدى خنقه عليهم، ومثال ذلك هجاءه لشمعون وسامى الصلح:–[1]

وشمعون لبنان المخنث، والذي يقال له سامي، وما كان ساميا[2]

وقد هجا شاعرنا أيضا الملك فيصل ملك العراق وولى عهده عبد الاله ورئيس وزارة نورى السعيد[3] غداة قيام الجمهورية العراقية:–

وبات فيصل عند الترك مؤتزراً بالخزي، لاتاجه باقٍ، ولا النشبُ
وقد ادعى ضلة أن الرسول لهُ جد، وليس الى طه له نسبُ
آل الرسول ذوو خلق، زوو أدبٍ والغر فيصل لا خلق ولا أدب
وخاله الوغد أمسى في الورى مثلاً على الخيانة تغرى قلبهُ النوب
فما دهى العرب من عار يحيق بهم وإلا كان لذاك الخال ينتسبُ
عبدُ الإله، وما عبدُ الإله سوى عبدٍ بحب الخنى خفاقه يجبُ
وراح نورى يشق الجيب من كمدٍ ويلطم الخد مغتاظاً وينتقبث[4]

ويذهب الحكم الملكي من العراق ويأتي حكم عبد الكريم قاسم الذي يقف منه شاعرنا أيضا موقفا هجائيا، رغم أن حكمه كان حكما وطنيا خلافا للحكم الملكي، وعلى ما يبدو أن موقف العدناني هذا نابع من موقف الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان معاديا لعبد الكريم والذي أطلق عليه أسم "آثم"[5] فالعدناني أخذ نفس الاسم في هجاءه وقال:–

وفي بغداد آثمها تجني على الشعب الأبي، فقلت: جنا
....
فما عبد الكريم بيعربيٌّ فلسنا نحن منه، وليس منا[6]

---

[1] وهما كميل شمعون رئيس لبنان سابقا، وسامي الصلح رئيس وزارئه – أنظر نفس المصدر، ص٩٤

[2] نفس المصدر، نفس الصفحة

[3] هو الملك فيصل ملك العراق وعبد اللاله ولى عهده ونورى السعيد رئيس وزراه. وظن العدناني عندما نظم هذه القصيدة أنهم موجودن في تركيا لحضور مؤتمر حلف بغداد الذي كان سيعقد في صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ – أنظر، نفس المصدر، ص ٧٨.

[4] نفس المصدر، ص ٧٨ – ٧٩.

[5] أنظر، نفس المصدر ١٤١

[6] أنظر، نفس المصدر، ص ١٤١، ١٤٢.

وهجاء العدناني الحبيب بورقيبه هجاء عنيفا، فقال:-

ضـــج الأنـــام مـــن الحبيـــب   عبـــــد الصـــــهاينة المريـــــبِ
بـــــاع الضـــــمير وقومـــــهُ   بالمـــال يكـــدس وفـــي الجيـــوب
وأزاح عـــــن قـــــذر المحيـــا (م) برقـــــع الخجـــــل الكـــــذوب
فبـــــدا محيـــــاه الصـــــغيق (م) كوجـــــه قـــــردٍ ذي شـــــحوب[1]

ويقدم العدناني اعتذاره للقرد لما شعر أنه قد أساء اليه عندما شبه بورقيبه به، فالقرد لم يخن جنسه لا من قريب ولا من بعيد في حين أن بورقية خان جنسه وكأنه من نسل الذئاب، فقال:-

يـــــاقرد! عفـــــوك إننـــــي   أغرقـــت نفســـي فـــي الـــذنوب
لمـــــا جعلتـــــك شـــــبه ذا   ك الأحمـــق الوغـــد الصـــخوب
مـــــا خنـــــت يومـــــاً قـــــط (م) جنســـك مـــن بعيـــد أو قريـــب
وأبـــــو رقيـــــة خاننـــــا   وكأنـــــه مـــــن نســـــل ذيـــــب[2]

ورأى شاعرنا أعمال عباس فاضل المهداوي رئيس المحكمة العسكرية ببغداد الذي حاكم الأشراف من بني قومه ظلما وجورا، فقال:-

فتـــى التهـــريج، مهـــد اوي عهـــدٍ   حكـــت جناتـــه جـــدب الفيـــافي
لـــهُ "ســـرك" يحـــاكم فيـــه رهـــط   عـــــروبتهم تـــــدثر بالشـــــفاف
وصـــوت بـــز نعـــب البـــوم لـــيلاً   وقـــد ســـلب القـــوادم والخـــوافي
يقـــول الشـــعر مخـــتلاً ركيكـــاً   فـــلا وزن هنـــاك، ولاقـــوافي[3]

[1] محمد العدناني، ديوان الوثوب، ص ١٩٨ - ١٩٩
[2] نفس المصدر، ص ١٩٩ - ٢٠٠
[3] محمد العدناني: ديوان العروبة، ص ١٤٣ - ١٤٤

ولم ينج رؤساء جامعة الدول العربية من هجاء العدناني فقد هجا عبد الرحمن عزام أمين سر الجامعة العربية فقال:-

ويـــك عـــزامُ! لا أرى فيـــك إلاّ　　عنقـــاً كـــالبعير جـــدَّ مديـــدِ
وعليـــه -لا كـــان- رأس صـــغيرٌ　　قـــائم فـــوق هيكـــلٍ مـــن جحـــودِ
....
قـــد رمانـــا بـــه البريطـــان تمثـــالاً　　مـــن الـــنحس راســـغاً فـــي القيـــود
نصـــبوه والـــرأس أجـــوف فيـــه　　تصـــفر الـــريح صـــفرها فـــي البيـــد[1]

وفي هجاء عبد الخالق حسونه الذي تولى رئاسة الجامعة بعد عزام:-

حســـونة، نفـــر الحســـون مقولـــهُ　　أنـــي يجـــود بـــوم نـــاعق نغمـــا؟
....
قلنـــا: المخـــدر عـــزام مضـــى فـــإذا　　وجـــه المخـــدر عبـــد الخـــالق اقتحمـــا
يتـه- ماعـاش- فـي غيبوبـة حفلـت　　بمـــا يجـــئ بـــه الكـــابوس محتـــدما
لم يسمع النوح، لكن ليس ذا صممٍ　　ولـم يـر الضـيم، لكـن لـيس فيـه عمـى[2]

وهجاء العدناني حلف بغداد الذي قام بين الأردن والعراق الذي كان مناهضا لحلف مصر وسوريا، فقال موجها الخطاب الى جمال:-

لا تـرع يـا جمـالُ مـن أي حلـفٍ　　لا يجيـــد الـــذباب غيـــر الطنـــين
عصـبة بـل عصـابة مـن ملـوكٍ　　ورجـــال، عقـــولهم فـــي البطـــون
مخضـوا، والجهـيض دولـة زيـفٍ　　لفقـــت فـــي دجـــى الخطـــوبِ الجـــون
ولـــدت ميتـــة، فهـــاجوا ومـــاجوا　　بالأهـــازيج فـــوق قبـــر الـــدفين
ونيويـــورك أمهـــا وأبوهـــا　　والرعايـــا مـــا بـــين وغـــدٍ ودون[3]

---

[1] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١٦٣.
[2] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص ٧٢ – ٧٣.
[3] نفس المصدر، ص ٢١.

ويقدم شاعرنا مواصفات الزعيم الذي يرجوه، وهو الذي لا يعرف الاحتيال على الرعية، وهو الغادي رعيته بالروح، والباني معاقله بساعد الجد، والساهر الليل ليرعى أمته، والباسط الكف حتى لا يجوع شعبه، واللابس الحلم فضفاضا، والمالك اللب في الخطوب والحازم في تصريف الأمور، والمقدم روحه لشعبه وأمته:-

ليس الزعيم هو المختال في بردٍ ... من الدمقس، وفي تاج من الذهب
إن الزعيم هو الفادي رعيته ... بالروح، لا بالبيان الفذ، والخطب
إن الزعيم هو الباني معاقلهُ ... بساعد ليس يشكو وطأة النصب
والساهر الليل، يرعى فيه أمتهُ ... وليس يقعد عن سعي، وعن دأب
والباسط الكف، حتى لا يجوع فتى ... وإن طوى ليله في قبضة السغب
واللابس الحلم فضفاضاً، تخر لهُ ... شم الجباه خشوعاً مسبل الهدب
والمالك اللب، إن خطب هي وطمى ... فليس يفرق في بحر من الريب
يصرف الأمر في حزم، وفي ثقة ... بالنفس، حلت عن الاذعان للنوب
لشعبه روحه وقف، ونهته ... في اقتلاع أساه منتهى الأرب[1]

وبعد أن هجا العدناني ذوى السلطان من العرب وجه هجاءه الى فرنسا ورئيس وزرائها:-

أغى موليه، جزار الجزائر ... دع التهويل، وأصمد للقساور
بحق فرنسةٍ، بلد المخازي ... وكل معربدٍ فيها مقامرْ
وكل مدينة فيها تباهي ... بوفرة ما لديها من فواجر
وما تجلوه من حمر الليالي ... لكل فتى بسمعته يغامر
وما جادت به الحانات مما ... يزلزل كل أركان البصائر
....
دع التهويل، واحتمل البلاديا ... يؤجج نارها لك عبد ناصر[2]

[1] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٤٧ – ١٤٩.
[2] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ص ٣٤ – ٣٥.

وبعد هذا المشوار الهجائي الذي قدمه العدناني دعى ربه بأن يغفر له مالوث به شعره من التشائم:–

ربـــي أغفـــر لشـــاعر ولشـــعرٍ بـــــت أروي حروفـــــه بالشـــــتائمْ
كلمـــا لـــوث أمـــروٌ بالمخـــاري ســـمعة العـــرب، وانتهـــاكِ المحـــارمْ
ثـــار شـــعري عليـــهِ ثـــورة ليـــثٍ مُرعِـــدٍ فـــوق طرسِـــهِ، غيـــرِ راحـــمْ
جـــارفٍ فـــي أندفاعـــهِ كُـــلَّ وَغْـــدٍ دُونَ أنْ تَكْـــبَحَ الجِمْـــاحَ الشَّـــكائم[1]

ثانيا: المضمون الوطني:

وهو المضمون الذي عبر فيه شاعرنا عن أحاسيسه ومشاعره تجاه بني وطنه فلسطين من خلال أعماله الشعرية التي ضمنها مشاركته إياهم في كثير من الأحداث المفرحة والمؤلمة حتى غدا "أثر مأساة فلسطين الدامية بارزة في دواوينه"[2]. وقد احتوى هذا المضمون على القضايا الآتية:–

١. المشاركة في الآلام:

شارك العدناني أبناء وطنه في آلامهم وأحزانهم، ففي حادثة فندق الملك داود التي أسماها الشاعر "الجريمة الحمراء" قال: "نسفت فئة مجرمة من اليهود صباح الاثنين الواقع في ٢٢ تموز ١٩٤٦، الجناح الأيمن الضخم من فندق الملك داوود في القدس – وهو قلب حكومة فلسطين النابض، فقضى على معظم رؤساء الدوائر من الانجليز، وعلى عدد كبير من الموظفين العرب ذكوراً وإناثا"[3] فقال الشاعر في تأبينهم:–

إلبســـي الأســـود ياقـــدس حِـــدادا وابعثيهـــا أنـــه تشـــجى الجمـــادا

....

ذات قلبـــي حســـرات عنـــدما عاشـــت الـــذؤبانُ فـــي القـــدس فســـادا
كـــم صـــغير يتمـــت بـــل كـــم أبٍ تحـــت ردمٍ فـــي حشـــاه الرعـــب ســـادا
نـــادتِ الأقـــدار كـــي تنقـــذها أيـــن يـــاقلبي تـــرى كـــان المنـــادي[4] ؟

---

[1] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١١٣ – ١١٤.
[2] كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ١١٧.
[3] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٥٨.
[4] نفس المصدر، ص ص٥٨ – ٥٩.

وفي آخر القصيدة قدم العدناني عزاءه، لآل الضحايا داعيا إياهم للتحلي بالصبر الذي سيأتي بعده قنص الثأر الذي يشفي الفؤاد، فقال:

إيـــهِ يـــا آل الضَّـــحايا – وأنـــا مـــنكُم – مـــا ريـــمَ حُـــزنٌ وأفـــادا
حســـبنا الـــرحمن فليفعـــل بنـــا وبأعــــــداءِ البرايــــــا مــــــا أرادا
واصـــبروا، فـــالله خيـــرٌ مـــاكراً ســـيريهم كيـــف ســـامَ الهلـــك عـــادا
لا أُســـلِّيكم عـــن الخطـــب الـــذي حـــاق بـــالعُرب، وقلـــبَ القـــدس آدا
إنمـــا ســـلوى الـــورى رهـــن بمـــا يقـــنص الثـــأر الـــذي يشـــفي الفـــؤادا
وغـــــد لا بُـــــدّآتٍ، والمُنـــــى فـــي الغـــد الميمـــون يسلســـن القيـــادا[1]

يظهر من خلال هذه الأبيات انفعال العدناني بالحادث وصدق عاطفته الجياشة التي جعلت قلبه يذوب حسرات على ما فعله اليهود في القدس، فبكى حال الصغير في يتمة، وحال الأب في فقده، والكعاب التي نادت الأقدار لتنغذها ولكن لا مُجيب، وأخيرا يُقدم العدناني العزاء لنفسه لأنه من آل الضحايا الذين عَظُمَ مصابُهم وجَلّ خطبُهم بهذه الحادثة.

وشارك العدناني آلام شعبه حيث أصيب صديق الشاعر "المجاهد الأستاذ صالح الريماوي برصاص اليهود من مستعمرة نيفي يعقوب بين القدس ورام الله، بينما كان يحمل في سيارته العتاد إلى العرب المجاهدين في الحرب التي وقعت بيننا وبين اليهود في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧"[2] فأرسل إليه العدناني في المستشفى الفرنسي بقصيدة مواساة في حين كان العدناني في مستشفى المكسوبية يحيط الجبس بمعظم جسمه، فقال فيها:–

ياصــــــاحب القلــــــب الكبيـــــر وفتـــــــى القـــــــوافي والشـــــــعور
وخلاصــــــة النبــــــل العريــــــق وصـــــــــفوة العـــــــزم الخطيـــــــر
ورقيــــــق أنفــــــاس النســــــيم وبســــــــمة الصـــــــبح المنيـــــــر
وشـــــجى ألحــــــانِ الهــــــزار تـــــذيع فـــــي الـــــروض النضـــــير
وهــــــزيم رعــــــد الحــــــق إن ثـــــــارت بـــــــراكين الشـــــــرور
تمشـــي إلـــى الحتـــف المـــروع مشـــــــية الليـــــــث الهمـــــــور
فتـــــدك أبراجــــــاً مشــــــت تيهـــــاً علـــــى هـــــام العصـــــور
فيبيـــدُ خصـــمُك ذاهـــلاً مـــن ضـــربة النـــدب الجســـور
وتحـــول شـــاهقة الحُصـــونِ – متـــى نســـفت – إلـــى قُبـــور[3]

---

[1] نفس المصدر، ص٦٤.
[2] نفس المصدر، ص٨٠.
[3] نفس المصدر، ص ٨٠ – ٨١.

العقل والثقافة وسعة الاطلاع أكثر مما يصدر عن "انفعال" النفس واتقاد الحس وتأجج العاطفة"[1]

واذا كان رثاء العدناني "تقليديا كأي رثاء يقال في أي زمان وأي مكان"[2] كباقي معظم شعراء فلسطين في زمنه فانه مع ذلك قدم رثاء صادقا عبر فيه عن حرقته وألمه على فقدان الشهيد عبد القادر الحسيني:-

سبق الدّمعُ خاطري فتهَاوَى   فوقَ خدّي قانياً والجيِدِ
وغَلى مِرْجَلُ الأسى في فؤادي   فتشظى دمعاً مريع الوقود
ورأيت الأنفاس رياًّ من الحزن   عليها غلالة المفؤود
وأنيني طغى على مأتم القلب   جريحاً فيا لقلبي العميد
والأماني كفنتها بشفافي   ثم أودعتها بطون اللحودِ[3]

لقد سيطر الأسى على مشاعر العدناني، فدموعه سبقت خاطره فتهاوت فوق خده قانية، وغلى مرجل الأسى في فؤاده وأنفاسه ريا من الحزن، وأنينه طغى على مأتم القلب، والأماني كفنها بشغافة ثم أودى بها بطوق اللحود. ووسط هذا الجو الحزين الذي عاشه العدناني من جراء فقدان مجاهد عزيز على قلبه تخيل العدناني أن روح الشهيد تهتف به لكي لا يُذيل الدمع فوق الخدود ولكي تخبره أن فقيده وفقيد أبناء وطنه مع صلاح وخالد في الجنان فقال:-

وإذا بي يصافح السمع صوت   بين صحوينتا بني ورقودِ
تلك روح الشهيد تهتف بي أن   لا أذيل الدموع فوق الخدودِ
ثم قالت، والطيب ينفح منها: إن يومي ليوم عرس الشهيد
رحبت بي الفردوس، والحور فيها   كندي الفجر فوق خد الورودِ
وأظلت رحى الجهاد فتاكم   سدرة المنتهى بظل مديد

[1] ناصر الدين الأسد: محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن (القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العالية، مطبعة لجنة لبنان العربي ١٩٨٠ – ١٩٦١) ص ٢٦٩.

[2] عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني، ص٢٢٨.

[3] ولد عبد القادر الحسيني ١٩٠٧ وكان والده مجاهدا معروفا وقائدا للحركة الوطنية إلى أن استشهد على أثر إصابة خطيرة في إحدى المظاهرات الوطنية، فحمل المسئولية الجهادية من بعده ولده عبد القادر الذي تخرج من الجامعة الأمريكية فسم العلوم السياسية، وعمل بعدها في مدينة القدس، وشارك في كثير من الأعمال الجهادية وخاصة صورة ١٩٣٦ حيث كان يرأس قيادة التنظيم السري للثورة وقائد قوات الجيش المقدس، واشترك في حركة ا لخضر حيث كان نائبا للقائد المجاهد السوري سعيد العاصي ، ودخل عبد القادر العديد من المعارك وأصيب بإصابات خطيرة كتب له فيها الشفاء ، وقبل معركته الأخيرة جاب البلاد العربية ليجمع المال والسلاح ليخوض مع رجاله أخر معركة له وهي معركة القسطل الشهيرة في إبريل ١٩٤٨حيث استطاع أن يحررها بعد سلسلة من المعارك إلي أن استشهد أثر هجوم من العصابات الصهيونية ،وقد شيع جثمانه بحشود شعبية عارمة .
انظر، عيسي خليل : فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر حسين ،ط١ (عمان دار الحيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، ١٩٨٦) ص ص١٣٥-,١٤٨.

[4] محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص٨٣-٨٤.

تتنـــاغى الأطيـــار فـــوق ذراهـــا بأغـــــــان شـــــــجية التغريـــــــد
وأنـــا بــين صـــاحبي صــلاح الــدين والعضـــــب خالـــــد بـــــن الوليـــــد
نتســـاقى مـــن الفخـــر كؤوســـاً عصـــرت خمرهـــا أكـــف الخلـــودِ
وعلـــى هامنـــا أكاليـــل غـــارٍ ضـــفرتها أيـــدي الحســـانِ الغيـــدِ[1]

هكذا يمضـي العدناني في هذه القصيدة الجميلـة الصـادقة العاطفـة مصـورا عظـم المصاب بفقدان الشهيد، ومصورا حالـه فـي جنـان الخلـود والفردوس وهـي ترحـب بـه، والحـور مـن حولـه كَنَديَ الفجر فوق خدِّ الورود، وظـل سـدرة المنتهى فوق الشـهيد، وتنـاغى أطيـار الجنـان بأغان شجية التغريد، وصحبته لصلاح وخالد وتساقيهم كؤوس الفخار التي عَصَرتْ من أكف الخلود، وعلى هامهم أكاليل الغار ضَفَرَتها يد الحسان الغيد، وهذه هي حياة الشهيد التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون".[2] ويقدم العدناني عزاءه لزوي الفقيد، ويبدو في ذلك محتارا أيقدمه لأمين الحسين [3] المناضل الذى دوخ خصومه بعزيمته، أم لزوجه التي لا تبارى في الوفاء بين الأنام، أم لنفسه وقد طاش لبه مثل سامي وفريد شقيقا الشـهيد ، ولكنـه والنهايـة يقدم العزاء لأمتـه لأنهم جميعـا سـواء فـي الـرزء والمصاب :-

إن مـوت المغـوار أشـكل روحـي وتـــولي بصـــبري المعهـــود
لســت أدري بفقــده مــن أعــزي أمينـــا رمـــز النضـــال المبيـــد
ذلــك الأروع الــذي دوخ الخصــم بعـــــزم كراســـيات وطيـــــد
صـــرع الـــدهر فاســتكان ذلــيلا ورأينـــــاه عنـــــده كالعبيـــــد
أم أعـزي الـزوج التــي لا تجـاري فــي الوفــاء بــين الأنــام فريــد
أم أعـزي نفسـي وقـد طـاش لبـي مثـــل ســـامي ومثـــل فريـــد
نحـن فــي رزئنــا الجسـيم سـواء فعـــزاء يـــا أمتـــي بالشـــهيد[1]

---

[1] نفس المصدر، ص ٨٤.
[2] سورة آل عمران، آية رقم (١٦٩)، أية رقم (١٦٩) .
٣ ولد الحاج أمين الحسين في القدس عام ١٨٩٧ وتلقي علومه الأولية فيها ، واهتم بالدراسة الدينية وأجاد اللغة الفرنسية والتركية ودرس في العديد من الجامعات المصرية، الا انه لم يتم دراسته وذهب إلي الأستانة فتخرج منها ضابطا عسكريا ، وعين بعدها مغتيا أكبر لفلسطين ، وتوفي في لبنان عام ١٩٧٤- أنظر أحمد مرعشلي ، عبد الهادي هاشم ، أنيس صايغ :الموسوعة الفلسطينية ،ط١(دمشق، اصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ١٩٨٤) م٤
ص ص١٣٨-١٤٢ فأنظر ، بيان نويهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧- ١٩٤٨ ،ط١(مطابع دار الكرمل الحديثة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (١٩٨)ص ص٢٠١-٢١٧ .

لقد كان حديث شاعرنا هذا عن شهيد القسطل شديدا علي أعدائه، فقد سري هذا ((الحديث عن القسطل مسري النار في الهشيم أحرقتهم ، وكوتهم نارها))[2] من أجل ذلك قابلوا العدناني بالطرد والسجن والنفي علي مواقفه هذه .

٢-شكوى وألم :-

شكى العدناني من الماسي العظام وتألم من النكبات الجسام التي مر بها أبناء وطنه ، ففي الذكري العاشرة لنكبة فلسطين نظر العدناني إلي أبناء وطنه فلم ير منهم إلا المشرد واللاجئ دون مأوي ودون رعاية ، وقد لاقوا في هذه الأعوام العشرة الشئ الكثير ، فقال معبرا من هذه الالام :-

سلخنا من الاعوام في البؤس عشرة	نناجي بها الربع الذي بات خاليا
نناجي فلسطين التي من جنانها	خرجنا لنروي للزمان الماسيا
كتبنا بدمع القلب تاريخ نكبة	دهتنا، قوافي في الخطب اربد عاتبا
رقمنا اسانا اهة بعد ، أهة	فجاء بها سفر المصائب قانيا
إذا الوحي وافانا يجر ذيوله	غصصنا ، فلم نكتبه إلا مراثيا [1]

يظهر استعمال العدناني العبارات ((والألفاظ المغممة بالحزن والأسي عند نظمه في النكبة وظروفها))[2] فهو من خلال هذه الألفاظ عبر عن تلك النكبة التي مر عليها عشر سنوات من [1]التشرد ناجوا خلالها جنان فلسطين التي خرجوا منها ليروا مأسي الزمان وليكتبوا بدموع القلب تاريخ نكبتهم ، ويرقموا أسهم أهة بعد أهة حتي جاء سفر مصائبهم قانيا لا يكتب فيه الا المراثي . ويعرض الشاعر لما لحق البيوت من جراء النكبة من دموع حسرة الألم :-

ففي كل بيت ادمع مهراقة	نخط بها فوق الطروس القوافيا
تفاعيلها الامنا ، وعروضها	أنين يتيم راود النوم طاويا
وفي كل كوخ حسرة ، وتنهد	ولا تسمع الأصباح إلا النواعيا

[1] محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص٨٨-٨٩ .
[2] أحمد سليمان الأحمد : الشعر العربي والقضية الفلسطينية من النكبة الي النكبة (دمشق دار دمشق للطباعة والنشر ، دون تاريخ) ص٣٤ .

ويصور شاعرنا أيضا حال الفلسطينين المشردين وهم يبحثون عن كوخ وعن خيمة فلا يجدون، فيضم حطامهم حوف الكهوف في حمي واجازة الوحوش التي كانت تسمي ضواريا ، تغني لهم الخفافيش في الدجي ويطربهم الذئب المعسعس عاويا، وان أبت الجبال عليهم هذه السكني وهذا الجوار اتخذوا البيداء بيتا وناديا يسامرون في ليلها النجوم وذكري ما دهاهم انفا، وان جاءت سنة الكري يكون الثري النابي مهدا ، والأذرع وسادا ، والأفق دثارا والكابوس حلما مفجعا :-

وإن لم نجد كوخا ، ولم نلق خيمة   تضم حطاما للمشرد ، باليا
زحفنا إلي جوف الكهوف تجيرنا   وحوش ، وإن كانت تسمي ضواريا
تغني لنا فيها الخفافيش في   الدجي ويطربنا الذئب المعسعس عاويا
وإن لفظتنا في الجبال مغاور   تخذنا لنا البيداء بيتا وناديا
نسامر – ان حل الظلام – ونجومها   ونحيي بذكري ما دهانا اللياليا
وإن أخذتنا موهنا سنة الكري   رضينا الثري مهدا ، وإن كان نابيا
وأذرعنا تحت الرؤوس وسائد   لنا، والدثار الأفق وسنان ساجيا
وليس سوي الكابوس حلم مروع   فواجعه تذكي الأسي الجهم عاديا[١]

من الملاحظ أن صورة المشرد هذه التي ظهرت عند العدناني ظهرت عند العدناني ظهرت أيضا عند " الشعراء الفلسطينين المهاجرين ، الذين عاشوا النكبة ولمسوا حياة المخيمات ، امتزجت صورته بالخيمة البالية ، والبؤس والشقاء ، والفقر والاضطهاد .. وغير ذلك ، وكانت تمتاز بالضعف المتسم بالذل والسكينة أحيانا وبالقوة الخارقة الممتزجة بالاصرار والعنف علي الأخذ بالثأر أحيانا أخري "[١٢]

ويري العدناني فعل الرؤساء والملوك العرب الذين ما سامونا إلا بخسا وتنكيلا وما زادوا قضيتنا إلا تعقيدا ، فقال العدناني باثا شكواه وألمه في إن يري قادة همهم ألا يخيب لشعبهم أمل ، وألا يدعوا علي عيون شعوبهم من الخطب دمعا ، وإذا غضبت شعوبهم رضوا ، وإذا قطعوهم وصلوا

---

[١] نفس المصدر ، ص ص ٩١ – ٩٢ .
واصف أبو الشباب : صورة الفلسطيني في الشعر المعاصر، ص٧٤ .

، وإذا خذلوهم في أزمة نصروا ، وإذا ظلموهم في حكمهم عدلوا ، وإذا كسروهم في نكبة جبروا ، وإذا حبسوا عنهم العطايا بذلوا ، وان وضعوا الرواسي فوق كاهلهم وهو يئنون من أعبائهم حملوا ، وان شرب شعبهم الدواهي حنظلا شربوا ، وان أكلوا الرزايا علقما أكلوا ، وأن رحل شعبهم عن الأوطان رغم أنوفهم ما رحلوا ، واثروا الرمس ضنكا في مواطنهم :-

مـن ولـي بقـادة شـعب كـل همهـم	ألا يخيـــب لنــــافي دأبنــــا أمــــل
إذا بكينــا لخطـــب نـــازل حزنـــوا	وكفكفـــوا أدمعـــا كالســـيل تنهمـــل
وإن غضـبنا علـيهم أجمعـين رضـوا	وإن قطعنـــاهم دون الـــورى وصـــلوا
وإن خـــذلناهم فـــي أزمـــة نصـــروا	وإن ظلمنـــاهم فـــي حكمنـــا عـــدلوا
وأن كســـرنهم فـــي نكبـــة جبـــروا	وإن حبســـنا العطايـــا عـــنهم بـــذلوا
وإن وضـعنا الرواسـي فـوق كـاهلهم	وهــم يئنــون مــن أعبــائهم ، حملــوا
وإن شـربنا الـدواهي حـنظلا شـربوا	وإن أكلنـــا الرزايـــا علقمـــا أكلـــوا
وإن غفـت عيننـا مـن واجـب سـهروا	وإن نكلنـــا عـــن الإقـــدام مـــا نكلـــوا
وإن رحلنـــا عـــن الأوطـــان مرغمـــة	أنوفنـا فـي الـوغى الهوجـاء مـا رجلـوا
واثـروا الـرمس ضـنكا فـي مـواطنهم	علـي عـروش لهـا، وإن هـاجروا دول[1]

٣ -النشيد والتغني :-

أكثر العدناني من استعمال النشيد خلال دواوينه ، لما لها من وقع جميل ترتاح له النفس ويسمو به الذوق وتلذ به الآذن، إلي جانب شعبيتها التي تضمن لها الانتشار والبقاء في أذهان الناس مدة طويلة. هذا ويعتبر التغني بالأناشيد من قبيل التفنن في عصرنا الحديث، وكان لهذا التغنن جذوره في العصور السابقة، فمن المعروف أن الشعر العربي كانت نشأته غنائية، وكان مهتما بتصوير شخصية الشاعر، وأهواءه، وميوله، وجوانب حياته الوجدانية والنفسية المتعلقة به"غير أنا نلاحظ أن هذا الشعر العربي الغنائي في نشأته وخصائصه أخذت [1]
تستقل منه فنون منذ أواخر العصر الجاهلي وتتطور تطورا منفصلا"(١) ولم تعد تصور هذه الفنون المستقلة شخصية الشاعر وأحاسيسه وخواطره، كما لم تعد تقوم علي أسس غنائية كما كانت سابقا.

[1] محمد العدناني: ديوان اللهيب ، ص ١٣٢-١٣٤.

وقد عرف شوقي ضيف هذا النوع بالشعر التقليدي وعني به الشعر" الذي يتخذ حرفه للتكسب به والذي كان يجمع له الشعراء من أسباب الإجادة الفنية ما جعل الشعر العربي يتطور إلي مذاهبه الخاصة وهو نماذج المديح وما يتصل بها"[٢] أما الذي أطلق عليه شوقي ضيف الشعر الغنائي هو"كل المقطوعات القصيرة التي كانت تصاحب الغناء منذ العصر الاسلامي بل العصر الجاهلي الي العصر الحديث. وكانت هذه المقطوعات تشيع في الحجاز أثناء العصر الاسلامي، وكانت تتخصص بها طائفة من الشعراء علي رأسها عمر بن أبي ربيعة والأحوص وأمثالهما ممن كانوا يقدمون تلك المقطوعات للمغنين والمغنيات أمثال معبد ومالك وابن سريج وابن محرز وجميلة وسلامة."[٣] وكانت هذه المقطوعات عادة لا تزيد عن عشرة أبيات، ومتخذة من الأوزان الخفيفة من ومجزوءات البحور ومشطورها أثوابا لها، وكان الشعراء يعبرون من خلالها عن أحاسيسهم ومشاعرهم، ثم انتقلت هذه المقطوعات إلي [١]الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ثم إلي سائر البلدان الإسلامية، وتعلق المغنون بها لأنهم وحدوا فيها مبتغاهم إلي أن ظهرت الموشحات الأندلسية وانتشرت في أنحاء العالم الإسلامي.

وفي عصرنا الحديث ظهرت الأناشيد التي شابهت في شكلها الموشحات والمسطات إلي حد كبير ،فتغني بها أصحابها بقضايا بلادهم وأقوامهم ، ويهمنا في هذا المجال أناشيد العدناني الوطنية التي تغني فيها بفلسطين ومدنها ومؤسساتها. ومثال ذلك أنشودة قدمها العدناني وأسماها "نشيد فلسطين " تغني فيها شاعرنا بتاريخ فلسطين ، وتربها الذهبي ، وجوها الساحر ، وخيرها الوافر كالبحر، وجعل إسعادها دين، وفتياتها حور ، ومجدها وافر ، فهي فتانة للقلب ، ومنية للعرب ، وهي منتهي حبه ، يقدم لها روحه مهرا ، وخيراتها كثر كالتين والزيتون ، واللوز والليمون والنرجس فقال:-

تاريخهـــا فخـــر	وتربهـــا تبـــر
وجوهـــا ســـحر	وخيرهـــا بحـــر
هـــذي فلســـطين	إســـعادها ديـــن
وحورهـــا عـــين	ومجـــدها وفـــر
فتانـــة القلـــب	ومنيـــة العـــرب
ومنتهـــي حبـــي	روحـــي لهـــا مهـــر
والتـــين والزيتـــون	واللـــوز والليمـــون
والنـــرجس المفتـــون	مـــن أرضـــها كثر(١)

[١] شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٨ (القاهرة، دار المعارف ،١٩٧٤)ص٣٨ .
نفس المرجع، نفس الصفحة
نفس المرجع ،ص٣٨ -٣٩

ويقدم العدناني أنشودة لمدينة القدس أسماها" نشيد القدس " بين فيه أنها ريحانة الشرق ، ومنية النفس ، وشعلة الحق، وهي أيضا مدينة [١]الظهر ، شرفها المختار والمسيح – عليهما الصلاة والسلام – فشعت الأنوار في أفقها الفسيحة وبها تاهت فلسطين علي الدنيا مفاخرة ، وحبها دين لأنها عاصمة العليا ، ومدينة الإسراء ، ومعبودة العرب ، وحاضنة الأقصى:-

مدينـــة القـــدس   ريحانـــة الشـــرق
ومنيـــة الـــنفس   وشـــعلة الحـــق
مدينـــة الطهـــر   والعـــز والمجـــد
والـــوحي والشـــعر   والأنـــس والرفـــد
شـــرفها المختـــار   والســـيد المســـيح
فشـــعت الأنـــوار   فـــي أفقهـــا الفسـيح
بهـــا فلســـطين   تاهـت علـى الـدنيا
فحبهـــا ديـــن   عاصـــمة العليـــا
مدينـــة الإســـراء   معبـــودة العـــرب
فـــداؤها الأبنـــاء   ومهجـــة القلـــب
حاضـنة الأقصـى   ومنحـــة الـــرزاق
هيهات أن يحصى   سـخاؤها الـدفاق (١)

وينظم العدناني نشيدا للشهيد أسماه "نشيد الشهيد " ليخلد ذكرى الشهداء ، وليحفز أبناء وظنه على الشهادة والدفاع عن الوطن بما يعلق في أذهانهم من خلال هذا النشيد من مكانة للشهيد ورفقة لروحه ، فالعدناني يغسله بدموعه ويدفنه في ضلوعه :-

غســـــلوه بـــــدموعي   وادفنـــوه فـــي ضـــلوعى
واذكـــروا أن هجـــوعي   فـــر مفجوعـــاً وهامـــا
عـــن جفـــوني
ومضـــت عـــين الصـــباح   تـــذرف الـــدمع ســـجاما
قـــد ذوى زهـــر الأقـــاح   فاكتوينـــا بـــالنواح
ومضـــت عـــين الصـــباح   تـــذرف الـــدمع ســـجاما
فـــي جنـــون

[١] نفس المصدر : ص ص ٦٥ – ٦٦ .

أصـــبح الجـــرح ثخينـــا   وهفـــا القلـــب حزينـــا
ياشـــهيداً كنـــت فنيـــا   مـــورداً يشـــفى الأوامـــا

كـــل حـــين

زهـــر الـــذكرى ســـيبقى   ناضـــراً بـــالجفن يســـقى
عـــاف فـــي دنيـــاه رقـــا   مـــابتغى المـــوت الزؤامـــا

فـــي فتـــون

إن مـــن مـــات شـــهيدا   نـــال فـــي الـــدنيا الخلـــودا
تاركـــاً فينـــا الخـــدودا   بالأســـى تـــذكوا اضـــطراما

كـــالأتون [1]

وجعل شاعرنا للكشاف نشيدا لما لفرقته من أهمية في تنشأة الشباب على الجهاد والحماس للوطن وبغض الأعداء ، فقال مصورا روض غرس الكشاف حب الوطن ، ومعينا لسواه في المحن :-

(القــــــــرار)

نحـــن أشـــبال الـــوطن   نحـــن للعـــرب فـــدى
مـــن عـــرين الـــدهر جئنـــا   نبتغـــى ســـحق العـــدى

(دور)

إنمـــا الكشـــاف روض   غرســـه حـــب الـــوطن
إنـــه خيـــر معـــين   لســـواه فـــي المحـــن
بغيـــة الكشـــاف   رائـــد الكشـــاف

صـــدق ، ووفـــاء [2]

٤- الأمل بالنصر :-

رغم المصائب التي مرت على فلسطين ، ورغم النسكات والهزائم المتلاحقة إلا أن شاعرنا العدناني بقى على أمله بالنصر وعلى عودة فلسطين إلى أهلها ، فبعد عشر سنوات من ضياعها بأمل بالعودة اليها والعيش في كنفها هو أهله آمنين مطمئنيين ، فيقول

جنينـــا مـــن الصـــبر المـــدمى الأمانيـــا   وباتـــت مراثـــى النـــادبين أغانيـــا
وأضـحت صـحارى اليـأس فـي الصـدر واحـةً   يـــزف علينـــا ظلهـــا اليـــوم حانيـــا
ويصـــدح فـــي أغصـــانها بلبـــل المنـــى   يشـــنف آذان الخمائـــل شـــاديا

(١) نفس المصدر ، ص ٢٤ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ٢٢ .

وولــت دجــى البأســاء مــن غيــر رجعــة   وأقبــل فجــر الفــأل جــذلان ضــاحيا
ولملـــــت الآمـــــال بعـــــد تشـــــتت   وأمــس بهــا غيــل العروبــة حاليــا
وعـــاد شـــريد المـــن للـــنفس بعـــدما   تســلل منهــا كاســف البــال باكيــا[١]

فالعدناني يجنى من الصبر المدمى الأماني ، وباتت عنده مراثي النادبين أغاني ، وأضحت صحارى اليأس عنده واحة خضراء يرف عليه وعلى أهل وطنه ظلها حانيا ، يصدح على أغصانها بلبل المنى الذي يشنف . آذان الخصائل وهو شادى ، وولى دجى البأس من غير رجعة ، وأقبل فجر الفأل جذلان ضاحيا ، ولملم شاعرنا الآمال بعد تشتت حتى أمسى بها غيل العروبة حاليا ، وعاد شرير الأمن للنفس بعدما تسلل منها كاسف البال باكيا .

ويمضى العدناني في تصويره للأمل حتى يراه قريبا ويرى مجده جهرة يخف إليه وهو يغزو المعانى ويضفر باكليل المنى الذي يتوج الرؤوس حتى تبدو فلسطين منه عروسا يزفها الرئيس جمال الغازى واصاحب العزم ليثأر بجيشه للشعب الآبى المشرد ، ويمحق المعتدين بمعركة ترى فيها إسرائيل الدواهي :-

هــانحن أصــبحنا نــرى المجــد جهــرة   يخــف الينــا اليــوم ، يغــزو المغانيــا
ويضـــفر إكليـــل المنـــى لرؤســـنا   فيشــرع فيــه الغــار ، يــروي المعاليــا
وتبـــدو فلســـطين عروســـا يزفهـــا   الينـــا جمـــال وارى العـــزم ، غازيـــا
بجــيش لـــه فـــي العـــالمين زمـــازم   يــدك قــلاع الغاصــب الوغــد طاغيــا
ويثـــأر للشـــعب الأبـــى مشـــرداً   بنــوه ، فــلا يبقــى لصــهيون باقيــا
ويمحـــق جنـــد المعتـــدين بمعـــرك   تــرى فيــه إســرائيل منــا الــدواها[٢]

ويشتد الأمل عند شاعرنا بعد أن رأى مجده جهرة ، فانه في هذه المرة يرى قدمه الفعلي في الغد ، ذلك الغد الذي سيبحث فيه أبناء فلسطين عن الجناة فلا يرى منهم من باعوا الضمائر ناعيا ، وفيا يسير أبناؤنا مع العرب جحفلا يدك إسرائيل زندا واحد ، فيقول :-

فغــداً ســنجتث الجنــاة ، فــلا نــرى   فينـــا لمـــن بـــاعوا الضـــمائر ناعيـــا
ونســـير بـــالعرب الضـــراغم جحفـــلاً   يهفـــو لـــــه علـــم يحلـــق عاليـــا
ونـــدك اســـرائيل زنـــداً واحـــداً   ووحيـــد صـــدر بالضـــغائن هافيـــا
وســـنزرع الأرض المقدســـة التـــي   ســلخت ، رماحــاً ثقفــت ، ومواضــيا

---

(١) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ، ص ٨٨ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

وقنـــابلاً تغضـــى إلـــى مهجـــاتهم وتبيـــد قطعـــان العـــداة حواديـــا
تشـدو شـظاياها لهـم نغـم الـردى فيبيـــت كـــل فتـــى شـــجاع فانيـــا
ويزغـــرد الصـــاروخ فـــي أرجـــائهم حتـــى يســـوقهم الحمـــام مواشـــيا
ويـــروا لهيـــب جهـــنم مترقصـــاً فـــيظن فيهـــا المـــاجنون ملاهيـــا [1]

ويظهر تفاؤل العدناني وأمله في أبحاثه اللغوية ، ففي معجمه "الأخطاء الشائعة" قال تعليقا على كلمة صهيون " وقد تفاءلت حين وجدت حركة أول حرف من كلمة "صهيون" الكسر وأوثر أن أجمعها جمع تكسير ، فأقول " صهاينة " بدلا من "صهيونيين " ن وذلك الجمع الذي ارتاه صاحب متن اللغة ، لأنهم لا يستحقون أن يجمعوا جمع سلامة . وأرجو أن نكسرهم في معركتنا المقبلة معهم كما كسر أولهم "الصاد" ، وكسر جمعهم ، سيتحقق ذلك بأذن الله ، لأن حاستى السادسة ما عودتنى أن تكذبني . " [2]

إن الناظر إلى الأبيات السابقة يلحظ أن العدناني في مشاعره الت يحلم من خلالها بالنصر كان متأثرا بالمرحلة التي عاشها ، والتي تميزت بفترة عدم التصديق بضياع فلسطين وتهويدها . ففي الوقت الذي كان فيه اليهود يحتلون الأراضى ويقتلون ويذبحون والعرب في المقابل في تراجع مستمر ، كان الشعراء من ضمنهم شاعرنا العدناني يتغنون بشعر البطولة والغداء والنصر وأن اليهود عما قريب سوف يلقون في البحر اللحيتان ، ويذوقون لهيب جهنم ويساقون إلى الذبح مواشيا ، إلى غير ذلك من الأساليب الحماسية ، وقد أطلق غسان كنفاني على هذه المرحلة "عدم التصديق" وقد إنتهت نهاية مريرة حين صار الواقع أكبر حجما من أن يغطى بالتجاهل " [3] ، وهذا ما حدث عند العدناني ففي فترة كان أمله بالنصر كبيرا وبالوحدة عظيما وبتحطيم اليهود وسحقهم واقعا ، إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث ، فبدأت عنده فترة الكفر بالعرب واللوم والعتاب وشن الهجوم عليهم "وحدث الشئ ذاته مع حفظ الفروق التي تفرضها الظروف بين الأدباء العرب في الأراى المحتلة : لقد انتهت وصلة عدم التصديق التي فشل الغزل في تغطية ضخامتها ، ووجد الشعراء العرب أنفسهم – على وجه الخصوص – يواجهون مابات يصطلح على تسميته الآن بـ "القضية " . [4]

لقد أدت هذه المرحلة إلى تصوير الفلسطيني من قبل الشعراء بأنه "ليس كالثارين العاديين ، الذين ينطقون من منطلق عادل له مميزات معينة ، كسلب الحق والوطن ، ثم الاسترسال في

---

(١) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ١٧٨ – ١٨٠ .
(٢) محمد العدناني : معجم الأخطاء الشائعة ، ط ٢ (بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٣) ص ١٤٥ .
(٣) غسان كنفاني : أدب المقاومة في فلسطين المحتلة – ١٩٤٨-١٩٦٦ ، ط ١ (بيروت مؤسسة الأبحاث العربية ، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ، ١٩٨٢، سلسلة أعمال غسان كنعاني (١٤) دون تاريخ) ص٣٠ .
(٤) نفس المرجع ، نفس الصفحة (١).

الضغط والإرهاب والإمعان فيه ، وإنما الفلسطيني بطل أسطوري يقوم بالمعجزات أمام عدو ضعيف حبان " . [1] وقد ساعد على هذه النبرة الحماسية ظهور فكرة القومية العربية التي كانت في أوج انطلاقها ، وظهور شخصية جمال عبد الناصر زعيم هذه الفكرة ، والذي حاول توحيد الدول العربية على أساسها ، فأنجز المشروع الوحدوي المصري السوري ، إلى جانب تميزه بلسان خطابي بليغ ملك قلوب الأمة العربية آن ذلك بخطاباته التي كان يصور فيها أن إسرائيل ستلتهمها جيوش العربي وتُلْقى بها في البحر في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تُحْكِمُ قبضتها على فلسطين ، وتضم المشاريع التوسعية لإقامة دولتها المزعومة التي تمتد من النيل إلى الفرات .

كل ذلك أثر على العدناني فعاش في مرحلة عدم التصديق التي عبر عنها أصدق تعبير إلى أن تبين له حجم القضية وحجم عدوه فاستكان وبدأ في بث شكواه وألمه بضياع فلسطين الذي أصبح واقعا حقيقيا جسيما على أمته أن تَعُدّ له العدة وتحسب هل ألف حساب .

٥- الهجاء :-

هجاء شاعرنا اليهود هجائا شديدا عبّر خلاله عمّا يكنّه في قلبه من حقد دفين عليهم لما قوموا به من تشتيت وتشريد له ولأهل وطنه ، فقال عن خبثهم ولؤمهم وضررهم :-

إنّ اليهودَ والطفيلياتِ همْ أبناءُ عَمْ
عـــن سُـــحتِهم وخُبـــثهمْ   سَـــلوا الزَّمـــانَ مـــارقَمْ
ماقَـــدَّموا إلـــى الـــورَى   يومـــاً ســـوى هـــمَّ غـــمْ
وكالوا لنا الضَرّاءَ يَماً إثْرَ يَمَّ، إثْرَ يَمْ
وطِفلُهم الوُجُودِ سُطِّرَ اللؤمُ   المَقيِـــتُ وارتَسَـــمْ [2]

وأما عن بخلهم وحبهم للمال قال شاعرنا :-

ومـــا واحِـــدٌ مِعْدِتُـــهُ   منهم شكتْ من التَّخَمْ
هـــم قُنَّـــع تكفـــيهمَ   في يومهم خمسُ لُقَمْ
والمُوسِرونَ من اليهود   إنْ طَمـا الخيـرُ وعَـمْ
يُشْـــبِعّهُمُ مِـــن مَـــرَقِ العُصـــفور والضِـــيفانَ شَـــم
والمـــالُ فـــي عُـــرفِهِمِ هـــو الإلـــهُ المحتـــرَم
قُبحـــاً لهـــم قـــد عَبَـــدُوا المـــالَ فيـــابِئسَ الصَّـــنم [3]

(٢) واصف أبو الشباب : شخصية الفلسطيني في الأدب الفلسطيني المعاصر ، ص ٧٨ ١ .
(٣) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ١٨ – ١٩ .
(١) نفس المصدر ، ص ١٩ .

أدرك العدناني خبث اليهود على مر الأزمان ، فما قدموا للورى إلا كل سوا وغم ، فهم الذين ألبوا الأحزان على الدول الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة إذ اجتمع يهود بني قريظة وقريش وسائر القبائل الأخرى للقضاء على هذه الدولة ، وهم الذين أثاروا الفتن وأطلقوا الإشاعات وألبوا الناس في مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه والخلافات التي عقبت ذلك ، وهم الذين كانوا وراء حملات الدس والطعن والتشكيك في الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة ، وهم الذين أثاروا النزعات القومية والنمرات الجاهلية في كيان الأمة المسلمة وتفكيك وحدتها ، وهم الذين عملوا على اسقاط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية ، وعملوا على عزل شريعة الله عن الحكم ، واسقاط السلطان عبد الحميد الثاني والذي بسقوطه ألغيت الخلافة الإسلامية ضناعت مقدسات المسلمين وبلادهم ، وهم وراء النزعة[1] المادية والإلحادية الماركسية ، ووراء النزعة الحيوانية الفرويدية ، وووراء تفكك الأسرة والانحلال الدوركايمي من أجل ذلك اعتبر العدناني أنهم لم يقدموا اللوى إلا الهم والغم . وأدرك شاعرنا أيضا شراهة الصهاينة إلى المال وعبادتهم له .
عشقهم للبخل ، فخمس لقم تكفي قانعهم ، ومرق عصفور يكفي موسرهم ، والمال في عرفهم أضحى معبودهم ، وقد استعملوه في استعباد الآخرين فقال حكماؤهم في ذلك : " إن استبداد المالي – والمال كله في أيدينا – سيمد إلى الدولة عودا لا مفر لها من التعلق به ، لنها . إذا لم تفعل ذلك – ستفرق في اللجة لا محالة " ؛ [2] وما أتت بدايات القرن العشرين حتى بدأ نفوذ اليهود والمال بالسيطرة على مصادر الذهب في جميع أنحاء العالم وعلى معظم بنوك البلاد الأوربية ، وخاصة بريطانيا وفرنسا والولايات

المتحدة الأمريكية " بواسطة آل روتشليد الذين انتشروا في تلك البلدان ، بواسطة أصحاب الملايين أمثال : ماندلسون باروخ ، فرانكفورتر ، لازارد ، شيف ، موجلتو ، جانت ، سليجان شتراوسي ، رولفكر ، ويسيطرون على إصدار النقد في كل الدول الأوربية الكبرى والولايات المتحدة بواسطة البنوك المركزية التي يملكون معظم أسمها . " [3]

وتناول العدناني في هجاءه لليهود الحديث عن أخلاقهم السيئة التي تعتبر كوباء خطر على أبناء شعبه وأمته والجنس البشري أجمع ، فقال مصورا هذه الخلاق :–

---

(٢) أنظر ، سيد قطب : معركتنا مع اليهود ، ط ٦ "القاهرة دار الشرق ١٩٨٣" ص ص ٣٣ – ٣٤ .
(٣) حكماء صهيون : بروتوكلات حكماء صهيون ، ص ١٠٥ .
(١) إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود – دراسة تحليلية (القاهرة ، مكتبة الوعي العربي ، ١٩٨٣) ص ١٩١ .
(٢) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٨٧ – ٨٨ .
(٣) عبد العزيز عزام : العدوان الصهيوني وواجب الشعوب الإسلامية والعربية (بيروت مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١) ص ١٥٤ .

يــا وَبَــاءَ الشــعوب يــارهطَ صـــهيونَ أرُونــا وجـــهَ النَّفــاق التّليــدِ

واشــتُروا بالنُّضــار كـلَّ ضـميرٍ   واخــدعوا كــل جاهــلٍ محــدودِ

واغمسُوا غانيـاتِكم فـي المخـازي   وأبيحـــوا أعراضـــكم كـــالقرودِ

واجعلــوهنَّ يقتنصـــن الأمـــاني   بجســـــومٍ مبذولـــــةٍ ونُهــــودِ

ثــمَّ شِـيدوا علــى الخَنــا والـدنايا   دولــةَ الخِـزْي والفُجـور العتيـدِ[1]

وعى شاعرنا خطر اليهود ومخططاتهم في افساد العالم لذلك أسماهم وباءً ، وهذا الوباء ينشر جراثيمه " الخفية والظاهرة والمغلقة ، الوبائية هي جرثومة الفساد الصهيوني ! فهذه تجمع بين خصائص الجراثيم الفتاكة المعروفة التي تصيب الإنسان ، وفوق ذلك تهاجم العقول وتحطم الأفهام ، أو تجعلها عقيمة ضعيفة الثقة يخالسفها كثيرة الولع بالمادة ، لا قدره لها على الصعود خائرة العزيمة" [2] ويتمثل وباؤهم هذا في رغبة حكمائهم في أتجاد "أناس قد أضلتهم الخمر ، وأنقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكات .. والمجون المبكر الذين أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرمانتنا [3] في البيوتات الغنية وكتبتنا ، ومن اليهم ، ونساؤنا في أماكن لهوهم واليهنّ أضيف من يسمين " نساء المجتمع " – والرَّغِبَاتِ من زلائهم في الفساد والترف " [4] وعليه فان الفساد والافساد هو ديدن اليهود منذ أقدم العصور وذلك في تعاملهم مع الأنبياء عليهم السلام ، فقال الله تعالى عنهم في ذلك : " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا من بَنِيّ إسرَائِيْلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسًى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدونَ ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَاكَانُوا يَفْعَلُون" [5] والله سبحانه وتعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة في قوله جل شأنه : "وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّـةُ والمَسْكَنَةُ وَبَآؤُ بِغَضَبِ مِنَ اللهَِّ ، ذَلِكَ بِأَنّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآِيَاْتِ اللهَِّ ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّين بِغَيْرِ الحْقَِّ ، ذَلِكَ بِمَاْ عَصَوْا وَكَاْنُوا يَعْتَدُون" [6]

من أجل ذلك يُفهم قول العدناني عنهم بالوباء وأنهم وجه النفاق التليد ، وقد شعر اليهود بهذه " الصفة وشعروا بالذلة ، فلصقوا بأنفسهم من المزاعم ما يواري سؤتهم في هذه الناحية ، فزعموا أنهم شع باالله المختار !! وأنهم أبناء االله وأحباؤه ، وأن الجنة مؤقوفة عليهم " [7] وغيرها من المزاعهم الكاذبة .

---

(١) القهرمانة : هي المربيه – أنظر ، إبراهيم مصطفي : المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٧٧ .
(٢) حكماء صهيون : بروتوكلات حكماء صهيون ، ص ١٠٩ .
(٣) سورة المائدة ، رقم (٧٨-٧٩) .
(٤) سورة البقرة ، رقم (٦١) .
(٥) محمد بن الشريف : الشعب الملعون في القرآن (بيرون منشورات مكتبة الهلال ، دون تاريخ) ص ٦٤ .

وإذ كان شاعرنا قد تناول اليهود كافة في هجائه ، فأنه في المقابل قد خصَّ إسرائيل بهجاء لاذع ، فقال :-

فالَمسْـــخُ إســـرائيلُ لـــم تُخْلَـــقْ لِمَيْـــدانِ القِتـــالِ
خُلِقَـتْ لبيـعِ العـرِضِ بَخْسـاً (م) بـــالجُنَيْه وبالرَّيـــالِ
خُلِقـتْ لِتَسْـتَجْدي ، وقـد مَرَنَـتْ عـى ذُلَّ السُّـؤالِ
وعلـــى النِّفـــاقِ مُلَوَّنـــاً والقِيـــلِ مَشَّـــفُوعاً بِقَـــالِ
والسّـــمُّ تُخفِيـــه النُّيـــوبُ ، ومَلْمَسٍ مِثْلِ الصَّلالِ [1]

وهجاء العدناني رئيس لجنة الهدنة بين العرب واليهود أثناء حرب فلسطين وهو الكونت [2] فولك برنادوت ، حيث وجد العدناني في هذه الهدنة نقمةً للعرب ونعمةً لليهود ، ووجد أيضا أن الكونت ألعوبةً في يد اليهود ، فقال عنه :-

لَحَـى الله منـدوبَ الخَنـا والجـرائمِ دهانـا بشـرًّ راغـفِ الحَـدَّ جـاحِمِ
فمـا بِرنـادوتٌ غيـرُ عِلْـجٍ ضـميرُه يُبـاع ويُشـرَى مثـلَ بـاقى الأعـاجِمِ
يُـراوِغُ مثــلَ الثُّعْلبــانِ مفاوِضــاً وتبـــدو حواشـــيِه كجلـــدِ الأراقـــمِ
أرى مِـن بنـى عِزْريـلَ فيـه نَموذجـاً مـن المكـر مصـغَرَّ اللَّـوا والمَعـالِمِ [3]

٦- ثأر وتشفي :-

تحلّى العدناني بالصبر والحلم مع أبناء وطنه وأمته إلا أنه في المقابل امتلئ حقد وغلا على أعداءه آمته ، لذلك نجده ينظم القصائد الطوال في هجائهم ومحالة الثأر والتشفي منهم ، فكانت بذلك كلماته لظىً في حلوق هؤلاء الأعداء ، لذلك " كانوا يريدون التخلص من الشاعر العدناني الذي كان يزعجهم جدا بقصائده الذرية وحملاته الشعواء المتواصلة وتوجيه طلابه شطر الاستغلال والوحدة وطرد الانتداب الانجليزي الغاشم والإسرائيلي الصهيوني الدخيل " [4] مما حذى بالسلطة المستعمرة أن تضيق " ذرعا بالشعراء والكتاب والخطباء

(٦) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ص ١٩١ – ١٩٢ .
(٧) وهو رئيس لجنة الهدنة ، والمشرف على تنفيذ قراراتها وهو أحد أمراء لأسرة المالكة الأسوجية ورغم مطاوعته لليهود إلا أنهم قتلوه في القدس لأنه تساهل مع العرب حسب زعهم – إنظر محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٩٧ – ١٠١ .
(١) نفس المصدر ، ص ص ٩٧ – ٩٨ .
(٢) يعقوب العودات : أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، ص ٤٣٢ .

والمثقفين عموما من أنها سنت قانونا يفتح أبواب السجن كي تُغلق ، لسنوات عديدة ، على من يُحرّض على الثورة باللسان أبو بالقلم ". [١] ورغم ذلك فإن شاعرنا جابه السلطات بكل مايملك من قوة وبيان فلقي السجن والنفي والتشريد ، ومثال ثأره وتشفيه قوله :-

يجرُّ اليومَ في نفس اندفاعٌ ... إلى التنكيل لم يُلهِبْهُ قَسْرُ
ومَدٌّ كالجبالِ إلى التشَفِّي ... من الظُلاَّم لم يُوهِنْهُ جَزْرُ
فهذا منطقُ الدنيا ؛ قويٌّ ... كان دم الضعيفِ لديهِ خمْرُ [٢]

ويضع العدناني للحلم دودا مع أعداءه لأنه سوف يهلك نسلهم وحرثهم ويجتاج أرضهم وسمائهم – دون رحمة بالوغد الطريد – من قبل من أتقنوا مهنة الموت ، فيقول :-

سنُريكم في الحرب ما يُهلِكُ النّسلَ جميعاً والحرْثُ دونَ رُكودِ
إنّ للحِلم في الحروبِ حُدوداً ... لن ترَوْهُ يوماً وراءَ الحدودِ
سوفَ نحتاجُ أرضكم وسماكم ... دُونَ ما رحمةٍ بوغْدٍ طريدِ
بُكُماةٍ قد أيقنوا مِهنَةَ الموتِ ... كراماً لِمَحْقِ كُلَّ شَرِيدِ [٣]

ويمضى العدناني في ثأره وتشفيه ، فهو لا يكتفي بالهجوم على الأعداء بل يصل الأمر لأن يهاجم الأقدار ويشرع عليها الحرابا ، ويقتحم النجود والصياصى ، ويكتسح الربي ، ويمشى تحت بند الثأر حتى يخظ السني للمفاخر عنهم كتابا ، ويجعل من مساكن العداء رموسا ويبنى من جماجمهم القبابا ، ويطلق في ديارهم المنايا تجوس خلال جحافلهم كالذئاب لأنهم في نظر العدناني تعاجا بماء عروقها ويسقى التراب ، فيقول :-

سنفَجؤُهُمْ غداً بليوثِ حَرْبٍ ... على الأقدارِ أَشْرَعَتِ الحِرابا
ونقتَحِمُ النُّجُودَ مع الصّياصي ... ونَكْتَسِحُ الرُّبي أُسْداً غِضابا
ونَمشى تحتَ بَنْدِ الثَّأْرِ حتىّ ... يَخُطَّ السَّنَي عَنا كِتابا
ونَجْعَلُ من مساكِنِهِمْ ... ونبني من جَماجِمِهِمْ قِبابا
رمُوساًونَزرعُ كُلَّ أرْضِهِمُ دَماراً ... ونَنْشُرُ في ربُوعِهِمُ التَّبابا
ونُطْلِقُ في ديارِهِمُ المَنايا ... تَجُوسُ خِلالَ جَحْفَلِهِمْ ذئابا

---

(٣) أحمد سليمان الأحمد : الشعر العربي والقضية الفلسطينية ، ص ٣١ . وأنظر ، كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ط ١ ،القاهرة ، طبع ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣) ص ١٠٩ .
(٤) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٣٩ – ٤٠ .
(٥) نفس المصدر ، ص ص ٨٦- ٨٧ .

فليســـــوا عنـــــدَنا إلاّنِعاجـــــاً   بمـــاءِ عُروقِهـــا نَسْــقِى التُّرابـــا

قصـــبْراً يـــابَنِى صـــهيونَ صَــبْراً   علــى حَـرْبٍ سَـتَمْحَقُكُم شَـبابا [١]

وإذا كان شاعرنا قد فارق الحلم والصبر ومال إلى الفتك والقهر إلا لأنه لم يطلق العنان على مصراعيه ، فبعد أن تُجنى الأماني ويرهب العدو من بطشهم ويعلم كل عنيد بجحافل فتحهم ، يكفكفوا دمع العانين ويغمرهم الأشفاق كالبحر وينشرون السلام ويطوى القبر راية الحرب ، فقال -:

ولكـن، بعـد أن تُجنــى الأمــاني   ويُرهِـبَ بَطشُـكم ، ويُخيـفَ ذِكـرُ

ويعلَـــمَ كـــلُّ جَبّـــارٍ عنيـــدٍ   بأنّـــا جحفـــلٌ للفَتْـــكِ مَجـــرُ

نكفكــفُ أَدُمــعَ العــانين طُــراً   ويغمُــرهم مــن الإشــقاق بحــرُ

وننُشُــر للســلام الحــقَّ بنْــداً   ويَطــوى رايــةَ الهيجــاءِ قبــرُ [٢]

ويجعل شاعرنا للثأر نشيدا أسماه "نشيد الثأر" وذلك لِيَعْلَق في الذهان ويُزرع في النفوس وتُردده عامة الشعب حتى يُحَول هذا الثأر إلى واقع عملي بعد أن كان نشيدا ، فيقول فيه :-

ثأرُنـــا لَـــنْ يَنـــامْ   لا أَمـــانَ ، لا سَـــلامْ

لِلعُـــــداةِ اللئـــــامْ   مـــــا وراءَ الحُـــــدودْ

لليهودْ

الأمـــاني العِـــذابْ   فـي أنِقضـاضِ الشَّـبابْ

مِنْ مُتُون الهِضـاب   يَقصِـــــفون اليهـــــود

كالرُّعودْ [٣]

بهذا المفهوم عبر شاعرنا عن قضايا أمته القومية والوطنية في آمالها وآلامها مستغلا في ذلك كل مناسبة وكل موقف .

---

(١) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ص ١٩٥ – ١٩٦ .
(٢) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ٤٠ .
(١) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ، ص ص ٣٢ – ٣٣ .

الفصل الثاني
المضمون السياسي

<u>المضمون السياسي</u>

وهو المضمون الذي يشمل مواقف العدناني من الإحداث السياسية المتعلقة بوطنه فلسطين . وقد برز بوضوح عندما "كانت ظروف العالم العربي مع الاستعمار الغربي تسلمه إلى الجهاد المستمر ، فقد أخذ الشعر السياسي يغلب على ما عداه من الموضوعات التي كان الشعراء مشغولين بها في العصور الماضية " ، [1] وشمل هذا المضمون القضايا الآتية :-

<u>١- الهجرة :-</u>

وتشمل هجرة اليهود إلى فلسطين، وهجرة عرب فلسطين إلى الدول العربية المجاورة

<u>أ- الهجرة اليهودية :-</u>

حرص اليهود منذ القرن التاسع عشر على الهجرة إلى فلسطين والاستيطان بها لمالها من مكانة في الأديان السماوية ، ولتحقيق زعمهم التوراتي في إقامة دولتهم في أرض الميعاد، وكانت هجرتهم هذه في عهد الدولة العثمانية قائمة كأي جنس من أجناس الدولة يحق له التنقل أينما شاء في أرجائها ، ولكن عندما تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم لاحظ هجرتهم هذه ووعى مخططاتهم ، فأوقفها وأصدر قوانين تمنع دخولهم فلسطين للإقامة والاستيطان ، [2] وذلك حذى المؤتمر الصهيوني الثاني من وضع (خطة " وايزمن " التي أطلق عليها التوفيقية " .. والتي تدعو إلى التسلل البطئ إلى فلسطين ، وإقامة مستعمرات يهودية تكون دعامة لإقامة مجتمع صهيوني) [3] ، هذا وقد استمرت الهجرات اليهودية بالتوافد إلى فلسطين على موجات على النحو التالي :-

- الموجة الأولى ما بين سنة ١٨٨٢ – ١٩٠٢ ويُقدّر عدد المهاجرين فيها ما بين ٢,٠٠٠-٣,٠٠٠ وكانوا قادمين من روسيا القيصرية .
- الموجة الثانية ١٩٠٤ – ١٩١٤ وعددها ما بين ٣٥,٠٠٠-٤٠,٠٠٠ وكانوا قادمين من روسيا القيصرية أيضا .
- الموجة الثالثة ١٩١٩ – ١٩٢٣ ويُقدّر عددها ٣٥,٠٠٠ من الاتحاد السوفيتي .
- الموجة الرابعة ١٩٢٤ – ١٩٣١ ويُقدّر عددها ٨٢,٠٠٠ من بولندا والاتحاد السوفيتي والبلقان والشرق الأوسط وبولندا ووسط أوربا .
- الموجة الخامسة ١٩٣٢ – ١٩٣٨ ويُقدّر عددها ٢١٧,٠٠٠ من بولندا وسط أوربا .

---

(١) درويش حمودة أبو زور : إبراهيم طوقان – حياته وشعره (رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، رقم ٩٦ ٩

(٢) أنظر ، أحمد نورى النعيمي : أثر الأقلية اليهودية ، ص ص ٣٩ – ٤٠ .

(٣) وليم فهمي : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧١) ص ٢٩ – وأنظر ، إبراهيم رضوان الجندي : سياسة الانتداب الاقتصادية ، ص ص ٦١ – ٧١ .

وأما ما بعد الحرب وما بين سنة ١٩٤٦ – ١٩٤٨ قدر عددها ٦١,٠٠٠ من بولندا ووسط أوربا . البلقان . [١]

واستمرت الهجرة بعد قيام دولتهم لترتفع أرقام الهجرة من أثنين وعشرين ألف في الأشهر الخمسة الأولى من عام ١٩٤٨ إلى مئة ألف في الأشهر السبعة الأخيرة من نفس العام ، وفي العام الذي يليه ١٩٤٩ ارتفع عدد المهاجرين بنسبة كبيرة حتى وصل إلى ٢٣٩,٤٢٤ ، ووصل في عام ١٩٥١ إلى مئة وأربعة وسبعين ألفا [٢] ثم استمرت بعد ذلك لتشكل أعظم خطر على فلسطين وأهلها . وفي ظل هذه الظروف كانت المؤتمرات العربية تعقد لبحث هذه الأمر ، وكان مرجل الغليان يتلظى في نفوس أبناء فلسطين وأبناء الدول العربية والإسلامية كافة حتى عمت المظاهرات عواصمهم احتجاجا على هذه الهجرة ، ورفعت العديد من القرارات الاحتجاجية لسلطات الانتداب ، كقرار اللجنة العربية العليا ، وقرار القيادة العامة للثورة العربية في سورية الجنوبية وغيرها من القرارات [٣] .

هذا وقد أدى الشعر دوره في هذا المجال لانه " يقف في الخطوط الأمامية من المعركة العاتية ليرفع من المعنويات ويعين على الصمود وعلى كسب معركة البقاء " [٤] من أجل ذلك كان صوت العدناني مدوّيا في وجه أعداءه ومتسلطا على هجرتهم التي أرقته فقال في تزايد أعداد المهاجرين في عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين :-

يـــاوُفودَ السُّـــوء! يارُسْـــلَ الأذَى !	وتِجـاراً لِجـاراً لِشَـجاً يُصـمِي الفـؤادا
أَأَناسِــــــــيَّ نَـــــــزَلتم أَرضَــــــنا	أم نـــــزلتمُ بِفَلْســــطينَ جَــــرادا
يَقْــرِضُ الـــزَّرْعَ ولا يُبقِـــى علـــى	أثَـــرٍ للضَّـــرْعِ يســـتهوى العِبـــادا
أم نَـــــــزَلتم وبـــــــأ مكتَسِـــــحاً	يــزرَعَ الهْـولَ ، ويجتــاحُ الــبلادا
عَبَثـــاً تبغـــي الحـــواري نقلَكـــم	عشـــراتٍ ومئـــاتٍ لا فُـــرادى [٥]

فالعدناني عكس "أحاسيسه نحو هذه الهجرة ، فهو يراها كهجرة الجراد الذي يأتي على الزرع والضرع ن ويعدها وباء كالطاعون وغيره ، حين يُهلك العباد والبلاد ، ومهما يكن فانها

(١) نفس المرجع ، ص ٤٦ – وأنظر أنيس صايغ : فلسطين والقومية العربية (بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٦٦) ص ٦١ .
(٢) محمود نعنانه : الصهيونية في الستينات – الفاتيكان واليهود (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، دون تاريخ) ص ١٧٨.
(٣) وزارة الإرشاد القومي : ملف وثائق فلسطين ، الجزء الأول من عام ١٩٤٩ (القاهرة ، وزارة الإرشاد القومي الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٦٩ ، ص ص ٥٨٣ – ٥٩٥ .
(٤) عبد الرحمن ياغى : دراسات في شعر الأرض المحتلة (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٩) ص ص ٦١٩ – ٦٢٠ .
(٥) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٦٠ – ٦١ .

هجرة قوم يستبيحون الخراب والدمار ينزلونه بالبلاد التي يحلون فيها تحقيقا لأطماعهم المالية ورغباتهم الشريرة المتأصلة " . [١]

ويعود شاعرنا لِيَذْكر الهجرة اليهودية عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، فقال ذاكرا نزولهم فلسطين الحنون بالبلاء ؛ وأنهم مَضَوْا يجرون الذيول كالوباء حتى أنهم لم يتركوا أملا ولا منى ولا رجاء تهفوا إليه القلوب :–

نَزَلـوا فلسـطينَ الحنـونَ بـلاَءْ ... ومَضَـوا يجُـرُّونَ الـذيولَ وَبَـاءْ
لَـمْ يَتْرُكُـوا أَمـلاً ولا مُنـىً ... تَهْفُـو بأبنـاءِ الصـدورِ رَجَـاءْ
وَصَكُّوا المسامعَ بالقذائفِ، ونبروا ... يَذْرونَ في عينِ البصيرِ هَبَاءْ
مـاذاقَ قـومِي مـنهم إلا الأَسَـى ... والبـؤسَ والتنكيـلَ والأدواءْ [٢]

هكذا صور العدناني الهجرة اليهودية بجعلها وباءَ وبلاءً وجراد ألحق بأبناء أمته الأسى والبؤس والتنكيل والأدواء .

<u>ب– الهجرة العربية :–</u>

وهي هجرة عرب فلسطين إلى الدول العربية المحاورة على أثر المسأساة التي لحقت بهم ، والتي أدت إلى تدفقهم إما إلى القسم الذي بقى مع الجانب العربي من فلسطين ، وإما الدول العربية المجاورة لأرض فلسطين كمصر وسوريا ولبنان والأردن ، فلجأ إلى الأردن حوالي نصف مليون مهاجر مع عتبار الضفة الغربية لنهر الأردن ضمن حدودها ، وإلى لبنان مائه وعشر آلاف ، وإلى قطاع غزة مائتان وعشرة آلاف ، وإلى مصر خمسة آلاف ، وإلى العراق خمسة آلاف أيضا ، وما بقى من عرب فلسطين تحت الحكم اليهودي حوالي مائة وثمانون ألفا [٣] . ويصور شاعرنا حال أبناء وطنه في هذه الهجرة ، فيقول :–

وأجْلِينـا عـن البلـدِ المفـدَّى ... فِلَسْـطينَ الـرَّؤومِ مُشَـرَّدينا
يُغادينـا مـن الأحـداثِ يـأسٌ ... يحطِّـمُ مـابَنَى المتفائلونـا
ويُـومِضُ فـي ظـلامِ الخَطْـبِ نُـورٌ ... مِـنَ الأمَـلِ الصَّـبوحِ يُشِـعُّ حِينـا
وتحجُبُـهُ النّـوازِلُ والـدَّواهي ... فيُـوأَدُ بعـدَ أن يَلِـجَ العُيونـا

(٦) عبد الرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ، ط ١ ٠ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥، ص ٨٩.
(١) محمد العدناني : " الصهاينة " مجلة الأديب ، الجزء ١٢ ، السنة ٣٢ ، ديسمبر ١٩٧٣م ، ص ٩ .
(٢) أنظر ، خليل السواحيري : الفلسطينيون – التهجير القسري والرعية الاجتماعية ، ط ١ (عمان منشورات دار الكرمل ، سلسلة دراسات " صامد الاقتصادي " (٢١) ، ١٩٨٦) ص ص ١٢ – ١٨ - وأنظر ، كامل السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٦٠ ، ط ٢ (دون مكان الطبع ، مطابع سجل العرب ، ١٩٨٥) .

وبِتْنافي السُّهولِ ، وفي الصَّحارَى وفـــي كُــلِّ الــبلادِ مُشَــتَّتينا [١]

يعرض العدناني في هذه الصورة أوضاع شعب فلسطين الذين أجلوا عن بلادهم مشردين ، يغدوهم من هذه الأوضاع يأس يحطم ما بناه المتفائلون ، ودواهي تحجب شعاع النور والأمل الذي يومض في ظلام الليل ، حتى باتوا في السهول وفي الصحاري وشتتوا في كل البلدان ، ومع هذه الآلام التي لاقاها هذا الشعب في نكبته وهجرته إلا أن الحكومات العربية استقبلت هؤلاء اللاجئين في بلادها " بألوان من النظم الهادفة إلى حصارهم ومراقبتهم ، وفصلهم عن المجتمع الذي هاجروا إليه ، وتحديد نشاطاتهم في ابتفاء الرزق ، ومنع تنقلهم وأسفارهم من قطر إلى قطر ، وصحب ذلك سيول من الإشاعات والاتهام ببيع الأراضي لليهود ، والعقود عن الدفاع عن الوطن ، والخروج منه فرارا بلا قتال ولا مبرر " [٢] ، وقد كانت مثل هذه الإشاعات قاسية على أبناء فلسطين فمنهم من قابلها بشدة الدفاع ولهيب القول متأثرا بالآلام والمآسي التي عاني منها ، ومنهم من كان رده عتابا فيه لوم رقيق وميل إلى التسامح ، ومن ذلك شاعرنا محمد العدناني الذي قال :-

أَناةً بنى قومى ولا تَشْهَرُوا العَتْبا ورأبــاً لِصَــدْعِ القلــبِ أفــديكُم رأْبــا
أَلوْماً على مانابَنا مِن مصائبٍ ولـم نجتـرحْ إثْمـاً ، ولـم نقتـرِف ذنبـا
لـئن كنـتُمُ جِسْـمَ العروبـةِ فاعلُموا بــأن فلســطينياً لكــم كانــتِ القلبــا
وكُنــاّ لكـم دِرعـاً تَقـيكم عصــابةً تَـزُفُّ الأسَـى والشَّرَّ ، والهولَ ، والجَدْبا
وذدنـا هـم عـنكم ثلاثـينَ حِجَّـةً بعـــزمٍ مَحاشُـــمَّ المعاقِـــلِ والهَضْـــبا [٣]

ويبين العدناني دور وشجاعة أبناء وطنه في تصديهم للانجليز ولليهود وإثارتهم الحرب شعواء عليهم ، فكانوا هم رحاها والعدا كانت لها حبا ، وأنه لولا كيد الإنجليز ومال اليهود وإطلاق أسد العرب آخر طلقة لما هجروا الأموال والمنزل الرحب ، ولا تركوا بالأمس العرائن ، ولا يمموا قطرا شقيقا يلقون فيه الجار والأهل والصحب ، فالعدناني يريد أن يبين أن أبناء وطنه لم يهجروا بلادهم جبنا أو تخاذلا أو خيانة ن إنما كان الخطب أكبر من قدرتهم وأعظم من قوتهم ، فكانت لذلك الهجرة ، وكان حكم القضاء الذي ابتلى الله به العرب، فقال:-

ومَـــنْ يَــبْلُهُمْ والتَّيمِسَّــيينَ مثلَنــا يَـرَ المكرَ ، والبُهتـانَ ، والزَّيْـفَ ، والكِذْبا
دَهَــى الإنكيــز العــالمين فروَّعُــوا واعيَـا الـدَّهاءُ البــارعُ الشَّــرْقَ والغربــا
وأجهَـدَهم مكـرُ اليهـودِ وغـدرُهم فســـامُوهُمُ نَسْـــفاً ، وأجلـــوْهم غَصْـــبا

(١) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٧٨ .
(٢) عبد الرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ، ص ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .
(٣) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٩٠-٩١.

ونحَــنُ صَــمَّدنا للعَــدْوَّيْنِ وَحْــدَنا ضُــمُوداً أَثــارَ الكَــوْنَ قاطبــةَ عُجبــا
ورُحْنــا نُثيــرُ الحــربَ شــعواءَ فَــذَّةً فكُنّــا رَحاهــا ، والعِــدا كانــتِ الحبّــا
ولــولا حِــرب الإنجليــزِ وكيــدُهم ومــالُ اليهــودِ الــوَفْرُ كالوَبْــلِ مُنْصَــبّا
وإطــلاقُ أسْـدِ العُـرب آخِـرَ طلقَـةٍ لمــا هجــروا الأمــوالَ والمنــزِلَ الرَّحْبــا
ولا تركُــوا أمــسِ العــرائنَ كُلَّهــا لأَغْرِبَــةٍ أعيَــتْ بِقــاعَ الــدُّنَى نَعْبــا
ولا يَمَّمُــوا قُطــراً شــقيقاً يُجِلُّهــم ويُلْفُــون فيِــه الحــارَ والأهــلَ والصَّــحبا
ولكنــه حكــمُ القضــاءِ فمرحبــاً بِضُــرَّ بــه بــارِي الأنــامِ بَــلاَ العُربــا[1]

" الشاعر في هذه القصيدة يهيب بقومه العرب في الأقطار العربية أن يستقبلوا أخوانهم النازحين من أبناء فلسطين الذين شردتهم الكارثة بصدور حانية ، وإخاء صادق وألا يوجهوا إليهم سهام النقد والتخريج ، ويطعنون في صدق وطنيتهم ، ويتهموهم بأنهم فزوا من الميدان" ، [2] فهم الذين جاهدوا " ضد بريطانيا والصهيوني طوال ثلاثين عاما ، وتساقط الآلاف من شهدائهم ، ووقوفهم وحدهم يذودون عن الآمة العربية هذا الخطر ، حتى حلت الكارثة وأرغمتهم يد البغي والعدوان على الجلاء عن فلسطين ، والنزوح إلى الأقطار العربية المجاورة " [3] إلى جانب أنهم وقعوا تحت مخطط صهيوني خبيث لتهجيرهم ، فقد ذكر "يوسف فايتس " رئيس الصندوق القومي اليهودي في يومياته أن : " شراء الأرض لن يحقق وحدة دول إسرائيل ، واقترحنا نقل العرب الموجودين على أرض إسرائيل إلى البلاد المجاورة ". [4]
ولكن رغم ويلات هذه النكبة وما ألحقته من تشتيت للشمل وضياع للأرض فان العدناني يرى أنها كانت عاملا في جمع كلمة العرب ورأب صدعهم ، فقال :-

ونُثِرْنــا فــي كــلّ صُــقْع ؛ فهــذا فــي دِمَشْــقٍ ، وذاكَ فــي بغــدادِ
وغــدَتْ كُــلُّ أُسْــرَةٍ ، وبَنُوهــا – لَهْفَ نَفسِي – قد بُعثروا في البلادِ
تلكــمُ النّكبــةُ الوبيلــةُ كانَــتْ نِعمــةً جَمَّــةً لآلِ الضّــادِ
أيقظــتْ قــومىَ الكــرامَ جميعــاً مِــن خُمــولٍ ومــن طويــلِ رُقــادِ
ذفتنــادوْا لأُلْفَــةٍ ، وإِخــاءٍ واطِّــراحِ النُّفْــورِ ، والأَحقــادِ [5]

٢ – وعد بلفور :-

(١) نفس المصدر ، ص ص ٩١ – ٩٢ .
(٢) كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ص
(٣) نفس المرجع ، ص ٣٦٨ .
(٤) كمال الخالدي : الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني ، ص ٥٨ .

صدر في الثاني من نوفمبر عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر عن وزارة الخارجية البريطانية ، وجاء فيه : " أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تاسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، وعلى أن يفهم جليا أنه لن يؤتَ بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى " . [١]

وبالنظر إلى وعد بلفور من الناحية الإنسانية والقانونية ، نلاحظ أنه يتعارض مع حق تقرير مصير أهل البلاد الأصليين ، ويتعارض مع وجة النظر القانونية العادلة ، وذلك لأنه صادر من دولة لا تملك إصداره ، فعلاقة بريطانيا بفلسطين بنص المادة القانونية في عصبة المم تتركز في النصح والمعونة فقط ، أما وعد بلفور فقد تعدى ذلك إلى سلب الحقوق والممتلكات ، إلى جانب تعارضه مع ما أوردته عصبة الأمم في عام ألف وتسعمائة وتسعة عشر باعتبار المستعمرات والأقاليم التي خرجت نتيجة للحرب من سيادة الدول التي كانت تحكمها في الماضي ينبغي أن يطبق عليها المبدأ القائل " بأن خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة في عنق المدينة " إلى جانب ما اعتبرته عصبة الأمم من مسئولية على الدولة المنتدبة لفلسطين في آلا تتنازل عن أراضيها أو تأجرها أو تضعها تحت أى حكومة أخرى ، وبالنظر إلى النص نفسه نلحظ أنه يعتبر مذكرة وحيدة الطرف لم تقع بين طرفين أو دولتين قام بتوقيعها مفوضون رسميون ليترتب عليها بعد ذلك التزامات متبادلة ، فهو مجرد رسالة شخصية بعث بها بلفور لليهود . [٢]

---

(٢) وزارة الإرشاد القومي : ملف وثائق فلسطين ، ج١ ، ص ٢١٧ – وأنظر أحمد فريد على : الجامعة العربية بين القوي الرجعية والقوي الشعبية (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ،دون تاريخ) ص ١٦ .

(٣) أنظر ، محمد متولي العتربى : قضية فلسطين قضية عالمية (القاهرة ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، دون تاريخ) ص ص ٥٧ – ٥٨ – وأنظر ، إبراهيم الحلو : القومية العربية في معركة فلسطين والعراق (دون مكان الطبع ، منشورات مؤسسة النورى للطباعة والنشر ، دون تاريخ) ص ص ٢٠ – ٢٢ .

والجدير بالذكر أن هذا الوعد قوبل من قبل الأمة العربية والإسلامية بالرفض لمالحقه من ضياع الحقوق العربية والإسلامية في أرض فلسطين وازدياد الهجرة اليهودية إليها ، وقد شارك شاعرنا العدناني في هذا الجرح الأليم ، فقال :-

ياوَعْـــدَ بلفـــورٍا قـــد أيقظْتَنَـــا فَـــنَم   علـــى الضـــغائنِ ، والأَحقـــادِ ، والـــنَّقَمِ
جَمَّعْتَ صِهْيَوْنَ مِن صَوْبٍ ، ومن حَدَبٍ   لِتَصِـــبغَ الشـــرقَ مـــن أبنـــائِهِمْ بـــدَمِ
غـــداً تَسِـــيرُ علـــى أجـــداثِهِمْ زُمـــرٌ   مِـن أُمّتـي ، تُرهِـبُ الآسـادَ فـي الأَجَـمِ[1]

فرغم فداحة هذا الوعد إلا أن شاعرنا يراه أيقظ أمته التي ستسير في الغد على أجداث اليهود زُمَرَاً تُرهب بها الآساد في الأجم ، لذلك فلا ضير إذا نام وعد بلفور على الضغائن والأحقاد والنقم . وينتهر العدناني حادث ضرب بلفور بالنعال أثناء زيارته دمشق ، فيقول :-

وحيـاتِكم بِسوَى الحِـذاءِ   مُرَقَّعاًمـــــــا سُـــــــلَّحا
بَلْفُـــــورُكُمْ بِخفافِنـــــا   مِـــنْ قَـــبْلِكمْ قـــد وُشِّـــحا
نَزَلَـــتْ عليـــه كأنّهـــا   صَـوْبُ الغَمـامِ ، وماطَحـا
أتُـــراهُ كـــانَ بمثلِهـــا   فـوقَ الإهـابِ مُصَـفَّحا ؟
أَمْ ظَـــنَّ إيقـــاعَ النَّعـــالِ علـــى المُحيَّـــا صَـــيْدَحا
فـــاهتَزَّ إعجابـــاً بأوسِـــمَةِ الفَخـــارِ مُصَـــبَّحا
لـــم يَشْـــهَدِ التـــاريخُ مِـــنْ بلفـــورِ لنـــدنَ أَوقَحـــا[2]

٣- الهدنة والسلام :-

شهدت فلسطين العديد من مشاريع الهدنة والسلام ، كان أولها مشروع الهدنة الأولى التي أعلنت في الحادي عشر من حزيران (يونيو) عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ، والتي تم فيها إيقاف إطلاق النار مدة أربعة أسابيع ، هذه الأسابيع التي كانت نقمة على العرب لأن أعداءهم أحسنوا استغلالها في جلب السلاح والأموال والطائرات المقاتلة والضباط المحترفين المأجورين ، إلى جانب خرقهم للدنة واستيلاءهم على ميناء حيفا بعد أن انسحبت منه القوات البريطانية ، مما مكنهم من استيراد السلاح والعتاد من عديد من الدول الغربية كتشيكوسلوفاكيا وإيطاليا وروسيا ورومانيا وأمريكا وإنجلترا [٣] ، في المقابل بقي الجانب العرب يعلى قوته القتالية دون الحصول على أية معونة تذكر حرصا منه على حفظ العهود والمواثيق ، فكان يكتفي بالجب والاستنكار لخرق اليهود لها ،

---

(١) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ، ص ٣٧ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٥٧ – ٥٨ .
(٣) أنظر ، قسطنطين خمار : الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ، ص ١١٩ .

رغم أن شروط الهدنه نصَّب على ألا يؤثّر وقف إطلاق النار على مركز الطرفين وحقوقهم ، وألا يترتب عليها أى امتياز عسكرى ، أو تفوق حربي لأحدهما على الآخر [١] ، مما حذي بشاعرنا العدناني أن ينتقد هذه الهدنة التي كانت نقمة على العرب لأنهم أضاعوا فيها ماشيدوه بالجماجم ، فقال :-

فهدنَتُـهُ كانـتْ علـى العُـربِ نِقمَـة ... أضـاعوا بهـا ماشـيّدوا بالجمـاجِم [٢]
ونـالَ اليهـودُ الجـائعون مُنـاهُمُ ... وبـاتوُا كـأنْ لـم يُخـذَلوا فـي الملاحـِم
لقـد نكثـوا عهـداً ، ففـازوا وأسِـرَوُا ... وصـاروا بفضـل الخَتْـلِ مِثـلَ الضَّـراغِمِ
وبُؤنـا بحفـظ العهـدِ بالشُّـؤم والأَذَى ... وعُـدْنا جميعـاً خيـرَ فُـوتٍ لطـاعِمِ
فمـا عصُـرنا عصـرُ الشـهامةِ والوَفـا ... ولا هـو عصـر الماجـدين الأَكـارِمِ
ولكنـه عصـرُ الخيانـةِ مَحْضَـةِ مَحْضَـةً ... وكَـلَّ لئـيمٍ واهِـن الخُلْـق غاشِـم [٣]

وحاولت الأمم المتحدة قبيل مضى مدة الهدنة الأولى أن تمددها ، فقابل العرب ذلك بالرفض ولكن بعد فوات الأوان ، وبعد أن تترس اليهود في مواقعهم القديمة ومواقعهم الجديدة التي احتلوها أثناء الهدنة الأولى ، فدارت الحرب مرة أخرى وظهر فيها تفوق الجانب اليهودي وخسران " العرب المركز الحربي الممتاز الذي كان لهم قبل الهدنة الأولى " [٤] واستغلت الدول الكبرى ضعف الجانب العربي فطرحت مشروع الهدنة الثانية والذي قبله الجانب العرب يفي الخامس عشر من تموز (يوليو) عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ، رغم رفض العالم العربي والإسلامية لقبول مثل هذه الهدنات ، فخرجت المظاهرات في جميع العواصم العربية معبرة عن استنكارها لقبول زعلماتها للهدنة الثانية [٥] . يشتد غضب شاعرنا العدناني ويتعاظم غليانه فينظم قصيدة وجهها للزغماء بعنوان " غادروا هيئة الأمم " ، فقال فيها :-

---

(١) أنظر ، على محمد على : فلسطين بين عصبة الأمم والأمم المتحدة ، ص ص ١٣٧ – ١٣٨ .
(٢) الضمير في (هدنته) عائد على الكونت فولك برنادوت رئيس لجنة الهدنة والمشرف على تنفيذها .
(٣) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ٩٨.
(٤) قسطنطين خمار : الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ، ص ١٢٣ .
(٥) أنظر ، محمد دروزة : العدوان الإسرائيلي ، ج٢ ، ص ص ٦٦ – ٦٨ .

يــــا رعاديـــــدُ يــــاغَنَمَ غــادروا هيئــةَ الأُمــم
كيــف تخشــونَ ، ويَحكــم زمْــرَةً باعــتِ الــذَّمَمْ
وغـــدا الحـــقُّ عنـــدَها بــاطِلاً جِــدَّ مهتَضَــمْ
لـيس تحيـا الشـعوبُ مـا لـم تَـدَفَّقْ علـى العَـدَمْ
نحــنُ أُسْــدُ الشَّــرَى إذا صَحَتِ الحربُ لم نَنَمْ
ولنـــا اليـــومَ قـــادةٌ كلُّهــم فــاترُ الهِمــم
هــــدَدوهم فــــأذعنوا للعصــابات كــالنَّعَمْ[١]

ففى هذه القصيدة " يدعو الشاعر العدناني مندوبي الدول العربية الذين مثلوا بلادهم في الجمعية العامة لهيئة المم ، ما نبثق عنها من مجالس ومنظمات إلى مغادتها لأنها زمرة باعت الضمائر والذمم . وغدا حق العرب عندها باطلا ، وباطل الصهيونية حقا " .[٢] وإذا كان العدناني قد انتقد الحكام والزعماء على قبولهم هذه الهدنات ، فإنه في المقابل طرح الطريق السليم لعودة الحقوق المغتصبة ، والتي يراها في الحروب القواصم لأن العادي لا يفهم سوى لغة الوغى والقوة ، فالويل لا يرد إلا بمثله ، فقال :-

لا يُبصِـرُ الإنسـانُ كالصُّـبحِ حُجَّـة تـألَّقُ فـي غيـر الحـروب القواصِمِ
ولا يفَهـمُ العـادي سـوى لغـةِ الـوَغَى وقد هاجتِ الأجنادُ مثلَ الخضـارمِ
ذفلـــيس يُـــزال الوْيـــلُ إلا بمثلِـــهِ ولا شِــرَّةُ الجُلَّــى بغيــرِ العظــائمِ [٣]

ويرى أن السلام لا تبنيه سوى الحروب ، فقال :-

فلا يبنى السّلامَ سوى حروبٍ لها في قُبَّةِ الأفلاكِ صَرُّ [٤] فمنطق العدناني للسلام منطق القوة والحرب وهو ما فعلته الأمة الإسلامية في تاريخها الماضي التليد ، وهو أيضا ما أدركه أعداؤنا اليهود ، ففى محاضرة ألقاها موشى شاريت ثاني رؤساء حكومة إسرائيل بعد عام واحد من العدوان الثلاثي على مصر قال : " إن مسألة السلام يجب ألا تغيب عن الأذهان ولو لحظة واحده ، فهى ليست مجرد اعتبار سياسي ، وإنما تعدّ على البعيد اعتبارا حاسما من وجهة النظر العسكرية " [٥] ، لذلك نجد شاعرنا يرى أن الطريق لعودة فلسطين لا يتم إلى بالحروب التي يجنُّ جنونها فتمسح إسرائيل مسحا ، فقال :-

---

(١) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ١٠٢ – ١٠٣ .
(٢) كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٣٦٨ .
(٣) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ١٠٠ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٤٠ .
(٥) محمد حسن : مصر في المشروع الإسرائيلي للسلام ، ط ١ (بيروت ، دار الكلمة للنشر ، ١٩٨٠) ص ٩ .
وأنظر ، خالد الحسن ، "أبو السعيد" : السلام في الشرق الأوسط – وجهة نظر فلسطينية ، ط ٢ (عمان ، دار الكرمل ، سلسلة دراسات " صامد الاقتصادي " (٢٢) ، ١٩٨٦) ص ص ١٣ – ٤٠ .

سنُرجِعُها بـالحربِ جُـنَّ جُنونُهـا   ونمسَـحُ إسـرائيلَ إنْ شَـبَّتِ الحـربُ [1]

لذلك فان آخر المعاهدات المتعلقة بفلسطين وهي اتفاقية " كامب ديفد" – التى رفضها الشعب الفلسطيني ، ومعظم شعوب العالم العربي والإسلامي – لا يقبلها شاعرنا لأنها خالفت منطقة هذا ، وأعطت اليهود الشرعية في إقامتهم في فلسطين دون أن تُقدّم لأبناء شعبه أي حق يذكر . ولعل الشئ الذي نصت الاتفاقية على منحه هو مشروع الحكم الذاتي الذي قصد منه اليهود إعطاء " الإدارة المدنية للسكان " دون الأرض " في الضفة والقطاع .. دون أن يمتلكوا أرضهم أو يكونوا مسؤولين عن موارد أرضهم " [2] ، بل إن اليهود لا يعطون الحكم الذاتي إلا للشعوب التي يريدون أن يحكموا عليها بالفناء والدمار ، ففي بروتوكولاتهم يقول حكماؤهم : " يكفي أن يُعطى الشعب الحكم الذاتي فترة وجيزة ، لكي يصير هذا الشعب رعايا بلا تمييز ، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم ، فتصير معارك اجتماعية ن وتندلع النيران في الدولة ويزول أثرها كل الزوال " [3] ، وإذا كان هذا شعور أعدائنا ، فإن شاعرنا يرجو أن يكون السلام قريب ينشره أبناء أمته لِتُطوى بعد ذلك راية الحرب في القبر ، ويحمى عبوس العرب ، فقال :–

وننُشُـر للسـلام الحـقَّ بنْـداً   ويَطـوى رايـةَ الهيجـاءِ قبـرُ

لعـلّ السَّـلم فـي الـدنيا قريـبٌ   وعَـلّ عبوسَـنا يمحـوه بِشْـرُ [4]

٤– عصبة الأمم والأمم المتحدة :–

تعتبر " فكر إنشاء عصبة الأمم فكرة يهودية واردة في مخططات اليهود التي تستهدف الاستيلاء على جميع شعوب العالم وتحقيق السيطرة اليهودية عليه تمهيدا لإنشاء الدولة اليهودية العالمية . وكان الغرض الأساسي من إنشاء العصبة هو إرساء حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين " . [5]

ولقد صرح الزعيم اليهودي ناحوم سوكولوف في المؤتمر اليهودي الذي عقد في كارلسباد في السابع والعشرين من أغسطس عام ألف وتسعمائة وأثنين وعشرين قائلا : " إن عصبة الأمم فكر يهودية ، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة [6] وكان للماسونية العالمية دور في إنشاء هذه العصبة أيضا ، فقد قالوا في محافلهم أن " لا مندوحة إذا من خلْق سلطة عالمية عليا . إن

---

(١) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٧٢ .
(٢) الرابطة الإسلامية : مشاريع الحلول السليمة على الساحة الفلسطينية في الفترة ١٩٤٨ – ١٩٨٤ ، ط ١ (الكويت ، إصدار الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين ، مطبعة الفيصل الإسلامية ، دون تاريخ) ص ٥٥ .
(٣) حكماء صهيون ، بروتوكولات حكماء صهيون ، ص ١٠٤ .
(٤) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ٤٠ .
(٥) محمد متولي العتربي : قضية فلسطين قضية عالمية ، ص ١٨٠ .
(٦) إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود ، ص ١٥٤ .

الماسونية صانعة السلام تطرح على بساط البحث موضوع هذه الهيئة الجديدة " عصبة الأمم "[1] كان ذلك جعل مواقف هذه العصبة مجحفة في حتى الأمة العربية والإسلامية ، إذ مكنت الدول المستعمر من معظم أراضيها ومنحت فلسطين لليهود ، مما حذى بشعوب العالم العربي والإسلامي النظر إلى هذه العصبة نظر المتشكك فيها ، وكان من بين ذلك الشعراء كأمثال شاعرنا العدناني الذي قال :-

يا إنجليزُ ويَحكُمْ   أغرقتُمُ الدُّنيا بِهَم
قد لُذْتُم بعُصْبَةٍ   ممقوتَةٍ من الأُمَمْ
بكُم عدَتْ عِصابَةً   شرابُها دمعٌ ودم
في كهفِها قد مَثَّلَتْ   دورَ الذئابِ والغنم
إنّ الضّعافَ عِنْدَها   لحم على ظَهْرِ وَضَمْ
قد جَعَلَتْ شِعارَها   نكثَ العُهودِ والذِّمَمْ
أعضاؤُها مُعْظَمُهم   مَسَّهُمُ داءُ اللَّمَمْ
مُذْ أبصروا مائدةَ   العُرْبِ عَرَاهُمُ النَّهَمْ[2]

وإذا كانت عصبة الأمم بهذا الوضع فإن حال هيئة الأمم لا تقل عنها شراسة وإجحافا فكما " أن اليهود أنشأوا عصبة الأمم لتحقيق أغراضهم في السيطرة على دول العالم وإرساء حجر أساس دولتهم العالمية اليهودية في فلسطين . كذلك خطط اليهود لإنشاء . الأمم المتحدة لكي تقوم بالدور المتمم الذي قامت به عصبة الأمم "[3] ، فعنها صدر قرار تقسيم فلسطين كما صدر عن العصبة من قبل صك الانتداب على فلسطين أيضا ، وعن هيئة الأمم أصدرت جميع القرارات التي ترمي لتهديد فلسطين والاعتراف بدولة الكيان الصهيوني ، لذلك كان خلْق " اليهود عصبة الأمم بعد الحرب الكونية الولي التي دبروها وخططوا لها ، لتقرر بدء عملية تهديد فلسطين ولتشرف على تنفيذ تلك العملية الإجرامية . ودبّر اليهود وخططوا للحرب الكونية الثانية ، وبعد انتهائها خلقوا الأمم المتحدة لتقوم بالمرحلة الثانية في جريمة فلسطين وهي إصدار قرار تقسيمها وإنشاء دولة لليهود في فلسطين " .[4] وفي هذه الهيئة وفي ميلادها دولة إسرائيل قال شاعرنا :-

---

(١) محمد متولي العتربي : قضية فلسطين عالمية ، ص ١٨١ – وأنظر ، إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود ، ص ص ١٥٣-١٥٤.
(٢) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٢٠ ، ٢١ .
(٣) محمد متولي العتربي : قضية فلسطين قضية عالمية ، ص ١٨٣ .
(٤) إبراهيم خليل أحمد : إسرائيل والتلمود ، ص ١٥٧ .

أجّهَضَتْ هيئةُ الأمـمْ		عنـــدما باعـــت الــــذِّمَمْ
جِهضُــها دولــةُ الرَّبـا		والمـــــواخيرِ والـــــتَّقَمْ
جيشُــها المكـرُ والنَّسا		تبـذُلُ العِـرْضَ فـي الظُّلَـمْ
تحسَــبُ المــالَ أنَّـــهُ		يخلُـــقُ العِـــزَّ والشَّــــمَمْ
وُلِـــدَتْ أمـــسِ مَيْتَـــةً		دولـــــةُ الشَّـــــرَّ والقَـــرَم
فاشْــهَدي دفْنَهـا غـداً		وَيْــــكِ هيئـــــةَ الأُمَـــمْ [1]

٥- الجامعة العربية :-

كانت فكرة توحيد الكلمة وجمع الشمل – ومازالت – حلم الأمة العربية والإسلامية على مر الأزمان والعصور ، ولقد كانت هناك محاولة لتوحيد الأمة الإسلامية على أساس الإسلام وذلك بطرح فكرة الجامعة الإسلامية [2] من قبل السلطان عبد الحميد الثاني ، لقد وقف الاستعمار بكل ثقله للحيلولة دون نجاح هذه الجامعة التي ستُعيد للخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية عمرا جديدا ، لذلك طرحت بريطانيا فكر الجامعة العربية ، لا لمصلحة الأمة العربية وجمع شملها ولكن " من أجل سهولة إمكان إشرافها على هذه البلدان وربطها بعجلة السياسة الإمبراطورية البريطانية " . [3] ومع ذلك فقد كان للجامعة العربية في أول إنشائها صدى شعبي كبير ، عبّر عنه شاعرنا العدناني في الحفل الذي أقيم بمرور العام الأول على توقيع ميثاقها ، والذي قال فيه :-

عيــدَ العُروبـــةِ قــد زوّدتَنـــا أمـــلاً		واليـأسُ عـاتٍ ، فـزادُ العيشِ آمـالُ
لَمَّــتْ شَــتاتَ أُبــاةِ الضَّــيْمِ جامعــةٌ		أساسُـها العزمُ ، والمجدُ الذي نـالوا
وهَــزَّتِ العُــرْبَ رُوحٌ مــن منــاخِرِهم		ماســتأثروا بــالعُلا، والـدّهْر صَـوّالُ
وحطّمُــوا القيــدَ لا غــربٌ يســومُهُمُ		خَسْــفاً ولا يخــدَعُ الصُــيّابةَ الآلُ
عهــدُ المَذَلَّـــةِ قـــدولَّى ، ووحـــدتُنا		كفيلُـــهُ بُمنـــىً كالغيـــثِ تنهـــال
لِيَهنــئِ العُــربَ هــذا العيــدُ مُؤْتَاِقــاً		كالصُّبحِ حَـفَّ بـه يُمـنٌ وإحـلالُ [4]

---

(١) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٧٥ – ٧٦ .
(٢) أنظر ، عمر دقان : الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، ط ٢ (حلب ، طبعة دار الشرق ، ١٩٦٣) ص ص ٣٥ – ٥٥ – وأنظر محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر ، ط ٥ (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢) ج ١، ص ص ١٧ – ٦٦ .
(٣) أحمد فريد على : الجامعة العربية بين القوي الرجعية والقوى الشعبية ، ص ٢٢ .
(٤) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٥٥ – ٥٦ .

ولكن سرعان ما خيبت هذه الجامعة آمال العدناني حيث " أثبت الزمن أن حسن ظن الشاعر فيها كان في غير محله " [1] وذلك لمواقفها المتخاذلة التي لم تقدم شيئا للأمة العربية ، بل إنها أصبحت ألعوبة في يد الاستعمار يحركها كيفما شاء .

٦- قضية الولاء :-

يعتبر الولاء من القضايا المهمة للأمم والشعوب لأنه به تتحدد وجهتها الفكرية والسياسية والاقتصادية ، ولأدل على ذلك حال الدول الضعيفة التي أغطت الولاء إما لشرق اشتراكي وإما لغرب رأسمالي ، وما تبع هذا الولاء من تبعية في كافة مناحي الحياة حتى غدت مثل هذه الدول نسخة عن الدولة الأم . وإذا نظرنا إلى معظم الدول العربية وجدناها على نفس المنوال ولاؤها خارجي مرتبط بالدول الكبرى شرقيها وغربيها مع أن ديننا الإسلامية تعرض لهذا القضية في مواضيع عديدة من القرآن الكريم [2] وأعطاها أهمية كبيرة لأنه إذا لم يكن الولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا يكون لغيرهم ، وبالتالي يكون العمل محبطا وبعيدا عن توفيق الله ورعايته ، والله سبحانه وتعالى يقول : " إنَّمَا وليُّكم اللّهُ ورسولُهُ والَّذِينَ آمنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُون الزَّكاةَ وهم راكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ ورسولَهُ والَّذينَ آمنُوا فإنَّ حزبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُون " [3] ، وقوله تعالى مُبيناً أولياء الذين كفروا : " والَّينَ كَفَرُوا أولياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَات أُولئِكَ أصَحابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون " [4]. وقد نظر العدناني لولاء آمته فرآها بعيده عن أصالتها ومصدر عزها ، فقال :-

كُنَّا نُطأطئُ منَّا الهامَ في خَجَلٍ مِنْ قادةٍ أوردونا الذُّلَّ والعطَبا
باعُوا لمِنْ نَصَبَتْ دُولارَها شَرَكاً ضمائراً تَعْبُدُ الدُّولارَ ، والذَّهبا
رأيتُهم في رياض العُرْبِ أغرِبَةً كُلٌّ بما لَحَّنَتْ أَمْرِيكَةٌ نَعَبا [5]

ويقول في موضع آخر مبينا ولاء حكامنا للغرب :-

ومازالَ فينا لِلعُلوجِ [6] عصابةٌ تعنُو ، وَتَنْضَحُ خِسَّةً ومَساويا
ترعَى مرابعَنا ، وتَمْنَحُ دَرَّها لِلْغَرْب يَوْلَغُ بحرَهُ مُتواريا
تهوَى شَجِيَّ رنينِ دُولارتِهِ وغوانياً تَهَبُ المُنى ، وكراسيا [7]

(١) نفس المصدر ، ص ٤٨ .
(٢) أنظر ، وسورة الأنعام ، آية رقم (٧٢-٧٣) – وسورة الممتحنة ، آية رقم (١و١٣) – وسورة المجادلة ، آية رقم (٢٢) .
(٣) سورة ألمائدة ، آية رقم (٥٥،٥٦) .
(٤) سورة البقرة ، آية رقم (٢٥٧) .
(٥) محمد العدناني : ديوان فجر العروجة ، ص ١٣ .
(٦) العلج : الرجل من كفار العجم ، أنظر ، الفيروز أبسادي ، القاموس المحيط ، ص ٢٥٤ .
(٧) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ١٧٧ .

وصور شاعرنا حال سفينة العرب التي اختل ولاؤها ، فجزء منها إلى الغرب وجزء ثاني إلى الشرق وثالث بينهما ورابع لا يدري كنه رغبته ، فقال :-

سـفينةُ العُـرْبِ يُجْريهـا رَبابِنَـةٌ   كُثْرٌ ، ومِن حَوْلِها الأَمواجُ في صَخَبِ
هـذا إلـى الغَـرْبِ يَسْعَى أَنْ يُوجَّهَها   وذا إِلـى الشَّـرْقِ يُزْجِيهـا بِلارَهَـبِ
وآخَـرُ يَتَـوَخَّى السَّـيْرَ بينَهمـا   وقلبُـهُ بِهَـوَى الخَصْـمَيْنِ لـم يَجِـبِ
ورابِـعٌ لـيسَ يَـدْرى كُنْـهَ رَغْبَتِـهِ   إذا سـأَلْتَ لَـوَى جِيـداً ، ولـم يُجِـبِ
والشَّعْبُ مَرْكَبُـهُ فـي الـيَمِّ مُضْـطَرِبٌ   يَلْهُو بـه اللُّجُّ فـي صَوْبٍ فـي حَدَبِ [1]

ولكن رغم ذلك يوجه شاعرنا نداء للزعماء العرب قصيدة جعل عنوانها " إلى الزعماء العرب " بيَن فيها أن الإنجليز والأمريكيان داء للمسلمين احتضنوا اليهود ، وكذلك حال فرنسا التي لا تقل عنها طغيانا وكفراء من أجل ذلك يدعو في هذا النداء الزعماء العرب ألا يعطوا ولاءهم وزمام أمورهم لهم :-

رمانـا الانجليـزُ بنائبـاتٍ   يُـذَرّى الطـودَ أصـفرُنا طحينـا
ولـيس الأَمْـرِ كـانُ أقـلَّ شّـراً   كـلا الشـعبينِ داءُ المسـلمينا
قـد احتضَـنا بنـي صـهيونَ حُبّـاً   كوالـدةٍ قـد احتضـنتْ بنينـا
وكُـلُّ معصـيبةٍ فـي الأرض تُنمَـى   إلـى السكسونِ تـأبَى أن تَهُونـا
ولـن تحتـاج ثالثـةُ الأَثـافي   إلـى وصـفٍ يزيـدُ العارفينـا
ففـي الطغيـان قـد باتـت فرنسـا   كتابـاً ضَـجَّ منـه القارئونـا
فـلا تلقـوُا الزّمـامَ إلـى أكُـفَّ   ملوَّثـةٍ بمـالا تجهلونـا
وحسـبُكُم مـن الماضـي عظـاتٌ   تحـذِّرُكم مـن المتـآمر ينـا [2]

وقال أيضا :-

أميطُـوا عـن عزائمنـا حِجابـاً   ولا ترضـوا إلـى الغـرب احْتكامـا [3]

---

(١) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ص ١٤٩ – ١٥٠ .
(٢) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ١٣٩ – ١٤٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٤٩.

٧- مقاطعة الأعداء :-

مقاطعة الأعداء من الواجبات الدينية والوطنية التي يتحلي بها المواطن المخلص لدينه ووطنه ، وقد فطن شاعرنا لهذا الواجب فالتزمه ودعي أمته لالتزامه بمقاطعة أعدائهم ، إلا أن بعض الحكومات التي ارتفت لنفسها التبعية لم تُضع لمثل ذلك ، فمصر مثلا سمحت للسفن الإسرائيلية – في عهد الملك فاروق وبعد النكبة – بالمرور في الموانئ المصرية ، فقال شاعرنا معاتبا مصر باسلوب لاذع عبر فيه عما يغتلى في صدوره من مثل هذا التصرف ، ومقدما لها الشكر لسفور وجهها لأنها مكنت إسرائيل من مياهها ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بحق الحار الوغد الغدار ، وبعد هذا التهكم على فِعْلَتِهَاً يُحذرها شاعرنا من أن النوم على فِعلِ الأعداء يُصيب بدواهي لا يريد ذكرها ، ولعلها اليوم واضحة جلية لا تحتاج إلى كثير من البيان :-

لك الشكرُ يا مصرُ الشقيقةُ عاطرا ... غداةَ أثبتِ العُربَ بالوجه سافِرا

وخلَّيْتِ إسرائيلَ تمخُرُ حرةً ... أساطيلُها في بحرِ حلمِكِ زاخرا

وما هي إلا جّازةٌ ، ورسولنا ... يقولُ ارعَ حَقَّ الجارِ وغْداً وغادرا

فنوماً كأهل الكهفِ حتّى يُصيبكم ... من الجارةِ الدّهياءِ ما لستُ ذكرا [1]

ولبنان أيضا التي صدرت التفاح والكمثرى والرمان إلى إسرائيل فملئت بما أسواقها ، فقال العدناني معبرا عن حقوته وألمه :-

غَضَّ النَّدَى طرفَهُ مُذْ جادَ لبنانُ ... علـى اليهودِ ، وَجُودُ العُرْبِ ألوان

بالأمسِ أهدوْا فِلَسْطيناً لخصمهمِ ... شأنَ الكرامِ ، فلا حادُوا ولا هانُوا

واليومَ لبنانُ لا يرضَى لحيرَتِهِ ... جُوعاً ، وما في بَنيه الفُرَّ جَوْعانُ

فراح يُمطرُهم من خيره ثمراً ... أشهى من اللّثم والمحبوبُ نَشوانُ

فليهني الجار تفاح الخدود ورمان الصدور فرب الحسن لبنان [2]

يبين العدناني ما قامت به لبنان باسلوب السخرية والتهكم ، فيصور أن تسليهم فلسطين وتسليم لبنان الثمار لليهود نوع من الجود والكرم وهو ديدن الكرام ، ثم يغتلى من فعلهم فيدعوا عليهم بأن لا جادوا ولا هانوا ، وأخيرا يُقدّم شاعرنا التهنئة للبنان الذي وهب التفاح والرمان الذي سيتبعه تَقْدِيْم تفاح الخدود ورمان الصدور لأن البنان ربّ الحسن والجمال .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٣٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ص ١٣٧ – ١٣٨ .

وفي موقف آخر ماقت به تركيا التي حمت بيضة المسلمين على مدار أربعة قرون إلى أن جاء حكم الاتحاد والترقي الذي استحسن التعامل مع اليهود ، فأرسل الباخرة التركية "صلاح الدين " لإسرائيل محملة بالغذاء فأغرتها الرياح قبل وصول ، فغدتْ حمولتها من نصيب أهل لبنان ، فقال شاعرنا :-

تهادتْ على سطح الخَضمَّ سفينةٌ | تُسَمَّى " صلاحَ الدين " وَشقَوَةَ الدَّينِ
تَملّكَها الأتراكُ والتُّركُ أصبحُوا | يرونَ المُنى في المالِ والخُرَّدِ العِينِ
فأغرتْهُمُ بالمالِ والغِيدِ دولةٌ | تعيش على الأرجاس والخلق والدُّون
فجادُوا لإسرائيل بالقُوتِ وافِراً | وقد لُفَّعَتْ بالجُوعِ والكُرَبِ والجُونِ
فَجُنَّ صلاحٌ قاهرُ الغَرْبِ عندما | رأي القُوتَ محمولاً لِخَصْمِ فلَسْطينِ
وحامَتْ على تلكَ السفينةِ روحُهُ | وعَطَّلَتِ الآلاتِ من خالةِ النُّونِ [1]
ففازَ بذاكَ القُوتِ لبنانُ وحْدَهُ | وباتَ يعاني الجُوعَ نَسْلُ الشّياطينِ [2]

وإذا كان العدناني يدعو إلى مقاطعة الأعداد دون أن يجد من يستجيب له ، فإنه سُرّ لموقف العمال العرب الذين أضربوا عن تفريغ السفن الأمريكية في كافة المواني العربية ردا على عمال ميناء نيويورك الذين امتنعوا عن تفريغ حمولة الباخرة العربية كليوبترا ، مما اضطر عمال أمريكا إلى التراجع عن قرارهم ، فقال العدناني معبرا عن فرحته :-

سَلوُا الزَّحْفَ المُقَدَّسَ كم كَسَحْنا | بهِ خَصْماً ، وحَطَّمْنا شكِيما [3]
فهذى كِلْيُوبَتْرَةُ ، قد قَصَمْنا | بها ظهرَ إسرائيلَ ، فَلَنْ تقوما
أتينا الصَّلَّ ، ونْيُويُوْرِكُ جُحْرٌ | له ، ملأَ الدُّنَى منه سُمُوما
فنحنُ بِوَحْدةِ العُمَّالِ فُزْنا | وأَذهلْنا ، بمانِلْنا ، الحُلوما
فما هَبُّوا لِقَنْصِ الثَّأْرِ حتَّى | أَذَلُّوا في حُصونِهِمُ الخُصُوما ؟
فكيفَ إذا تَوحَّدْنا شُعوباً | وأَمْسَى عِقْدُ وَحْدَتِنَا نَظيِما ؟ [4]

يعبّر العدناني عن فرحته بهذه الحادثة التي رأي منها وحدة العمال التي أذهلت العقول بما حققت من أدلال للأعداء ، لذلك يتساءل شاعرنا ما إذا كان هذا هو مكسبنا من توحد العمال ، فكيف لو أننا توحدنا شعوبا وأمسى عقد وحدة العرب نظيما ؟! .

---

(١) خالة النون : كنايه عن السفينة والنون بمعنى الحوت ، أنظر ، الفيروز أبادي ؛ القاموس المحيط ، ص ١٥٩٦ ، وأنظر ، محمد الرازي : مختار الصحاح ، ص ٦٨٦ .
(٢) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ١٥٨ – ١٥٩ .
(٣) مفردها شكيمه : وهي حديد اللحام المعترضة في فم الفرس – أنظر ، محمد الرازي ؛ مختار الصحاح ، ص ٣٤٥ .
(٤) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ، ص ص ١٤٥ - ١٤٦

بهذا يكون العدناني قد عبر من خلال هذا المضمون عن قضايا وطنه السياسية والتي كان لها الأثر الكبير في بيان مستقبله وتحديد مصيره.

الفصل الثالث

" المضمون الاجتماعي "

المضمون الاجتماعي

وهو المضمون الذي عالج منه العدناني قضايا مجتمعه والت يبرز من خلالها اخوانيانه ، وتربيته لتلاميذه ، ومداعباته الفكاهية ، وهجاؤه المقذع ، ومناصرته لقضايا المجتمع ، ومجارية المفاسد الاجتماعية ، ورثاءه ، ومواساته للمستضعفين . ومن القضايا التي عالجها العدناني في هذا المضمون الآتي :-

١ - الاخوانيات :-

حظي شاعرنا بكثير من الأصدقاء في كافة أرجاء الوطن العرب ي، وكان يشعر بمكانتهم العظيمة بالنسبه له لذلك قال :-

وما أَنَا لَوْلاَ الأصدقاء سوى فتىً ... عليْـهِ الرَّزايَـا الجامِحـاتُ تَصُـولُ
فإنِى بِجِسْمى الواهن القلبِ واحد ... ولكننـــي بالأصـــدقاءِ قَبِيْـــلُ [١]

وكان العدناني يتبادل مع أصدقاءه الرسائل الشعرية الإخوانية التي كان يعبر من خلالها عما يكن في قلبه من ود وتقدير وشوق لهم ، ومثال ذلك ما أرسله شاعرنا لصديق له يدعى فؤاد الرفاعي ، فقال :-

يــافُؤَاداً فـــي صَـــدْرِ فـذ البيــان ... رَفَّ حَتَّـى طَـغَـى على سَـحْبَان
وشـدا بـالقريض فـي روضِ سـحرٍ ... عبــقَ الزهــر ، أَريجـــي المعــاني
كـــلُّ حـــرفٍ منـــهُ قـــلادةَ دُرَّ ... حَـوْل جيَـدْي ، ودفعّـة مـن حَنَـان
وضـــياء أنـــار ظلمـــةَ نفســـي ... بعــدَ تِيْــهٍ فــي مَهْمَــةِ الأحــزان
....
يــا صــديقي ! إلــى لقــاءٍ قريــبٍ ... فــي رُبَــى قدسِـنَا ، وفـي بيسـان [٢]

فرد صديقة فؤاد على رسالته قائلا :-

قلتَ عَنَّى ما قُلْتَ يا جارَ خيرٍ ... يــا صــديقاً مــأواهُ فــي وُجْـدانِي
فــإذا أنــتَ منــذُ افتَرَقْنَــا ... -قبلَ عشرٍ - في نُبلِكَ إلهَتّانِ
فـي فـاءٍ قَدْ أصبحَ اليومَ خُلُقَاً ... نــادراً عنــدَ أهــلِ هــذا الزمــانِ

(١) محمد العدناني : ((من محمد العدناني إلى الأستاذ رشاد على أديب)) مجلة الأديب الجزء ٧ ، السنة ٢٩ ، يوليو ١٩٧٠ ، ص ٥٠.
(٢) محمد العدناني : ((من محمد العدناني إلى الشاعر الملهم ، فؤاد الدفاعي)) مجلة الأديب ، الجزء ٧ ، السنة ٣٠ ، يوليو ١٩٧١ ، ص ٥٠ .

يا صديقي ، ما أري الشكرَ يكْفِى　　　دون لهـجٍ مـن صـادقِ العِرْفَـانِ
إنمـــا منـــكَ وِرْدُ قَـــولِي هـــذا　　　وهـو دون الجزيـلِ مـن شُـكْرَانِي
فَتَقَبّلَـــهُ رَغْـــمَ عجـــزِ أَدَائِـــي　　　فلأَنــتَ الغفـورُ مـنْ إخـوانِي [1]

وقد حاول العدناني زيارة صديقة الشاعر عبد القادر يوسف [2] في مكتبه ببيروت فلم يجده فكتب إليه قائلا :–

جئــتُ الحبيــبَ وشــوقي يوقــدُ النّـــارا　　　فـي أضـلُعِي ، فيزيـد الوجـدَ اسـعارا
حـدا خطـاى هـواهُ فـي الضّـُحَى عَبِقَـاً　　　شطرَ العرينِ ، وقَدُّ الصَّدر قَدْ ثَـاراً
صــاغَ الحنــينَ فــراحَ الخلــدُ يَنْشُــدُهُ　　　علـــى المســـامعِ ألحانـــاً وأَشْـــعَاراً
فمـا وجـدتكَ فـي قلـبِ العـرينِ ، ومـا　　　بلـــوتُ دَهْـــرِى إلا كـــانَ غَـــدَّارَا
فا طْفِئْ الشوقَ من صدري على عجلٍ　　　إنّ الكـــريمَ إذا مـــا زرتـــهُ زَارَا [3]

وعلى الفور أرسل له عبد القادر ردا على رسالته قال له فيها :–

كانـــتْ زيـــارتكم حبـــاً ومَكّرُمـــةً　　　حُييّــتُم فــي الــوَرَى أهــلاً وزُوَّارا
شُكْرِي يُقَصَّر عن عرفانِ فَضْلِلكمُ　　　حتىّ ولو صيغَ بعدَ النثرِ أشعارا
بوركـتَ ربَ القَـوافي وابـنَ نجـدَتِها　　　وأثــرتَ فــيَّ أحاسيســاً وأفكــارا
. . . .
أَهْـــدى إليـــكَ تحيـــاتٍ معطـــرة　　　ضـــمنتُها لـــك إعـــزازاً وإكْبَـــارَا
قد كنتَ للفضلِ سبّاقا ، ولا عجب　　　نمتـكَ عـدنان للعليـاءِ مُختـارا [4]

وإذا كان العدناني في رسائله السابقة هو المبتدأ في إرسالها ، فإنه في هذه المرة تلقى رسالة من الشاعر زكى المحاستى [5] الذي قال فيها :–

فديتُكَ (عدنان) من آلِ عدنانِ　　　أديبـــاً أريبـــاً شـــاعراً ســـبطَ تِبيـــان
تولّيـــتَ فـــي أمِ اللغـــاتِ حفاظهـــا　　　وقـد نالهـا لسـن علـى ظلـم لحـان

---

(١) فؤاد الرفاعى : ((إلى محمد العدناني)) مجلة الأديب ، الجزء ٥ ، السنة ٣٠ ، مايو ١٩٧١م ، ص ص ٥٥ – ٥٦ .
(٢) ولد في الطبة قضاء طولكرم ، وتلقى علومه فيها ،وعمل بالتدريس والإدارة في كل من الأردن والكويت ليبيا ، وحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة إندريا في الولايات المتحدة الأمريكية في فلسفة التربية والعلوم السياسية عام ١٩٥٦م ، وعمل أخيرا في عام ١٩٧١م مستشارا إقليميا لشؤون تدريب المعلمين في الدول العربية من قبل منظمة اليونسكو – أنظر ، يعقوب العودات إعلام الفكر والدب في فلسطين ، ص ص ٦٧٥ – ٦٧٦ .
(٣) محمد العدناني : ((إلى الدكتور عبد القادر يوسف)) مجلة الأديب ، الجزء ٧ ، السنة ، ٣٢، يوليو ١٩٧٤ ، ص ٥٢ .
(٤) عبد القادر يوسف : ((إلى محمد العدناني)) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٥) ولد في دمشق عام ١٩٠٨م وتخرج من كلية الحقوق عام ١٩٣٠ ، ونال على إجازة الآداب من الجامعة السورية عام ١٩٣٢م ، وحصل على الدكتوراه في الآداب من مصر عام ١٩٤٦م ، وعمل بعدها مدرس الأدب العربي في الجامعة السورية ثم ملحقا ثقافيا في السفارة السورية في القاهرة حتى عام ١٩٥٦م . والمحاسني ناقد وباحث له العديد من الدراسات في الشعر والنثر والنقد .
أنظر ، أحمد قبش : تاريخ الشعر العربي الحديث ، ص ٥٧٣ .

عرفتُــــك نـــــدباً عبقريـــــاً كأنّمـــــا بـــك أرتـــدَّ للعربـــاء آيـــات سَـــحْبَانِ
أتـــــذكرُ أعوامـــــاً لنـــــا بجهادِنـــــا بحـــربٍ عـــوانٍ نـــازَ لَتْنَـــا بِطِعَـــانِ
وكـان الهـوى عهـداً ورحنـا نصـوغهُ دروساً لـدى الأوطـان تَبْنِـيَ الشـبان [1]

فرد شاعرنا على رسالة المحاسنى بقوله :-

أهبـــت بشـــعري أن يغيـــثَ فلبـــاني وقـــد خلتـــه أودَى أســـىً مـــن حزيـــران
وذكّرَنـــــى شـــــعر الزّكـــــى محاســـــناً لـــــه ، وقـــــد تمنّـــــى نفحهازهرُنيســـــان
فأنعشـتْ الـذكرى حنـينَ ابـن أضـلُعي إلـى شـاعرٍ فـي الشـامِ زَحْـزَحَ أشـجانِي
فأنتَ ، أبا ذَكْوَان ، قُطْبُ رحى المُنَى وطيـبُ كريـا الخلـد فـي روضِ خِلاّنِـي
فَـــــدُمْ للوفـــــاءِ اليَعربـــــي قـــــلادةً مـــن النبـــلِ قـــد أزْرَتْ بـــدرَ عقبـــان
وهـــاكَ ودَادِى خالصـــاً قـــد عرفتـــه بمزهـر شـعرى ، فاسـمعْ اليـومَ ألحـانَ [2]

٢- العدناني معلما ومربيا :-

كان العدناني معلما كفؤا ، ومصلحا اجتماعيا مبّرزا ذلك لما كان يحيط به طلابه من عطف وحنان وحب ، ولما كان ينظم فيهم الشعر ليرفع من معنوياتهم ويشعرها بالأبوة الحانية الصادقة . فقد كان شاعرنا ينظم الشعر في الطلاب والطالبات النوابغ ، مثل ذلك نظمه قصيدة في الطالبة بشرى التي حصلت على المرتبة الأولى في البكالوريا على الطلاب والطالبات في سورية ، فقال شاعرنا :-

مُحَيّـــا طـــافِحٌ بِشْـــرا وعـــزْمٌ بـــالعُلَي مُغْـــرَى
وقـــوْلٌ عَلَّـــمَ السّـــحْرا وألهـــمَ رُوحـــيَ الشَّـــعرا
فَغَنَّتْ لا بنتي بُشرى
ذكـــاءٌ كالسَّـــنَى بـــاهِرْ وخُلُـــقٌ وارفٌ زاهِـــرْ
وطَـرْفٌ وامـضٌ سـاهِرْ يُـروَّضُ وحـدهَ الـدّهرا
على الإذْعانِ يا بُشرى
فَضُوعي يابنـةَ العُرْبِ أريجـــاً نفحُـــهُ يُصْـــبي
وبـالأخْلاقِ ، والكُتْـبِ أمِـدّي القـومَ يـا بُشـرى
وهاكِ قلائد شِعْرا [3]

---

(١) زكى المحاسنى : ((تحيه إلى محمد العدناني)) مجلة الأديب ، الجزء ٩ ، السنة ٢٩ ، سبتمبر ١٩٧٠م . ص ٥٨ .
(٢) محمد العدناني : ((من محمد العدناني إلى الدكتور زكى المحاسنى)) الجزء ١٠ ، السنة ٢٩ ، أكتوبر ١٩٧٠/ ، ص ٤٧ .
(٣) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ١١٨ – ١١٩ .

وشمل نظم العدناني الفتيات اللواتي فجعن بوفاة ولا أمورهن ، فكان هو بمثابة الوالد والأب الحنون لهن ، ومن ذلك نظمه في أحدى طالبات دار المعلمات بحلب وتدعى سعاد والتي قال عنها : ((شعرت بأنني أعامل الطالبات كأب شفيق فاتخذتني أبا ، واتخذتها إبنه)) [1] ، فقال فيها :-

إذا إنتَمتِ الفضيلةُ والوفاءُ ... وأشرقَتِ الشّمائلُ والذَّكاءُ
وأزهرتِ الشهامَةُ والإباءُ ... فليسَ إلى سوى بنتي سُعادِ
لها عند المُفَاخَرَةِ انتِهاءُ
تَحَلّيْ بالبَشاشةِ يافتاتي ... وهِشّي للمصائب عابساتِ
فإنَّ لديْكِ مِفتاحَ الحياةِ ... لإسعادِ البَرِيَّةِ ، والبلادِ
وفي البَسَماتِ أبوابُ النّجاةِ
أشِعّى ياسُعادُ على القلوبِ ... صَفاءً يَسْتَطِيلُ على الكُروبِ
فما كان الكريمُ سوى طَرُوبِ ... يَبُثُّ الخُلْقَ زَخّارَ الوَدادِ
ويَنْفَحُ كُلَّ نفْسٍ بالطُّيُوبِ [2]

ولم يتقتصر عطف العدناني وحنانه على الطالبات بل تعداه ليشمل الأطفال ، فقال في ذلك : ((جاءتنى الطفلة ندى .. وجلست في حجرى ، وراحت تحدثني بأحاديث الطفولة الملائكية ، وهي ملقية برأسها الصغير على صدرى)) ، [3] فقال شاعرنا :-

أَطَل علىَّ الوَردُ باكَرَهُ النَّدَى ... فحاكى – وحَقَّ الحُسْنِ – خَدّيْكِ يانَدَى
لقد رَفَّ في قلبي الخَلِيَّ شَذاهما ... رَفيفَ المُنى في جَنَّةِ البِشْرِ والهُدى
وأطربَني إيقاعُ صوتِكِ فاتِناً ... وقد راحَ يَحْكِيهِ الهَزارُ مَتَى شدا
لَئِنْ قلتِ في بيروتَ : يالَمُحمّدا ... لَرَجَّعَ في الشَّهباءِ خَفّاقىَ الصَّدى [4]

(١) نفس المصدر ، ص ١٢٣ .
(٢) نفس المصدر ، ص ص ١٢٣ – ١٢٤ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٤ .
(٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

٣- مداعبات فكاهية :-

تميز شاعرنا بروح خفيفة الظل ومداعبات برئيه تسر النفس وتعلق في الوجدان ، ولقد حظى شريف القبج [١] صديق الشاعر الحميم بجل مداعباته ، ومن ذلك قول العدناني : ((وللأستاذ القبج – قبح الله اللقب – أنف طويل أقنى معّوج ، تغزل به كثير من الشعراء الظرفاء من فلسطين ، وهجوه . وللأستاذ قامة مديدة كأنها المئذنة ، فاذا مشى صاحبها اهتزت كسعفة النخل هزتها ريح صرصر .. ، رأيته في بلدة طولكرم ، فطلب إليّ التغزل بأنفه .. فلبيت فورا)) ، [٢] فقال :-

أَنــفُ شــريفِ القُــبَّجِ   يُفْــدَى بــأَغلى المُهَـــجِ
إذا عَـــلا غَطِيطُـــهُ   يُخــالُ جــيشَ الخَـــزْرَجِ
يهتَــزُّ فــوقَ وجهِــهِ   -مَتــى مَشــى – كـالهودَجِ
فعينُـــهُ فـــي حَلَـــبٍ   وأَنفُـــهُ فـــي مَنْـــبِجِ [٣]
ووجْهُـــهُ فـــي أنِفِـــهِ   كـــدفترٍ فـــي اللُجَـــجِ [٤]

ومن الذين حظوا بمداعبات العدناني أيضا صديقه قدرى طوقان [٥] ((وهو في قصر القامة آية ، وفي القبح غاية ، وفي الظرف والذكاء لانهاية)) [٦] فقال شاعرنا في احدى ليالي السمر مذاعبا ومتغزلا فيه :-

أَطَلّــتْ ليلــةُ القَــدْرِ   علينــا الآنَ يــا قَـدْري
أهــذا وجهُــكَ البــادي   لنـا ن أَمْ طَلّعَـةُ البدْرِ ؟
هجرتُ الشّـعْرَ مِنْ حِينٍ   فمـالى عُدْتُ للشّـعر ؟

فمـــالى عُــدْتُ مفتُوحــاً   بـنظم الشّعْرِ فـي نِمْرِ
فهـل أَصـبحتَ شـيطاني   لِتُحيينـى مَدَى الدَّهرِ ؟
فَتُـوحِي يـا خليـلَ الـرُّوحِ   لـى آىَ الهَوى العُذْرِي

---

(١) ولد في قرية عنبتا فضاء نابلس وشارك في الحياة البرلمانية في الأردن حيث كان نائبا عن مدينة نابلس ، وتفي عام ١٩٨٥ – أنظر ، محمد العدناني : الوثوب ، ص ٨٥ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ٦٢ .
(٣) منبج : مدينة شرقي حلب .
(٤) نفس المصدر ، ص ٦٣ .
(٥) ولد قدرى طوقان في مدينة نابلس وأنهى مراحلة التعليمية بها ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخصص في الرياضيات ثم عمل مدرسا في مدرسة النجاح الوطنية ومساعد المدير ها حتى أصبحت جامعة النجاح الوطنية الآن ، وعمل في الحياة السياسية حيث انتخب في مجلس النواب الأردني ممثلا لمدينة نابلس من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٥ ثم عين وزيرا للخارجية الأردنية من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٥ ، وله عديد من المؤلفات في العلم والأدب وتوفي في لبنان عام ١٩٧١م – أنظر ، أحمد مرعشلى : الموسوعة الفلسطينية ، م ٣ ، ص ٥٠٧ .
(٦) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ١٨ .

ولــــولا خَـــدُّكَ الـــورديُّ   عِفْنــــا طَلْعَـــةَ الفَجْــــرِ
وطَـيَّ الثَّغْرِ ياكُـلَّ المُنَـى   سِــــــمْطانِ مِـــــنْ دُرِّ
وهــذا الجِيـدُ لـم تَعْرِفْـهُ   إلاّ ظَبْيَـــــــةُ القَفْـــــرِ
فســبحان الــذي أعطــاكَ   هذا الحُسْنَ يا قدري؟![1]

ومن مداعباته عن الزواج قوله : ((كنت عزبا في يافا أتمتع بسمعة أرجه والحمد لله ، فتدفق عليّ سيل من كرائم العقائل ، وأوانسي المجتمع الفواتن يقدّمن لى العرائس تصريحا حينا ، وتلميحا أحايين)) [2] فقال شاعرنا :-

أَيُّهــا الغِيــدُ لا أُريــدُ الزَّواجــا   أَصـبحَ الـدَّيكُ لا يُحـبُّ الـدَّجاجا
ومِزاجـي صـافٍ ، فابْعِدْنَ عنّـى   لا تعكَّــرْنَ بــالغَرامِ المِزاجــا [3]

٤- هجاء مفذع :-

انصب هذا الهجاء على الشعراء الذي يتكلفون قول الشعر وهم ليسوا أهلاا له ، وقد وجه العدناني قصيدة إلى هؤلاء بعنوان " إلى المتشاعرين " قال فيها :

حَسِبُوا القَريضَ مَفاعِلُنْ مُتَفاعِلُنْ   فِعْلُنْ ، بها الشَّعْرُ النَّفيسُ يُقاسُ
هيهاتَ ! ما نَظَمَ القَصيدَ جماعةٌ   حُمْقٌ، أَصابَ نُهاهُمُ الإفلاسُ [4]

ورأى العدناني أن على الشاعر أن يكون مستشعرا بقيمة الشعر ومكانته بحيث يكون شعره مرآه تعكس خلالها ((صفحات دواوينه ما يدور في قلبه وذهنه من أفكار ، كما تعكس صفحات المرايا المجلوة وجوه الذين يتمرأون فيها دون زيادة أو نقصان ، وإن كان من المستحسن أحيانا سدل ستار كثيف على النفس الأمارة بالسوء)) [5] ، وقد التزم الكثير بدعوة العدناني هذه إلا فريقا من الشعراء المتكلفين الذين خروا عن عمود الشعر العربي وقافيه وأوزانه ، مما حذى بالعدناني أن يشن عليهم حملة شعواء أسماهم فيها بالشعوبيين ، وجعلهم متآمرين على الضاد والأمة العربية . [6]

---

(١) نفس المصدر ، ص ص ١٨ – ١٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٧٥ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٧٥ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٥٥ .
(٥) محمد العدناني : ((ديوان عمر أبو قوس)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ السنة ٣٢ ، أغسطس ١٩٧٣ م ، ص ٤٤ .
(٦) أنظر ، ديوان الروض ، ص ص ٦-٧ .

وقد شن شاعرنا هجاء مقذها على شاعر لم يذكر اسمه ورمز له برموز كثير ، فقال عنه : ((هناك شعرور لم أر – ولا أظنني سأرى – أنقل منه ظلا ، وأغرق لؤما ن وأكثر مكرا ، وأعظم نفاقا . ينظم الشعر فيأتي ركيكا كخلقه ، ويأبى إلا أن يسير في ركاب فحلو الشعراء ، حتى إذا سمع شعرها الخالد ، ورأى السهولة التي ينظمون بها قصائدها وقارن ذلك بشعره السخيف .. تآكل قلبه حسدا ، وراح يحاول الحط من أقدارهم الأدبية بلسانه السليط وعباراته البذيئة)) [١] ، وقد هجا العدناني هذا الشاعر بثماني مقاطع هجائية مقذعة ، وفي ذلك يقول : ((أنني حاولت الزوغان من هجائه عبثا ، إذ رأيت الهجاء يفرض عليّ نفسه فرضا ، ويحكم حلقات تطويقه ، فلم أر من الإذعان لإرادته بدا)) [٢] ، هذا وقد جعل العدناني هذه المقاطع بالعناوين الآتيه :–

* مِثْلُ الكِلاب ، فقال :–

وقالَتْ لىَ اهجُ العِرْضَ ، عِرْضَ شُويعِرٍ	لَعَلَّ الهجاءَ المُرَّ يُنْشَرُ في الأَرضِ
فَعُدْتُ إليها بعد عامْينِ ناصِباً	وقلتُ : مَسَحْتُ الأرضَ في الطُّولِ والعَرْضِ
أُنَقِّبُ عن عِرْضِ المخنَّثِ جاهداً	فألفيتُهُ مثلَ الكِلابِ بلا عِرْضِ [٣]

* شِعْرٌ جهيض :–

سمعتُ الشِّعْرَ محتَضَراً ركيكاً	فلم يسْلَمْ مِنَ الإسعافِ بَيْتُ
وروَّعَنى هُراءٌ قد دَعَوْهُ	نَظيماً مِنْ سخافتِهِ ذوَيْتُ
فأمّا مثلَ شِعْرِكَ مُسْتَهاضاً	فإنِّى ماسَمِعْتُ ، ولا رأيْتُ
تَجِئُ بهِ جَهِيضاً بَعْدَ طَلْقٍ	فيُولَدُ مِثلَ لُبِّكَ ، وَهْوَ مَيْتُ [٤]

* إبليس الأوان :–

رضِعَ اللؤْمَ فَمنْ عاشَرَهُ	قال للّثعلبِ : يافَخْرَ الزّمانْ
ليس ذا وجهيْن ، ولكنَّ له	أوْجُهاً ، منها استعاذَ الثَّقَلانْ
لعْنَةُ اللهِ عليه كُلّما	نَعَبَ البُومُ ، وعَضَّ الأُفعُوانْ [٥]

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٨ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨٩ .
(٣) نفس المصدر ، ص ص ٨٩ – ٩٠ .
(٤) نفس المصدر ، ص ص ٩٠ – ٩١ .
(٥) نفس المصدر ، ص ص ٩٢ – ٩٣ .

* بارد :–

خـافَ يومـاً مالـكٌ مـن بـاردٍ —حـينَ وإفـاهُ – علـى نـارِ جَهَـنَّمْ[١]
رَفَــرَ الأَنْفــاسَ ثَلْجــاً ، ورأَى مالِـكٌ كُـلَّ الأَذى يكمُـنُ فـي الـدَّمْ
فاقشَــعَرَّتْ سَــعَرٌ مِــنْ دَمِــهِ قارِســـاً ، لمّـــا تَمطَّـــى وتَكَلَّـــمْ
ورأَى خازنُهـــــا إلحاقَــــــهُ بــأبى مُــرَّةَ فــي الـدُّنيا ، فأَقْـدَمْ[٢]
ورمَـى النَّـاسَ بـهِ ن واضـطرَبُوا ورأَوْا أن اللَظَـــى أَحْنَـــى ، وأَرْحَـــمْ
واختفـــى إبلـــيس منـــه هَرَبـــاً حـــين أَلفَـــى أَنَّـــهُ أَخْـــزَى وأَلامْ[٣]

* ثَعْلَبٌ رَوَّاغٌ :

قـــالوا : تشـــاعَرَ ثَعْلَـــبٌ رَوَاغُ قُلنـــا : أصـــفعوهُ ، فإنَّـــهُ الـــوَلاّغُ
فـي وَجْهِـه رَتَـعَ الرَّيـاءُ فَعَرْبَـدَتْ فـوقَ المُحَيّـا الزّائـفِ الأَصْـباغُ[٤]

* سُبَّة :–

ياسُبَّةَ العُرْبِ مِنْ بَدْوٍ ومِنْ حَضَرِ ولَطْخَـةَ الإثْـمِ شـانَتْ أَوْجُـهَ العُصُـرِ
ونكبَـــةً نَزَلَـــتْ بالضّـــادِ ماحِقَـــةً أَأَنتَ من بَشَرٍ ، أم أنتَ من حَجَرِ ؟

....

أوقُلتُ لك إنَّكَ مِن نَسْلِ الكلابِ ، لَمَا أَفْلَـتُّ مِـنْ عَضّـةٍ منهـا علـى الأَثَـر
فلِلْكِـــلاب وفـــاءٌ لســـتَ تُدركُـــهُ وللكـــلابِ عُـــواءٌ لـــيسَ بـــالنُّكُرِ[٥]

* توأمُ إبليس :–

زَغَـــمَ الشُّـــويعِرُ أَنَّـــه مِـــنْ آدمٍ زُوراً ، وأقســم
ظَلَـمَ اللئـيمُ أبـا الـورَى والمَـيْنُ بالفُسّـاقِ مُغْـرَمْ
فلقد سمعنا أنَّ إبليساً لهذا النَّذْلِ تَوْأَمْ[٦]

* ثقيل الظل :–

وقــالوا : لِفَتَــى عَـرْضٌ ولكـــنْ مالَـــهُ عِـــرْضُ
وظِـــلُّ الوَغْـــدِ ذو وَزْنٍ تَنُـــوءُ بِحَمْلِـــهِ الأَرْضُ[٧]

---

(١) مالك : خازن نار جهنم .
(٢) أبو مره : كنايه عن إبليس .
(٣) نفس المصدر ، ص ص ٩٣ – ٩٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٩٥ .
(٥) نفس المصدر ، ص ص ٩٥ – ٩٦ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٩٨ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٩٩ .

ولعل هذه النماذج من أقذع الهجاء الاجتماعي الذي حوته دواوين العدناني ، وقد انصب معظمها على المتشاعر الذى رمز لـه مرة بأنـه من " بنـى الجتجاع " وأخرى " خيدعا " ، وبعد هجاءه هذا قال : ((فهجوته وأنا أساله تعالى أن يغفر لى هذه الزّلة ، لا لأننى هجوت الشعرور ، فهجاء السفهاء ضرب من الجهاد في سبيل الله ، بل لأننى أذعت ذكرى حين هجوته ، وهو لا يستحق أن يذاع له ذكر " [1]

٥- مناصرة قضايا المجتمع :-

وقف العدناني مع قضايا وطنه ومع مطالب أمته الاجتماعية ، ومثال ذلك موقفه من موجه الغلاء الفاحشة التي اجتاحت موطنه مما شكل عبئا على المواطنين حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ((فعبروا عن آلامهم ونفاذ صبرهم واحتجاجهم باطلاق اللحى مدّة من الزمن)) [2] ، فسجل العدناني هذا الموقف في قصيدة كانت عاملا من عوامل انصاف الموظف وزيادة راتبه ، فقال مصورا حالة الموظف الأساوية :-

هَــلَّ التَّــذَمُّرَ فــالتَحَى وعـــن النَّوائـــبِ أَفْصـــحا
قــد أَسْــكَرَتْهُ مَضاضَــةٌ مِـــنْ دهـــرِهِ ، فَتَرَنَّحـــا
كبحـــوا جِمـــاحَ إبائِـــهِ وشَـــقاؤُهُ لـــن يُكْبَحـــا
والفَقْـرُ قـد أَلْقَـى العصـا حَنِقـــاً ، ولـــن يتزحزَحـــا
فإذا رأي الغاداتِ يَنْصِبْنَ الأَحابيلَ اْستحَى
فثيابُـــهُ بَلِيَـــتْ ن ولَـمْ يَجِـــد الفُلـــوسَ لِيَمْرَحـــا
وإذا رآهُ الدَّائنُ العاتى يَزُوغُ تتحنحا
فكأنَّهُ بُرٌّ يُوَلْوِلُ تحتَ أضراسِ الرَّحَى
إنْ لـم يَمُـتْ فـي فَجـرِهِ جُوعـاً ، فَلَـنْ يَصِـلَ الضُّـحَى
ذابــتْ حُشاشَــةُ قلبــهِ هيهـــاتَ يُضْـــحِكُهُ جِحـــا
آلَى بحليتِهِ الطّويلةِ أَنَّهُ لَنْ يَفْرَحا [3]
رِفْقـاً بـهِ ، واقضُـوا إذا شـــئتُم علـــى شَـــعَرِ اللِحَـــى
فالمالُ مُوساها ، فهاتُوهُ لها كى تَنْزَحا
والمـــالُ خيـــرُ شـــكيمَةٍ مِـــنْ بَعْـــدِهِ لـــن تَجمَحَـــا [4]

(١) نفس المصدر ، ص ٨٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٥٤ .
(٣) آلى : أقسم : انظر الفيروز أبسادى : القاموس المحيط ، ص ١٦٢٧ .
(٤) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٥٥ – ٥٦ .

يصور العدناني في هذه الأبيات حال الموظف الذي ملّ التذمر من أوضاعه الاقتصادية ، فلتحى ليعبر عنها وليفصح عن وضعه المأساوى ن فهو إذا ماقابلته الغادات وحاولن نصب الأحابيل له استحى من بلاء ثيابه ، وندرة فلوسه ، وإذا ما رآه الدائن العاتى يزوع متحمحما كأنه حبة قمح تولول تحت أضراس الرحى ، حتى وصل به الحال أنه إذا لم يمت في الفجر لن يصل في حياته إلى الضحتى ، وحلق بلحيته الأ يفرح طالما بقى وضعه هكذا حتى لو أضحكه جحا .

ويقسم العدناني بمطايب الطعام التي أصبح الموظف يسمع بها ولا يستطيع شراءها وذلك بسبب الديون التي طوّحت به ، فقال :-

قَسَماً برائحـةِ الشَّـواءِ ، وكُـلَّ ديـكٍ صَـيَّحا
والـــبَطِّ ، والـــدُّرَّاجِ للهِ العظـــيمِ مُسَـــبَّحا
والـدَّبْسِ ، والزَّيتـونِ ، والتَّينِ اللَّذِيـذِ مُشَرَّحا
ورُقاقَـــةٍ فَـــرَّانُ لُبنـــانٍ بكَفَّيْـــه دَحَـــا
وأطايـبِ السَّـمَكِ الشَّـهيَّ مُجَفَّفـاً ومُملَّحـا
لم يبق في بَحْرِ الدُّيونِ مُوَظَّفٌ ماطُوَّحا [1]

ثم يحذر العدناني المسئولين ألا يتركوا الموظف في بؤسه وشقائه وإلا فإن عزمه سيصيب عليهم هجاء مبرحا ، فقال :-

لا تَتْرُكُـــوا بـــاللهِ كِفَّـــةَ بُؤُسِـــنا أَنْ ترَ ْجَحـــا
نُؤْنـــا بأعبـــاءِ الغَـــلاءِ ، فحـــاذِرُوا أن نَرْزَحـــا
أتـروْنَ فينـا واحـداً بسـوى الرَّغيـفِ تبجَّحـا ؟
يـاقومُ ! هذا شـاعِرٌ عـــن عزمِـــهِ ماصَـــرَّحا
لا تُحْرِجُـوهُ فَحَسْـبُهُ فـــي شِـــعرِهِ أن لَمّحـــا
كُفُّـوا ، وإلاّ جـاءَكم مِنْـــهُ الهِجـــاءُ مُبَرَّحـــا [2]

ولعل موقف العدناني هذا جعل من قصيدته عاملا في إنصاف الموظف وتحسين وضعه .

(1) نفس المصدر ، ص ص ٦٠ – ٦١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٦١ .

ومن القضايا التي كانت تؤرق المجتمع ، قضية الأمية التي قامت الحملات المحوها وكان للعدناني دور في ذلك بصفته معلما للغة العربية مهتما بها ، فقد نظم نشيدا لجمعية مكافحتها في يافا قال فيه :-

(اللازمة)

يـا عُصْـبَة الشُّـبّانْ مَفْخَـرَةَ الأَزْمـانْ
تِيُهـوا علـى الأَكـوان بـالعِلْمِ والمعِرْفـانْ

(دور)

يـــا مُنْيَـــةَ العَقْـــلِ ومَصْـــدَرَ النُّبْـــلِ
شُـنُّوا علـى الجَهْـلِ حَرْبـاً تَـرُوعُ الجـانْ
إقْضُـوا علـى الـرَّقّ بـــالعِلمِ والصَّـــدْقِ
والـــدَّينِ والخُلْـــقِ والعَـــزْمِ والإيمـــانْ[1]

ويرى العدناني من خلال نظرته إلى أفراد مجتمعه أنهم ينغمسون إلى فئتين ((فئة تفتح عيونها وعقولها وقلوبها لترى بها عناصر الخير في الناس ، فتطلق الأعنة لألسنتها ، متغنية بمآثر الآخرين وممجدة لها .. أما الفئة الثانية ، فهي التي لا ترى لذة في الحياة في غير العطاء ، والجود على الآخرين ، وإنكار النفس في سبيل إسعادهم))[2] فقد جعل العدناني معياره في هذا التقسيم معيار الخير والمصلحة العامة ، فبقدر مايقدم الفرد لمجتمعه وللآخرين بقدر مايصل إلى الخيرية والصلاح ، لذلك سخر العدناني معظم شعره لاستنهاض جوانب الخير في نفوس أبناء أمته ووطنه حتى يكونوا في أحد هاتين الفئتين .

٦- محاربة المفاسد الاجتماعية :-

كان " الأدب العربي الحديث .. أول احتكاكه بالحضارة الغربية متحمسا لها وداعيا إلى اقتباس أنوارها والاقتداء بأربابها . على أنه سرعان ماظهر له أن الحضارة ليست كلها نعما ومباهج . فكما تكون سبيلا للرقى والهناء تكون أيضا سبيلا للتقهقر والشقاء . ومن أسباب التقهقر والشقاء ماجرّته الحضارة معها من ألوان الترف والرخاء والخلاعه))[3]

، لذلك فقد ظهر في شعر العدناني محاربة المفاسد الاجتماعية التي اسنتشرت في مجتمعه نتيجة لهذا الاحتكاك بالحضارة الغربية ونتيجة لمفاسد اليهود في فلسطين ، إذ كانوا السبّاقين في كل فساد ، فلرخص أعراضهم انتشر الزنا ، ولادمانهم كانوا أول من أدخل الخمور إلى فلسطين ،

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .
(٢) محمد العدناني : ((إلى المحامي عبد القادر عياش)) مجلة الأديب ، الجزء ٣ ، مارس ١٩٧١م ، ص ٥٦ .
(٣) أنيس المقدسى : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ط ٤ (بيروت ، دار العلم للملايين ، دون تاريخ) ص ٢١٦ .

ففى عام ألف وثماني مئة وخمسة وثمانين أنشأ اليهود مراكز للخمر في مستعمراتهم على أثر المساعدات التي تلقوها بهذا الخصوص [1] إلى جانب أنهم نشروا الغش والخديعة والرشوة والتحلل من الأخلاق والدين ، وبدأت هذه الأخلاق الذميمه تنتشر في المجتمع مما أرق شاعرنا العدناني ، فبدأ ينتقد هده المفاسد ويقوم الحلول لاستقامة النفس وتحليها بالأخلاق الفاضلة ، لينقذ أبناء وطنه وأمته من الخطر المحدق بهم .

وقد حث العدناني الشعراء على آلا يطلقوا ((حبل العاطفه على غاربها لتسرح فوق الطرس كما تشاء ، دون مراعاة لقوانين الأخلاق العربية ، ودون تنبه إلى حاجتنا الماسة إلى التمسك بأهداف الأخلاق ، وأعداؤنا مستعدون لبذل مليارات الدولارات ليزيدوا أخلاقنا افسادا ، كأننا لا يكفينا التدهور الخلقى الذى أوصلتنا إليه ميوعتنا ، حتى حطمتنا نكبة حزيران ١٩٦٧)) [2] ، لذلك كان العدناني ينتظر أى اشراقة خلقية من الشعراء ليقدم لهم على أساسها المدح والثناء ، فعندما كتب عدنان مردم بك مسرحيته الشعرية عن رابعة العدوية ، عبر شاعرنا مشيدا بحسن (انتقائه قصة عدوية التقية الورعة ، لتقتدى بها فتياتنا اللواتى جرف الفجور عددا كبيرا منهن إلى الهاوية ، في عصرنا الماضى الذي خططت له الصهيونية منذ مدة طويلة ، ونجحت في نشر مجونها في العالم كله نجاحا عظيما)) [3] وقد ظهرت هذه الخطط في بروتوكولاتهم بوضوح ، فهم مثلا يجعلون وظيفة حكومتهم أن تضاعف وتضخم ((الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد ، حتى لا يستطيع انسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق ، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضا)) [4]

ومن الظواهر التي لفتت نظر العدناني لأهميتها وخطرها ، ظاهرة التبرج التي افغمست بها فتياتنا حتى غدون صورا للجانب السيئ من حضارة الغرب ، فقال شاعرنا منتقدا هؤلاء الفتيات :-

رأَيـتُ العـذارَى خَلَفْـنَ العِـذارا	وأضـحَتْ لهـنَّ المعاصـى شِـعارا [5]
جَمَحْـنَ ، فَمـا ثَـمَّ ذُو مِـرَّةٍ	يَشُـدُّ الشَّـكيمَ، ويحمـى الـذَّمارا
ويرعـى ظِبـاءَ الحِمَـى شـاهراً	فيجنـينَ شـهدَ الأَمـانِ اشـتيارا
اذا الليثُ لم يَحمِ أرضَ العرينِ	فـإنَّ الـذئابَ تجُـوسُ الـدَّيارا [6]

(١) أنظر ، عنان العامرى : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ، ص ١٠٣ .
(٢) محمد العدناني : ((ديوان عمر أبوقوس)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ ، السنه ٣٢ ، اغسطس ١٩٧٣ ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .
(٣) محمد العدناني : ((رابعة العدوية)) مجلة الأديب ، الجزء ٤٣ ، السنه ٣١ ، أغسطس ١٩٧٢ ، ص ٤٣ .
(٤) حكماء صهيون : بروتوكولا حكماء صهيون ، ص ١٢٤ .
(٥) العذار : الحياء - أنظر ، إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، جـ٢ ، ص ٥٩٦ .
(٦) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ٢٧ .

ويخاطب العدناني بلهجة قاسية تحمل نبرات العتاب واللوم لما فعلنه من اظهار الجمال للعالمين وجفاء الضياء والطهر ، وعلى تركهن الأبناء الصغار دون تربية أوعناية ، حتى أصبحت بؤوة للجهل بعد أو كن نورا يضئ النفوس ، وأصبح بهن النهار ظلاما بعد أن كانت بهن الدياجى نهارا ، والثوانى طوالا بعد أن كانت الليالى قصارا : فقال :-

عَجبِبــتُ لــدُرَّ زَهــاهُ الجَمــالُ ويُظهِـــرُ للعـــالمَينَ المَحــــارا
وشــهرٍ محــا البــدرُ فيــه الــدُّجى فيجفُــو الضَّــياءَ ، ويهــوىَ السَّــرارا
أياحُورُ مَن ذا يطيقُ على طيشِيشكُنَّ غداةَ الجِماحِ امبطارا؟
تــركتُنَّ رَعْــيَ البنــينَ الصَّــغارِ ورُحـــتُنَّ تهْــرُبْنَ مِـــنهم نِفـــارا
وكنتنَّ نُوراً يُضىءُ النّفوسَ فصِرتُنَّ يابُؤَرةَ الجهل نارا
وصـــار النّهـــارُ بكـــنَّ ظلامـــاً وكانـــتْ بكـــنَّ الـــدَّياجى نهـــارا
وأضــحتْ بكــنَّ الثّــوانى طِــوالاً وكانــتْ بكــنَّ الليــالى قِصــارا [1]

وعن اسرافهن المال على الترهات كأنهن يلعبن القصار ، وايرادهن الجيوب اذا أينعت اصدارهن عنها اذا أصبحت ببابا قفار ، قال :-

تَـرِدْنَ الجُيـوبَ إذا أينَعَـتْ وتصـــدُرْنَ عنهـــا يَبابـــاً قِفـــارا
وتُـنفقْنَ كنـزاً مـن التُرَّهـاتِ وتلعـبن، يـاويحكنَّ، القِمـارا [2]

ويبين شاعرنا حال النساء اللواتى يلبسن الثوب الشفيف غولاء الشباب ولاصطياد القلوب التى لم تعان الاسار من قبل ، حتى يتركن خلفهن الضحايا، ويحملن للبيت عسرا بمايلاقى فيه الرجال من شجار فقال :-

وتَلْبَسْــنَ ثــوبَ الــدَّمقْسِ الشــفيفَ وتــأكُلْنَ فــي اليُسْــرِ خُبــزاً قَفــارا [3]
وتُلقِـــينَ بـــين القلـــوبِ الشَّـــباكَ لِتصــطدنَ مَــن لــم يُعــانِ الإســـارا
وتحمِلْـــنَ للبيـــتِ عُســـرْاً ، وإنْ دخلتُنَّـــــــهُ وهْـــــوَ زاهٍ يَســــــارا
أفى الحرْب ، والنَّاسُ قوتُ الرَّدَى نـــوى سِـــرْبكنَّ علـــيهم أَغـــارا
فيســـتعذبون اقتحـــامَ الـــوغَى ويخشَــوْنَ مــن ســيدَّاتى الشَّــجارا [4]

---

(١) نفس المصدر ، ص ص ٢٨ – ٢٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩ .
(٣) الدمقس : الحرير – أنظر ، ابراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، ح١ ، ص ٢٩٦- الخبز القفار : الخبز دون ادام – أنظر محمد الرازى ، مختار الصحاح ، ص ٥٤٥ .
(٤) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٢٩ -٣٠ .

ويعرض العدناني صورى منفرة للنساء اللاتى تعلقت قلوبهن بازياء أوروبا وبضائعها ، حتى أصبحت هذه البضائع تشق البحار خصيصا حسب رغبات المترفات منهن وحسب اغدائهن للمال ، فكان أن زيفن خلق الله تعالى ليظهرن قبحا معارا بطلاء الخدود التى تُحمى عنها النضارة ، وبتسويد بيض الجفون فيُرخى على حسنهن ستارا ، وبتزجيج قوس العيون كمن يكتب زيفا وطيشا وعارا ، وبصبغ الأحمر بالمرشقين كأفعى أخرجت من الأواردم جوفها ، وتزداد صورة شاعرنا تنفيرا بأن جعل هذا التلوين للوجه يحاكى التلون في طبائعهن كالحرابى التي تتشكل بلون المكان التى هى فيه ، فقال :–

وأوْرَبَّـــةٌ أصْـــبَحَتْ بـــالنُّهى ... بَضـــائِعُها لاعبـــاتٍ جِهـــارا
تَلَهَّـــى بِهِـــنَّ ، وأموالُنـــا ... تَشُـــقُّ إلـــى مُتْرَفيهـــا البحـــارا
تُـــزَيَّفْنَ حُسْـــناً يَـــدُ اللهِ فيـــهِ ... لِتُظهِـرْنَ فـي الوجـهِ قُبْحـاً مُعـارا
وتَطْلِـينَ بـالجِيرِ بَـضَّ الخُـدُودِ ... فتمحُـونَ ياغيـدُ عنهـا النُّضـارا
وتَسْـوَدُّ بـالفحمِ بـيض الجُفـونِ ... فيُرخِـى علـى حُسـنْهِنَّ السّـتارا
ومـاالفحمُ غِمْدُ نِصـالِ الجُفـونِ ... تُصـيبُ بهـا ابـنَ الضـلوعِ العَذارى
تُزَجَّججْنَ بـالحِبْرِ قـوْسَ العيـونِ ... فتكتُـبنَ زيْفـاً ، وطيْشـاً ، وعـارا
فيُصـبحُ بيـتُ الجمـالِ الرَّقيـقُ ... بُعيْـدَ التصـنُّعِ خَطّـاً نُثـارا
لقـد كـانَ شـطراهُ رمـزَ الفتـونِ ... فباتـا بكـنَّ كهـذْرِ السُّـكَارى
وتصـبِغْنَ بـالأَحمر المِرْشَـفْينِ ... كـأفعى شَـفَتْ بـالنَّجيع الأُوارا [1]
أَيحكى التلَوُّنُ في طبعِكُنَّ التلوُّنَ في وجهكنَّ انتشارا ؟
فمـا فـي الحرابـيَّ ماتشـتَهي ... نفـوسٌ تُريـدُ المكـارمَ دارا
أعـوذُ بربِّـى مـن الخادِعـاتِ ... يُفِضْـن علـى كُـلَّ شَـعْبٍ بتـارا [2]

ويرمى شاعرنا من وراء هذه الصورة المنفرة تقبيح هذا الفعل حتى لا يصبح مثلا مستصاغا عند جميع الفتيات ، وبالتالى يعم الفساد المجتمع قاطبة ، لذلك أدرك شاعرنا خطورة دور المرأة في نشر الفساد الاجتماعي بتبرجها وتركها للبيت ، وكذلك أدرك دورها الاصلاحى والتربوى اذا سارت في طريق الفضيلة والصلاح .

---

(١) النجيع : دم الجوف ، أنظر ، محمد الرازى : مختار الصحاح ، ص ٦٤٧ – والأوار : العطش ، أنظر الفيروز أباذى القاموس المحيط ، ص ٤٤٠ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٣٢ – ٣٣ .

ويرسم لنا العدناني صورة منفرة أخرى للمرأة المتبرجة التى ظهر منها صدرها العارى الذي اختصر الطيش اختصارا ، وظهر أثدياها وهما في حركة مستمر على صدرها فزدادت دواهينا ومصائبنا انفجارا ، فحاكى هذه الصورة بصورة أخرى غاية في التنفير والاشمئزاز ، اذ جعل مثل هذه الصدور تحاكى رخام القبور التي في جوفها كل شين توارى واختفى ، وظهر أيضا ذراعاها الذن ظهرا وعليهما خط المجون والعار ، والأظافر اللآتى صبغن فبدين كنصل غار في صدر الضحية ، والساقان تعرتا دون ساتر يقيها عيونا من حدتها كأنها تسل شغارا ، فقال العدناني :-

وصَـدْرٍ تَـتِهْنَ بـهِ عاريـاً قد اختُصِرَ الطَّيْشُ فيهِ اختصارا
تُرَجــرِجُ رُمَّانتـــاهُ علـــى رُخـامٍ ، يزيـدُ الـدَّواهي انفجِـارا
صَدْرٍ تُحاكى رُخامَ القبورِ وفــي جوْفِهـا كُـلُّ شَـيْنٍ تـوارَى
وتكشِـفْنَ عـن أذْرُعٍ بَضَّـةٍ علـيهنَّ خـطَّ المُجُـونُ الشَّـنارا [1]
وتصـبُغْنَ أظفـارَكنَّ فتبـدو كَنَصْلٍ بصـدرِ الضّـحيَّةِ غـارا [2]

وبعد أن وجه العدناني نقده للمرأة المتبرجة التي لعبت دورا خطيرا في افساد شباب المجتمع وإسقاطهم في الرذيلة والتخنث ، وجه نصحه لها باسلوب رقيق فيه حرص المربى وحنان الأب ، فقال :-

أذاتَ السَّـوارِ وُقيـتِ العِثـارا أشَـجْتِ جَنـانىَ عنـكِ ازوِرارا
وكـونى لِبيتِـكِ شـمسَ الهنـاءِ وجـودي بنـورِكِ ليـلَ نهـارا
وفيـهِ امنَحِينـا ضُـروبَ المُنَـى وميســي دلالاً ، وغَنَّــى هــزارا
وضُـوعى أريجـاً ، بـه تنتشـى نُفـوسٌ ظِمـاءٌ كجـوفِ ازدهـارا
وهـاكِ نظيمــيَ أخـتَ المهـا عُقــوداً بهــا تَــزْدَهِينَ افتخــارا
أُخَلِّـدُ بالشِّـعرِ فيـكِ الخِصـالَ يكــونُ لَهُــنَّ الصَــفافُ إطــارا
فَمَنْ منكِ أَوْلَـى بمدحي ، ولـى فــؤَادٌ إذا غِبــتِ عنــهُ اســتطارا
ولُـبٌّ إذا سِـرْتِ نحـوَ الكمـالِ جَفــاني ، أَثَــرِ السَّــحرِ ســارا
ففيـكِ شِـغاءُ الجَنـانِ الكلـيمِ إذا فيــه نَصْـلُ الرَّزِيَّــةِ غــارا
وأنـتِ نعـيمُ الـوَرى ، فـاجعَلى خفايـا ضـميرِكِ تبـدُو جِهـارا [3]

---

(١) الشنار : العار ـ أنظر ، إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، ج١ ، ص ٤٩٨ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٣٣ – ٣٥ .
(٣)نفس المصدر ، ص ص ٣٧ – ٤٠ .

ويرى الشاعر أنه لولا الفتيات اللواتى لبسن المعالى ، وعطرن بالمكرمات الديار ن وأصبحن انسان عين الكمال ، وبتن لكل قلب منارا ، لأرسل شعره بين الورى لظى يترك الفيد من لهيبه حيارى ولكان من شعراء الغزل الحسى الذي يولى الشهوات قصطا كبيرا ، فقال :-

ولـولا غـوانٍ لَبِسْـنَ المَعـالى   وعطَّـرْنَ بالمكرُمـاتِ الـديّارا
وأصبحنَ إَنسانَ عينِ الكمالِ   وبـتْنَ لكـلَّ ابـنِ صَـدرٍ مَنـارا
علـيهنَّ تـاجُ الجمـالِ الفريـدُ   يُشِـعُّ جَـلالاً ، ويُزهَـى فَخـارا
ونُـورُ الصَّـلاحِ يَـزِينُ الجَبِـينَ   ويُكسِـبُ طَلْـقَ المُحَيَّـا وَقـارا
لأرسَـلْتُ شِـعريَ بَـيْنَ الـوَرى   لَظـىً ، تترُكُ الفِيدَ منها حَيارى
فلاهِـيَ ، ان زمزَمَـتْ ، تُتَّقَـى   ولا هُـنّ يَسْـتطِعْنَ منهـا فِـرارا [1]

وبعد هذا المطاق التربوى لا حداث الاصلاح الاجتماعي ولمحاربة مفاسد المجتمع يبين العدناني الهدف من دعوته هذه ، فيقول :-

ولكـنْ فتـىً عربـيٌّ الخِصـالِ   يُريـدُ لَكُـنَّ الحيـاء خِمـارا
ويرجُـو الحقيقـةَ ، لا صـبْغَةٌ   تُمَـوِّوهُ حُسْـناً يُنيـرُ الـدّيارا
ولا مـا يُسَـوِّغُ هَجْـرَ البُيـوتِ   فتغـدو بغيـرِ الصّـبابا بَـوارا
فَمِسْنَ بدنيا العَفافِ عصوناً   تُرينـا البَنَفْسَـجَ ، والجُلَّنـارا
وأَشـرِقْنَ شمسـاً بـأُفْقِ الكمـالِ   وخُـذْنَ قلـوبَ الـورَى ياعَـذارَى [2]

وإذا كان العدناني قد تعرض لفساد الفتيات المتبرجات ، فانه في المقابل شن هجوما قاسيا على الشباب المخنث ، فقال :-

مَـاسَ فـي مطْـرَفِ الشَّـابِ دلالا   وتَثَنَّـى كـالخيزُر ان ومـالا
شـادِنٌ رقَّـتِ النّضـارَةُ فيـهِ   فمشَـى فـي أريجِهـا مخُتـالا
خِلْتُهُ ، والحديثُ رقَّتْ حواشِيهِ ، فتاةً حَيِيَّةً أو خيالا
نـاعِمُ الكـفَّ كـالغواني ، إذا صـا   فَحَ حاكى النَّسيمَ هَبَّ اعتلالا
وإذا سـار ، سـار كـالرَّئمِ وثْبـاً   حاسِـباً أنـه اسـتحالَ عـزالا [3]

---

(١) نفس المصدر ، ص ص ٤٠ – ٤١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ص ٤١ – ٤٢ .
(٣) نفس المصدر ، ص ص ٤٣ – ٤٤ .

ويمضى العدناني في تشكيل صورة هذا الشباب ، فيصور طول أظافره بالظبى والنصال ، ونعومة ثيابه بالحرير الذى جعله شبيه النساء ، ثم يحاول شاعرنا أن يعطى الصورة جانبا منفرا ليخدم غرضه في محاربة المفاسد الاجتماعيه وتنفير الناس منها ، فهو مثلا يصور الطيب وهو ينفح من عطفيه بأنه يورث النفس الشقوة الملل ، ومثل هذا الأريج لا يُخفى نتن الضمير الذى أفسد البيد والربى والجبال ، فالعالمين في غنى عن نفوح طيب من أضاع من الأنام خصالا ، وفى غنى عمن يزخرف وجهه زيفا وخداعا وتمويها واختيالا ، لأنه رب وجه داج جهم الأسارير لم تدخله يد التزييف خير من وجه غرَّ جميل لعب فيه البهتان وجال ، فقال العدناني :–

وأَطــالَ الأظفــارَ حتّــى رأَيْنــا   أَنَّهــا أُشــرِعَتْ ظُبــىً ونِصــالا [1]
وعليـــهِ مـــن الحريـــر ثيـــابٌ   جَعَلَتْـــهُ مِـــنَ النَّســـاء مِثـــالا
وبِعِطْفَيْـهِ مـن شـذا الطَّيـبِ نَفْـحٌ   يُـــورِثُ الـــنَّفسَ شَـــقْوةً ومَـــلالا
لـيسَ يُخفـى الأريـجُ نَتْنَ ضـميرٍ   أفسَـــدَ البيـــدَ والرُّبَـــى والجِبـــالا
فــي غِنــىً عــن تَطَيُّـبِ ونُفـوحٍ   كُلُّ مَن ضـاعَ في الأَنـام خِصـالا
إنَّ فــي زُخْـرُفِ الوجـوهِ لَزَيْفـاً ،   وخِـــداعاً مُمَوَّهـــاً ، واختِيـــالا
رُبَّ وَجُـهٍ جَهْـمِ الأَسـاريرِ ، داجٍ   لــم تُبَــدِّلْ منــهُ الصَّــناعةُ حــالا
هـو خيـرٌ مِـن وَجْـهِ غِـرَّ جميـلٍ   فيــهِ فـنُّ البُهتـانِ والمَـيْنِ جـالا [2]

ويصور شاعرنا جانبا آخر من هذه الشخصية ، ويظهر فيه حاسرا الرأس عارضا شعره السّبط المدلى الذي يكويه كالصبايا فيبدو مجعّدا يتلألأً من تموجه تماما كالحذاء في التماعه ، وحذائه من لمعانه حاكى المرايا المصقولة فاتخذه بديلا عنها يتمرأى فيه ، وظهر في هذه الصورة أيضا طويل الفودين يمضع علكا ، ويمشى مختالا ، ويتخذ الجبن والتخنث عما وخالا واقيان من الخطوب والدواهي ، ويرتاد المقاهي ليقتل الوقت ، ويعانى من نتف حاجبيه اللذين براهما هزالا ، ويحف شاربيه ليزداد في تخنثه ضلالا ، فقال العدناني :–

---

(١) الظبى : مفردها ظبه : وهى حد السيف – أنظر ، اليروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ١٦٨٧ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .

يحْسُرُ الرأسَ عارِضاً شعرَهُ السَّبْطَ مُدَّلى كأنَّ فيهِ خَبالا [1]

ثُــمّ يكويــهِ كالصّــبايا فيبــدُو لـــكَ جَعْـــداً مُمَوَّجــاً يـــتلالا

شَعَرٌ قد حكى الحِذاءَ التماعاً وحِـــذاءٌ المرايـــا صِـــقالا

باتَ عنها ، يااللّدواهي ، بَديلاً بـئسَ وجـهٌ غـوَى فَحَـلَّ النَّعـالا

يتَمرأَى فيها فخورا ، وهيهاتَ يُرَجَّى من لم يكن صَوَّالا

ويُطيلُ الفَوْدَينِ حتّى كأنَّ الشَّعْرَ في وجنتيهِ كالماءِ سالا

وتَـراهُ – لا كـانَ – يضـعُ عِلْكـاً وهُوَ يمشـى بـينَ الأنـام اِختيـالا

تَخِـذَ الجُـبْنَ والتخنُّـثَ عمَّـا ، كلّمـا نابـتِ الخُطـوبُ ، وخَـالا

ويَروُدُ المقهَى ليقتُلَ فيه الوقتَ ، بئسَ الفتَى زعيمُ الكُسالى

ويُعـانى مـن نَتْفِـهِ حاجبـاهُ وصَـــباً قـــد براهُمـــا وهُـــزالا

وإِذا طَـرَّ – ويحَـهُ – شـارباهُ راحَ يُحفيهمـا الرَّقيـعُ ضـــلالا [2]

وبعد هذا التصوير اللاذع لشخصية المخنث الذى قصد العدناني من ورافعه تنفير الشباب منها حتى لا تكون مثلا يحتذى فيعم الفساد الاجتماعي شباب المجتمع قاطبة . وامعانا في التحقير لهذا الصنف من الشباب يوجه العدناني خطابه للنساء لكى يتركن الطبخ والكنس والأطفال والحجال ونون الاناث لهم ، ويشمرن أيديهن للعمل والجد ، فقال :–

شَمِّري يافتاةُ عن ساعِدِ الجِدَّ فعهدُ الشُبَّانِ وَلَّى ودا لا

واترُكـى الـدَّار للمخانيـثِ حتَّـى يسـتريُحوا ، ويهـدَ أَ الشُّـوسُ بـالا

عَلهُمْ يَهْنَأُونَ بالطَّبْخِ ، والكنْسِ ، ويستعذِبون ذاكَ الآلا [3]

ويَخيطــونَ كــلَّ يــومٍ قميصــاً ويُغَـــذُّونَ بـــالهَوى الأطفـــالا

صَاحباتِ الحِجالِ ! باللهِ خَلِّينَ لِبرَهْطِ المخنَّثينَ الحِجالا [4]

إنّ نُونَ الإناُثِ أَجْدَرُ بالشُّبّانِ منكنَّ إنْ صَدَقْتُ المقالا

هُــنَّ ياغِيــدُ نَقمــةُ اللهِ حلّــتْ برِحـــابٍ كانـــتْ تُشِـــعُّ جَـــلالا [5]

فَعَليهِنَّ لعنةُ الدهرِ مادُمْنَ وجوهاً مَصْبُوغةً أَشكالا [6]

---

(١) السّبط : المسترسل غير الجعد ـ أنظر ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ٨٦٣ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ص ص ٤٥ – ٤٦ .
(٣) الآل : السراب – أنظر ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ١٢٤٥ .
(٤) الحجالا : الجملة : ستر العروس في جوف البيت – أنظر ، نفس المرجع ، ص ١٢٧٠ .
(٥) هنّ ، وعليهنّ : نون النسوة هنا تعود على الشبان .
(٦) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ٤٧ – ٤٨ .

ويوجه العدناني الخطاب للمخنثين باسلوب الاستفهام الانكارى متسائلا عما سيفعلون عندما يأتى عدوهم بقلاع مثقلات تحجب كثرتها الشمس بما تفرغ من حمولة تهوى كالرعود مدمرة الجبال والصروح الشامخة ومروعة كل الحمى ، أيقاتلون قاذفات المنايا بسهام الاهداب ؟ أم بارجاته بدموع غزيرة مغرقة من الحفون ؟ أم يقهقهاتهم التى ستلاشى هول القنبلة الذرية ؟ أم بشباك عيونهم الغزلية يصتادون الطائرات وهى تصب الدواهى لتستأصل الانسان ؟ ، فقال :-

كيفَ تحمُونَ عندما يدهَمُ الخَطْبُ بلاداً فاضَتْ عليكم نَوالا

وأتـــاكم عـــد وُّكـــم بقِـــلاعٍ مُـــثقَلاتٍ بمـــا يَـــدُكُّ الجبـــالا

تحجُبُ الشّمسَ كَثْرَةً ، فـإذا مـا أفرَغَـتْ مـن أتُونِهـا الأثقـالا

فَهَـوَتْ كـالرُّعودِ منـهُ تُـدَوَّى وتَتَـالَى علـى الـرُّؤسِ انثِيـالا

فَتَـرُجُّ الحِمَـى ، وتَهـوي صُـروحٌ شـامخاتٌ ، تُنـافِسُ الأطـلالا

أَتُصـيحون قاذفـاتِ المنايـا بسهامِ الأهدابِ تُزجى الوَبـالا ؟

أمـا تُـرى بارجاتُـهُ بـدموعٍ مِن كؤُوسِ الجفونِ تَفرَقُ حالا ؟

أمْ تُـرَى قهقهـا تُكـمْ ستُلاشـى هُـوْلَ ذَرَّيـةٍ تُنـيخُ الـزَّولا

أم تُـراكم ستنصِـبونَ شِـباكاً غَزَلتْهـا عيـونُكم أشـكالا

لتصـيدُوا بهـا وفـودَ الـدّواهى طـائراتٍ ، تستأصِـلُ الأنسـالا

أَهرِقُـوا الـرّاحَ يانَشـاوَى فإنّـا قـد شـرِبْنا دمَ العُـداةِ مُـذالا

ودفعْنـا عـنكمْ عَـوادِى خصـومٍ لبِسُـوا المكـرَ والأذَى سِـرْيالا

فابذُرُوا مِثلَنا دماً ودموعاً لِفِلَسْطينَ ، تحصدوا استقلالا [١]

ويعبر العدناني عن حسرته على مآل هؤلاء الشباب باسلوب فيه زفرات الحسر وآهات الألم وعين الحكمة ، فقال :-

واشَـقاءَ الـبلادِ إنْ صـارَ يومـاً درعُ شُـبّانِها الكمـاةِ الجَمـالا

قـد تعـرَّوْا مـن الرجولـةِ لكـنْ حَسَـبُوهم علـى الـبلادِ رِجـالا

رُبَّ خيْـرٍ رَجوْتـهُ مـن شـبابٍ عـاد يومـاً يُـذيقُكَ الأهـوالا

ليس أنكَى على الفؤَادِ مِن الرُّشْدِ إذا بانَ أنَّ فيهِ الضَّلالا

مَـنْ يَـنَمْ عنـدما النّوائـبُ تصـحُو يَجْـنِ مِـنْ نَوْمِـهِ الأَسَـى والمُحـالا [٢]

(١) نفس المصدر ، ص ص ٤٨ – ٥٠ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٥١ .

ومن المفاسد الاجتماعية التي تعرض لها العدناني أيضا ، حب الناس للمال حتى غدا معبودهم الذى يولونه الأبصار والأسماع ، وغدا الدولار امام حياتهم باعوا من أجله الضمائر ومفاهيم المروءة ، فقال :–

لَمّـا رأيـتُ النـاسَ أَصـبَحَ جلُّهـم ... مثـلَ الثَعَالـبِ خِسّـةً وَخِـدَاعا
ورأيـتُهم جَعَلُـوا النقـودَ حبيبـةً ... يُولونَهـا الأبصـارَ والأسـماعا
وغَدَا الـدولارُ مَدَى الحياةِ أمـامَهم ... والشُّـحُ صـيَّرَهُمْ لَـهُ أَتْبَاعـا
لو جِئتَ مُوسِرَ هم بسُوقِ نِخاسةٍ ... وسـأَلتَهُ بَيْـعَ الضّـميرِ لَباعـا
ضـاعتْ مَفـاهيمُ المُـروءَةِ عنـدَهم ... فالصَّـدرُ أصـبحَ بـالأذَى مِمْراعـا
وغـدا يُشـيدُ بمـا يَشِـينُ لسـانُهُمْ ... حتّى مَشوْا نحو الحَضيضِ رَعاعا (١)

ويرى شاعرنا أن الخلاص من كل هذه المفاسد الاجتماعية لا يتم إلا بالقضاء على اليهود لأنهم هم أصل الدسائس في الدنيا ، فمنهم مزيف النقد ، ومنهم الداعي للإباحية ، ومنهم القائم بجرائم التزوير ، والعابد للمال ، إلى أن نشروا إفسادهم في كافة أنحاء العالم . ولعل بروتوكولات حكمائهم دالة على ذلك بما حوت من تصريحات وخطط لافساد العالم وإغراقه في الرذيلة ن فقال شاعرنا :–

إنِ اليهـودُ جلـوْا عنّـا فـلا شَـغَبٌ ... فـي الخـافقين ولا قيـل ، ولا قـال
ولا دسـائسُ فـي الدنيا ، ولاخُـدَعٌ ... ولا ريـاءٌ ، ولا كبيـر وبلبـال
ولا مزّيـفُ نقْـدٍ نـالَ مأرَبَـهُ ... مـن الثَّـراءِ ، ولا نِكـسٌ وختّـال
ولا إَباحـةُ أعـراضٍ ، ولا كـذبٌ ... ولا قمـارٌ ، ولا فـي الصَّـبّ دَجَّـالُ
ولا جـرائمُ تزويـرٍ يقـومُ بهـا ... مـنهم لعـينٌ خبيُـثُ الـنفسِ محتـال
ولا شـهادةُ زُورٍ تسـتريحُ لهـا ... ضـمائرٌ مالَهـا فـي اللـؤم أمثـالُ
ولا عبـادةُ مـالٍ يسـجدونَ لـه ... من دونِ ربَّـى ، فلا كـانوا ولا المالُ
ولا تلـوُّنُ حِربـاءٍ قـد اصـطبَغتْ ... بـه مـن القـوم . أجيـال فأجيـال
فـانّهم مـن بنـى عزريـلَ بـثَّهُمُ ... بـين الأنـامِ ، وعزرائيـلُ اسـرالُ
قد أَقلقـوا الكونَ جَلّـى اللهُ شَـرَّهُمُ ... عَنّـا ليهـدأَ مِنّـا الـرُّوعُ والبـالُ
ونسـتريحُ مـن الـلأَواءِ جاثمـةً ... علـى الصُّـدور ولِّـلأَواءِ أَثقـالُ (٢)

---

(١) نفس المصدر ، ص ص ١٣٦ – ١٣٧ .
(٢) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ص ٤٩ – ٥١ .

وبعد أن عرض العدناني الفساد الماثل في المجتمع من خلال تصويره الدقيق لحال المتبرجات وحال الشباب المخنث ، ونقده لهم ولأفعالهم باسلوب الاستفهام الانكاى واسلوب الحكمه والتوبيخ والتنفير وغيرها من الأساليب ، عرض لمصدر الداء وللداء في نفس الوقت ، فالداء يرجع لوجود اليهود في فلسطين الذي لو تخلص منهم أبناء وطنه لكان الدواء ولفازوا بوطنهم وأخلاقهم .

ومن الوسائل التي اهتم بها العدناني في الاصلاح الى جانب التصوير المنفر لمظاهر الفساد سواء المتمثل في الفتيات المتبرجات أو المتمثل في الشباب المخنث بحيث تقف النفس منها موقف المستنكر والرافض لها ، اهتمامه بالقدوة الصالحة في المجتمع والتي تكون كالشمس تضيئ الطريق للذين تاهوا في الظلمات . ويبدو أن الاصلاح بالقدوة يعتبر من الأساليب التربوية الناجعة التي اعتمدتها الرسالات السماويه حيث تمثلت القدوة في الأنبياء عليهم السلام فاكنوا مثال النور والهداية للناس كافة ، وهى أيضا من وسائل التربية الحديثة التي تحرص على وجود المربى والمعلم المثال ، [1] فقال شاعرنا :-

لمّا بَدَتْ للعينِ كلُّ عيوبِهِمْ ... أَغضَيْتُ عن خُلُقٍ غوَى فتداعَى
وسألتُ ربّي أن يُقبلَ عِثارَهمْ ... ويُريهمُ طُرُقَ الهُدَى أَنواعا
ومَضَيْتُ أَبحثُ جاهداً عن خَلَّةٍ ... فيهمْ ، سَناها في الغَيَاهبِ ضاعا
فجعلتُها كالشَّمسِ نُصْبَ عُيونِهم ... لِتَزيدَ آفاقَ المُنَى إشعاعا
ولَمَمْتُ في رِفْقٍ جِراحَ نفوسِهمْ ... وقتلتُ فيها الشّرَّ والأطْماعا
وسكبتُ فيها نورَ قلبيَ شُعْلَةً ... وجعلتُهُ بينَ الأنامِ مُشاعا
فإذا شَفَيْتُ برأفتي أدواءَهُمّ ... أضحَى لِخَفَّاقي الحُبورُ مَتاعا
وإذا كبا أَملي ، ضَمَمْتُ جوانحي ... أَبداً على ما يُحرقُ الأضلاعا [2]

<u>٧- الرثاء ومواساة المستضعفين :-</u>

(١) أنظر عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الاسلامية وأساليبها – في البيت والمدرسة والمجتمع ، ط ٢ (دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٣م) ص ص ٢٥٤ – ٢٦١ .

(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٣) ولد في القدس عام ١٨٧٨ ، وتلقى علومه في مدارسها ، وتخرج من الكلية الانجليزية وعمل معلما فيها ، ثم اشتغل بعد ذلك بالتدريس في المعهد التركى ، وعمل في عهد الانتداب البريطاني مفتشا في إدارة المعارف ، وأنشأ بعد ذلك بالاشتراك مع آخرين كلية النهضة الثانوية في القدس ، وظل يديرها حتى توفى عام ١٩٥٣ – أنظر ، عيسى النافورى : خليل السكاكين : أديبا ومربيا ، ط١ (عمان ، دار الكرمل ، سلسلة احياء التراث الفلسطيني (٣) ، ١٩٨٥م) ص ١٢ وأنظر ، عجاج نويهض : رجال من فلسطين ، ص ص ١٩ – ٢٠ .

رثى العدناني أصدقاءه ، وواسى المنكوبين والمستضعفين من أبناء وطنه وأمته ، ايمانا منه بالواجب القومي الوطني تجاههم ، ومن الذين رثاهم شاعرنا الأديب خليل السكاكيني [١] في حفلة تأبينية أقيمت له عالم ألف وتسعمائه وخمسة وخمسين عندما زار العدناني فلسطين بعد غياب دام سبع سنوات من جراء هجرته التي واكبت نكبة فلسطين الفادحة ، فقال شاعرنا :-

أتيْتُ لأرثي صاحباً كانَ صارماً ... مِنَ العَزْمِ ، يأبَى أَنْ يُتَلَّمَ حَدُّهُ
إليكَ خليلَ الرُّوحِ مِنّي قصيدةً ... أَطَلَّتْ على أُخراكِ مِنْ شُرفَةِ القلبِ
ومالِيَ فيها يا أَخي غيرُ خَطِّها ... لأَنَّكَ مُوحِيها إلى واجِدِ الجَنْبِ
أَتيْتُ بها أَرثيكَ في القُدسِ مُجْحِفاً ... بحقِّكَ في ذرْفِ المدامِعِ والنَّدْبِ
لأَنَّكَ حَيٌّ ، والرثاءُ يُقالُ في ... مَنِ اندفَنَتْ كالجِسْمِ ذكراهُ في التُّرْبِ
وغيرْكَ مِن مُّوادِنا ، برثائنا ... هُمُ اليومَ أَوْلَى منكَ يا مَفْخَرَ العُرْبِ
يَدِبُّونَ مِن فوقِ الثَّرَى بضمائرٍ ... قَضَتْ نَحْبَا مِنْ هَيْضَةِ الزَّيْفِ والكِذْبِ [٢]
وأَنتَ ضميرٌ خالدٌ ، ومُروءَةٌ ... رفيفُ شذاها فاحَ في الشَّرق والغَرْبِ
عليكَ سلامُ الضَّادِ ، والمجدِ ، والعُلَى ... ودمعةُ محزونٍ تَداعى مِنَ الخَطْبِ
فإِنْ كُنْتُ قد أَرضَيْتُ رُوحَكَ ، فالمُنَى ... وإِنْ لم أَكُنْ ، فالرُّزءُ شَرَّدَ لي لُبِّي
وحسبيَ أَني قد نظمتُ ابنَ أضلُعي ... قصيد أَبِهِ أَرْثِي أمانِيَّنَا ، حسبي [٣]

لم ترق عاطفة العدناني في هذه القصيدة إلى درجة تسمو بمستوى أدائها الوجداني ، فالسكاكيني ظهر في رثاء شاعرنا صارم العزم حده لا يثلم ، وأتاه شاعرنا يرثية بقصيدة هوموحيها له ، ورغم ذلك يرى نفسه مجحفا في حقه لأن الخيل حيّ والرثاء لا يقال الا فيما توارت ذكراه كجسمه في التراب كحال قادتنا الذي يدبون فوق الثرى بضمائر قضت نحبها من كوليرا الزيف ، والكذب ، والسكاكيني صاحب ضمير خالد ومروءة رفيف شذاها فاح في الشرق والغرب ، وعليه سلام الضاد والمجد والعلى ودمعة محزون تداعى من الخطب ، ونظم ابن أضلعه قصيدة في رثائه ، لذلك كان رثائه أشبه بالمدح والثناء على صديقه أكثر من كونه رثاء فيه حرارة العاطفة المتهبة بجل المصاب وعظم الكارثة ، لذلك لم تظهر الآهات التي يرتجف مها القلب ، ويلتهب منها الوجدان ، وترتعد منها النفس ، فتتفجر من خلالها الكلمات العاطفية المعبرة عما يجيش في نفسه من آلام ، ولعل مرجع خفوت العاطفة في هذه القصيدة يرجع إلى أن العدناني نظمها بعد سنتين من وفاة صديقه خليل حين عاد إلى القدس عام ألف وتسعمائه

---

(١) النهيضة : مرض الكوليرا ، أنظر ، محمد الرازي : مختار الصحاح ، ص ٧٠٤ – وأنظر أحمد مصطفى ك المعجم الوسيط ، ح ٢ ، ص ١٠١٤ .
(٢) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ، ص ص ٤٢ – ٥١ .

وخمسة وخمسين وكان صديقة قد توفى عام ألف وتسعمائه وثلاثه وخمسين ، مما خفف من حدة المصاب وعظم المفاجئة ، فلو أنه نظمها فور سماعه خبر الوفاة – كما فعل في رثاء الشهيد عبد القادر الحسينى ورثاءه لأمه – لخرجت غزيرة العاطفة ، ولكان تفاعله النفس مع الحدث أقوى وأعمق .

وقد رثى العدناني أيضا صديقه يعقوب العودات [1] المعروف بالبدوى والملثم ، وصاحب كتاب أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، وقد ترجم للعدنانى مرات عديدة ، فقال شاعرنا عنه :–

مـاتَ يعقـوبُ ، فالأمـانِى حُطَـام	وفُـــؤادِى دَامٍ ، ودَمعِـــى سِـــجَام
وشَـغَافِى حَـوْلَ ابـن جَنْبِـى سَجْنٌ	وضُـلُوعِى مـن حَـوْلِ صَـدْرِى سِـهَام
وغنـــاءُ الأطيـــارِ نـــوحٌ شـــجىٌ	ومُحٌيّـــا الصّـــبْحِ الفَتَيَـــقِ ظَـــلاَم
والـــدُّنَى كلُّهـــا غيابـــةُ رمْـــسٍ	طَوّقَتْهـــا مـــن المآسِـــى رِجَـــام
ســيقولُ التـــاريخُ غَيْـــر مُحـــابٍ	أَنَـــكَ الـــرَّوضُ والشـــذا والغَمَـــام
والوفـاءُ الأصـيلِ ، وهْـوَ خِضَـمٌ	فـــوقَ شـــطآنِهِ أَقَـــامَ الكِـــرَام
والإبـــاءُ الأشَـــم تَرْنُـــو إليـــهِ	مُقَـــلُ الصّـــيدِ يَســـتَبِيها الهيَـــام
والـودادُ الصَّــافِى الّـذى ورداتــه	قمـــم الضــــاد كَـــىْ يبـــلَّ الأَوَام
والصــديقُ العمــلاقُ زَفَّــتْ إلِيْــهِ	آيــةَ الشُّــكْرِ والرَّضَــى الأقــلام [2]

امتازت هذه القصيدة بقوة العاطفة عن سابقتها – إلى ما – وذلك لما فيها من حرارة الفراق وجل المصاب ، فموت يعقوب العوادات جعل الأماني حطاما والفؤاد داميا والدمع سجاما وشفاف القلب سجنا ، والضلوع حول الصدر سهاما ، وغناء الأطيار نوحا شجى ، ومحيا الصبح الفتيق ظلاما ن والدنى كلها غيابة رمس طوقتها من المآسى رجام ، وسيقول التاريخ عنه بأنه الروض الشذا والغمام والوفاء الأصيل ، وخضم شطآنه أمام الكرم ، والاباء الأشم والوداد الصافى والصديق العملاق الذي زفت إليه الأقلام أيه الشكر والرضى ، ولعل قول التاريخ عنه لا يوجى لنا بلوغه الأسى على فراقه ، بقدر مايوحى بالمدح والثناء عليه ، مما جعل قوة العاطفة نسبية ، ارتفعت في الأربع أبيات الأولى وانخفضت في الأبيات الخمسة التالية . هذا وقد حاول العدناني ادخال بعض مظاهر الطبيعة في رثاءه كالأطيار والصباح والظلام والدنى والروض والشذا والغمام والخضم والظلام والأغاريد وغيرها ، لما في هذه المظاهر من أهمية في ابراز مدى آمه وأحزانه .

---

(١) ولد يعقوب عام ١٩١٠ في مدينة الكرك الأردنية وتلقى علومه فيها وفي أربدء وعمل معلما وإداريا في كل من الأردن وفلسطين حتى عام ١٩٦٨ حيث استقال من العمل الحكومي وتفرّغ للتأليف والعمل الكتابي حتى أخرى لنا العديد من المؤلفات ، وتوفى عام ١٩٧١ – أنظر ، يعقوب العودات : أعلام الفكر والادب في فلسطين ، ص ٨ .

(٢) محمد العدناني : ((الفقيد البدوى الملثم)) مجلة الأديب ، الجزء ١١ ، السنه ٣٠ ، نوفير ١٩٧١ ، ص ٢٨ .

وإذا كان شعراء العصر العباسى قد استحدثوا موضوعات جديدة في الرثاء خلافا للمعهود ، فظهر عندهم رثاء المدن التي لحقها الخراب والدمار من جراء الحروب والغزوات ، ورثاء الطير الصادح مثل القُمْرىّ والحيوانات المدللة الأليفة المستأنسة ، ورثاء البساتين التي لحقها القحط والخراب [١] ، فإن شاعرنا العدناني قد خاض هذا الغمار برثاءه ضرسه ، وهو أول ضرس فقده العدناني ، فقال في رثاءه :–

وَدَاعــاً أَيُّهــا الضَّــرْسُ المُفَــدَّى   وإنْ جـــاوَزْتَ الإيـــلامِ حَـــدّا
ففـــارَقَنى ، ودمْـــعُ الفَـــكِّ قـــانٍ   علـى ابـنٍ فـي ربيـعِ العُمْـرِ أَوْدَى
وأعْـــوَلَ جـــارُه الأَوفَـــى لســـانى   وطــاغى الحُـزْنِ بالقلـبِ اسـتَبَدّا
وكــان البُـؤْسُ فـي جَـزْرٍ ، ولمّـا   تَـوَلّى الضَّـرْسُ عنّـى ، صـارَ مَـدّا
دهانى النَّحْسُ يومَ قضّيْتَ نَحْباً   وكُنْـتَ لِثغـرِىَ الملْهُـوفِ سَـعْدا
تَخِـذْتَ فَمـى سَـريراً جُـلَّ عُمْـري   ورُمْـتَ وِسـادةً ، فَحُبِيـتَ خَـدّا
نَفَيْـتَ المُـرّ عنّـى فـي طعـامى   فَنِلْـتُ بِـذوقِكَ المُرْمُـوقِ شَـهْدا
فكيــفَ يَغيــبُ ذِكــرُكَ يارفيقــاً   إلــىَّ المَكرُمــاتِ الغُــرَّ أسْــدى
إذا أنـــالم تَجِـــدْ مِنّـــى وفـــاءً   فـلا حَفِظَـتْ لِـىَ الأمجـادُ عَهْـدا
ولاذرَفَ القَــريضُ علــى شــبابى   دُموعاً حينَ يَغْدُو الـرَّمْسُ غِمْدا [٢]

وأما في مواساته للمستضعفين ، وقوفه مع منكوبى الثورة السورية الذين تزجوا إلى لبنان في عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين ، فقد ألقى قصيدة عنهم بعنوان " المنكوب " صور فيها حال الأواد بعد استشهاد آباءهم جهادا ومحاربة للأعداد المستعمرين ، فقال :–

تَرَكـوا لنــا الأطفــالَ عَضَّــهُمُ   ذِئـبُ الطَّـوَى ، فَتَقَـوَّضَ البَـدَنُ
هـذا يَصـيحُ : أَبـى . ووالـدُهُ   فـي الـرَّمْسِ ؛ لا عَـيْنٌ ولا أُذُنُ
يَبْكيــهِ ، لكــنْ لا تَــرِقُّ لَــهُ   إلاّ ســحائبُ حُفَّــلٌ هُــتُنُ [٣]
تَمْـرى ملامِعَهـا الرّيـاحُ دُجـىً   فَيَـزُولُ مـن تَهْطالِهـا الشَّـجَنُ [٤]

وبعد أن صور حال الأطفال الذين عضهم ذئب الطوى فتقوص منهم البدن ، صور حال الصبية التي نضت مدامعها وأناخ من أعضائها الوهن ، فلا لقمة في الكوخ تأكلها ، ولا رقعة للجسم تستره ، ولا ملجأ في الشام يؤتمن ، حتى أصبحت شبحا تقتات من الأحقاد ، فقال:–

---

(١) أنظر ، شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ، ط ٦ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦) ص ص ١٧٣ -١٧٥ . وأنظر ، العصر العباسى الثاني ، ط ٢ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥) ص ص ٢١٨ – ٢١٩ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الروض ، ص ص ١٣٩ – ١٤٢ .
(٣) حفل : مملؤة بالماء ، أنظر الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ١٢٧٣ – وهتن : تتابع المطر ،، نفس المرجع ، ص ١٥٩٩ .

وصَـــبِيَّةٍ نَضَـــبَتْ مَـــدامِعُها وأنــاخ فــي أَعضــائِها الــوَهَنُ
لا لقْمَـــةٌ فـــي الكُـــوخِ تأكُلُهـــا ولا نَجْـدَةٌ يُمْخَـى بهـا الحَـزَنُ
لا رُقْعَـــــةٌ للجِسْـــــمِ تَسْـــــتُرُه لا مَلْجَــأٌ فــي الشّــامِ يُــؤْتَمَنُ
جَمَعَ الشّقاءُ ، فأصبَحَتْ شَبَحاً تَقْتَاتُ من أَعصابِها الإِحَنُ [1]
تشـكو ، وتشـكو بُؤْسَـها عَبَثـاً حَتَّـــى يُخَـدَّرَ لُبَّهــا الوَسَــنُ [2]

ثم يوجه نداءه للمحسنين ليقدموا لهم العون والمساعدة لمواساتهم والتخفيف من كرباتهم ، فقال :–

جُــودوا بــأموالٍ يُغــاثُ بهــا قـــومٌ بأشـــتاتِ الـــبلاءِ مُنُـــوا
فـإنِ الرُّعـودُ بَجـوَّهمْ قَصَـفَتْ والغَيْــثُ لــم يُــنْعَشْ بــهِ فَــنَنُ
فَنَــوالُكم غَيْــثٌ لِمَــنْ نُكِبُــوا وعَـــنِ الـــدَّيارِ بِوُلْـــدِهِمْ ظَعَنـــوا
مَنْ ذَا الذى يا قومِ يُقْرِضُـهُمْ قَرْضــاً ، بــهِ تَتَضَــاعَفُ المِـنَنُ ؟
فَيُحَّـــرروا بـــدمائِهِمْ وَطَنـــاً مـــا بَـــدَّهُ فـــي مَجُـــدِهِ وَطَـــنُ [3]

هكذا كان العدنانى عضوا فعّالا في مجتمعه ، حريصا على صلاحه واستقامته ورفعته ، لذلك وجدناه محاربا للمفاسد ، وداعيا للاصلاح ، ومشاركا برثاء الأصحاب ، ومواسيا للمستضعفين والمنكوبين .

(١) الاحن : الأحقاد ، أنظر ، محمد الرازى : مختار الصحاح ، ص ٨ .
(٢) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ص ١٦ – ١٧ .
(٣) نفس المصدر ، ص ص ١٧ – ١٨ .

الفصل الرابع

المضمون الوجداني والانساني

المضمون الوجدانى والانسانى

وهو المضمون الذي يعبر فيه الشاعر عن عواطفه " وشعوره وآماله وآلامه ، وما يختلج في صدره من سرور وحزن وأمل ويأس ، وما يفيض به قلبه من حب وحنين وهوى ولذة وتفاؤل وتشاؤم بالحياه " . [١] هذا وقد ظهر في الجانب الوجداني قضايا مثل الغزل والفخر وسعة الصدر ومناجاة النفس ، والوصف ، وفي الجانب الانسانى الحنين والغربة وعاطفة الأمومة ومناجاة فلسطين . ويمكننا أن نتناول كل جانب على حده كالآتى :-

أولا : الجانب الوجدانى :-

١- الغزل :-

امتاز العدنانى في غزله بالحفاظ على الأخلاق الكريمة والفضائل القويمة ، ففى الوقت الذى كان فيه الشعراء يتغزلون بليلى وأترابها ، كان هو هائما بحب العرب وحب فلسطين وحب الحرب ، فقال في ذلك :-

إذا فتنَتْ غيرى بُثينُ وعزّةُ ... فإنّى بقومى وإلِهٌ أبداً صَبُّ
وَقَفْتُ يراعى مُذْ شَبَبْتُ عليهِمُ ... إذا ذادَ عنهمْ ، دْونَهُ المُرَهَفُ العَضْبُ
وأعطيتُهُمْ قلبى ، فَجُنَّ جُنونُهُ ... هُياماً بهم – أَفْديهِ – مافى الهَوى لِعْبُ
يُرَدَّدُ ذِكرَ الصَّيدِ في خَفَقانِهِ ... ويَهْتِفُ طيَّ الصَّدرِ مُنتَشِياً (عُرْ) ، (بُ) [٢]

وعن موطنه قال :-

أَيُّها العاشقون ! كُلٌّ بليلَى ... إنْ تفنَّى ، وراقَهُ التَّشْبِيب
فأنا موطنى الأَغَرُّ حبيبى ... وبهِ وَحْدَهُ يَطيبُ النَّسِيبُ [٣]

وعن الحرب قال :-

تَخِذْنا لنا الحَرْبَ الزَّبُونَ حبيبةً ... فلَمْ تُصْبِنا ليلى ، ولم تُلْهِنا حُبَّى
هَوِينا الوَغَى منذ اصطلَيْنا بنارِها ... وأصبَحَ كُلٌّ مُستْهاماً بها صَبّا
وقَفنا عليها مالَنا ونسيبَنا ... وكِدنا – عِطاشاً – تشربُ الطعنَ والضَّرْبا
نعانِقُ فيها البُندقيةَ عَفَّةً ... وننتظمُ الأَدواءَ والبِيدَ والهضْبا [٤]

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجى : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ط ٢ (القاهرة ، دار العهد الجديد للطباعة ، ١٩٥٨) ص ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٢) محمد العدنانى : ديوان الوثوب ، ص ٤٢ .
(٣) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ١٠٣ .
(٤) محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ٩٣ .

ومن أجل ذلك أثنى شاعرنا على الشعراء على الشعراء اللذين يشببون " بالفيد تشبيبا برئيا يدخل خدور العذارى دون أن يخجلن منه ، سواء كان شاعرا في سن الشباب أوفى سن الشيخوخة "،[١] وشن حملة قاسية على اللذين أضاعوا جل وقتقهم باللهو مع ليلى وأترابها ، أمثال نزار قبانى الذي وجه له العدنانى رسالة قال له فيها :((أناشدك باسم العروبة التى تعتز بها، والضاد التى تنظم بها قصائدك ، أن تضرب ستارا حديديا حول قصائك التى تثير غزيرة الجنس في الأغرار من الشبان ، فينصرفون إلى التخنث والمجون بدلا من أن ينصرفوا إلى التفكير في الجهاد وانقاذ الوطن،كما يفعل الفدائيون الأبطال شبانا وأشبالا الآن ".[٢] فالعدنانى بهذا المفهوم لا يقف ضد شعر الغزل عامة ، ولكن ضد الفاحش والاباحى منه ، لذلك كتب لقبانى في ختام رسالته السابقة قائلا : " والى اللقاء في فلسطين الحبيبة لنتغزل معا بالجمال غزلا يدخل خدور العذارى دون أن يخجلن منه ، رغم أننى بلغت من الكبر عتيا ". [٣]

لذلك جاء شعر العدناني الغزلى متسما بالوقار والمعانى السامية والدلالات النبيلة ، مثال ذلك تغزله باحدى الممرضات في مستشفى الجامعة الاميريكية ببيروت عندما جاءت لتقيس ضغط دمه ، فهالها ارتفاعه ، فقال العدنانى :

جَاءَتْ تَقِيْسُ ارْتِفَاعَ الضَغْطِ في عَضُدِى ... والذّعرُ في خَّافِقِى ، والنَّارُ في كَبِدِى
فَلَمْ تَرَ الرَقَمَ حَتّى ثَارَ ثَائِرُها ... وَطَاشَ لُبُّ فتاةِ الحُسْنِ والغِيْدِ
فقلتُ : لا تَجْزعِى مما رأيْتِ ، وَهَلْ ... نَسِيْتِ أَنَكِ يالَيْلَى لَمَسْتِ يَدِى
فَأَفْرَغْتِ شُحْنَةً ، لَمْ تَسْرِ مَنْكِ إلى ... كَفَّى لَعَمْرُكِ حَتّى زَلْزَلْتِ جَسَدِى
فَجُنَ قَلْبِى في الأَضْلاعِ مِنْ وُلَهٍ ... وزْ ادّادَ ضَغْطُ دَمِى ، وانْهارَبى جَلَدِى
ويْحَ ابن صَدْرى ، لا يُصْغِى إلىَّ إذَا ... ما قُلتُ إنَكَ في السّبْعِيْن بَعْدَ غَدِ
يَنْسَى السِنِيْنَ ، ويَأْبَى أنْ يُفارِقَهُ ... شَبَابُه شَادِياً كالبُلْبُلِ الغَرِدِ
ذفالعُمْرُ لَيْسَ سِوَى عزمٍ نَحُس بِهِ ... أو رعدةٍ الجُبْنِ لا تُبْقِي على أَحَدِ [٤]

وقلب شاعرنا لا يصمد أمام الحسان ، فسرعان ما يتهاوى إذا ما جاءه رئم بلحظه الفاتن ، فقال :-

لا يَصْمُد القَلْبُ المَنِيعُ هُنَيْهَةً ... إنْ جاءَهُ رِئْمٌ بِلَحْظٍ رَاشِيَا
لَوْلا الحِسانُ لَجَاءَ دِيوانُ الوَرَى ... بِصَحَائِف حُمْر ، مُلِئْنَ مَرَاثِيَا
مَنْ لَمْ تُظلل نفسه دَوْحَ الهَوَى ... وَجَدَ الحياةَ بلاقِعاً وَفَيَافِيَا [١]

---

(١) محمد العدنانى : ((ديوان عمر ابو قوس)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ ، السنة ٣٢ ، أغسطس ١٩٧٣ ، ص ٤٤ .
(٢) محمد العدناني ((إلى الشاعر نزار القبانى)) مجلة الأديب ، الجزء ٧ ، السنة ٢٩ ، يوليو ١٩٧٠ ، ص ٥٠ .
(٣) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٤) محمد العدنانى : ((قلبى)) مجلة الأديب ، الجزء ٥ ، السنة ٣١ ، مايو ١٩٧٢ ، ص ٥١ .

ويبين العدناني من خلال تغزله العفيف هذا دور المرأة التى لولاها لجاء ديوان الورى بصحائف حمر ملئن مراثيا ، فهى التى فتنت لبه بمحاسنها وأخلاقها ، وهى التى لمست قلبه أناملها فأنقذته بعد أن أفضى إلى العدم ، وهى التى لامت الجراح التى ما كان يُعتقد شفاؤها ن وهى التى أمسكت بالقياد الجامح فغنت لها النفس وهى في الحمم ن من أجل ذلك يرسل لها العدنانى خلاصة قلب قال فيها :-

إلــى التِــى فَتَنَــتْ لُبَّــى مَحَاسِــنُها وَخُلُقُهــا ، وهــوَ يَعْلُــو شــامِخَ القِمَــمِ
إلــى التّــى لَمَسَــتْ قَلْبــى أَناملُهــا فأنْقذَتْــهُ ، وَقَــدْ أَفْضَــى إلــى العَــدَمِ
لَمَّـتْ جِرَاحــاً لــهُ ، ماكنْـتُ أَحِسْـبُهَا تُصـافحُ البُـرءَ مـن سَقَمٍ ، ومـن أَلَـمِ
وأَمْسْـكْتِ بِقِيـادِى جامِحـاً ، فغنَّـتْ نَفْسِى لها وَهْىَ في عاتٍ منَ الحِمَمِ
وأَصْـبَحْتُ مثـلَ طفـلٍ طَـوْع رَغْبَتِهـا إنْ لـم تُهَدْهِـدُهُ أخـتُ البـدرِ لَـمْ يَـنَمِ
إليكِ سَلْمَاىَ ، يا روضَ المنى أَرَجَاً فَخْـرُ يَعْـرُبِ فــي نبـلٍ وفــي شَــمَمِ
أَهْـدِى خُلاصــةَ قلـبٍ رُحـتُ أَنْظِمَـهُ فبـاتَ لحنـاً ، بـهِ قَـدْ جُـنّ كـلُّ فَـمِ
وأَقْبَلَـتْ ســاجعاتُ الـروضِ هائِمَــةً بِمَاسَبَى سَمْعَها مـن رائـعِ الـنَغَمِ [٢]

ومن غزله أيضا قوله داعيا الحسناء أن تُصحبه بقدها السمهري ، وبورد وجنتيها الجنىّ ، وبلحظها الفاتن العربي ، وبوجهها البسام مصدر الالهام ، وبحبها البدى وحسنها الرقراق .

صَــبَّحِيْنِى بِقَــدِّكِ السَــمْهَرِى [٣] وَبِــوَرْدٍ فــي وُجْنَتَيْــكِ جَنِــى
واشْـرَحِى لِـى بِلَحْظِـكِ العَرَبِــى أَىّ ســرٍ فــي الفُتُــونِ خَفَــى
بَيْنَ عَيْنَيْكِ يَأسِرُ الأَلْبَابَا
صَــــبّحِيْنِى بِقَـــــدَّكِ البَسّـــــام كلَّ يومٍ يا مصدر الإِلهَام
وامْــلأِى يارشُــوف بــالأُنسِ جَــامِى وانفِحِيْنِــى بِحُبَّـكِ الأَبَـدِى
وَأَمِيْطِى عَنْ الهُيام النِّقَابَا

---

(١) محمد العدنانى : ((الحسان)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ ، السنه ٣٣ ، أغسطس ١٩٧٤ ، ص ١٧ .
(٢) محمد العدنانى : ((خلاصة قلب)) مجلة الأديب ، الجزء ١ ، السنه ٣٠ يناير ١٩٧١م ، ص ٣٣ .
(٣) الصمهرية : الفتاة الصلبة – أنظر ، محمد الرازى ، مختار الصحاح ، ص ٣١٥ .

حَـــدِّثِيْنِى بِحُســـنِكِ الرِّقْــرَاق   وَأَثِيْـــرِى لَـــوَاعِجَ الأشْـــوَاق
واغْزِلِـى مِـنْ أَشَـعَّةِ الأَحْـدَاق   شَـرَكاً يـا هَـوَى الْمنَـى للـوَفِى
وأَسْرِيْـهِ كَـىْ لا يَضِيـع الصَوَابَا
حَـــدِّثِيْنِى بِصَـــدْرِكِ المَـــوّاج   حائِراً مثلَ تَائِهٍ في الدّيَاجِى
وَأَبِيْنِـــى بِـــهِ مـــن أَحَـــاجِى   ورمـوزٍ مـن الـهَـوَى المُقَـدَسِ
وَخُذِى نَسِيْبِى عُبَابَا [١]

هكذا جاء غزل العدنانى ((متأجج العاطفة عنيف ، يدخل خدر كل عذراء دون استيحاء)) [٢] لذلك ظهرت فيه معانى الطهر والعفاف ، وبعُدت عنه مظاهر الفحش والاباحيّة الحسيّة .

<u>٢ – الفخر :–</u>

خالف العدنانى الشعراء الذين غالوا في مدح أنفسهم وأسرفوا في الثناء عليها ، ورأى أن الفخر ((يسمح به للشعراء ، على ألا يسرفوا فيه اسرافا يؤاخذهم عليه التاريخ)) [٣] ، وقد وجه العدنانى انتقادا الى بعض الشعراء الذين غالوا في ذلك كالشاعر عمر أبو قوس الذى قال :–

فأنـا أميرُ الشـعراءِ غيرَ مُدَافعٍ   أُغَنّـى العروبـةَ بـالقَوافِى الشُّـرَدِ [٤]

فرد شاعرنا عليه قائلا : ((قد كنت أؤثر أن يقول ذلك عنه شخص سواه ن هذا فضلا عن أن امارة الشعر وهم من الأوهام ، ولا يرضى بها العلم والمنطق)) [٥] ، لذلك قال عن فخره بنفسه ((لا أحب الافتخار بنفسى ن وحسبى المنزلة الرفيعة التى فزت بها في قلوب كثير من أعلام الأمة العربية وأدبائها وعقولهم وكتبهم وصحفهم)) [٦] ، ولكنه رغم ذلك يخل شعره من مبالغة مقبولة اعتاد الشعراء على ارتيادها ، فوجدناه إذا طلب السحب صيدا يمد العزم ليقنصها ، واذا لمع السراب وبه عليل فجّر الماء فاكتسح السراب فأخصبت منه الفدافد بعد أن كانت يبابا ، وجعل شعره يسير على لسان الدهر ويصبح شرابا لكل درّاك يتسرب في القلوب بغير اذن ، فقال :

(١) محمد العدنانى : ((صبحينى)) مجلة الأديب ، الجزء ٩ ، السنه ٢٦ ، سبتمبر ١٩٦٧ ، ص ٣٨ .
(٢) حسان الكاتب ، نفس المصدر ، ص ٢٥ .
(٣) محمد العدنانى : ((ديوان عمر أبو قوس)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ السنه ٣٢ ، أغسطس ، ص ٤٥ .
(٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٥) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٦) محمد العدنانى " إلى الشاعر سعيد عقل " مجلة الأديب ، الجزء ٢ ، السنه ٣١ ، فبراير ١٩٧٢/ ، ص ٥٠ .

وأدركـــتُ الـــذى يبغيـــهِ قلبـــى فلـــم أبْـــلُ النَّبـــالَ ولا الجِرابـــا
وصِـرْتُ إذا طلبتُ السُّحْبَ صَـيْداً مـددْتُ العـزمَ فـاقتنصَ السـحابا
وإنْ لمـــعَ السَّـــرابُ وبِـــى غليـــل فَجَـرْتُ المـاءَ فالْتَسـحَ السَّـرابا
وأخصَـــبَتِ الفدافـــدُ مـــن مَعـــينٍ زُلالٍ بعـــد أن كانـــتْ يَبابـــا
وسـارَ علـى لسـانِ الـدهر شِـعرى وســـاغ لكـــلّ درَّاكٍ شــــرابا
تسـرَّبَ فـي القلـوبِ بغيـر إذنٍ ورانٌ علـى النُّهـى طُـرّاً خِلابـا
وأشــجى الــدوْحَ مغتبطــا هَــزاراً وأعيـا الخَصـمَ غضـبانا عُقابـا
فخلّيـــتُ الحبيـــبَ يطيـــرُ وَجْـــداً ويَنعَـبُ حاسـدِى الـوانى غُرابـا [١]

واستخدم العدنانى صيغة الجمع في فخره لما فيها من الفخامة والاعتداد بالنفس ، فقال:-

كشـفنا عـن نوايـا القلـبِ طُـرّاً ولـم نُسدِلْ علـى الـنفسِ النقابا
وأطلعْنـا الأنـامَ علـى ضـميرٍ تلـــوْهُ كـــأنَّهمْ قـــرأوا كتابـــا
فـإنَّ المكـرَ لـم يعـرف طريقـاً إلينـا ، والرِّيـا لـم يُلـفِ بابـا
وكنّـا النَّسْـرَ فـي أفُـقِ القـوافي ومـا بلـغَ العِـدا مـن الـذُّنابَى
تركنـاهم مـن الأحقـادِ صَـرْعَى وقـد صَـفِرَتْ أمـانِيهمْ وِطابـا
وقـد غصْـنا علـى الأفكـار دُرَّا وطاشُـوا فـوقَ زاخرِهـا حَبابـا
وكنّـا السـيفَ ذا الحـدّيْنِ يَغـرِى من النكَباتِ فـي الدُّنيا الرِّقـاب
ذذلـه العليـاءُ قد أضحَتْ فِرنـداً [٢] وبـاتَ الجـائرونَ لـه قِرابـا [٣]

---

(١) محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ٨ – ٩ .
(٢) فرندا : السيف ، وما يلمع من صفحته ، أنظر ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ٣٩١ – محمد الرازى : مختار الصحاح ، ص ٥٠١ – إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٦٩٣.
(٣) محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ص ٩ – ١٠ .

فالعدنانى في هذه الأبيات نقى النفس صافى الوجدان، كشف عن نوايا قلبه ولم يسدل عليها ستارا ولا نقابا، وعرضها على الأنام كأنهم يقرأ ون كتابا، فما وجدوا فيها المكر ولا الرياء . فمثله غاض على الأفكار درّا واعاديه طاشوا فوق زاخرها حبابا ، ومثله أيضا كالسيف ذا الحدين يفرى الرقاب من النكبات في الدنيا حتى أضحت العلياء تسطع له بنورها ، وبات الجائرون والأعداء قربانا. ولعل ديباجة العدنانى في شعره هذا تذكرنا ((من حيث المظهر الخارجى بأبى الطيب..ولا يقتصر الشبه بين الشاعر بن على طريقة الفخر والفلوفيه، بل يتجاوز ذلك إلى هذه الوفرة من أبيات الحكمة والمثل التي تنتثر في ثنايا فصائد شاعرنا، والى هذه الألفاظ والقوافى التي تجعلنا دائما نذكر أبالطيب كلما قرأنا بعض قصائد شاعرنا)).[1]

٣- الحلم وسعة الصدر :-

تحلى العدنانى بالحلم وسعة الصدر مع أبناء قومه ، فقال : ((وأنا أجد لذة في أن أغفر لبنى قومى أساءاتهم الىّ)) ، [2] لذلك وجدناه في اللحظات التي كان يعانى فيها من جورهم وظلمهم يقابلهم بالصفح والعفو والغفران حتى يشملهم بحلمه وسعة صدره . ففى لحظة انفعال ومعاناة قال شاعرنا :-

فَعِيْلَ اصْطِبَارِى بَعْدَ أَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ   بِمَكْرِهِمْ ذَرْعاً ، فَثَارَ وَزَمْجَرَا
وَأَطْبَقَتْ مَثْلَ الرُّعبِ مَنْ كلَّ جانبٍ   عَلَيْهم ، فَجُنَّ اللُّبُّ مِنْهم وأَدْبَرَا
وباتُوا شَتاتاً لا يُهْدَئ بالُهُم   أمانٌ ، ولا يَدْرونَ ما سنةِ الكَرَى
ويَنْمُو الأسى والحِقْدُ طَىّ نُفُوسِهِم   فَيَبْلُوا شراً ، مُشْرِع النابِ ، أَكْدَرَا [3]

ولكن شاعرنا رغم ذلك لا يسعه غلا أن يغفر لهم ويشفق عليهم ، فقال :-

فَأَشْفَقَ قَلْبِى غَافِراً سيّئاتِهِم   وقَدْ كُنتُ أَرْجو أَنْ يَلِينَ وَيَغْفِرَا
فما عَبَّدَ الحِقْدُ المُوَجِجُ دَرْبَهُ   إلى خَافِقِى يَوْماً ، ولا باعَ أوشَرَى
فَلَيْسَ نَعِيمِ النَّفْسِ في غَيْرِ عَفْوِها   يَبَيْتُ بِهِ رَوضُ الأَمَانى مُزْهِرَا
وَهَيْهاتَ أَنْ تَلْقَى سِوَى الحبّ خالصاً   يَمْلِكُ طولَ العمرِ أَفْئِدَةَ الوَرَى [4]

فنعيم نفس العدنانى يمن في العفو حتى يبيت روض الأمانى فهيا مزهرا ولا يدع للأحقاد متسعا ، فكل الناس في قلبه اجتمعوا ، حتى أنهم اذا بكوا راحت دموعه من الخفاق تندفع ، . واذا رموه بنقد لاذع حنق عفى عنهم ، وان أسالوا دمه وهو يجرى بحبهم ، مسح دمع فؤاده وهو ينصدع ، ودعى ربه أن يصونهم من الأذى والأسى لأنهم كلهم من مهجته قطع ، فقال :-

---

(١) ناصر الدين الأسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، ص ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
(٢) محمد العدنانى : ((من محمد العدنانى إلى القراء الكرام ((مجلة الأديب ، الجزء ٦ ، السنه ٣٢ ، يونيو ٣٢ ١٩٧٣ ، ص ٥٧ .
(٣) محمد العدنانى : ((عنل اصطبارى)) مجلة الأديب ، الجزء ١١ ، السنه ٢٨ ، نوفمبر ، ١٩٦٩م ص ٣١ .
(٤) نفس المصدر ، نفس الصحفة .

مـا فـي ابـن صَـدْرِى للأحقـادِ مُتَسَـعٌ فالنــاسُ كُلُهُـم فــي قَلْبــى اجتَمَعُـوا
إذا بَكُـوا مـن مصـابٍ حَـلَّ أَنْفُسِـهِم راحـتْ دُمـوعى مـن الخَفَّـاقِ تَنْـدَفِعُ
وإنْ رَمُــــونِى نِبَقْـــدٍ لاذِعٍ حَنِــــقٍ عَفَوتُ عَمّا بى الأحبابُ قَدْ صَنَعُوا
وإنْ أَسَــالُوا دَمــاً يَجْــرِى بِحُــبهم مَسَحْتُ دَمعَ فُؤادِى ، وَهْوَ يَنْصَدِعَ
وقلتُ : ياربَّ صَنْهُم من أَذَىً وأسىً لأنَهـم كُلَهـم مِـنْ مُهجَتِـى قِطَـعُ [1]

لقد بلغ حلم العدنانى مبلغا كبيرا حتى ضرب مثلا في العفو والغفران لبنى قومه فاذا هم ثلموا حده ، شحذ حدودهم ، وان أمعنوا في البعد ، زادهم قربا ، وان نكثوا عهد ، حفظ عهودهم ، وان أظهروا بغضا غمرهم حبا ن وان ملأوا بالشوك دربه ملأ دربهم وردا ، وان أنزلوه مجدبا من بقاعهم وهبهم قلبها بحبهم خصبا ، وان أوردوه مشربا غير سائغ أوردهم عذبا ، وان أركبوه عندهم مركبا صعبا أنزلهم صدره الرحيب ، ونظم اطراءه عقودا لجيدهم ، وان قتلوه قال عاشت يمينهم ولوطرحوا منه في كل بادية اربا ن ولا كان يوم لا يرى فيه نفسه خادما لقومه ومعينا لهم ، فقال -:

لَـئِنْ ثَلَمُـوا حَـدّي شَـحَذْتُ حُـدودَهم وإنْ أمعنُـوا فــي البُعـدِ زِدتُهُـمُ قُربــا
وإنْ نكثُوا اعهدى حفظتُ عهودَهم وإنْ أظهــروا بُغْضــاً غمــرتُهُمُ حُبّــا
وإنْ مَــلأُوا بالشــوْكِ دربــى الــيهم مَــلأْتُ لهـم ورْداً إلــى قلبَــى الــدَّرْبا
وإنْ أنزَلُـونى مُجـدِباً مِـنْ بِقـاعِهم وهبــــتُهُمُ قلبـــاً بِحُـــبَّهِم خِصْـــبا
وإنْ أَرَدونـــى مَشْـرَباً غيــرَ ســائغ جَرَعْــتُ هَنيئــاً ثُــمَّ أوردتُهُــمْ عَــذْبا
وأُنــزِلُهم صــدري الرَّحيــبَ مُمَهّـداً وإنْ أركبُـونى عنـدَهم مَركبــاً صــعبا
وأَنظِــمُ إطرائـــى عُقــوداً لجِيــدِهم وإنْ أمعنُوا في خُلْقِىَ المُرتَضَـى ثليـاْ
وإنْ قلتـونى قلـتُ عاشـت يميـنُهم ولوطرَحــوا فـــي كــل باديـــةٍ إرْبـــا
فـلا كـانَ يـومٌ لا أُرَى فيـه خادمـاً لقومى ولا قِيثـارُ صـدرى شـداوُجْبَا [2]

بذا يكون شاعرنا قد شمل أبناء أمته جميعا بحلمه وسعة صدره وذلك لأن قلبه له يخفق حبا لغيرهم ولأنهم كلهم قطع من مهجته .

(١) محمد العدناني : ((من محمد العدنانى إلى الشاعر اللغوى رشاد على أديب)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ ، السنه ٢٩ ، أغسطس ١٩٧٠ ، ص ٥٤ .
(٢) محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ص ٩٤ – ٩٦ .

٤- مناجاة النفس :-

ناجى العدنانى نفسه ووجدانه معبرا بذلك عن الآلام والمتاعب التي لقيها في حياته ، فهو مثلا يواسى قلبه كأنه يعتذر له لما جرعه من الغمّ ألوانا يضيق بها صدر النام ويخشى من حملها الجبل ، فأوغله في بيداء مجدبة وأدخل فيه اليأس بعد أن أغراه النهم فاستكان شاعرنا له حتى نما وبدأ يرتع في صدره ويبغى في حكمه وينتقم ن الا أن بقية ايمان في نفس العدنانى أنقذته وأنقذت قلبه من العدم ، فقال :-

ياراهباً في ضلوعى ن عافَكَ الأَلَمْ وبِـتَّ كالصُّـبحِ ، لا يـأسٌ ولا سَـقَمُ

جَرّعتُكَ الغَمَّ أَلواناً ، ويَضيقُ بها صـدرُ الأَنـام ، ويخشَى حَمْلَها العَلَـم

أيّامَ أو غَلْتُ فـي بيـداءَ مُجْدِبَـةٍ إلاّ مـن اليـأَسِ أغـراهُ بَـى الـنّهَمُ

جَوْعانُ آنَسَ بى وُهْناً ، فساورَنى حتّـى اذا طـارَ لُبّـى ، راحَ يلـتهِم

لـولا بَقِيَّـةُ إيمـانٍ بـهِ ادّرَعَـتْ نفسـى،لأَوْطنَ فـي أرحائِهـا العَـدَمُ[١]

ويناجى شاعرنا من فيض المصائب التى جعلته لا يستهوى الخمائل شاديا ن ويرتد كاسف البال بعد استجداء السعادة ضارعا ، ويحتار وهى تحطم أعظمه أركعتين صلى الضحى أم ثمانى ، لذلك حاول نفض الهم عن نفسه فخانه الزمان الذى تشيب بلاياه النواصى ، وراود طيف الموت عله يجد فيه طبيبا فأعرض عنه خائفا أيضا من جمر مصائبة الكاوى ، فأمسى شاعرنا في دنياه لا يستطيب ثمارها ولا ينال راحة الآخرى لكى تقيل عثاره ، ولم يبق عنده حيلة من معاناته وآلامه التى اصطفاه بها الدهر ، فجأر بالدعوة الى الله ليسمع شكايته هذه والا ليرحمه باختتام حياته ، فقال :-

قَـدْ صِـرْتُ فَـيْضِ المصـائِبِ ناعِباً وماعـدتُ أسْتَهوى الخمائـلَ شـادِيا

وَكَمْ رُحْتُ أَسْتجدى السعادةَ ضارعاً فأرْتَـدُّعنها كاسـفَ البـالِ ، باكِيـا

ولَـمْ أدْرِ ، والبأسـاءُ تَحْطُـم أَعْظُمِـى " أثنين صليتُ الضُّحى ن أم ثَمَانِيَا "

وحاولتُ نَفْضَ الهمِ عنِى ن فَخَانَنِى زمـانٌ بلايـاهُ تُشـيبُ النواصِـيَا

وراودتُ طيفَ الموتِ ، علّي أرى به طبيباً مـن الـدنيا الخـؤون مُـداويا

فـاعرضَ عنـى خائفاً مـن مصـائبى لأن بهـا جمـراً مـن الضّـر كَاويـا

وأمسـيتُ ، لا دنيـاى طابـتْ ثمارُهـا ولا راحـة الأُخْـرى اقالـتْ عِثارهـا

ولَـمْ تَبْـقَ لـى فـي مـا أُعانيـهِ حيلـة فياليـتَ شـعرى هـل يُفيـدُ بَقَائِيـا

فَلِـمَ راحَ دَهْـرِى يصـطَفِيْنى بِظُلْمِـهِ فـلا يُرسـل الـويلاتِ الا عَـذَارِيا

---

(١) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ص ١٥٦ – ١٥٧ .

أَزِلْ كَرْبَتِـى يـاربِّ ، واسـمَعْ شِـكَايَتِى   والا أَرِحْنِــى باختِتِــامِ حياتِيَــا [١]

وتمضى الستون من عمر العدنانى ولم يجن خلالها الا الآلآم والمحن والأرزاء ، فقال مناحيا نفسه بهذه الآلام وبتلك المحن والأرزاء في قصيدة أسماها " الستون " :-

مَضَـتْ السـتونَ لَـمْ أَشْـعر بهـا   فــإنِى أمــس وافيْــتُ الــذُّنَى
مــا خَلاعَيْشــى مــن هــمٍ ، ولا   رَتَـعَ ابنُ الصدرِ في رَوضِ المُنى
كُلمـا أبعـدتُ عـن غـولِ الأسَـى   سـرقَ الخَطْـوَ الأسَـى ن ثـم دَنَـا
والسّــقامُ الأحمــرُ الكــفِ إذا   مــارآنى ألــبسُ العــزمَ رَنَــا
ودَهــانِى منــه مــا يُرْقــدنى   أشــهراً مــا بــين أنيــابِ الضَـنَى
ان عُمْرى عن اطـار البـؤسِ لَـمْ   يَتَزَحْـزَح ، ولـيسَ لـى عَنْـهُ غِنَـى [٢]

واذا كان العدنى قد ناجى نفسه بالآلآم التى لقيها ، فانه في المقابل استعاد ثقته وعاد أمله ليناجيها بما يسرها ويسعدها ، فقال :-

شقوةٌ لا بُدَّ منها ، فلْنَعِشْ   في ابتِسامٍ يَتَحَدْى الشَّجَنَا [٣]

وقال :-

جَلا الأَسَى عن ربُوعِ النفسِ ، لا دَرَجَتْ   بهِ ، مَدَى عُمُرى ، شطرَ الجِمَى قَدَمُ
وأَقْبَــلَ الفَجْــرُ مَزْهُــوّاً هَشّــتْ أَزاهِــرُهُ   وأَعْرَبَتْ عَنْ هَو اها الصَّادِقِ النَّسَمُ [٤]

وتنتشى نفس شاعرنا بعد جلاء اليأس عنها واقبال الفجر مزهو بغرته ، ودم الحياة ينبض في حواشيه حتى شمت روض المنى ، وهشت أزاهر الفجر ، وأعربت النسم فيه عن هواها الصادق ، وأصبح الصفاء رهن اشارته ففى أى وقت يطلبه يأتيه ويحل في قلبه ، ويقحم النفس في حرب الأسى ودرعه مغموس بالدماء ، وينبرى للمنايا ومهجته أشلاء ، ومع ذلك لا يعود الا وبيده اللواء والغار فوق جبينه وبسمته زهراء ، وطيف سعده يشدو وترقص له الأحناء ، فقال :-

---

(٢) محمد العدنانى : ((انه شاعر)) مجلة الأديب ، الجزء ١٠ ، السنه ٣٣ ، اكتوبر ١٩٧٤/ ص ١٦ .
(١) محمد العدنانى : ((الستون)) مجلة الأديب ، الجزء ٧ ، السنة ٣٣ ، يوليو ١٩٧٤ ، صص ٣٢ .
(٢) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٣) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبه ، ص ١٥٧ .

فـــي أيَّ وقـــتٍ أَشَـــاءْ   يَحــلُّ قَلْبِـــى الصَـــفَاءْ
وأَقْحِـمُ الـنفْسَ حَـرْبَ ال   أَسَـى ، وَدِرْعَـىَ الـدَّمَاءْ
وأنْبَــــرى لِلْمَنايـــــا   ومُهْجَتِــــى أَشْـــلاءْ
ولسْـــــتُ أرجِـــــعُ الا   وفـــي يَـــدى اللـــواءْ
والغـــارُ فـــوقَ جَبِيْنِـــى   وبَسْـــــمَتِى زهْـــــراءْ
وَطيْـفُ سَـعْدِى يَشْـدُو   وتَـــرْقُصُ الأَحْنـــاءْ
فَمَـــنْ أَرادَ الأمـــانِى   والعَـــزْم فيـــه مضـــاءْ
ومـــا أَلاهـــا اطِلابـــا   أَتَتْـــهُ وهـــى إمَـــاءْ [1]

وبعد هذا المطاف الوجدانى الذي يقدمه العدنانى في مناجاة نفسه في آلامها وأفراحها ، وبعد أن وصل به العمر السبعين ، قال فى قصيدة أسماها " السبعون " معبرا عن حمده وشكره لله على النعم التى أنعم بها عليه في جميع مراحل حياته :-

لك الحمْدُ يا ربى على النّعِمِ الكُثُرْ   علـى السَعْدِ رَقّافَاً ، علـى العزمِ والصـبر
على غمرِ نفسى بالإباءِ وبالتُّقَى ،   علـــى نســلِى المــزدانِ بـــالخُلُق والبِــر
علـى الـوحى والالهـامِ بالخلدِ أقبلا   فــأمتعَنِى روضـــى بأحلامِـــه الخُضْـــر
على اللُّبِ يجنى لى المعانى يتيمةً   فتلْبِسُـــها اللفـــاظُ ثوبـــاً مـــن السِـــحر [2]

ويمضـى في شكر لله علـى نعم الأطيار يطرب مسمعه ، وعلـى حسن الغادات يأسرن قلبه ، وعلى الروض والأزهار عليها ثوب من الندى ، وعلى الفجر وقد شق الدياجير بالمنى ، وعلى الصبح الذى يأتى قلبه مشرق الوجه ، وعلى الليل الذى صبت لـه كواكبه الهوى ، وعلى الموت الذى جاءه فجر ذيولـه مهزوما ، وعلى السبعين وقد توجت مقلته بأكاليل العلم والشعر والنثر . [3]

---

(١) محمد العدنانى : ((الصفاء)) مجلة الأديب ، الجزء ٦ ، السنه ٣٢ ، يونيو ١٩٧٣ ن ص ١٣ .
(٢) محمد العدنانى : ((السبعون)) مجلة الأديب ، الجزء ٤ ، السنه ٣٢ ، أبريل ١٩٧٣ ، ص ١٨ .
(٣) أنظر ، نفس المصدر ، ص ١٩ .

٥- الوصف :-

يميل العدناني الى " اثارة الايجاز في الوصف ، وابتعاده عن ارهاق المعنى وتقصى جميع نواحيه ، مما يترك مجالا لخيال القارئ ولبه ، ليلعبا دورها مع الشاعر ، ويثبتا وجودهما " [١] وهذا واضح في مقطوعة الوصف التى خصها ببركة الزرقاء الردنية والتى نزح اليها بعد تهجيره من فلسطين ، فكانت البركة أول ماشاهده بعد ازالة الجبس عن جسمه وبعد استطاعته المشى على عكازين ، فقال :-

وبِركــةٍ مثــل عــينِ الــدَّيكِ صــافيةٍ   تحنُــو علــى غصــونُ الــدَّوْح والزَّهَــرُ
المـــاءُ فيهـــالجُيْنٌ لـــيس يَعْدِلُـــهُ   صــدرُ الرَّعابيــبِ يهفُــو نحــوَهُ البَصَــرُ [٢]
أصــبى فــؤادَهزارِ الــروّضِ فانبعثَــتْ   منــهُ لحــونُ الهــوَى يمحَــى بهــا الكــدَرُ
والبــدرُ يسـبَحُ فيهـا فـي الـدُّجَى وَلهـاً   كأنــــه غــــادةٌ بالحُسْــــنِ تــــأتَزِرُ
والطَّلُّ فـي الفجر فوقَ الدوْحِ منتظِمٌ   وفـي الضُّحَى فـوقَ صـدْرِ المـاءِ منتثر
تخالُــهُ الــدُّرُّ فــى الأصــباحِ مُؤْتَلِيقـاً   وأيــنَ منــهُ يتــيمُ المــاسِ والــدُّرَرُ [٣]

والايجاز في هذه المقطوعة واضح في انه جعل وصف البركة في ستة أبيات فقط ن وترك للقارئ تصوره وتخيله في أعطاء أبعاده الخاصه لصورها الشعرية فمشابهتها بعين الديك وحنو غصون الدوح والزهر ، وتصوير الماء باللجين الذى لا يعدله صدر الرعابيب ، والبدر وهو يسبح فيها في الدجى ولها كأنه غادة بالحسن تأتزر ، والظل وهو منتظم فوق الدوح في الفجر وفى الضحى فوق صدر الماء منتثر كأنه الدّر مؤتلقا ، فرصة سانحة لخيال القارئ وتصوراته في عقد علاقات بين أطراف الصوره قد توافق تصوير الشاعر او تخالفه أو تزيد على تصويره جمالا وحسنا ، هذا وقد ظهر في هذه القطعة ((سمات الاتجاه الاتباعى ، وحدة الوزن والقافية والأخذ عن الشعراء السابقين ، والارتباط بالمأثور اللغوى القديم بالاضافة الى الموضوع وهو وصف بركه الزرقاء . وتبدو فيها قوة الصياغة ، ومتانة العبارة ، والخيال مستمد من البيئة العربية متمثلا في لجين الماء ن وصدور الرعابيب والغادة التى تأتزر بالحسن)) . [٤]

ووصف العدناني الربيع الذى أعجب بجماله الأخاذ وجوه العبق ونسيمه العليل الذى يرشف الراح من كؤوس الأزاهر ويسرى في الرياض ليكشف عما أخفته وأسرته ، فقال :-

---

(١) محمد العدناني : ((ديوان عمر أبوقوس)) مجلة الأديب ، الجزء ٨ ، السنه ٣٢ ، أغسطس ١٩٧٣ ، ص ٤٤ .
(٢) الرعابيب : جمع رعيب ، وهى المرأة البيضاء والحسناء والحلوة والناعمه – أنظر ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ص ١١٥.
(٣) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ١٠٦ .
(٤) كامل السوافيرى : الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ١٧٤ .

رشفَ الرَّاحَ من كؤُوسٍ زَواهرْ   فانتَشى غبطةً رسولُ البشائر [1]
وسَرَى في الرّياضِ يكشِفُ عمَّا   قد أجَنَّتْهُ من هواهُ السَّرائرْ
فرثَى الفجرُ المنّسيمِ المُعَنْى   وأذلتْ طَلاًّ عليهِ المَحاجِرْ
فصحا الوردُ حينَ نَبَّهَهُ الطَّلُّ ، وراعى النّجومِ في الأُفْقِ ساهرْ [2]
يتلظَّى شوقاً الى رؤيةِ الشّمسِ مُنى قلبِهِ اللهيف الصَّابِرْ

بهذا الأسلوب الذى ظهرت فيه الوحد العضوية عبر العدنانى عن روعة الربية وأزهاره وضوءه ونسائمه ، فالنسيم رشف الراح من كؤوس الأزاهر ، وانتشى غبطة وسرى في الرياض مخرجا كنهها المكنون ن وصحى الورد حين نبهه الظل والقمر في الأفق ساهر ، ظل الورد يتلظفى شاقا الرؤية الشمس حتى منى قلبه الصابر اللاهف بمنظرها ، واذا بها تزف له نورها الشديد بعد أن أزاحت عن نفسها النقاب وبدا نورها مدى الدهر باهر ، فجن جنون الورد بها ، ولكن هواها جاء كالجمر صاهر ، فخاب أمله وطوى الجوانح على شوق أججته من الغرام المجامر ، وترك في الرياض فلا ذكيا داعبته أيدى النسيم المباكر ، وأريحا في الياسمين تغنت بهواه البلابل والزرا ازر ، وشذا زنبق ن وعبيرا على البنفسج ن والدوالى أرخى الفروع ، الفراش الذى علق بالزهر ، وخرير الماء في الجدول الرقراق ن وقلوب الحسان تخفق وجدا ، وزهر البرتقال ، والبساتين تلبس الدّر ثوبا ، حتى أصبح الربية عند شاعرنا حبة القلب ، وساقى المنى وشغل الخواطر وشغف الورى بحسنه حبا فأبوحوه ما تكن الضمائر عن عواطف .[3]

ووصف شاعرنا أيضا باقات الزهور ، فقال :-

---

(١) رسول البشائر : كنايه عن النسيم .
(٢) راعى النجوم : كنايه عن القمر .
(٣) أنظر ، نفس المصدر ، ص ص ٨٢ – ٨٣ .

اَطَلَّــتْ علــيَّ مــن الآنِيَــهْ	أزاهِيـــرُ ترتَجِـــلُ العافِيَـــهْ
وتَجْثُــو قُلــوبُ البَرايــا لهــا	ولــم تُــرَ يومــاً لهـمْ جاثِيَـهْ
وتحنُـو عليهـا عَـذارَى النُّهَـى	حُنُـوّ الظَّـلالِ علـى السّـاقيهْ
ويرتَشِـفُ الفجـرُ مِـن وَرْدِهـا	هُيامـــاً ، سُـــلافَتَهُ القانِيَـــهْ
ويَحْبُـو الصَّـباحُ إلـى خِـدْرِها	ويَلْـــثِمُ مـــا زَيَّـــنَ الآنِيَـــه
ويأخُـذُ عنهـا بَهِـيَّ السَّـنَى	فيغتَـــرُّ لِلْوَهَـــدِ والرَّابيـــهْ
ويُـوقِظُ فـي كَرْمَـةِ المُنْحَنَـى	فَراشـــةَ أحلامِـــهِ الغافِيَـــهْ
فَيَخْفُــقُ وَجْــداً بــهِ قلبُهــا	ويَقْـــبِسُ أنـــوارَهُ الزَّاهِيَـــهْ
ويـأتِي إلـى زَهَراتـى الضُّـحَى	فَيَشْـــتارُ أطيابَـــهُ الغالِيَـــهْ
وتـــأْلِقُ أَعْيُنُـــهُ غبْطـــةً	كمـا تَـأْلِقُ الأنفُسُ الصّـافيه [1]

ويظهر هنا جمال الوصف وبراعة التصوير ، فالقلوب جاثية للأزاهر وعذارى النهى تحنو عليها حنو الظلال على الساقيه ، والفجر يرتشف من وردها هياما ن والصباح يحبو الى خدها ويلثم مازين الآنيه ويأخذ عنها بهيّ السنى فيغتر للوهد والرابية ليوقظ قراشة أحلامه الغافيه فيخفق وجدا به قلبها فيقتبس أنواره الزاهية ، ويأتى الى زهرات الضحى فيشتار رحيقها فتألق اعينه غبطة كما تالق الأنفس الصافيه .

<u>ثانيا</u> : <u>الجانب الانسانى :-</u>

<u>١- الحنين والغربة :-</u>

الحنين الى الوطن ومسقط الرأس فطرة في النفس الانسانية على مر الأزمان والعصور ن وقد لازمت هذه الفطرة الشعراء كغيرهم فعبروا عنها من خلال أعمالهم الشعرية المتنوعه ن ومن ذلك شاعرنا العدنانى الذى نظم لنا شعرا عزيزا صادقا جياشا بالعاطفة وحرارة العبارة الموحية بما يحسه من آلام الفراق والبعد عن الوطن ، لذلك نجده يتغنى ((بمسقط رأسه ن أو ببلاده عامه ، تغنيا يشيد فيه بجمال طبيعته ، بأنهاره ن وبجباله ، بكرومه ، وبفتياته المتخطرات في الدرب ، وبكل ما فيه من مناظر حلوه)) [2] فقال :-

(١) نفس المصدر ، ص ص ١٣٠ – ١٣٢ .
(٢) عزيزه مريدن : القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبى (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، دون تاريخ) م ٧٢ .

ذِكْرَى فلسطينَ أَسْفارٌ مـن الأَلَـمِ تَخُطُّهـــا مهجتـــي مغموســـةً بـــدمي

ذِكَـرى تُعانِقُهـا الأَكبـادُ مُعْوِلَـةً علـى الثَّـرَى نافِحـاً طِيبـاً ، علـى الحَـرَمِ

عَلَـى مَراتِعِنـا فـي القُـدْسِ عـامرةً بكُـلِّ ذى رَحِـمٍ ، أو غيـرِ ذى رَحِـم

عَلَـى المـآذنِ فـي الأَقصَـى مُـرَدِّدَةً اللهُ أكْبَـرُ " فـي عِـزٍّ ، وفـي شَـمَمِ

عَلَـى بسـاتينِ يافـا ، وَهْـيَ حاليـةٌ بـالنَّوْرِ يشـتَارُهُ نَيْسـانُها بِـفَمِ

عَلَـى شواطئِها ، والخُلْدُ قد نُشِرَتْ ظِلالُـهُ فوقَهـا مبَسـوطةَ الِـنّعَمِ

كَـمْ وَدَّ قلبَـى لومَـدَ الشَّـغافَ لهـا ، مَـدَى الحيـاةِ ، شِـراعاً قـانِىَ الأَدَمِ

عَلَـى الأَبِيَّـةِ حيفـاوَهْىَ رابضـةٌ والبحرُ مِن حَوْلِها يَحْنُو يَحْنُو على القَّدَمِ

عَلَـى خليجٍ لِعَكّا ، فيهِ كَم سبحَتْ زُهْـرَ الكواكـبِ فـي يَـمٍّ مِـنَ الظُّلَـمِ [1]

ويمضى العدنانى في ذكراه التى تعانقها الأكباد على السهول وعلى السفوح والينابيع والجداول والأقاهى والعنادل ونسيم الروابى والحقول وغيرها . [2] وقد عبر شاعرنا عن حنينه هذا أيضا بقوله : ((لقد تاق قلبى .. الى زيارة أبنية عكا الضخة ، ذوات القناطر المتعددة ، والأورقة الكبيرة التى تحيط بالساحات الواسعه ، وزيارة الكرمل الذى يطل شامخ الرأس على بحر حيفا ، ومدينة الناصرة ، بلد رسول السلام ، التى أصبحت الآن تحت نير أعداء السلام)) [3] ، بل انه مشتاق أيضا الى " حقور أسوار طبريا وقلعتها وبحيرتها ، والبحر الميت الذي كانت تحيا بزيارته نفوسنا في الشتاء ، عندما كانت تشتد علينا هجمات البرد القارس في القدس الحبيبة الغالية ، وقبور السلاطين في القدس ، التى سكنت قريبا منها بضعة عشر عاما ، وجبل الطور المطل على القدس مدينتنا الخالده ، ووادى قدرون الذى يفصل بين المدينة والجبل " . [4] واشتاق أيضا الى الأماكن المقدسه ، الى " كنيسة القيامة في مدينة القدس القديمه ، وخان الزيت الذى كنا ننحدر اليه من باب العمود ، وكنسية المهد في بيت لحم حيث ولد في مغارتها سيدنا عيسى المسيح ، الذى فدى شعبه بحياته ، لتأتى – بعد نحو عشرين قرنا – فئه من نسل من فداهم بروحه ، وتساعد الذي صلبوا المسيح – كما شبه لهم – على الفتك بأتباع محمد وعيسى عليها السلام ن وطردهم من بلادهم " [5]

---

(١) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ص ٥٢ – ٥٣ .
(٢) أنظر ، نفس المصدر ، ص ص ، ٥٣ – ٥٤ .
(٣) محمد العدنانى : ((الى الصديق الأستاذ محمود العابدى)) مجلة الأديب ، الجزء ٥ السنه ٣١ ، مايو ١٩٧٢ ، ص ٥٠ .
(٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(٥) نفس المصدر ، ص ص ٥٠ – ٥١ .

ويصور العدنانى مدى حنينه لوطنه ، بحنين البيد للسحب الغوادى ، ونزوغ روحه له اشتياقا كنزوغ نفوس قومه للجهاد ، كل ذلك لأن طرفه لم يجس الا رباه ، ولم يكحله الا بساقيته ونهره وطوده الشامخ ، فقال :-

يَحِــنُّ الـــى فِلَسْــطَينٍ فــؤادى　　حَنِـينَ البِيـدِ للسُّحُبِ الغـوادى
وتَنْــزِعُ شـطرَها رُوحــى اشـتياقاً　　نُــزوعَ نفـوسِ قـومى للجهــادِ
وطرْفِــي لــم يَجُـس إلاّ رُباهــا　　إذا لَفَّتْـــهُ أَبـــرادُ الرُّقـــادِ
أُكَحِّلُــــهُ بِســـــاقيةٍ ، ونهـــــرٍ　　وطــوْدٍ شــامخٍ عِــزّاً ، ووَادِ [1]

وفى ذكر تقسيم فلسطين ظهر حنين العدنانى الذى اكتنفه الصراع النفسى وذلك لطول غربته واضطرام قلبه حتى نازعه من شدة الوجد ، فقرع باب صدره بعدما التهب من حب فلسطين ، واحتدمت أشواق العدنانى حتى أعيته وأرقت أحلامه ن وأومضت آماله فغمرت مهجته بضياء ايمان بالعرب لا يخبو ، وزالت من سماءه كربا كانت قد تلبدت ن فهفى قلبه مضطرما هواه الى مغنى فلسطين ، فأخصب بالأحلام مرتع صدره ، فقال :-

يُنــازعُنى وجْـداً إلــى تُربْـكِ القلـبُ　　ويقــرَعُ بــابَ الصّــدرِ يُلهِبُــهُ الحُــبُّ
وتُـــوري حَنينــــى لَهْفَـــةٌ عَرَبيَّـــةٌ　　فتحتــدمُ الأشــواقُ يَعْيـا بهـا الصَّـبُّ
وتُورِقُ أحلامى ، فيفهو إلى اللُّقى　　حبـيسُ ضـلوعٍ ضَـمَّ أشـلاءَهُ الجَنْـبُ
وتُنعشُـنى الـذِّكرَى ، فتعبَقُ بـالمنُى　　أزاهيــرُ أحـــلامٍ ، بهـــا أينـــعَ اللُّـــبُّ
وتُـومِضُ آمـالى ، فيغمُرُ مُهجتـى　　ضِـياءٌ مـن الإيمـانِ بـالعُربِ لا يَخْبـو
يُبَــدَّدُ كَرْبــاً فــي ســمائى تلبَّـدَتْ　　ســـحائِبُهُ دُكْنـــاً ، فينقشِـــعُ الكَـــرْبُ
وأهفو الـى مَغنـاكِ مضـطرِمَ الهوى　　وصــدرِىَ بــالأَحلامِ مرتَعُــهُ خِصْــبُ [2]

ويُسائل شاعرنا فلسطين عن شعورها نحوه ، فهل هى تحس بالأسى وتشعر ببأساء النوى ، وتذكر ابنا هائما في حبها توفيت أمه بعد نزوحه تحسرا فاتخذها – أى فلسطين – له أما ، فقال :-

فهل أنتِ مثلـى يا فلسطينُ ! للأَسَى　　وللشّـوق والبأسـاءِ بعـدَ النَّـوى نَهْـبُ
وهــل تــذكرينَ ابنــاً بحبِّــكِ هائمــاً　　يحطَـــمُهُ بُعْـــدٌ ، ويُنقــذُهُ قُـــربُ ؟
قَضَــبْ أُمُّـــهُ بعــدَ النُّــزوحِ تَحَسُّــراً　　فكنتِ له أُمّاً ، بها يُخصِبُ الجدْبُ [3]

---

(١) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ١٣٨ .
(٢) محمد العدنانى : ديوان الوثوب ، ص ص ٦٧ – ٦٨ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٦٨ .

ثم يدعوها أن تجود عليه بالوصل لأن الشوق شتت باله ، فكل مناه أن يلتم ترابها الطاهر ويرتع في مغناها في النجد والوادى ، فليس له حبيبة سواها ونظرة منها تشفى السقام ، فقال :-

فَجُودى على المُضْنَى فلَسْطِينُ لحظةً بوصْلٍ ، فإنَّ الشوقَ شَتَّتْ باليا
فَكُلُّ المُنَى أَنْ ألثُمَ التُربَ طاهِراً وأرتَعَ في مَغْناكِ نَجْداً ، ووادِيا [1]

وقال أيضا :-

فلسطينُ الحبيبةُ ! لا تَضِنّى علىَّ بنظرة تَشفى السَّقاما
يُنازعنى الى مغناكِ قلبٌ يكادُ يُجَنُّ في حَلَبٍ هُياما
يَخِفُّ الى الشّفاهِ إذا رآها تَلَقَّظُ بعد حرفِ الفاءَ لا ما
فليسَ يرى سواكِ لها حبيباً تَفَوَّهُ باسمه الغالى دواما [2]

هكذا أفصح العدنانى عن حنينه بهذه العاطفة الغزيرة الجياشة التى عبرت أصدق تعبير عن آلامه وغربته ، وعن مدى شوقه لوطنه المغتصب ، ثم يختم شاعرنا هذا المطاف الانسانى من المشاعر بقوله : ((وكيف أنسى الأيام ، والشمل مجتمع ، والأهل والأحباب حولى ، وأنا الآن أعيش وحيدا ، وأهلى وصحبى موزعون على جل بلدان العالم ، وأولادى السبعة يقيم كل واحد منهم في بلد)) [3]

٢- عاطفة الأمومة :-

تعتبر عاطفة الأمومة من أهم العواطف التى تغمر الانسان منذ طفولته بالرعاية والحب والحنان ، والتى تغنى بها جوانب نفسه الوجدانية فيخرج للعالم بانفعال سليم وعاطفة متزنة ، ولعل الذين افتقدوا أمهاتهم منذ نعومة أظفارهم يشعرون بمدى النقص الذى مُنوا به من جراء غيابها ، ويشعرون بأنهم في حاجة ماسة لاغناء جانبهم العاطفى ليعوضوا هذا النقص الذى لازمهم طيل مراحل حياتهم الأولى .

ولقد شعر العدنانى بقيمة الأم وبدورها الهام في تربية النشأ ، فجعل لها ملحمة أسماها ((ملحمة الأمومة)) وكان سبب نظمها في قوله : ((قد حفزنى تقديس الأمومة الى نظم هذه الملحمة)) [4] ، لذلك فالمرأة في نظره ((تبلغ أوج ايحائها عندما تصبح أما . نظرة حنان واحدة ترنو بها أم الى فلذة كبدها ، هى أشد أثرا من كل ما في الطبيعة من مفاتن ، وما فى الدنيا من جمال)) [5] ، وعن قيمة الملحمة قال : ((زعمت بعض الكتب والصحف والمجلات والاذاعات

(١) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ٩٨ .
(٢) محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ص ١٥٠ – ١٥١ .
(٣) محمد العدنانى : ((السفير الشاعر احمد عبد الحميد)) مجلة الأديب ، الجزء ١ ، السنه ٣١ ، يناير ١٩٧٢م ، ص ٥٦ .
(٤) محمد العدنانى : الأمومة – ملحمه شعريه (بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٥٧) ص ٥ .
(٥) نفس المصدر ، نفس الصفحه .

أن هذه هى الملحمة الاجتماعية الأولى من نوعها في الأدب العربى ، وزعم آخرون أنها ، من حيث طولها ووحدة موضوعها ، الأولى من نوعها في الأدب العالمى . فاذا صح ما قيل ، فاننى ليشرفنى أن أكون خادم الفصحى الأولى في باب الملاحم)) . [١]

وتدور الملحمة حول قصة أم ضحت بحياتها في سبيل انقاذ ابنها من المرض الذى كاد يفتك به ، وبطلة الملحمة تدعى "سلمى" وقد حاول العدنانى تتبع نشأتها منذ الطفولة البريئه حتى الشباب الغض النضر ، فكانت فيه رائعة الحسن والجمال فتنت عقول الشباب والشيوخ ، وأصبحت أملهم وأمنيتهم المرجوة ، وسرعان ماتلاحقوا لخطبتها فلم تقبل من بينهم الا شابا يدعى "طريفا" فأنجبت منه ابنها "عصاما" ولكن القدر لم يمهل زوجها فأخذه وهو في ريعان الشباب ، فأبت أو تتزوج بعده وكرست حياتها لوحيدها عصام الذى أصبح طبيبا مشهورا ، ولكنه سرعان ما وقع فريسة للمرض مما أوق أمه ودعاها للاستنجاد بأمهر الأطباء ولكنهم عجزوا عن علاجه ، مما حذى بها للذهاب الى عجوز خبيرة محنكة فأرشدتها أن تتوسل لعزائيل نفسه – ومن هذه الحظه دخلت الملحمة مجال الخيال الخضب – وتذهب الأم باحثة عن عزرائيل وتمنح سلمى دم قلبها وأسنانها وبصرها وشعرها الذهبى أجرا لمن يدلها على مكانه ، فلما وصلت اليه اشترط عليها أن تقدم روحها فداء لشفاءه ، فقبلت ذلك فرحة مستبشرة.

وجعل العدنانى ملحمته على شكل موشح يتكون من مئه وثلاثه مقاطع في كل مقطع سبعة أبيات ، وغير في حرف الروى حتى لا يمل المتلقى ، وحاول جاهدا الاتيان بالألفاظ السهلة المألوفه .

فلو تتبعنا مراحل أحداث هذه الملحمة نجدها كالآتى :–

عن طفولة سلمى قال :–

طفْلَــةٌ تَفْــتِنُ النُّهَــى والنَّــوَاظِرْ
بِمُحَيّـا ، كطلعــةِ الشــمسِ بــاهرْ
وجَمــالٍ ، رَفَّــتْ عليــهِ الأَمــاني
وانْتَحَتْــهُ الآمــالُ زُهْــراً عِــذابا [٢]

وعن حسن شبابها قال :–

لـم تكـنْ غيـرَ بنـتِ سـبعٍ وعَشْـرِ
يـومَ سـار اسـمها علـى كُـلِّ ثَغْـرِ
وغـدا شُــغْلَ كُــلَّ كــوخٍ وقصْــرِ

(١) نفس المصدر ، ص ٦ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨ .

وحـــديثَ الشُّـــيوخِ ، والشُّـــبّانِ
وجِـــراءَ القَصـــيدِ ، والألحـــان
ظلموهـــا ، إذْ شـــبّهوها بِبَـــدرِ
يُخْسَفُ البَدْرُ حينَ تَنْضو النِقابا [1]

وعن وفود الخطاب وخطبتها لطريف وانجابها عصام ن قال :-

حَوَّمَــتْ كــالفَراشِ كُــلُّ القُلــوبِ
حــوْلَ بُركــانِ حُسْــنِها المَشْــبُوبِ
فـاكتوتْ بـالجوَى ، وجَمْرِ الخُطـوب
لــم يَفــزْ بــالفؤادِ غيــرُ طَريــفِ
حُلُـمِ الحُسْــنِ ، والمِــزاجِ اللطيــف
أَيْنَــعَ الحُــبُّ فــي ريــاضِ الغــرامِ
فزهـــا القَصْـــرُ بالوليـــدِ عصـــامِ
حُلُـمِ الحُسْـنِ ، والعُـلا ، والسّـلامِ [2]

وعن موت زوجها ظريف ورفضها الزواج بعده ، قال :-

ثـــمَّ ألْـــوَى الزّمـــانُ بالمِجـــدافِ
وطوى المـوتُ من طريـفَ الشّـبابا
لـفَّ سـلمى الأسـى بثـوبٍ صَـفيقِ
فـاقْبَليْنِى ، أَفْـديكِ ، زَوْجـاً وفيّـا
وأبـــاً ، بابنـــكِ الظَّريـــفِ ، حَفِيّـا
فأجابتْـهُ ، وَهْـيَ كالرَّعْدِ عَضْبَى :
لـن يَـرى القلـبْ غيـرَ زوجـيَ رَبـا
إنْ يَغِـبْ جسـمُهُ ، فرُوحـى تـأبى
أن تـرى غيـرَ رُوحِ زوجـيَ خِـدْنا [3]

وعن حنان ورعاية أمه له حتى أصبح طبيبا ماهرا ، قال :-

وأظَلّــتْ وحيــدَ ســلَمى الهنــاءَهْ

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٢ .
(٢) نفس المصدر ، ص ص ٣٤ – ٤٦ .
(٣) نفس المصدر ، ص ص ٥٠ – ٥٨ .

وأباحتْه رُوحَها ، وقُواها

وتناســتُ فُتونَهــا ، وصِــباها

وســقتْهُ الحْنَــانَ ليــلَ نهــارا

شـاقَهُ الطّـبُّ ، منـذُ كـانَ صـبيّا

فَغَـدا فيِـه ، حـينَ شَـبُّ ، نبيّـا

مـا رأى النـاسُ مِثْلَـهُ عبقريَّـا [1]

وعن اصابته بالمرض وأرق أمه من جراء ذلك قال :-

وعِصـامٌ ، مـن دائـهِ ، فـى مَريـرةِ

وعــن الــوعْيِ قــد أطــالَ الغِيابــا

جُــنَّ فــى أُمّــهِ الــرَّءُومِ الفــؤادُ

وغَزاهـا ن ليْـلَ الخطـوبِ ، السُّـهاد

أخفـق الـدَّمع ، وهْـوَ ثَـرٌّ جَـواد [2]

ومضت سلمى بالطب والرقى والتمائم تقيل عثارها ن فذهبت إلى عجوز الرقى وورد الثلوج وموج البحر – وضحت خلال هذه الرحله بشبابها ونضارتها حتى وصلت الى ساقى المنون عزرائيل فقال لها :-

قــالُ عِزْريــلُ : مــا تَرَكْــبِ ســبيلا

يُنْقِــذُ الآســىَ الحبيــبَ العَلــيلا

قَــــطُّ ، إلاّ مَهَّدتِــــهِ تّــــذليلا

أبْشِـرِى ! أبْشِـرِى ! سيُشـقَى عصــامُ

قـال : لا بُـدَّ أن تَجُـودِى .... وأحْجَـمْ

عــن بَيــانِ المــرادِ جَهْـراً ، وتَمْـتَمْ :

افْتَدِيــهِ بــالرُّوحِ ... ثــم تَلَعْــثَمْ

فأجابَتْــــهُ : ذاكَ غايــــةُ سُــــؤْلى

فَخُــذِ الــرُّوح وامــنَحِ البُــرْءَ نَجْلِــى

وأتِــحْ لــى وَداعَــهُ اليــومَ بالضَّــمْ

قَبْلَمــا أَنْــزِلُ الضــريحَ قِرابــا [3]

---

(١) نفس المصدر ، ص ص ٦٥ – ٦٨ .
(٢) نفس المصدر ن ص ص ٨٤ – ٨٥ .
(١) نفس المصدر ، ص ص ١٣٧ – ١٤٣ .

وقدمت الأم روحها فداء لحياة ولدها فهو نجمها ليشع ابنها بدرا بعدها . بهذا يكون العدنانى قد عبر عن عاطفة الأمومة الانسانية بالاسلوب الملحمى ، وهو الاسلوب الذى لم يوله العرب اهتمامهم ((لهذا لا نلقى لدى هذه الشعوب ، خلا شعرا غنائيا مؤنقا ، محببا إلى النفس ، يتسم بالظرف أو ينبض بالاندفاع .. سوى أشعار ليس أمامنا مناص من ادراجها في عداد النوع الملحمى)) [١] وهو المعنى الذى عبر عنه أحد النقاد بقوله : ((ولم يعرف العرف هذه الملاحم فى لغتهم الأدبية ، ولكن وجدت فى لغة العامة ملاحم شعبية أخذت موضوعها عن العرب القدامى من سير أبطالهم وصيغت مع ذلك باللغة العامية في العصور الوسطى ، كملحمة " الزير سالم " .. وملحمة " أبى زيد الهلالى " و " الظاهر بيبرس ")) [٢]

وظهرت أهمية الأم وماتقوم من رعايه وعطف في رثاء العدنانى لأمه حين جاءه نعيها فبكاها بكاء مرا غزير العاطفة وشديد الأنفعال ، فقال :-

طَغَى الهَمُّ حتّى كاد يقتلنى غمّا ... فَمَمّ أبُثُّ الطِّرْسَ مِمَّا دَهَى عَمّا
نعى البرقُ لى أُمّى الحنونَ فأُرْعِدَتْ ... ضلوعى وسُحبُ الدمع زاخرها طمّا
أتانى وبى عمرُ الشّباب وعزمُهُ ... وخَلّفنى شيخاً ثقيلَ الخُطَى هِمّا
ودارتْ بىَ الأرضُ الفضاءُ وحّومتْ ... على مُقلتى الأَشباحُ مذعورةً سُحْما
فأحنْيتُ ظهرى للمُصاب فآدنى ... وأوردَنى الآلامَ والضُرَّ والعُدما
فمن يحملُ الأحزانَ عنّى ثقيلةً ... وقد بِتَّ يا أُمّى لشِدقِ الردى طُعْما
لقد جَرَّعُوا قلبى نَعيّكِ علقما ... وما علمُوا أَنْ جَرَّعوا قلبَى السُّمّا
قضى حَزَناً حتّى غدا الصَّدْرُ رمسَهُ ... وكّلٌّ من الأضلاعِ من حوْلهِ رَجْما [٣]

لقدى طغى الهم على شاعرنا حتى كاد يقتله حين نعى البرق له خبر أمه ، فقضى على عزم شبابه وخلفه من الهم شيخا ثقيل الخطى ، ودارت به الأرض والفضاء وطوحت على مقلته الأشباح المذعورة كالسم ، فأحنى طهره للمصائب والآلام ، ودعى من يحملها عنه لأنها جعلته طعاما لشدق الردى ، وغدا قلبه ميتا ، والصدر من حوله رمسا ، والأضلاع من حوله رجما .

وبين العدنانى مكانه أمه وأهميتها بالنسبة له ، فقال :-

لقد كنتِ لى قلباً ، وكنتِ حُشاشةً ... وكنتِ مَضاءً سال في جسدى عَزْها
وكنتِ مجَنّى في الخُطوب إذا عَدا ... زمانى ، يقينى الشَّر والبُؤسَ والسقما

---

(٢) هيفل : فن الشعر ، ترجمة : جورج طرابيش ، ط ١ (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨١) ج٢ ، ص ٢٠٧ – أنظر ، لويس هورتيك : الفن والأدب ، ترجمة : بدر قاسم الرفاعى (دشمق ، مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٩٦٥ ، ص ص ٤٣ – ٦٨ .
(٣) محمد غنيمى هلال : الأدب المقارن ، ط ٥ (بيروت ، دار العودة ودار الثقافة ، دون تاريخ) ص ١٥٩ .
(٤) محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ص ١٠٧ – ١٠٨ .

فكـم شَـنّتِ الـدنيا علـيَّ حُروبَهـا وجئتُــكِ أشــكوها فبــدّلتِها سِــلْما
وهَـا أَنـا أَسـتجدِي الهنـاءَ فـلا أَرى لــهُ أَثـراً فـي الكْـون بَعـدَكِ أو رسْـما
سأصـبِرُ حتّـى تهجُـرَ الـروحُ وَكْنَهـا وتعتنـقَ الروحـانِ فـي العـالَمِ الأسْمى [١]

وعن عظم مصاب فراقها ، قال شاعرنا :-

رمــانى زمــانى بالســهام فلــم تَلِــنْ قنــاتى ، ومــا أَردَى الفـؤادَ ومــا أَصْـمى
وفــى كبــدى منــه ســهامٌ عديــدةٌ ولــم أَرَمِثــل اليــومِ فــى كبــدى ســهما
كــأَنَّ الأذى لــم يَبْــقَ غيــرى أمامَــهُ من الناس ، فى دنيا الورَى ، بائسٌ يُرمَى
وأَصبحتُ إن نـادى الأَسَى الدهرُ مرةً أُلبّــى ، كــأَنَّ الحـزنَ قـد بـاتَ لـى إسـما
فلِلــه مــا أَلقَــى مــن الخطــبِ قــاتِلاً ولِلِــه مــا انْتــابَ الفــؤادَ ومــا أَدمــى
ومُــذْ قِيــلَ لــى دنيــاكَ أُمٌّ هَوِيتُهــا ولا خيــرَ فــى الــدنيا إذا لــم تكــن أُمَّــا
لقد ماتتِ الآمالُ – فى فَجرِ عمرها – بموتــكِ ، والأرزاءُ كالــتْ لَــى الشــؤْما
فــلا أنــاحَىٌّ يُرتَجــى اليــومَ خيْــرُهُ ولا أنـا مَيْتـق أصـبحَ الأَمـنُ لـى قِسْـما [٢]

ولعل العدنانى فى تصويره لهذه الآلام الناتجه من فقدان أمه انما يصور آلام الانسان الذى يفقد العاطفه والحنان والرعاية والجانب الانسانى المتعلق بالأم ، فشاعرنا مثلا السهام فى كبده عديده ، ولكن سهم النعىّ كان مغايرا فى حجمه وجسامته لأنه أنذره بفقدان مكون أساسى من مكونات الشخصية الانسانية وعاطفة مهمة لا يعدلها في الدنيا عاطفه ، الأسى يوما لبى شاعرنا النداء لأن الحزن أصبح له اسما وعنوانا ، ولأن آماله ماتت فى فجر عمرها ، فلا هو حى يرجى منه الخير ، ولا هو ميت آمن فى موته . فرثاء العدنانى هذا يبرز الجانب الانسانى في الأم بما تعطيه للانسانية من جوانب وجدانية لها الأثر الكبير في بناء الشخصية الانسانية . كل ذلك جعل شاعرنا يرى أن الدنيا أيضا ان لم تكن أما فلا خير فيها ولا أمل .

ومن الأشياء المتعلقة بالجانب الانسانى والتى حظيت باهتمام العدنانى ، الكوارث التى تنتج عن حرب الطائرات والتى تعرض الانسانية جمعاء للفتك والدمار ، لذلك صور شاعرنا المأساة الانسانية التي تحدثها هذه الطائرات فى قصيدة أسماها ((حرب الطائرات)) قال فيها:-

تحــوَّمُ طيَّــار اتُهــا تنفُــثُ اللَّظــى وترتجلُ التّدميرَ ما أسعَفَ الذُّخْرُ
وتــنقَضُّ منهــا القاذفــاتُ كأَنّمــا هى القدَرُ المحتُومُ من جُنْدِهِ النّصْرُ
وفـى جوفهـا المـوتُ الـزّؤامُ إذا انبـرَى لِدَكِّ البُروج الشُّمَّ ، لانَ لـه الصـخرُ

(١) نفس المصدر ، ص ص ١١٠ – ١١٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ص ١١٢ – ١١٥ .

تَهافَــتُ أنقاضـــاً ، فمـــاثَمّ صــــامِدٌ سـوى شَـبَحٍ لـلأَواءِ جَلْبَبَــهُ المكـرُ
يـر النـاسَ قد بُـزّوا الوحـوش شراسـةً فيســخَرُ ، والأَرزاءُ يُلْهِبُهـا السُّـخْرُ
وتهـدِرُ مثـلَ الرَّعـدِ فـى حالـكِ الـدُّجى قــذائفُها ، والمــوتُ مِنْجَلُــهُ جَمــرُ
فيختــــرِمُ الأرواحَ لا فِـــــحُ حَــــدَّهِ وتبتعــثُ الأرزاء ضـــربته البكْـــرُ
تُطِـلُّ علـى الأمصـار شَـراً مجلجِـلا فيكتَسِـحُ الأَحـلاَمَ مَنْظَرُهـا الشَّـزْرُ
وتَسْـحَبُ أذيـال العَفـاءِ علـى الـذي تحدَّثُـهُ فـى الـرَّوْع وَيْلاتُهـا الكُثـرُ [1]

وبعد أن صور العدنانى ما تحدثه هذه الطائرات دمار فى المبانى والبروج التى تتهافت أنقاضا تسبح فى فى الأواء ، وما تجره على الأمصار من شر الأحلام الفضه ، صور ما تخلفه هذه الحروب من دمار وفتك ورعر بالأطفال والنساء والشيوخ واضطراب فى الأعصاب واذهال اللألباب ، فقال :-

فيرجُـفُ أطفـالٌ مـن الهـولِ عابسـاً ويعصِـفُ بالأشـباحِ والنَّسـوةِ الـذعْرُ
وتنـــدلعُ النيـــرانُ شَـــتّى لهيبُهـــا ويلـــتهمُ الأرواحَ جاحِمهـــا الغَمْـــرُ
وتفتُـكُ بالأعصـــابِ منهـــا قـــذائفٌ لها فى خلايا كلَّ ذي مِسْمَعٍ صَفْرُ
وتـــذْهَبُ بالأَلبـــابِ والرُّعْـــبُ جـــاثِمٌ تُــوَرَّثُ عينيْــهِ الضــغينةُ والشَّـــر
وفكّـاهُ مـن صُـلْبٍ إذا أَطبقـا علـى أَمانـيَّ شعبٍ نابَها السَّحْقُ والقهْرُ [2]

* * *

وهكذا يظهر لنا من خلال الفصول السابقة أن محمد العدنانى كباقى شعراء فلسطين في تلك الفترة " كـان خصـب المنـاحى ، ممرح جنبـات العشـر ، متعدد آفاقـه : غنّـى نـوازع وجدانـه وخفقات قلبـه ، وعبّر عن آلام أمتـه وقضـية بـلاده واتخذ من الشعر سـلاحا يخـوض بـه معركـة وطنـه ! مذكرا بماضيها الشامخ وتراثهـا الخالـد ، ومصـورا حاضرها المكـافح المناضـل ، ومتنـورا مستقبلها الذي تستأنف فيه أداء رسالتها " ، [3] ك لذلك جعل ((شعره في هذا الميدان سجلا بـارزا لأحداث العالم العربى خلال نصف قرن من الزمان)) . [4]

---

(١) نفس المصدر ، ص ص ٢٦ – ٢٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ، ٢٨ .
(٣) ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن (القاهرة ، جامعة الدول العربةي ، معهد الدراسات العربية العاليه ، ١٩٥٧) ص ١١٩ .
(٤) كامل السوافيري : الأدب العربى المعاصر في فلسطين ، ص ١١٧ .

الباب الثانـي

قضايا الشكل في شعر محمد العدنانى

- **الفصل الأول :**

اللغة .

- **الفصل الثانـي :**

الموسيقا .

- **الفصل الثالث :**

الصورة الشعرية .

تمهيد

" بناء القصيدة "

تعرض النقاد القدماء لموضوع بناء القصيدة مُأصّلين ومُفصّلين وراسمين الطريق للشعراء الجدد كى لا يضلوا عن طريق أسلافهم وابقيهم في نظم الشعر ، من أجل ذلك كانت وصية الشاعر أبى تمام لتلميذه البحترى قوله ك " وجملة الحاله أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين تعالى " ، [1] وقد تحدث ابن قتيبة في هذا الأمر بتفصيل في كتابه الشعر والشعراء حيث رسم الطريق لناظم القصيد الذى عليه أن يبدأ بذكر الديار والدمن والآثار ، فيبكى الربع ويشكى الفراق ويخاطب الأطلال ، وانما يفعل ذلك ليكون سببا في ذكر أهلها الظاعين عنها ، ثم ينتقل بعد ذلك الى النسيب فيشكى شدة الوجد وآلام الفراق وصبابة الشوق ، وذلك ليستهوى نحوه القلوب والأسماع لكون التشبيب قريب الى النفس عالق بفطرة القلوب ، واذا استوثق الشاعر من استمالة القلوب والأسماع ذكر شكواه من النصب والسّهر والسّرى في الليل وحرارة الهجير في النهار ، حتى اذا ظن أنه نال من الرجاء ، دخل في المديح الذى ينال العطاء عليه [2] ويضيف ابن قتيبة قائلا : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدّل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ولم يطل فَيَملّ السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظماً الى المزيد " . [3]

وقد تحدث في هذا المضمار أيضا ابن طباطبا فقال : " والوقوف على مذاهب العرب من تأسيس الشعر ، والتعرف في معانية ، في كل فن قالته العرب فيه ، وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها وأمثالها ن والسنن المستدلة ، وتعريضها ، واطنابها وتقصيرها ، واطالتها وايجازها ، ولطفها وخلابتها ، وعذوبة ألفاظها ، وجزالة معانيها وحسن مبانيها ن وحلاوة مقاطعها " [4] ، وقد سار معظم الشعراء على هذه النمط التقليدى عدا فريقا آخر دعى الى التحرر من " المقدمات الجاهلية بكل ماتشتمل عليه من وقوف على ديار الأحبة ، أو تعرض الصحراء ، بل تشبيب بالمراة وحجته في ذلك ان الحياة قد تغير وجهها " [5] وترك العرب البادية ومظاهر حياتها واستقروا في المدينة وعايشوا حضارتها ، ويُعتبر أو نواس على رأس هذا الفريق ، والذى قال :-

---

(١) أبى على الحسن بن رشيق ، القيروانى ، الأزدى : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط ٤ (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٢) ج٢ ، ص ١١٥ ، وأنظر أبو اسحاق إبراهيم بن على الحصرى الفيروانى : زهرة الآداب وثمر الألباب ، شرح وتحقيق : على محمد البيجاوى ، ط ١(القاهرة ، دار طباعة المكتبه العربية ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٣) ج١ ، ص ١١١ .

(٢) أنظر ، ابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدنيورى : الشعر والشعراء أوطبقات الشعرا ء ، ط٢ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥) ص ص ٢٧ – ٢٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨ .

(٤) محمد أحمد بن طباطبا العلوى : عيار الشعر ن تحقيق : عباس عبد الساتر ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢) ص ١٠.

(٥) محمد عبد العزيز الكفراوى : الشعر العربى بين الجموده والتطور ، ط٢ (بيروت ، دار القلم ، دون تاريخ) ص ٧٢ .

دَعِ الرّسـمَ الـذى دُثِـرَا   يُقاســى الــريح والمطــرا
وكن رجلاً أضاعٌ العلمَ في الملذاتِ والخطرا
أَلَـمْ تَـرَ مـابَنَى كِسْرَى   وســابُورَ لِمَــنْ غبَــرَا [1]

واستمر بالتحرر من الموروث القديم الى أن وصلوا الى عصرنا الحديث الى تحرر تام من البناء التقليدى للقصيدة ، ظهر ما يعرف بـ " الشعر الحر " الذى حافظ على وحدة التفعيلة وترك القافية والأشكال التقليدية للبحور القديمة .

ولو نظرنا الى بناء القصيدة في الشعر الفلسطيني نلحظ أن الشعراء الفلسطينيين قبل النكبة وبعدها مباشرة تقيدوا " بأمانه واخلاص بقواعد وأسس هذه المدرسة، فكان نتاج هؤلاء الشعراء وفي طليعتهم العدناني،.. متقيدا بالمنهج الكلاسيكي"[2]، ورغم التقدي فإنه لم يكن" تقديا مطلقا بشكل القصيدة القديمة، وخاصة بالنسبة للتركيب الهندسي للقصيدة، وإنما التزم بالوزن والقافية، والصور القديمة إلى حد كبير"[3] وهو ما فعله العدناني، فقد التزم بالوزن والقافية وبكثير من الصور والتعابير اللفظية القديمة، إلى جانب مواكبته للتطور في استعماله الملحمة والموشح والمسمط وعزوفه عن استعمال المقدمات الطلبية في بنائه لقصائده.

والجدير بالذكر أن شاعرنا شن هجوما قاسيا على الذين خالفوا البناء القديم للقصيدة كليةً وساروا على نظام الشعر الحر، فقال في مقدمة ديوانه الروض عن أوزان شعره مُعَرّضاً على الشعر الحر وأصحابه: "وقد تقيدت فيه بعمود الشعر القديم كما تقيدت في دواويني الأربعة التي سبقته والدواوين الخمسة التي تليه، لأن الشعر الحديث الحرّ ليس فيه موسيقا، ويختل فيه الوزن عند كثير ممن ينظمون فيه، لأنهم لم يلجأوا إلى هذا النوع من الشعر غلا ليستروا قلة المفردات العربية العالقة بأذهانهم"[4] ، ويعلل العدناني سبب تمسكه بالنباء المعهود للقصيدة وسبب هجومه على الشعر الحر وأصحابه بالآتي:[5]

١ -لأن الشعر الحر لا يعلق بالذاكرة، فيخسر دعاة العروبة والوطنية من الآدباء والخطباء وسلاحا كبيرا يؤثرون به في نفوس الناس لشحذها لتثور على المستعمر والمعتدي.
٢ -لأنه يريد أن يهدى أمته شعرا متين البنيان قوي السبك، لا شعرا ركيكا ضعيفا تمجه الأسماع.

---

(١) أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الول بن الصباح الحكمى الدمشقى : ديوان أبى نواس – تاريخه – رأى الشعراء فيه – نوادره – شعره ، وضع وترتيب : محمود كامل فريد (القاهره ، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٥) ص ١٩١ .
(٢) واصف أبو الشباب: شخصية الفلسطيني في الأدب الفلسطيني المعاصر - ، ص٨٩.
(٣) نفس المرجع، ص٩٣.
(٤) محمد العدناني: ديوان الروض، ص ص ٥- ٦.
(٥) أنظر، نفس المصدر، ص ص ٦ -٨.

٣ -لانه ليس كَسِلاً يبخل على قومه بالسهر الطويل والانقطاع عن ملذات الدنيا وملاهيها، ليأتي لأمته بأجمل الشعر وأحسنه، ولو فعل كما ينظم شعراء الشعر الحر، لأنتج لأمته كل يوم معلقة وملأ عشرات الرفوف بالدواوين.

وإذا كان أحمد شوقي قد أمعن في شعر المتنيبي "ونظر فوجده يقسم كثيرا من قصائده إلى مقاطع، يقف فيها لينثر حكمه، وأفكاره، ومواعظه، ونقده للمجتمع، فقلده في ذلك كله"[١]، فإن العدناني بدوره أيضا قلّدَ أحمد شوقي والمتنبي أيضا ونسج قصائده على منوالها، فأتى بنظام المقاطع وخاصة في قصائده الطويلة، وكان غالبا مايستقل كل مقطع بقافية خاصة به، وكان يقف لينثر حكمه الكثيرة مضمنا اياها أفكاره ومشاعره وتجاربه في الحياة ، فأضحت " ديباجته تذكرنا من ناحية المظهر الخارجى بأبى الطيب المتنبى من ناحية الفخر والوفرة فى أبيات الحكمة والمثل التي تنتشر في ثنايا قصائده ومن ناحية الألفاظ والتراكيب . [٢]

وقد تحققت الوحدة العضوية فى قصائد العدنانى رغم اختلاف وجهات النظر حولها ، [٣] فسواء حُدِدَ مفهومها بوحدة الجو النفسى والشعورية في مجموعة من قصائده مع اختلاف الأفكار التى شمله موضوعه [٤] ، وفى مجموعة أخرى حقق الوحدة النفسية والشعورية ووحدة الموضوع أيضا . [٥]

وأما ما يتعلق بباقى أجزاء بناء القصيدة عند شاعرنا العدنانى كاللغة والموسيقا والصورة الشعرية ، سيأتى الحديث عنها خلال هذا الباب في ثلاث فصول كالآتى :-

١ -الفصل الأول – اللغه .

٢ -الفصل الثاني – الموسيقا .

٣ -الفصل الثالث – الصورة الشعرية .

---

(١) شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث، ط ٨ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢) ص ٨٣.

(٢) أحمد قبش : تاريخ الشعر العربى الحديث ، ص ١١٧ – وأنظر نا صدر الدين الأسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، ص ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٣) أنظر ، يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربى القديم (في ضوء النقد الحديث) ط٢ (بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨٣) ص ص ٢٧٧-٣٣٨.

(٤) أنظر محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ص ١٨ – ٢٣ – فجر العروبه ، ص ص ٦٩ – ٧٧ – الوثوب ص ص ٨٠ – ٨٦ ، ص ص ٨٩ – ٩٧ .

(٥) أنظر ، محمد العدنانى : ديوان اللهيب ص ص ٢٥ – ٣٣ – الروض ص ص ٢٧ – ٤٢ ، ٤٣ – ٥٢ ، ٥٤ – ٦١ ، ٧١- ٧٢ ، ٧٣-٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨-٧٩ ، ٨٩-٩٩ .

الفصل الأول

" اللـغة "

اللغة

اهتم القدماء والمحدثون باللغة باعتبارها عنصرا فعّالا في العمل الأدبي سواء كان في العشر أم كان في النثر، فابن رشيق مثلا يرى أن "للشعراء ألفاظا معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاّب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها"[1] وأما ابن خلدون "فقد اعتبر للألفاظ، واعتبر الألفاظ بأنها القوالب التي تفرّغ فيها المعاني[2]، واهتم "بول فالبري" باللغة اهتماما كبيرا بحيث رأى "ان الأدب ليس غلا نوعا من الامتداد والتطبيق لبعض الخصائص اللغوية، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر، فهو فهو يستخدم مثلا الخصائص الصوتية والامكانات الايقاعية للكلام مما يفعله القول العادي المألوف، ولكن الأدب يصنفها وينظمها ويبني عليها استعمالاته الفنية"[3] ، مثل هذه الأهمية للغة مكنت من القول "أن اللغة ليست واسطة من وسائط التعبير عن الأفكار والعواطف فحسب، بل أنها إلى جانب هذا يمكن أن تكون غاية في ذاتها حينما تتضمن إلى جانب الإفادة خصائص جمالية تستروحها النفوس وتلتذ بها الآذان وتسمو بها اللغة الى مستوى الفنون الجميلة"[4] لذلك فإن "ماهية الشعر هي كيفية خاصة في التعامل مع أداة هي اللغة، وتتبدى هذه الكيفية في طرائق مخصوصة تؤلف بين الكلمات وتنظمها للوصول إلى أنظمة واتساق وتراكيب وأبنية تفجر الطاقة الشعرية في الواقع وتخلق موازرة رمزية لهذا الواقع، ومن ثم لا يعود مُشْكِلْ الشاعر تأسيسا على هذا مثشْكِلْ توصيل وإنما مُشْكِلْ تشكيل[5]"، فهذا المُشْكِل التشكيلي يجعل الشاعر "يختار كلماته ويدخلها في سياق خاص– خالقا بذلك علائق لغوية جديدة لم نكن نألفها أو نتوقعها– فإنه ينأى بها بعيدا عن حرفيتها الحسية المحدودة، وهذه العلاقات الناجمة عن وضع اللفظة في سياق خاص بأسلوب بعينه يجب أن يتخمض عنها صور تتآزر بدورها في علاقات متفاعلة ناشطة"[6] ، وعليه فإن الأنظمة اللغوية لا تأتي بوظيفة جمالية "إلا عن طريق علاقاتها المتبادلة حيث يفسر أحدها الآخر، ويدعم دوره لأن الفعل الخالف للنشاط اللغوي يوجه كل عنصر إلى موضعه من نظامه كما يوجه كل نظام على علاقته بغيره محددا للسياق الشعري وجهة نحو البناء الشعري الكامل، فالقصيدة إذن ليست نصا لغويا ولكنها كيفية خاصة في التعامل مع اللغة".[7]

---

(1) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٢٨.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون (القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، دون تاريخ) ص ص ٤٧٨ – ٤٨١.

(3) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨) ص٢٦٩.

(4) قاسم مومني: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري (القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص٣٣٦).

(5) عبد المنعم تليمة: مدخل إلى علم الجمال الأدبي (القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨) ص٩٩.

(6) النعمان القاضي: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي (القاهرة، دار التوفيق للطباعة ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢) ص ٣٩٦.

(7) عدب المنعم تليمه: مدخل إلى علم الجمال الأدبي، ص٣٩٦.

وإذا مانظرنا إلى شعر العدناني فإننا نجد فيه الإجادة في استعمال اللغة وفي تشكيلها تشكيلا جمالياً رائعا، وأجاد في التأليف بين كلماته وأنظمة سياقها وتراكيبها، ويرجع ذلك إلى أن العدناني مدقق وباحث لغوي ونحوي له العديد من المعاجم اللغوية والكتب النحوية ونجد فيه ايضانهجه اللغوي الذي اعتمد فيه على لغة القرآن الكريم ولغة السابقين فخرج شعره جزل اللفظ فخم الأسلوب متين السبك.

ويمكن البحث في الخصائص التي اتسمت بها لغة العدناني على النحو التالي:-

(١) تأثر لغته بالموروث الديني:-

تأثرت لغة العدناني بالموروث الديني وذلك لحفاظه على تلاوة أوراد القرآن ولا طلاعه على التراث الإسلامي المتنوع، فقال في ذلك:-

ولــــم تَـــــرَ غيـــــرَ آيِ اللهِ وِرداً فــــراح اللــــــبُّ يلــــــتهمُ الكتابــــــا[١]

ومثال تأثر لغته بالقرآن قوله:-

تَأَسَّــــوْا بِخَيْـــر الأنبيـــاءِ محمَّـــدٍ ولا تحفِلــــــوا الأرزاءَ فــــاغِرَة الغَـــــمِ
ولا تَهنُــــوا يومـــــاً ولا تحزنُــــوا لمـــا دَهــــاكُمْ، فقـــد تُبلَـــى الشـــعوبُ بـــأعظمِ
وغـــنكم الأَعلَـــوْنَ فـــي كُـــلِّ مَعْـــرَكٍ بــــهِ الـــدهرُ يغـــزوكم بجـــيشٍ عَرَمْـــرَمِ[٢]

فالبيت الأول اعتمدتْ لغتُه على قوله عز وجل: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَ اليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً"[٣]، والبيتان والأخيران اعتمدا في لغتهما على قوله تعالى: "وَلاَ تضهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَونَ إنْ سكُنتُم مُؤْمِنِين"[٤].

وقوله:-

فكـــم فئــــة كُبــــرى تبَــــدَّد شـــملُها ودبَّ بــــإذنِ اللهِ فــــي رُوعِهـــا الـــذُّعرُ[٥]

وقوله أيضا:-

وكـــم فئـــةٍ كُبــرَى تبَــدَّد شـــملُها ودَبَّ بــــإذنِ اللهِ فــــي رُوعِهـــا الرُّهْــــبُ
هُـــمُ العُـــرْبُ أمِّيُّـــونَ مِثـــلُ نَبِـــيِّهمْ وســـاحُ الحـــروب الماحقـــاتِ هِـــيَ الكُتْــبُ[٦]

(١) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨.
(٢) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١١٠.
(٣) سورة الأحزاب، آية رقم (٢١).
(٤) سورة آل عمران، آية رقم (١٣٩).
(٥) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٤.
(٦) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٣٧.

اعتمد على قوله تعالى: "كم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَة غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَة بإِذْنِ اللهِ واللهث مَعَ الصَّابِرِيْنَ"[١]، والبيت الأخير اعتمد على قوله تعالى: "هُوَ الّذِي بَعَثض في الاميّنَ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاْتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَة وإِن كَانُواْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِيْنْ"[٢]

وقوله:-

يـارب هّـئ لنـا مـن أمرنـا رشـدا انـا عليـك لسـحق الشـر نتكـل[٣]

أخذه العدناني من قوله تعالى: "إِذْ أَوَى الفِتيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَاْلُوا رَبَّنَا آتِّنَا مِنْ لَّدُنك رَحْمَةً وَهّئ لَنَا مِنْ أَمرِنَا رَشَداً".[٤]

وقوله مصورا جمال فتيات دار المعلمات تجهيز البنات في حلب:-

كواعـب قاصـرات الطـرف عـين يفقـنّ الحـور خلقـا وانتسـابا[٥]

من قوله تعالى: "فيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَان".[٦]

وإذا كان شاعرنا قد اعتمد على لغة القرآن في تشكيله اللغوي لشعره، فإنه ايضا اعتمد على الحديث الشريف وبعض أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ولكن بصورة أقل من اعتماده على القرآن الكريم، ومثال ذلك قول العدناني:-

ياصـاحبي غصَـبْراً علـى الألَـمِ المبَـرّحِ فـي السَّـريرِ

فـاللهُ يرمـي المـؤمنينَ بمـا تُشـيبُ مـن الأمـور

لِيَـرى مـدى إيمـانهم ويَتيـهَ فخـراً بالصّـبورِ[٧]

اعتمد فيه على مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه طبٌ اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ أبتُلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطئية"[٨]

وقال معتمدا على قول خالد بن الوليد رضي الله عنه:-

فهل تناست فرنسا أننا عرب طعم الروى عندنا والعيش سيّان؟[٩]

---

(١) سورة البقرة، آية رقم (٢٤٩).
(٢) سورة الجمعة، آية رقم (٢).
(٣) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٣١.
(٤) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .
(٥) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .
(٦) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .
(٧) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .
(٨) محمد بن عيسى عن سورة الترمذي، ط ٢ (بيروت ، دار الفكرو ١٩٨٣) ج٤، ص٢٨.
(٩) محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

شابه قول خالد بن الوليد – رضي الله عنه – حين أخبر أمراء الجيش بإعلام الفرس أنه في حالة رفضهم الدخول في الإسلام فإن عليم أن "يدفعوا الجزية وإلا فليعلموا وليستعدوا لقدومه عليهم بقوم يحبون الموت كما يحبون هم الحياة"[١].

ويبدو أن العدناني استغل تأثر لغته بالقرآن ليرشد أمته وليواسيها، فهو تارة يطلب منهم التأسي بمحمد صلى الله عليه وسلم، فالا يهنوا ولايحزنوا فهم الأعلون، وعليهم بالصبر لأن من الشعوب من بُلي بأعظم من بلائهمو وعليهم أيضا الجهاد وإن قل عددهم فكم من فئة قليلة غلبت الفئة الكبيرة بإذن الله وتأييده، ثم يدعو الله أن يهئ لهم من أمرهم رشدا. وهكذا فعل في معظم المواطن التي ظهر فيها تأثره بالقرآن.

(٢) تأثر لغته بصنعة الطب:–

كان العدناني قد درس في كلية الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت مدة عامين بناء على رغبة والده، إلا أنه انتقل إلى كلية الآداب قسم اللغة العربية بناء على رغبة الشاعر أحمد شوقي، لذلك فإن "المتتبع لآثار العدناني يلاحظ أنه بالرغم من ابتعاده عن ميدان الطبو فإنه لا يزال متأثرا به في نثره ونظمه"[٢] ومثال ذلك استعمال كلمات مثل "لوثت وعقمت ومصاب وجرثوم خبيث وسرطان" في مثل قوله عن فرنسا:–

لقد لَوّثْتُ شِعْري يا فرنسا ... بذكرِكِ، وانتَحيْتُ بهِ السِّبابا

....

وعَقّمْتُ اليَرَاعَ، فلستُ أخشَى ... عليه بالتَّقَرْنُسِ أنْ يُصابا

فما اسمُكِ غيرُ جرثومٍ خبيثٍ ... إلى السَّرَكانِ خِلْتُ لهُ انتسابا[٣]

ومثل استعمال "الحشايا والشفاء والعليل والقلب والدامي وذوبان الفؤاد والجسم وتلاشي الخلايا" قوله:–

ظلَّلَتْني سماؤهُ، وسقاني ... بعدما أجَّ في حَشايَ اللهيبُ

وشفاني فيه نسيمٌ عليلٌ ... مالقلبي الدامي سواه طَبيبُ

وَحَداني شطرَ المُنَى بَعْدَ أَنْ كا ... دَ فؤادي مِمّا دهاني يَذُوبُ

وغداً تُرْبُهُ يُعانِقُ جسمي ... مثلَما عانقَ الحبيبَ الحبيبُ

---

[١] أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، ط١ (بيروت، مكتبة المعارف، والرياض، مكتبة النصر، ١٩٦٦) ج٦، ص٣٤٨.
[٢] جميل بركات: "العدناني ومعجم الأخطاء الشائعة "مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣، ص٥٣.
[٣] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

والخلايـــــا جميعُهـــــا تتلاشَـــــى   فـــي ثَـــرى كُلُّـــهُ أريـــجٌ، وطيـــبُ[1]

واستعماله كلمة آلام ومرهم قوله:-

ولا كضفَّتِ الآلامُ عن طَرْقِ مَضْجَعي   وأبقَــتْ فــؤادي داميــاً لــم يُمَــرْهِمِ[2]

وكذلك استعماله الطفيليات وزرع الأشلاء والطاعون والحرب في قوله:-

فَلْيَحْشُــدوا نسْــلَ إســرائيلَ أَجمَعُــه   كيمـــا نُبيـــد الطُّفيليَّـــاتِ بالرُّعُـــبِ

ونســـتردُّ فِلَسْطِســـناً، وقـــد زُرِعَـــتْ   أشلاءُ صِـهْيَوْنَ فـي صَـوبٍ، وفـي حَدَبِ

فـــلا فجـــور ولا أرجـــاسَ تُقلِقُنَـــا   ولا وجـــودَ لطـــاعُونٍ، ولا جَـــرَبِ[3]

واستعمال لفظ الأنفاس وعلالة المفؤود، قوله:-

ورأيتُ الأنفاسَ رَيَّا من الحُزنِ عليها غِلالةُ المفؤودِ[4]

وأما مرض السل، في قوله عن اليهود:-

نبيـدُ بــه جُرثومــةَ الشّــرِّ فــي الــورى   فيغنــى بنــو صــهيونض سِـلُّ العـوالمِ[5]

وأما عن إدماء الكبد والمهج الكلمي والأعضاء، ومبضع الطب، وتقطيع الأعصاب واللحم، قوله مصورا حالته بعد موت أمه:-

أَ أُمّـــاهُ شـــرَّدْنا، ففـــي كـــل مَهْمَـــةٍ   ضـريحٌ علـى مَـن فيـه أكبادثنـا تَـدمَى

وفـــي كـــل بيـــتٍ آدهـــة ومـــدامعٌ   وفـي كـل منكـوب لنـا مُهَـج كَلمَـي

....

وفي كل عُضوٍ جاسض للطِبِّ مبْضَعٌ   قطـعَ أَعصـابي كمـا قطّـع اللحمـا[6]

وفوله ذاكرا خفقان القلب والشريان والوريد ليبين أن الجسم بالقلب لا بالشريان ولا بالوريد:-

---

[1] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

[2] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

[3] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

[4] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

[5] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

[6] محمد العدناني : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

إنَّمـــا الجِســـمُ بالجَنـــانِ خَفوقـــاً لا بشَـــــــرِيْانِه، ولا بالوَريـــــــــدِ[1]

---

[1] محمد العدنانى : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

وأما عن استعمال واجتثاث بعض الأمراض مثل استئصال الداء المُعْضِل قوله:-

وداءً مُعضِـــــلاً إنْ لـــــم نُبـــــادرْ   علـــــى استئصـــــاله ذُقنـــــا المَنونـــــا [1]

واستئصال الجرب قوله:-

وأُعــدِمَ فــي بغــدادَ عبــدُ إلهِهـا   ونُـوري، فَعَـمَّ البِشْـرُ، واستُؤْصِـلَ الجُـرْبُ [2]

واجتثاث الطاعون قوله:-

ستجتَثُّ طـاعونَ الـورَى مـن جُذورِهِم   كمـا اجتُـثَّ للإيقـادِ مِـنْ جِـذْ رِهِ الـدُّلْبُ [3]

وظهر تأثره بصنعة الطب أيضا في ملحمة الشعرية عندما جعل عصاما طبيبا ماهرا وعبقريا حين قال عنه:-

شـاقَهُ الطِّـبُّ، منـذُ كـانَ صـبياّ

فَغَـدا فيـهِ، حـينَ شَـبَّ، نبيّـا

مـا رأى النـاسُ مِثْلَـهُ عبقريًّـا [4]

وصور العدناني عملية جراحة ناجحة لضعيف منهوك قام بها الطبيب عصام، فعاد المريض قويا، فطار صيت عصام العلامة الجراح، فقال شاعرنا:-

مَـسَّ بالمِشْـرَطِ العجيـبِ علـيلا

كـاد يقضِـي، إلاّ أتَـى المستحيلا

والضّـعيفُ المنهُـوكُ، عـادَ قَوِيّـا

ينْشِـب الظُّفْرَ فـي الرَّدَى والنّابـا

طـرَ صِـيتُ العَلاَّمـةِ الجـرّاح [5]

وبهذا يظهر أثر صنعة الطب واضحا جليا في لغة العدناني، وهو الأثر الذي وجد في لغة الشاعر إبراهيم ناجي الذي كان يعمل طبيبا أيضا حين قال:-

رَفْــرفَ القلــبُ بِجَنْبِــي كالــذَّبِيْح   وَأَنَـــا أَهْتِــفُ يـــا قَلْــبِ اتَّئِــدْ

فيُجِيْبُ الدّمعُ والماضِي والجَرِيْح   لِـــمَ عُـــدْنَا لَيْـــتَ أَنّـــالَمْ نَعُـــدْ

لِـمَ عُـدْنَا؟ أَوَ لَـمْ نَطْـوِ الغَـرَام   وَفَرَغْنَـــا مـــن حَنِـــيْنٍ وَأَلَـــمْ [6]

---

(١) نفس المصدر، ص٦٧.

(٢) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٩٥.

(٣) الدلب: شجر من السودان عظيم الورق عديم الثمر، أنظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ١٠٧ – وأنظر، إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص٢٩١.

(٤) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٧٦.

(٥) محمد العدناني: الأمومه، ص٦٨.

(٦) ابراهيم ناجي: ديوان ناجي، جمع وتحقيق، أحمد رامي وآخرين (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١) ص٣٩.

(٣) تأثر بألفاظ الآخرين:

تأثر العدناني بألفاظ العديد من الشعراء الذين سبقوه، وعلى رأسهم الشاعر أحمد شوقي، وكان تأثره منصبا على قوافي شوقي اليمية الروى، ويرجع ذلك إلى "اجلال الشاعر لأحمد شوقي واحتذاءه في طلاوة الأسلوب، وعذوبة الجمل"[١]، ومثال ذلك قول العدناني:-

أَلِفْنــا، إذا اجتــاحَ اليهـودُ حـدودَنا	لُيـوثَ شـرىً، إن لا ننـامَ علـى الأَلَـمْ
ونُرسِـــلَ برقيَّاتِنـــا ووفُودَنـــا	لِتَجْـأَرَ بالشـكوَى علـى هيئـةِ الأُمَـمْ
إلــى هيئـــةٍ، لــولا صَــفاقةُ وجهها	لكانَ اليهودُ اليومَ لحماً عَلَى وَضَمْ
أيشــكُوالى الأمِّ الوحيـدَ أخـو نُهـىً	بَلا مِن شُرورِ الأُمِّ سيلاً مِن النِّقَمْ؟
وأعظَـمُ مـا يسـتدرجُ الهَـمَّ صـاعِقاً	شِـكايةُ عُصـفورٍ أَسـاهُ علـى الـرَّخَمْ
فمـــا المجـــدُ إلاّ للقـــويِّ مُجنـــدِلاً	أَعادَيـــهُ فـــي مَعْـــركٍ يُـــوردُ العَـــدَمْ
ومَـا العِـزُّ إلاّ أَنْ تتيـه علـى الـورَى	وقـد نُثِـرَتْ مِمَّـنْ فتكـتَ بـهِ الـرِّمَمْ[٢]

ويمضى العدناني في إيراد كلمات القافية الميمية الروى مثل "النّسم والأجم والحزم وزميم وشمم ومعتصم وفم ونعم والأدم والقدم والظُّلم، والقمم وتهم والكلم والنغم وترم والأكم والهمم والعجم والرمم والدّيم والحُمم وضَرم ومنغطم والخذم والحشم ومتهم وصمم وينم وعم، والدّسم والغنم ومنهزم والنّظم وعَرِم ومنثلم وقرم والهرم والحلم[٣]، وهي الألفاظ التي استعملها أحمد شوقي في ديوانه وخاصة في قصائده الميمية، في قصيدة نهج البردة وضجيج الحجيج، وعلى سبيل المثال قال في نهج البرده:-

رِيـمٌ علـى القـاعِ بَـيْنَ البـانِ والعَلَـمِ	أَحـلَّ سَـفْكَ دَمِـى فـي الأشْـهرِ الحُـرُمِ
رَمـى القضـاءُ بِعَيْنَـيْ جُـؤذَر أسـداً	يـا سـاكنَ القـاعِ أدْركْ سـاكنَ الأَجَـمِ
لمّارَنَـــا حَـــدّثَتْني الـــنفسُ قائلَـــةً	يـاويْحَ جَنْبِـكَ بالسـهمِ المُصـيبِ رُمِـى
جحـدتُها وكَتَمـتُ السـهمَ فـي كَبِـدِي	جُـرْحُ الأحبـةِ عِنْـدِي غَيْـرَ ذِي أَلَـمِ[٤]

---

(١) كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص١١٧.
(٢) محمد العدناني: فجر العروبة، ص٤٦- ٤٧.
(٣) أنظر، نفس المصدر، ص ص ٥٢- ٥٨.
(٤) أحمد شوقي: الشوقيات (دون مكان الطبع، دار الفكر، دون تاريخ) م١، ح١و ص١٩٠.

وقال في ضجيج الحجيج:–

ضَجَّ الحجازُ وضَجَّ البيتُ الحرمُ		واستَصْرخَتْ ربَّها في مكةَ الأمَمُ
قَدْمَسّها في حماكَ الضرُّ فاقضِ لها		خليفةَ الله أنتَ السيدُ الحكم
لكَ الربوعُ التي ريع الحجيج بها		ألِلشريفِ عليها أم لكَ العلم؟
أهين فيها ضيوفُ واضطُهِدوا		أن أنت لم تنتقمْ فاللهُ مُنتقم[1]

وقد تأثر العدناني بألفاظ أبي تمام في قوله:–

إذا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيْلَةٍ		طُوِيَتْ أتَاحَ لها لِسَانَ حَسُودِ[2]

فقال العدناني متأثرا فيه:–

ومتى أرادَ الشعبُ نَشْرَ بُنودهِ		فعلى الجماجمِ تُركَزُ الأعلامُ[3]

وقال ايضا عن العرب متأثرا بصفى الدين الحلي:–

حُمْرٌ قنابلُهم، سُودٌ مَعارِكُهمْ		بيضٌ صوارِمُهُمْ، خُضْرٌ أكُفُّهُمُ[4]

وعن اليهود:–

نحسٌ كواكِبُهم، شَرَّ طبائِعُهم		إنكٌ مزاعِمُهُمْ، عارٌ جوارُهُمُ[5]

أما قول صفي الدين الحلي الذي افتخر فيه بقومه هو:–

بيضٌ صنائِعُنَا، سودٌ وقائِعُنَا		خضرٌ مرابِعُنَا حمرٌ مواضِيْنَا[6]

يظهر من خلال العرض السابق تأثر العدناني بألفاظ من سبقوه من الشعراء الفحول الذين حافظوا على متانة اللغة ورصانتها، فكان العدناني امتدادا لهم في ذلك لأنه وجد في ألفاظهم وتركيبهم خير زاد لشعره وأدبه.

(٤) موافقة ألفاظه لحالته النفسية:–

تلعب الحالة النفسية للشاعر دورا هاما في اختيار ألفاظه وتراكيبه اللغوية، ففي حالة الاضطراب والتوازن النفسي يختار ألفاظا شديدة وقوية، وفي حالة الركود والهدوء يختار ألفاظا هادئة خفيفة الشدة والانفعال، وهذا ما يفسر موقف بعض العلماء الذين" يعزون تطور الأصوات

---

(١) نفس المرجع، م١، ج١، ص ص ٢١١ – ٢٢٢..
(٢) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤) م١، ص٣٩٧.
(٣) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٥١.
(٤) نفس المصدر، ص١٦٠.
(٥) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٦) صفي الدين أبو المحاسن الحلي التنبس: ديوان صفي الدين الحلي (بيروت، مطبعة الآداب ، ١٨٩٢) ص١٠.

من شدة إلى رخاوه أو العكس، إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب، فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار، تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس"[١] ، وقد حاول أحد الباحثين جمع الألفاظ الدالة على كل نوع من المشاعر، فجمع الألفاظ الدالة على الفزع والعدم والشك والقلق والسفر والهروب والاستسلام والحزن واليأس والفشل والعبث إلى جانب التطهير والتحدي والرفض والنضال والخصب.[٢]

ولو نظرنا من خلال هذا التوافق إلى نفسية الشاعر ومفرداته نجد أن شاعرنا العدناني تمثل فيه هذا التوافق، فظهرت مفرداته مرتبطة بحالته النفسية تماما، ومثال ذلك قوله في ذكرى غزوة بدر أمام جمع من أشبال عدنان:-

ولكنّـــا سنكتســـحُ الرَّزايـــا	ونَـــدَّرِعُ القســـاوةَ أجمعينـــا
ونمكُـرُ بالخُصُـومِ الغُبـر مكـراً	نُطيـرُ بـهِ حُلـومَ الغاشـمينا
ونفتُـكُ بالزَّمـانِ إذا تحـدَّى	قُوانـا اليعرُبيَّـة مسـتهينا
ونَنْهَـدُ للكفـاحِ فتـىً وكهـلاً	فننـتظِمُ السُّـهولَةَ والحُزونـا
ونقـتحمُ الجـواءَ علـى الثُّرَيّـا	ونختـرقُ السّـحائبَ مُرْعِـدينا
ونحجُـبُ بالنُّسـور سَـنا ذُكـاءٍ	ونسـبحُ فـي الفضـاءِ مزمجرينـا
ونمخُـرُ صـفحةَ الـدّأماءِ صِـيداً	ونرقُمهـا متَـى شـئنا سَـغِينا
نَخُـطُّ بهـا مفـاخرَ خالـداتٍ	لهـا كـلُّ الخلائـقِ قارئونـا
ونمـلأُ هـذهِ الـدُّنيا جُيوشـاً	يـدُكّونَ الهضـابَ مـدَّرعينا
ونَفْجُـرُ ذَرَّةَ الإقـدامِ فينـا	فتنِسـفُ خصـمَنا البـاغي اللعينـا
ونُملـي مـا نشـاءُ مـن المعـالي	علـى مَـرَّ العُصـورِ مظَفَّرينـا
فإمّـا أن نعـيشَ أُبـاةَ ضَـيْمٍ	وإمّـا أن نَخِـرّ مُجَـدَّلينا[٣]

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ط٥ (القاهرة نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩) ٢٣٤.
(٢) كمال خير بك: حركة الحداثة في العشر العربي المعاصر- دراسة حول الإطار الاجتماعي الثقافي للاتجاهات والبني الأدبية، ط٢ (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٦) ص ص ١٤٠ – ١٤١.
(٣) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ٦٨ – ٧٠.

يظهر من خلال هذه الأبيات نفسية العدناني التي تمتلئ بمشار التأثر والانتقام من أعداءه، لذلك جاءت كلماته قوية مثل (نكتسح وندرع ونمكر ونفتك وننهد ونقتحم ونحجب ونمخر ونملأ ونفجر) فكانت ملائمة لانفعاله النفسي وبركان مشاعره الداخلي، ويبدو أن الذي ساعد على مثل هذه المشاعر ذكرى عزوة بدر الكبرى التي تذكر بالنصر وبالقضاء على قوى الظلم والاستعلاء، في الوقت الذي يذوق فيه أبناء شعبه ألوانا من العداب على أيدي اليهود، كل ذلك اختلج في نفسه وتفاعل ليحدث غليانا داخليا عبّر عنه بهذه الكلمات أمام حشد من أشبال عدنان. والملاحظ أن الكلمات التي استخدمها العدناني والتي عبر فهيا عن عاطفته احتوت على حروف شديدة أو مجهورة كالتاء والطاء والجيم والكاف والقاف والعين والدال مما زاد الكلمات شدة وقوة ساعدة في احتواء ثورة الشاعر الداخلية.

وفي موقف مقابل شعر العدناني فيه بالضعف واليأس والاستسلام لأن امته رضيت بالظلم وقبلت بالاغتصاب للمقدسات فما حركت لذلك ساكنا، فقال:-

واقتُلــوا الشســخَ آمنــاً فــي حِمــاهُ ... واذبحــوا الخَــوْدَ وافتِكُــوا بالوَليــدِ
وانهبُــوا باذئــابُ كُلَّــل طعــامٍ ... وابــذُلوا فــي الــدَّمار كــلَّ الجهــود
وانسِــفوا الــدُّور، وامحقُــوا كُــلَّ حــيٍّ ... مــن مَــريضٍ ومُقَعــدٍ مكــدودِ
واضربوا العُرب في الظُهورِ، ورُوغوا ... عــن طريــق الــورَى العِبــال الزُّنُــودِ
وانكُثُــوا العهــدَ يــا قَبيــلَ الأفــاعي ... مــا اســتطعتم، ولا تَفُــوا بــالوعودِ
واركبُــوا رأسَــكم فهــل يــا ثَعــالي ... لِأذاكــم وغــدركم مــن مَزيــدِ[1]

إذا كانت "الكلمات تنتج من العواطف والانفعالات مالا تنتجه أشكال أخرى"[2] فإن انفعالات العدناني في هذه الأبيات اتصفت بالسكون والتسليم فأنتجت كلمات ملائمة لمشاعره هذه، فكانت (اقتلوا وانهبوا وانسفوا واضربوا وانكثوا واركبوا) فمثل هذه الكلمات احتوت على حروف رخوة ومهموسة كالواو واللازم والهاء والنون والسين، إلى جانب سيطرة حرف الواو على جميعها بحيث تبتدأ الكلمة بالواو وينتهي به، وحرف الواو من الحروف المدودة اللينة التي توافق سكون النفس وهدوئها واستكانتها.

---
(1) نفس المصدر، ص٨٦.
(2) صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص٢٧١.

ومن ارتباط الحالة النفسية بالكلمات عند العدناني أيضا، سهولة وصعوبة مفرداته، ففي حالة الهياج النفسي والاضطراب الداخلي تكون الكلمات خفيفة سهلة بعيدة عن التعقيد واللفظ القاموس وفي حالة السكون النفسي تأتي الكلمات قوية رصينة معتمدة في الأغلب على الألفاظ القاموسية الصعبة، ومثال الكلمات السهلة والانفعال المضطرب قوله في حادث الهدنة الثانية التي قبلها الحكام العرب رغم علمهم بضررها لأمتهم:-

يـــا رعاديـــدُ يـــا غَـــنَمْ غـــادروا هيئـــةَ الأُمَـــم
كيـــف تخشـــونَ، ويحكـــم زمـــرَةً باعـــتِ الـــذِّمَمْ
....
كلكـــم فـــوق عرشِـــهِ يجلـــسُ اليـــومَ كالصَّـــنَم
لســـتُمُ غيـــرَ تُحفَـــةٍ أوغلَـتْ فـي دُجَـى القِـدَم
فـــاقبَعُوا فـــي مَتـــاحفٍ واســـتريحوا مـــن الـــتُّهَم[1]

ويبدو خلال هذه الأبيات سهولة الكلمات الناتجة عن الانفعال فهي (الرعاديد والغنم والأمم والذمم، وزمرة وعرش وصنم وتحفة وقدم ومتاحف وتهم).

وأمثال الكلمات الرصينة الفخمة المواكبة لسكون النفس قول العدناني في ذكر جلاء الفرنسيين:-

طَمَى الهَوْلُ حتّى ضجَّ من فتكهِ العُرْبُ وعربَدتِ الدُّنيا، وما زُحزحَ الخَطْبُ
وفـي ظُلْمـةِ الأغمـادِ أنَّـت نفوسُـنا وقد لفَّهـا الكبْـتُ المبـرِّح والكَـرْبُ
تَنَـــزّتْ كآســـادِ الفيـــافي ســـجينةً يُعـــذِّبُها أسْـــرٌ، ويَخـــذُلُها وثْـــبُ
ولـــو لـــم تُحَطِّـــمْ بـــالحروب سُـــجونَها لأَوْدَى بها في كَهْفِ مِحْنتِها النّحْبُ[2]

تبدو الكلمات والجمل الرصينة في "طمى الهول وزحزح الخطب وظلمة الأوغاد، لفها الكتب وتنزت كآساد الفيافي ويخذلها وثب وكهف محنتها والنحب، ومن الملاحظ أن مثل هذه الكلمات مرتبط أيضا بشهيق وزفير الإنسان، ففي حالة الانفعال والغضب مثلا تكون أنفاس الشاعر متتابعة متلاحقة، وعليه لا يستطيع والحال هكذا أن يأتي بكلمات جزلة متبنة رصينة الحبك والبنيان لذلك يميل إلى الكلمات السهلة الخفيفة القريبة المعنى لكي توافق سرعة واندفاع أنفاسه وأما في حال سكون النفس وهدوئها – سواء كان هذا الهدوء فزع أم هدوء يأس – فان

---

(١) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٠٢ – ١٠٤.
(٢) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٨٩.

الأنفاس تكون هادئة وطويلة لذلك تحمل معها كلمات رصينة وجمل طويلة أعمل فهيا العقل قبل خروجها، ولو تتبعنا هذا التطور النفسي خلال مقطع من قصيدة للعدناني بعنوان (نحن والجزائر "نلاحظ ذلك واضحا جليا:-

ماتَــتْ عَلَــى جُــرُفِ البُؤْســي أمانينــا	وضَـيَّعَ الشَّـعْبَ فـي الأَوْهـامِ راعينـا
قـــد ســـاقَنا، حتّـــى إذا التَهَبَـــتْ	أطماعُــهُ اتَّخَــذَتْ مِنّــا القَرابينــا
إذا رأيـــتَ رُعـــاةَ السُّـــوءِ بَطِـــرُوا	فلـــن تَـــرى فـــيهمُ إلاّ سَـــراحينا[1]
وإنْ غـــدا العَقْـــلُ فـــي مَلْـــكٍ يُسَـــيِّرُهُ	هَـوَى الفـؤادِ، فَقُـل جُنَّـتْ مآسِـينا
قـــد يُـــذْهِلُ اللهُ شـــعْباً عـــن مُروّعِـــهِ	ويُغمِـضُ العَـيْنَ عـن آثامـهِ حِينـا
ويُطْلِقُ الصَّـبْرَ، يَرْعَـى الحِقْدَ إنْ نَشِبَتْ	جُـــذورُهُ فـــي حَـــوانِيهِمْ سَـــكاكينا
حتّـــى إذا أغْفَـــتِ الأرزاءُ، أيقَظَهـــم	صـوتٌ يُقَـوّضُ عَـرْشَ المسـتبِدّينا
صَـــوْتُ التَّـــذمُّرِ والبلـــوى، بـــه جـــارت	نفــوس مــن بلــوا الجُلّــى أفانينــا
صَوْتُ البُطـونِ، مِنَ الخُبْزِ القَفارِ خَلَتْ	لِتُشْـــبِعَ الحـــاكمينَ الأشـــعبِيّينا
صَـوْتُ يُـدَوّي، فيهـوي عـن عُروشِـهِمُ	عَواهِـــلٌ وَرَدوا مِنَّـــا الشّـــرايينا
فالشّعْبُ انْ ثارا	لم يُبْقِ جَبَّارا
عَلَى الورَى جارا	وأَرسَلَ النَّارا

مِنهُ بَراكينا[2]

نلاحظ في الأبيات السابقة تطور الانفعالي النفسي عند العدناني، ومواكبة الكلمات لهذا التطور، فالعدناني بدأ الأبيات بعرض المآسي والآلام التي يلاقيها أبناء أمته من حكامهم الذين أضاعوا أمانيهم وجعلوهم كالقرابين، ثم يمضي بانفعال يرتفع شيئا فشيئا حتى يصل إلى مستوى قبيل الانفجار النفسي فيكرر كلمة صوت ليعبّر عن هذا الغليان الذي يوشك على الانفجار، فصوت البلدي، وصوت البطون من الخبر خلت، فيشتد الصوت ليدوي فيهوي بعروشهم، وتأتي بعد ذلك لحظة الانفجار النفسي الحقيقي، فتفارق الشاعر الأنفاس الطويلة التي حوت كلمات هادئة رصينة، وتسيطر على الأنفاس المتلاحقة الناتجة عن الثورة النفسية فتخرج الكلمات سهلة سريعة خفيفة وقريبة المعنى لتوافق سرعة خروج نفس الزفير الذي لا يستطيع أن يحمل أكثر منها.

---

(١) السراحين: الذئاب، أنظر، إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ج١، ص٤٢٧.
(٢) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص ٧٠ – ٧٣.

والملاحظ أيضا أن الحالة النفسية للشاعر تجعله يكرر بعض الألفاظ لما لها من صدى نفسي ووقع وجداني على مشاعره، ومثال ذلك قوله عن فلسطين:-

كُلُّها كُلُّها لِرُوحي، وطَرْفي، وابنِ صدري، في كُلِّ حينٍ تُنادي

يا فِلَسْطِينُ! أَلفَ لَبَّيْكِ إنّي لِلِّقاءِ الحبيبِ، واللهِ صادِ[1]

لقد تكاثفت كلمات البيت لتوافق مشاعره، فتكراره لكلمة كلها أي فلسطين، وجعلها لروحه وجنبه معا، وابن صدره في كل حين ينادي يا فلسطين ألف لبيك، وما يوحي ذلك من تكرار النداء وتكرار التلبية، ثم تأكيده بأنه للقاء صاد بنون التوكيد وبالقسم بلفظ الجلالة، كل ذلك جاء ليوافق نفسية العدناني المتلهبة شوقا وحنينا لوطنه.

(٥) التضمين في شعره:-

التضمين هو "استعارة الشاعر الأبيات وانصافها أو بعض الألفاظ في حشوها من شعر غيره وادخالها في أثناء أبيات قصيدته"[2]، وظهر التضمين عند العدناني في مواضع عديدة من قصائده منها قوله عن صديقه خليل السكاكيني:-

ذكرناهُ إذْ حاقَ الشَّقاءُ بقومنا "وفي الليلة الظَّلماء يُفْتَقَدُ البَدْرُ"[3]

أقتبس الشطر الثاني من قول أبي فراس الحمداني:-

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إذا جِدَهُمُ وفِي اللَيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

وفي نصحه للذين يجافون أقوامهم بالتبجح والنكران والفخر والتيه عليهم، قال:-

سَيَنْدَمُ"لكِنْ لاتَ ساعَةَ مَنْدَمٍ" غداةَ يَرَى آمالَهُ ذهبتْ هَدْرا[4]

مأخوذ من قول محمد بن عيسى التميمي وقيل من مهلهل بن مالك الكناني:-

نَدِمَ البُغَاةُ ولات ساعةَ مَنْدَمٍ والبَغْيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيْهِ وَخَيْمُ[5]

وقول العدناني منذرا:-

"فإنَّ غداً لِناظِرِهِ قريبٌ" ومَن خلَبَ الورى أوْدَى خِلابا[6]

---

(١) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١١٧.

(٢) شوقي ضيف: البلاغة تطور تاريخ، ط٦ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣) ص٧٣.

(٣) أبو فراس الحمداني: ديوان أبي فراس، رواية أبي عبدالله الحسن بن خالويه (دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٦) ص١٦١.

(٤) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٤٩.

(٥) محمد بن علي الصبان: حاشية الصباني على شرح الأشموني على ألفية بن مالك (القاهرة، دار الأحياء للكتب العربية، دون تاريخ) ج١، ص٢٥٥، وأنظر، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي: همع الهوامع شرح الجوامع (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ) ج١، ص١٢٦، وأنظر، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمذاني المصري: شرح ابن عقيل على ألفية أبي عبدالله محمد جمال الدين بن مالك، محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٤ (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٤) ج١، ٣٢٠.

(٦) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٢٢.

أخذه من قول قراد بن أجدع:-

وغنْ يَكُ صَدْرُ هذا اليومِ وَلَّى ... فـإنَّ غـداً لِنَـاظِرِهِ قَرِيْـبُ[1]

وقوله أيضا مضمنا أحد الأمثلة العربية وهو "لا يفل الحديد إلا الحديد"[2]

فـأطيقوا لظـى الكِفـاح أطيقـوا ... "لا يَفُـلُّ الحديـدَ غيـرُ الحديـدِ"[3]

وقول العدناني معبرا عن آلامه:-

وَلَمْ أَدْر، والبَأْسَاءُ تَحْطُمُ أَعْظُمِي ... "إِثْنَتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحَى، أَمْ ثَمَانِيَاً[4]

اخذه من قول قيس الملوح المشهور "بمجنون ليلى":-

أصلِّي فَمَا أَدْرِي إذا ما ذكَرْتُها ... إثنيتين صَلّيتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا[5]

يظهر لنا اقتباس وتضمين العدناني من أقوال السابقين مدى تأثره بهم وإعجابه بأساليبهم، ومدى قدرته على استغلال تراث أمته في التعبير عن أفكاره ومشاعره ومعانيه.

(٦) تأثره بمعاني السابقين:-

اعتمد العدناني في بعض معانيه على السابقين، فأخذ مما أنتجته عقولهم وافرزته قريحتهم، إلا أن أخذه هذا لم يُلغ دوره في ابتكار المعاني وتوليدها، إذ كان له الباع الطويل في ذلك حتى عارض ابن طباطبا في رأيه الذي اعتد فيه "بالوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتعرف في معانيه، في كل فن قالته العرب فيه"[(٦)]، فقال العدناني: "ولا شك في أن بن طباطبا وجيه، ولكنني أرى أن المعاني التي لم يفض ختامها شعراء الأمس هي أكثر من المعاني التي أكتشفوا كنوزها. وسوف تتولد معان جديدة في أذهان عباقرة شعراء الغد، تبدد أمامها المعاني القديمة كأنها وردة في حديقة، أو ساقية صغيرة متفرعة من نهر، أو نجمة في سماء مرصعة بالنجوم"[(٧)].

ومن المعاني التي تأثر بها العدناني من السابقين قوله محتملا أذى قومه:-

هَمَمْت بلوْم العرب لوماً مُدَوِيّاً ... على مابَدا منهم فَرَدَّتْنِيَ القُرْبَى
فإنّ دمي منهم، وعِزِّى عزُّهم، ... وبيتُهُمُ بيتي، وإنْ نزلُوا القُطْبا
وجُرْحُهُمُ جُرحي إذا سألَ مَضَّني ... كما مَضَّهُمْ، والخَطْبُ يُورثني خَطْبا
لئن ثلموا حَدّى شَحَذْتُ حُدودَهم ... وإنْ أمعنُوا في الُبعدِ زدتُهُمُ قُربا[(٨)]

---

(١) أبو الفضل أحمد بن محمد النيسايوري الميداني: مجمع الأمثال (بيروت، طبع منشورات دار الحياة، ١٩٦٢) ج١، ص٩٨.
(٢) نفس المرجع، ج٢، ص٢٣٥.
(٣) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨٧.
(٤) محمد العدناني: "أنه شاعر "مجلة الأديب ، الجزء ١٠، السنة ٣٣، أكتوبر ١٩٧٤، ص١٦.
(٥) قيس بن الملوح: ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج (القاهرة، دار مصر للطباعة)، ١٩٧٩، ص٢٣١.
(٦) محمد ابن طباطبا: عيار الشعر، ص١٠
(٧) محمد العدناني: "صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني" مجلة الأديب، الجزء ١، السنة ٣١، يناير ١٩٧٢، ص٤٥.
(٨) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٩٤.

تأثر فيه من أبيات المقنع الكندي التي فيها:-

لا أحمــلُ الحقــدَ القــديمَ علــيهم ... ولـيْس رئـيس القوم مَنْ يَحملْ الحقدا
وليْسوا على نَصْرِي سراعاً وإنْ هُم ... دَعَــوْنِي إلــى نَصــرٍ أَتيْــتُهم شَــدّا
وإذا أكلــوا لَحمِــي وفّــرتُ لُحــومَهم ... وإنْ هـدّموا مَجْـدِي بَنَيْـتُ لهـم مَجْـدا
يُعيّرنـــي بالـــدِّينِ قَــومِي وإنَّمـــا ... دُيُـوانِي فـي أشـياءَ تُكْسِـبُهم حَمْـدا[1]

رغم أن العدناني على مايبدو متأثر في هذا المعنى بالمقنع الكندي، إلا أنه تفوق عليه فيه، ففي الوقت الذي فاخر العدناني أبناء أمته بفعال أبناء وطنه الذين صدوا عنهم العدوان البريطاني والعدوان الصهيوني فكانوا بذلك لهم الدرع الواقي على مدى ثلاثين عاما، وذلك حين قال:-

وكُنّـــا لكـــم دِرعـــاً تَقـــيكم عصـــابةً ... تَزُفُّ الأسى، والشّرَّ، والهولَ، والجَدْبا
وذُدنـــاهُمُ عـــنكم ثلاثـــينَ حِجَّـــةً ... بعـزمٍ مَحـا شُـمَّ المعاقِـلِ والهَضْـبا[2]

فان المقنع فاخر قومه بفعاله هو وبما قدم لهم من ديون كانت مجدا لهم في ثورتهم.
ومن المعاني التي تأثر بها العدناني من زهير ابن أبي سلمى قوله في وصف ويلات حرب الطائرات من خراب ودمار:-

فيرجـــف أطفـــال الهـــول عابســـاً ... ويقصــفُ بالأشـياخِ والنِّســوةِ الــذُّعْرُ
وتنـــدلعُ النيـــران شـــتى لهيبهـــا ... ويلـــتهم الأرواح جاحمهـــا الغمـــرُ
وتفتــك بالأعصـــاب منهـــا قـــذائفٌ ... لهـا فـي خلايـا كـلِّ ذي مِسْـمَعٍ مَغْمـرُ
وتــذهب بالألبـــاب والرعـــب جـــاثمٌ ... تـــؤرث عينيـــه الضـــغينةُ والشَّـــر
وفكـــاّهُ مــن صُــلبٍ إذا أطبقــا علــى ... أَمــانِيّ شـعبٍ نابَهـا السَّـحْقُ والقهْـرُ

....

إذا مـا انتهـتْ غِـبَّ النوائـبِ غـارةٌ ... ودوَّي بَشيرُ الأمن، وانكشفَ الضُر[3]
رأيـــت البرايـــا يتركـــون كهـــوفهم ... وأشــعارُهم شُــعْثٌ، وأوجههــم صُــفْرُ
يسـيرون أشـباحاً تـداعت جسومُهم ... كـــأنّهُمْ بالبعْـــثِ جـــاءهُمُ النَّشْـــرُ[4]

---

[1] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء او طبقات الشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥) ص٤٩٦.
[2] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٩١.
[3] بشير الأمن: وهو البون عندما يعلق انتهاء الغاره الجوية.
[4] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٢٨ – ٣٣.

في حين قال زهير واصفا هذه الويلات:-

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجمِ
متى تبعثوها تبعثُوها ذميمةً ... وَيَضْرَ إذا ضريتُمُوها فتضْرَمِ
فتعرُكُكُمْ عَرْكَ الرحىْ بثغالها ... وتلْقحْ كشافاً ثم تُنتَجْ فتُتْئِمِ
فتُنتِجْ لكمْ غلمان أشأم كلّهمْ ... كأحمر عادٍ ثمّ تُرضعْ فتفْطِمِ
فتُغللْ لكُمْ مالا تُغلَّ لأهلها ... قُرىً بالعراق من قفيز ودرهمِ[1]

لقد عبر كلا الشاعرين في هذا المعنى عن حال عصرهما، فزهير مثلا عبر عن عصره حين شبه الحرب كالرحى الطاحنة التي لا تنتج إلا الدمار والهلاك، وكالناقة الولود التي يكون أولادها شؤما على أهلهم، وتصويره الشؤم بشؤم أهل عاد الذي جر عليهم الوبالو وتصويره أيضا ما تغل هذه الحرب على قومه من دمار بأكثر مما تغله قرى العراق مما يكال بالقفيز ويباع بالدرهم في ذلك الوقت.

وأما العدناني فقد صور حربا عرفت في عصره وهي حرب الطائرات وما تلحقه من ويلات ومن ضرر بالأطفال والنساء والشيوخ، وما تتركه في الأرواح والأعصاب والألباب من عاهات، وصور ما ينشأ في المدن من ملاجئ لحماية الناس من هذه الغارات، وصور أيضا بوق الانذار الذي يعلن عن بداية الغارة ويعلن أيضا عن انتهائها كي يخرج الناس من كهوفهم وملاجئهم، وأشعارهم شعث ووجوههم صفر يسيرون كالأشباح من تداعي جسومهم وكأن النشر جاءهم بعد البعث.

ومن المعاني التي تأثر بها شاعرنا قوله:-

فهذا منطق الدنيا؛ قويٌّ ... كأن دم الضعيفِ لديهِ خَمْرُ
ورِعديد يروِّعُهُ جريٌّ ... فيُرمِضُ نفسَهُ ظُلْمٌ وقهرُ[2]

ومن قول أبو الفرج الساوي:-

هي الدُّنيا تَقُول بملءِ فيها ... حَذَار حَذَارِ منْ بَطْشِي وفَتَكْي
فَلاَ يَغُرركُمْ مِنّي ابتسامٌ ... فَقَولي مُضحكٌ والفعل مُبكِي[3]

---

[1] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى (بيروت، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤) ص٨١ – ٨٣.
[2] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ٤٠.
[3] أنظر، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (دون ذكر الطبعة أو مكانها أو تاريخها) ص٩١.

ويبدو من خلال الأبيات السابقة أن معنى الشاعر أبي الفرج أكثر قوة من المعنى الذي قدمه العدناني، وذلك حين جعل الشاعر الدنيا هي التي تُفصح عن نفسها وتعلن بأنها قوية الفتك جرئية البطش مضككة القول ومبكية الفعل، في حين لم يعط العدناني فرصة لمنطق الدنيا ليفصح عن نفسه، فتولى هو الحديث عنه.

وقول العدناني:-

فمن بذَر العُلا حَصَد الأماني وأَرَعَ من سجاياهُ جَنايا[1]

وقوله أيضاً:-

فَمَنْ بذرَ الأَسَى، حَصَد الدَّواهي وبات مُصابُهُ يقفُو مُصاباُ[2]

تأثر فيه بنمط الأمثال العربية المبتدأة بمن الشرطية ومن ذلك:

"من يزرع الشوك لا يحصد به العنبا"[3]

وقول العدناني:-

فمنْ كان ذا عَقْلٍ، تَقَبَّلَ نُصْحَهُ وذُو الجهلِ أمسى من وقودجِهنَّمِ[4]

من قول المتنبي:-

ذو العقل يشقَى في النّعيم بعقلِهِ وأخنو الجهالة في الشّقاوةِ يَنْعُمُ[5]

وتأثر العدناني – في قصيدته (المنكوب) التي واسى فيها منكوبي سوريا – بمعاني محمد عبد المطلب في قصيدته (المواساة)، فقال شاعرنا:-

تَرَكوا لنا الأطفالَ عَضَّهُمُ ذِئبُ الطَّوَى، فَتَقَوَّضَ البَدَنُ
هذا يَصيحُ: أبي. ووالدُهُ في الرَّمْسِ، لا عَيْنٌ، ولا أُذُنُ
يَبْكيهِ، لكنْ لا تَرقُّ لَهُ إلاّ سحائبُ حُفّلٌ هُتُنُ
تَمْرى مدامِعَها الرّياحُ دُجىً فَيَزُولُ من تَهْطالِها الشَّجَنُ[6]

وقد تحدث الشاعر محمد عبد المطلب في نفس المعنى، فقال:-

تبكي إذ انقطع الأنيس لصبيةٍ يتضّورون يمينها وشمالها
من كلِّ ناعمةِ الحياةِ ومترفٍ ورد الحياة معينها وزلالها
يشكو الطوى فتغيضُ مهجة أمة شفقاً عليه وليس يدري حالها[7]

---

[1] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٢١.
[2] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٦٤.
[3] الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٥٥.
[4] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٠٩.
[5] أحمد بن الحسين بن الحسن عبد الصمد الجعفر الكندي الكوفي: شرح ديوان المتنبي، وض: عبد الرحمن البرقوقي (بيروت، دار الكتاب العربي، دون تاريخ) ج٤، ص٢٥١.
[6] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٦.
[7] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٦٤.

وقول العدناني متأثرا أيضا:-

وصـــــبية نضـــــبت مـــــدامعها   وأنـــــاخ فـــــي أعضـــــاها الـــــوهنْ
لا لقمـــــة فـــــي الكـــــوخ تأكلهـــــا   لا نجـــــدةٌ يُمحَـــــى بهـــــا الحـــــزن
لا رُقْعَـــــةٌ للجســـــمِ تَسْـــــتُرُهُ   لا ملجـــــأٌ فـــــي الشّـــــامِ يُـــــؤتَمنُ
جَمــعَ الشّــقاءُ، فأصــبحت شــبحاً   تَقْتَـــاتُ مـــن أَعصـــابِها الإِحَـــنُ[1]
تشـــكو، وتشـــكو بُؤْسَـــها عَبَثـــاً   حَتَّـــى يُخَـــدِّر لُبَّهـــا الوَسَـــنُ[2]

وقد يحدث عبد المطلب في نفس المعنى، فقال:-

ولأخْتِـــهِ عـــينٌ تُحّـــدثُ أمهـــا   وحيـــاً وقـــد حـــبس الحيـــاءُ مقالهـــا
كَلَــبَ الشــتاءُ بجِسْــمها فَتَقَطّعَــتْ   تطــوى علــى خــاوى الحشــا أوصــالها
حتّـــى إذا رقـــد الأســـى بجفونهـــا   وهفـــا النعـــاسُ برأســـها فأمالهـــا
خلــب الطــوى أحشــاءها فتفزّعــتْ   حَيْـــرى تُعـــاني سُـــهدها وملالهـــا
ياليــت شِــعْري هــلْ يُقيْــل عثارهــا   دهـــرٌ تـــولّى حربَهـــا ونكالَهـــا[3]

وقال العدناني أيضا مترسما معاني محمد عبد المطلب:-

جُـــودوا بـــأموالٍ يُغـــاثُ بهـــا   قـــومٌ بأشـــتات الـــبلاء مُنُـــوا
فـــإن الرُّعـــودُ بِجـــوِّهمْ قصـــفتْ   والغَيْـــثُ لـــم يُـــنعَشْ بـــهِ فَـــنَنُ
فَنَـــوالُكم غيْـــثٌ لمـــن نكبُـــوا   وعـــن الـــديار بولـــدِهِمْ ظَعَنـــوا
مـــنْ ذا الـــذي يـــا قـــومِ يُقرِضُـــهُم   قرضـــاً، بـــهِ تتضـــاعفُ المِـــنَنُ؟
فيحـــــرِّروا بـــــدمائهمْ وطنـــــاً   مابـــذهُ فـــي مَجـــدِهِ وَطَـــنُ[4]

وتحدث عبد المطلب في نفس المعنى :-

منــذ يُجيــر علــى الليــالي أســرةً   خطــفَ المنــونُ غياثهــا وثمالهــا
أم مـــن يمـــدُّ يـــداً مصـــونةً   بَـــذل الزمـــانُ قناعهـــا فأذالهـــا
قــذف الصــباحُ بهــا بنــى النَــدَى   لتُجيــرَ مــن غــولِ الخطــوبِ عيالَهــا[5]

---

(1) الأحن: الأحقاد – أنظر، محمد الرزاي: مختار الصحاح، ص٨.
(2) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٦-١٧.
(3) محمد عبد المطلب، ديوان عبد المطلب، ص ١٧٩ - ١٨٠
(4) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ١٧-١٨.
(5) محمد عبد المطلب، ديوان عبد المطلب، ص١٨٠.

٧- **اللفظة الموحية في شعره:**

تظهر قوة شخصية الشاعر بمدى قدرته على "أن يخلق للكلمة – باستخدامه اياها – مجالا واسعا. ولا يلبث الكثيرون أن يجدوا أنفسهم واقعين في أسارها. فمن حيوية الشخصية وقوتها تستمد الكلمة، وهي بهذه الحيوية والقوة تؤثر في الآخرين وتفرض نفسها عليها"[١]، وهذا يعني أن "تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلم، أليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها"[٢] ، وترى نازك الملائكة أن الكلمة الموحية "تنقل معنى البيت كاملا من أفق إلى أفق أوسع بحيث لو رفعنا هذه الكلمة وغيرناها بشء يقاربها في معناها لفقد المعنى كثيرا من سعته وقوته وضاع الجوّ في القصيدة"[٣].

هذا ولا يحاء الكلمات في عصرنا الحاضر أثر كبير في تقويم النصر الأدبي ومقدرة الشاعر على استخدام الكلمات الموحية دليل على ما يمتاز به من قوة والهام"[٤]، ولو نظرنا من خلال ذلك إلى شعر العدناني نجد لديه العديد من الألفاظ والكلمات الموحية التي رفعت البيت الشعري عنده على مستوى عال من الإيحاءات والدلالات، ومثال ذلك قوله:-

وبركـــةٍ مثــل عــين الــدّيكِ صـــافيةٍ تحنُــو عليهــا غصــونُ الــدَّوْح والزَّهَــرُ

والظّـلُّ فـي الفجر فـوقَ الـدوْحِ منـتظِمٌ وفـي الضُّحَى فوق صـدْر المـاءِ منتثر

تخالُــهُ الــدُّرَّ فــي الأصــباحِ مُؤْتلقــاً وأيــن منـــهُ يتــيمُ المـــاسِ والــدُّرَرُ[٥]

تظهر اللفظه الموحية في هذه الأبيات في كلمة "تحنو" لما فيها من إيحاء بالرفق والحنان والدعه من قبل غصون الدوح والزهر الحانية على البركةو ولو أننا حاولنا أن نُغيرها بتميل أو تنحني لما أدت نفس المعنى المطلوب الذي أدته تحنو، والحال كذلك في كلمة يتيمو فإن الظل الذي يكون في الفجر فوق الدوح المنتظم وفي الضحى فوق صدر الماء المنتثر لا يصل إليه يتيم الماس والدرر، فكلمة يتيم أعطت للبيت حيوية بما أوحته من شدة الندرة والقلة، علما بأن الماس والدّر من الحلى الثمينة التي تفوق غيرها في الثمن والجمالو فكيف حال اليتيم النادر منها؟ لذلك لو حاولنا أن نستبدلها بكلمة أخرى مثل نادر أو قليل أو مفقود، فإنها لا تعطي نفس المعنى الذي أدته كلمة يتيم.

وقول العدناني بعد وفاة أمه:-

وهأنـــا أســـتجدى الهنـــاء فـــلا أرى لـه أثراً فـي الكـون بعدك أو رسـمها[١]

---

[١] عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه – دراسه ونقد، ط٦ (دون مكان الطبع، دار الفكر العربي، ١٩٧٦) ص٣٣.

[٢] أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، ط٢ (بيروتو دار المغرب العربي، ١٩٨١) ص ٢٢٢.

[٣] نازك الملائكة: محاضرات في شعر عليى محمود طه – دراسة ونقد (القاهرة – معهد الدراسات العربية العالية ٦٤ – ١٩٦٥) ص ١٦١ – ١٦٢.

[٤] أحمد أحمد بدوي: اسس النقد الأدبي عند العرب القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩) ص٤٥٧.

[٥] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٠٦.

لعبت كلمة "أستجدى" دورا هاما وفعالا في هذا البيت، وذلك لموافقتها حالة الشاعر النفسية، فبعد الآلام التي عاناه من جراء نكبة أبناء وطنه وتشردهم جاءه خبر نعى أمه مما أشعره باليأس والقنوت،. فراح بعدها يستجدى الهناء فلا يرى له بعد هذا لا اثرا ولا رسما، لذلك كانت كلمة "أستجدى" معبرة عن حالة الشاعر النفسية وموحية بالحاجة في طلب واستجداء الهناء ليقضي على مشاعر اليأس التي سيطرة على مشاعره وأحاسيسه، فلو استبدلت هذه الكلمة بأخرى كأطلب مثلا أو أرغب أو ألح ولما وصلت لمثل إيحائها ولا أدت معناها الكامل.

وقول شاعرنا عن دموعه:-

نَزَفْتُها يومَ أصْبحنا بلا وطن   مُشَرَّدين غذانا اليأسُ والمللُ(٢)

لقد أوحت كلمة "مشردين" بواقع أبناء وطن الشاعر الذين شردوا من أرضهم وأجبروا على ترك وطنهم ولو استعمل الشاعر كلمة غيرها كمهجرين مثلا أو مبعدين لما أوحت بالمعنى المقصود التي توحيه كلمة مشردين، فقد أوحت بمدى المعاناة والآلام التي لقيها من جراء تركه لدياره، وكذلك كلمة غذانا التي عبرت عن نفسية العدناني التي تملّكها اليأس والملل، فمع أهمية الغذاء بالنسبة للإنسان وعدم استغنائه عنه، فإن العدناني جعله اليأس والملل، ولو قال الشاعر شعرنا أو أتانا اليأس والملل لما أدت نفس المعنى ولما أوحت بنفس الإيحاء.

وقول العدناني أيضا:

طَغَى الهَمُّ حتّى كاد يقتليني غماّ   فَعَمَّم أبُثُّ الطرْسَ مِمَّا دَهَى عَمّا(٣)

لعبت كلمة "طغى" دورا هام في الإيحاءات النفسية والمعنوية عند الشاعر بما أوحته من قوة وجبروت الهم الذي طغى عليه حتى كاد يقتله غماّ، فحار فيما يبثه في الطرس مما دهاه، فجاءت كلمة طغى موافقة لحالته النفسية التي صُدمت بضياع الأم والوطن. ولو استعمل الشاعر كلمة فاض لما أوحت بنفس المعنى ولما وافعت نفسية الشاعر القانتة اليائسة، لذلك فاللفظ "لم يكن ..وهو الذي يقفك عنده، بل مايدل هذا اللفظ عليه وما يعبر عنه"(٤) لذلك حاول العدناني أن "يختار من الألفاظ والعبارات أقدرها على نقل الاحساس وأحفلها بالظلال والايحاء والتصوير، حتى يستطيع أن ينفد إلى نفس قارئه ويثير لديه احساسا مماثلا"(٥).

٨- <u>تناغم الحروف والكلمات واتساقها مع المعنى:-</u>

---

(١) نفس المصدر، ص١١٤.
(٢) نفس المصدر، ص١٢٩.
(٣) نفس المصدر، ص١٠٧.
(٤) محمد حسين هيكل: ثورة الأدب، ط٢ (القاهرة، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥) ص٣٦.
(٥) محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات (القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي، ١٩٧٨) ص١٨١.

إن الشاعر المبدع هو الذي لا يعترف بأي كيان للألفاظ خلال قصائده، فما يكاد يستعمل اللفظة من اللغة في شعره حتى تصبح ملكا حالصا له، لها في داخل القصيدة كيان وشخصية وروح. وذلك هو السبب في أن الشاعر يرفض أن يُدخل إلى معبد شعره العبارات الجاهزة والقوالب الجامدة"[١] ، ويقبل "اختيار المواد اللفظية أولا من جهة ما تحسن في ملاحظ حروفها وانتظامها وصيغها ومقاديرها.. واختيارها أيضا من جهة ما يحسن منها بالنظر إلى الاستعمال"[٢] وقد حاول العدناني جاهدا أن يجعل من ألفاظه كائنات حية لها شخصيتها وروحها ولها حسن في ملافظ حروفها وجودة استعمالها، ومثال ذلك قوله:-

فكم حفر الصخور الصُّمَّ ماءٌ   إذا والى على الصخر انصبابا[٣]

تناغمت في هذا البيت الحروف والكلمات مع المعنى، إذ احتوت على حرف الصاد في "الصخور الصم، والصخر انصبابا "فالصفير الذي خرج من حرف الصاد جعل بين هذه الكلمات تناغما صنويتا وتوافقا بينها وبين المعنى، فحرف الصاد من حروف الصفير ومن الحروف الأصلية أيضا[٤] الذي يضيق مجراه عند خروجه فيحدث صفيرا مسموعا ومميزا عن بقية الحروف الأخرى، وتكرار هذه الصفير في هذا البيت أربع مرات وافق إلى حد ما صوت الماء المنصب على الصخر بما يحدثه من خرير وصفير أيضا.

ومثل قوله أيضا مستعملا حروف الصفير:-

رَصاصُـــــــنا أزيـــــــزُهُ   كالقَصْفِ في دُاجي الظُّلَمْ[٥]

فتكرار حرف الصاد في ثلاث مواضع وحرف الزاء في موضعين وهي من حروف الصفير أيضا التي "تحدث عند النطق بها صفيرا عاليا لا يشركها في نسبة علوه هذا غيرها من الأصوات"[٦]، لذلك كان هناك تناغم بين الحروف والكلمات من جانب وبينها وبين المعنى من جانب آخر، فالصفير الناتج عن هذين الحرفين المتكررين فوافق إلى حد ما أزيز الرصاص وصفيره عند خروجه، لذلك كان توافق التناغم الحرفي والكلمي مع المعنى الذي أراده الشاعر واضحا وهو إبراز قوة أزير الرصاص الذي شبهه بالقصف في الظلام الحالك، ومما مكن العدناني من أحداث التوافق كون "الكلمة العربية مركبة من .. المادة الصوتية التي يمكن حل

[١] نازك الملائكة: محاضرات في شعر علي محمود طه، ص١٨٣.
[٢] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص٢٢٢.
[٣] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨.
[٤] أنظر، إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٧٤.
[٥] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٢٠.
[٦] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٧٤.

أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بأحداث صوت معين. وكل حرف له ظل واشعاع"[١]

وقال الشاعر:-

شَغَلْنا الدَّهر شُبَّاناً وشِيباً   بها حتَّى سما للعُرب شانُ[٢]

تناغم حرف الشين- وهو حرف تفشى - مع المعنى الذي احتواه البيتو فقد تكرر أربع مرات محدثا صوتا حمل تشويسا وافق فيه الشغل والازعاج الذي تحمله كلمة شغلنا، والتي بدورها أيضا احتوت على حرف الشين لكي تزيد المعنى وضوحا وتوائما في التناغم الصوتي، لذلك يبدو أن العدناني وغيره من الشعراء حاولوا أن يجعلوا "أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[٣].
وفي تناغم حرف الشين مع المعنى قول العدناني:-

يـــا مـــزدرى دَعْـــدُوشُ   بـــك اقتـــدى شـــمرُوشُ[٤]
إنْ كـــان جُنـــدِيَّ الأذى   ديدنُـــــــهُ التّشـــــــويشُ
فأنـــت يـــا شـــرَّ الأنـــا   م لـــــــلأذى، شـــــــاويشُ"
ذو لحيـــــــة كأنهـــــــا   عشـــب الربـــى المحشـــوش
ومقـــــــــولٍ كأنَّـــــــــهُ   - إذا لغـــــا- "نـــــرْبِيشُ"
ومَنطِـــــــقٍ مُزَيَّـــــــفِ   جميعُـــــــــهُ تَهْـــــــويشُ
فـــاخنسْ ولا تَهْـــجُ الفتَـــى الشّـــريفَ يـــا دَعْـــدوشُ[٥]

نلاحظ في هذه الأبيات تناغما بين الحروف ناتجا عن تكرار حرف الشين الذي ورد خمس عشرة مرة، وتناغما بين الكلمات التي احتوت على حرف الشين أيضا" كدعدوش وشمروش وتشويش وشاويش ومحشوش ونبريش" فكلها احتوت على نغم واحد مشترك وافق المعنى الذي أراده الشاعر، وهو هجاء شخص يدعى "مزدري دعدوش" وذلك لأنه "ما دخل مكانا أو قرية أو مدينة إلا أفسد فيها"[١] وشوش على أهلها، فجاء تكرار حرف الشين بهذه الكثرة وبما يحدثه من

---

(١) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ط٩ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١) ص١٤٢.
(٢) محمد العدناني: ديوان فجر العروبةو ص١٣٥.
(٣) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط٢ (بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، دون تاريخ) ج٢، ص١٥٧.
(٤) شمروش: من أسماء الأبالسة، والشياطين – أنظرو محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٠٤.
(٥) نفس المصدر، ص١٠٤-١٠٥.
(١) نفس المصدر ، ص١٠٤.

تشويش وتفشى موافق لما يقوم به هذا الشخص من ازعاج وافساد وتشويش على الناس في الأماكن والقرى والمدن.

ومن توافق كلمات العدناني للمعنى الذي أراده قوله:-

وكيف أنسى فرسنا، وهي جاثيةٌ ... أمامَ هِتْلَرِ ذُلاًّ، أظْهَرَ الجُبُنا[١]

داستْ جحَافِلُهُ بالنَّعْلِ هامَتَها ... وهَدَّمَ الجَوْرُ من ساداتِها البَدَنا

ساعدت الكلمات على إبراز المعنى الذي قعده الشاعرو وهو إظهار ذل فرنسا وهو أنها أمام جيوش هتلر، لذلك استعمل شاعرنا كلمة جاثية بما توحيه من انقاص ومهانة، وقد قرنها الشاعر بكلمة الذال الذي أظهر الجبن، وجعل جحافل هتلر تدوس بالنعل هامتها، والهامة رمز الكرامة والشموخ، ثم أنه وضع الهامة مباشرة بعد النعل زيادة في الاذلال والتحقير، إلى جانب أنه جعل الهدم للسادة لا للرعية لكونهم مصدر الاستعلاء والتحكم والصدراة، فكانت بذلك كلماته موافقة للمعنى الذي قصده.

٩- التكرار في لغته:-

ان "التكرار في حقيته، الحاح على جهة هامة في العبارة يُعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها.. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها"،[٢] إلىجانب أنه "يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسطلة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها. أو لنقل أنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة يحاول الشاعر فيه أن ينظم كلماته بحيث يقيم أساسا عاطفيا من نوع ما"[٣] اضافة إلى ذلك فان التكرار يعتبر" وسيلة من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي دورا تعبيريا واضحا في القصيدة، فتكرار لفظه ما أو عبارة ما يوحي بشكل أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر، والحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره"[٤] ، ومثال التكرار عند العدناني قوله:-

يا فِلَسْطيْن! لَنْ يُوَفِّي حَنينِي ... حَقَّهُ كُلُّ ما حَوَتْهُ المَعَاجِمْ

يا فِلَسْطِينُ! لَن تطولَ الدَّياجي ... واصبِرِي أفتَديكِ، فالفَجْرُ قادمْ[١]

---

[١] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٧٦.
[٢] نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ط٧ (بيروت، دار اللعلم للملايين، ١٩٨٣) ص٢٧٦.
[٣] نفس المرجع، ص٢٧٦- ٢٧٧.
[٤] النعمان القاضي: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، ص ٤٠٢ – ٤٠٣.
[١] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١١٤.

ألح العدناني على كلمة فلسطين فكررها مرتين ليعبر عن مدى شوقه وحنينه لها ومدى ما يعانيه من آلام فراقها والبعد عنها.

ومثال التكرار أيضا يعبر فيه عن حنينه والذي كرر فيه لفظه (على) قوله:-

على مَراتِعِنا في القُدس عامرةً بكل ذي رحِمٍ، أو غير ذي رحِمِ
على المآذن في الأقصى مُرَدِّدةً "اللهُ أكْبَرُ في عِزٍّ، وفي شَمَمِ
على النَّمواقيس في مَهْد المسيح دَعَتْ إلى مُؤاخاةِ إلياسٍ لِمعُتَصِمِ
على بساتين ياف، وَهْي حاليةٌ بالنَّور يشتارُهُ نَيْسانُها بِغَم[1]

وقد كرر العدناني لفظه (على) ست عشرة مرة على مدار هذه القصيدةو فأوحت بمشاعره تجاه وطنه وبشوقه لمدنه وقُراه وشواطئه ولكل مكان فيه.

وأما تكراره لكلمة كنت قا صدا أمه، قال:-

لقد كنت لي قلباً، وكنتِ حُشاشةً وكنتِ مَضاءً سال في جسدي عَزما
وكنتِ مِجَنّى في الخُطوب إذا عَدا زماني، يقيني الشرَّو البُؤس والسقما[2]

فتكرار "كنت" أوحي لنا بعمق مشاعر العدناني تجاه أمه وبمكانتها التي وصلت لأن تصبح له قلبا وحشاشة وفضاء ومجنا.

ومن شدة أمل العدناني بالغد الذي سيحقق فيه النصر والفلبة على الأعداء نجده يكرر كلمة (غدا) لتحتوي مشاعره هذهو فقال:-

غداو يَروْنَ نُسورَ العُرْبِ مُرعِدَةً ترميهم بالمنايا الحُمرِ كالدِّيَمِ
غداً نَصُبُّ عليهم ثأرنا حُمماً تُنءسى جَهَنَّمَ مافيها مِنَ الحُمَمِ
غداً، سننزلُ جِنّاَ في رُبُوعهمُ والحِقْدُ طيّ بني الأضْلاعِ في ضَرَم
غداً، سنصهرهم في جوفِ بُوتَقةٍ تَحْدُو جحافلهُم طرّاً إلى العَدَمِ[3]

وكرر العدناني "لهفي على" ليبين مدى حرقته على الشاعر الشريف الرضى، فقال:-

---

[1] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٥٢.
[2] محمد العدناني: ديوان اللهيب ص١١٠- ١١١.
[3] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٥٥.

لَهْفــي علــى النُّبْــلِ العريــقِ مُكَفَّنــاً   بجــوانحس، تَرْثــى النُّبــوغض بواكيــا
لَهْفــي علــى السَّــيفِ الجُــرار مُثَلَّمــاً   مِــنْ بعــدِما بَتَتــرَ التَّخــاذُل فَاشِــيا
لَهْفــي علــى الــرُّمْحِ الأَصَــمَّ مُحَطَّمــاً   وعلــــى ضِــــياءِ العبقريَّــــةِ خابيــــا[1]

وهكذا نجد أن التكرار يقوم "بوظيفة ايحائية هامة تعبر عن مدى كلف الشاعر واهتمامه بالمعنى الذي يسوقه ومدى رغبته في التأكيد عليه"[2]، وهو ما لُوحِظَ عند العدناني من خلال عرض المقطوعات الشعرية السابقة.

١٠- استعماله الألفاظ القاموسية:

غلب على ألفاظ العدناني الطابع القاموسي وذلك بسبب الثروة اللغوية المعجمية الواسعة التي امتاز بها وبسبب ولعه بالتراث العربي القديم شعر ونثره، ومثال في شعره قوله:-

فلن تسمع الدنيا سوى الهول قاصفا   ولا أذن العليــاء غيــر الزمــام[3]

والزمام تعني صوت الأسود[4]

وقوله:-

وألقَتْ بليـغَ الفَتْـكِ مـن منبـر الـرَّدى   قصـيَّرتِ الأعـداء قُـوتَ القَشـاعمِ[5]

القشاعم تعني النسور[6]

طغَـى الهَـمُّ حتَّـى كـاد يقتلنـي غمّـا   فَعَمَّ أَبُـثُّ الطِّرسَ ممَّـا دَهَـى عَمَّـا[7]

الطرس: تعني الصحيفة. [8]

وقوله:-

فــإن سَــدرنا جميعــاً فــي غواتينــا   ولـم يـل الأمـر فينـا سـيَّدُ الـبُهَمِ[9]

البهم بمعنى الشجعان[10]

وقوله:

يــــارعَي الله فـــي الشـــام لهامـــاً   أمـل العُـرب فـي النِضـالِ الصـيد

---

[1] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٧٥.
[2] النعمان القاضي: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، ص٤٠٥.
[3] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٠٠.
[4] أنظر، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص١٤٤٤.
[5] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٠٠.
[6] أنظر محمد الرازي: مختار الصحاح، ص٥٣٦.
[7] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٠٧.
[8] أنظر، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص٧١٣ وأنظر، محمد الرزاي: مختار الصحاح، ص٣٩٠.
[9] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٢٨.
[10] أنظر، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٩٨.

....

قَلِّـــدوا أمـــرهم حُلاحِـــلَ يَمْشِـــي   فـوق هـامِ العـثلا بعـزمٍ وطيـدِ[١]

فاللهمام هو الجيش[٢]العظيم، والحلاحل الشجاع[٣] ذو المروءة.

وقوله أيضا:-

يُحيطـث بـهِ شُمَّ الأنـوفِ، ضَـياغِمٌ   تَمـيسُ بهـم خيْـلٌ مُطَهَّمـةٌ قُـبُّ[٤]

المطهمـة: [٥] الخيـل النحفيفـة الجسـم والدقيقـةو والأقـب[٦] مـن الخيـل: الرقيـق الخصـر الضـامر البطـئ.

وقوله:-

وأعظَـمُ مـا يسـتدرجُ الهـمَّ صاعشـقاً   ومَـعَ الجزائـر مَعقِـلِ الشُّـجعانِ[٧]

الرخمه[٨] طائر يشبه النسر في الخلقة.

وقوله:

ومَـن لَـمْ يَخْتـرِ الـدَّأماء قضـبراً   تَلَقَّفَـهُ علـى الأعـواد شَـنقُ[٩]

الدأماء بمعنى البحر[١٠]

---

[١] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٦٥ ـ ١٦٦.
[٢] أنظر، إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٤٩.
[٣] أنظر، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص١٢٧٥.
[٤] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٣٥.
[٥] أنظرو الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص١٤٦٤.
[٦] أنظر، محمد الرازي: مختار الصحاح، ص٥١٨.
[٧] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٧٠.
[٨] أنظر محمد الرازي: القاموس المحيط، ص٦٩٥.
[٩] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة ص١٤٨.
[١٠] أنظر، محمد الرازي: مختار الصحاح، ص١٩٦.

وغيرها من الكلمات التي انتشرت في دواوينه مما جعل أحد النقاد يقول عنه: "والشاعر محمد العدناني يعد في طليعة الشعراء الفلسطينيين الذين تشبثوا بالألفاظ الجزلة القوية في القصائد الوطنية الحماسيةو والألفاظ المفعمة بالحزن والأسى عند نظمه في النكبة وظروفهاو وهو في كثير من الأحيان يلجأ إلى الألفاظ القديمة الغريبة نسبيا ظنا منه بأنه بذلك يلتزم بقواعد الفصاحة العربية"[١] ورأى أيضا أنه "قد تمسك بالقاموس القديم، واعتمد على اللفظة الغريبة الموغلة في القدم"[٢].

ورغم أن العدناني استعمل الألفاظ القاموسية حتى اضطر إلى بيان معناها في الهامش، إلا أنه دعى الشعراء بالبعد عن مثل هذه الألفاظ والميل إلى الكلمات السهلة الميسورة، فهو مثلا انتقد الشاعر عدنان حردم بك قائلا: "أقترح عليك محاولة التقليل من الكلمات الصعبة التي تحتاج معانيها إلى شرح في الحواشي، ما استطعت إلى ذلك سبيلاو لأن الذين يقرأون الشعر قليل في عصرنا هذا، الذي طغت عليه المادة على الروح. الذي اتسم بالسرعة واختصار الزمن"[٣]

وإذا كان العدناني أيضا قد استعمل الألفاظ القديمة فإنه في المقابل استعمل ألفاظا سهله شعبية وقد لا ترقى للمستوى الشعري، مثل ذلك قوله:-

وَبَدَتْ إنْكِلْتِرا وفرَنسا كالفقاقيع في خضَمٍّ بلادي[٤]

وقوله:-

وراح الّهرُ يَبْصُقُ مُشمئزّاً عليهاو وَهْوَ ينتفِضُ اضطرابا[٥]

وقوله:-

أم أفاعٍ لعابُها فيه "تاثيرةُ" العدم [٦]

وقوله:-

لستُمْ غيرَ مطبخٍ ملُ أحشائِهِ دَسَمْ[٧]

وقوله عن الرؤساء العرب:-

وأمثالث المُهَرِّجِ بين قومي ستجرفُهم من الشعب السَّوافي[٨][٩]

---

[١] واصف أبو الشباب، شخصية الفلسطيني في الأدب الفلسطيني المعاصر، ص٩٩.
[٢] نفس المرجع، ص١٠٠.
[٣] محمد العدناني: "من محمد العدناني إلى الشاعر الكبير عدنان مردم بك" مجلة الأديب، الجزء١، السنة ٣٣، يناير ١٩٧٤، ص٥٤.
[٤] محمد العدناني: ديوان فجر العروبةو ص٨.
[٥] نفس المصدر، ص٦٣.
[٦] محمد العدناني: ديوان اللهيبو ص١٠٣.
[٧] نفس المصدرو ص١٠٤.
[٨] السوافي: الرياح التي تذري التراب، وتبدده، ومفردها سافيه، أنظر، محمد العدناني ديوان فجر العروبة، ص١٤٤.
[٩] نفس المصدر، نفس الصحفة.

وقوله عن اسرائيل:-

خُلِقَـتْ لبيـع العِـرْض بخسـاً (م) بالجُنيـهِ وبـالريالِ[1]

فالفقاقيع والبصق والتأشيرة والمطبخ والمهرج والجنيه والريالو كلمات لا ترقى لمستوى الشعر الجيد الذي وصفه أبو هلال العسكري بقوله: "ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفا بغيضا، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلاً دونا"[2]، ولكن مع ذلك فإن الظاهرة الغالبة على شعر العدناني هي القوة والمتانة والتأثر بالقاموس الشعري القديم، وما هذه الألفاظ المبتذلة إلا كلمات متناثرة في دواوينه لا يعول عليها لندرتها.

ومن الملاحظ على قاموس الشاعر اللغوي أنه أدخل عليه بعض الأفكار اللغوية والنحوية نحو قوله:-

إذ اسـرائيلُ للأبـوابِ سَـدّتْ بأوجُهِنـا، فمـدْفعُنا يَـدُقُّ

لِـنَجْلَهَمْ جميعـاً مثـل واوٍ لـداودٍ، لهـا لفـظٌ ونُطْـق

وإنْ شـئنا كتابتهـا تلاشـتْ وزحزحهـا مـن القرطـاسِ مَحـقُ[3]

صور العدناني بقاء اسرائيل وتلاشيها بالواو التي في كلمة داوود رغم أن لها لفظ ونطق فاننا يمكن أن نكتبها ويمكن أن نتركها.

وقوله أيضا:-

صـاحبات الحِجـالِ! بـالله خَلِّـين لِـرهْطِ المخنَّثـين الحِجـالا

إنَّ نُـونَ الإنـاث أجـدرُ بالشُّـبّانِ عـنكنِّ إنْ صَـدَقْت المقـالا[4]

يخاطب العدناني الفتيات أن يتركن نون النسوة للمخنثين لأنهم أجدر بها وأحق.

ومنه أيضا قوله مصورا حال الناس والطائرات تقصفهم بالقنابل، وقد استعمل كلمات مثل سطور وقلم الحبر والإعجام والمهل، والتفح والكسر، فقال:-

تلـوحُ سـطوراً خَطّهـا قَلَـمُ الـرَّدى فنـاءً، ودفَّـاقُ النَّجيـعِ هـو الحِبْـرُ

فيُمْطـرُ أحضـامُ المُغيـرينَ جمعَهـا قنابـلَ مـن إرْعادهـا يَجِـفُ القُطْـرُ

فَـتُعجِمُ خطَّـاً للمنيَّـةِ مُهْمـلاً يُزَلْزِلُـهُ مـن رشـقها الفـتح والكسْـرُ[5]

---

[1] محمد العدناني: ديوزان الوثوبو ص١٩١.

[2] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصاعتين – الكتابة والشعرو تحقيق: مفيد قميحة، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤) ص٧٤.

[3] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة و ص١٤٨ – ١٤٩.

[4] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٤٨.

[5] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٢٩.

وأدخل العدناني أيضا كلمة فارسية في موضعين من ديوانه الوثوب وهي "كيوان" بمعنى زحل في اللغة العربية[1] وتعتبر الكلمة الغير عربية الوحيدة فيكل دواوينهو وقد استعملها في قوله عن الجزائر:-

شادتْ على جثَثِ الضّحايا مجدها فَسَمَتْ مشارفها إلى كَيْوانِ[2]

وعن أرض فلسطين ايضا:-

وتحتَ قُبّتها الزَّرقاءِ قدْ نَبَتَتْ فروعُنا، فشمَخْنا فوقَ كَيْوانِ[3]

ويبدو أن قافية القصيدة قد اضطرت العدناني لاستعمال مثل هذا. وظهر في معجم العدناني بعض الضروات الشعرية في مثل قوله:-

لِنَجْعلَهمْ جميعاً مثلَ واوٍ لداودٍ، لها لَفْظٌ ونُطْق[4]

وقوله:-

وأقدمْنا على حثمَمِ المَنايا لها في بور سعيدٍ مهْرَجانُ[5]

وقوله:-

يَحِنُ إلى فِلَسْطَينِ فؤادي حَنِين البيدِ للسُّحُبِ الفوادي[6]

وقوله:-

ولا نُبقي لصهْيُونِ عَجُوراً ولا طفلاً لِعَطْفٍ يَسْتَحِقُّ[7]

وقوله:-

أيُّها العُرب إنما الشآمِ ومصرٍ وسوادُ العراقِ خلفَ البيدِ[8]

وقوله:-

وجعلنا من الشَّامِ ومصرٍ دَولَةً حَقَّقتْ أماني السَّنينِ[9]

وقوله ايضا:-

إنّ مصراً والعراقْ والشّاَمَ ابنَ الخَلاقْ[10]

---

(1) أنظر، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص١٥٨٥.
(2) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٧٠.
(3) نفس المصدر، ص١٤٠.
(4) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٤٨.
(5) نفس المصدر، ص١٣٦.
(6) نفس المصدر، ص١٣٨.
(7) نفس المصدر، ص١٤٨..
(8) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٦٨.
(9) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٢٠.
(10) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٧٤.

فجاء كل من داود وبورسعيد وفلسطين وصهيون ومصر بتنوين الضم والكسر والنصب، وهي ضروات شعرية صُرفت وكان حقها المنع من الصرف.

والجديد بالذكر أن ابن جني نقل عن أبي علي قوله من ضروات السابقين واللاحقين الشعرية أنه " كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم. مما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرته عليهم حظرته علينا. واذا كان ذلك فما كان من أحسن ضروراتهم، فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان من أقبحها عندهم فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك بين ذلك"[١] لذلك فقد "استنبط القدماء من العلماء تلك الرخص من شواهد شعرية قديمة، ثم أباحوهم للمولدين ومن جاءوا بعدهم"[٢].

١٠- استعماله المترادف في المعنى:-

من المعروف أن "الأصل في كل لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد، لمعنى واحدو أي أن يكون بازاء المعنى الواحد فيها لفظ واحد، ولكن ظروفا تنشأ في اللغة، تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد، أو تعدد المعاني للفظ واحد"[٣]، ويقول سيبويه في ذلك: "واعلم أن كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[٤]، ولو نظرنا إلى الترادف عند العدناني نجده في قوله عن اليهود مخاطبا العرب:-

لا تتعبُوا في عَدّهم   غداً ستُحصُونَ الرِّمَمَ[٥]

وقوله مخاطبا بني عدنان:-

سلوا الشقائقَ تستوقفءكُم قِصَصٌ   عن الدّماءِ، وأنباءٌ، وأقوالُ[٦]

وقوله عن اليهود:-

فعلمُهم ليس يعدو الفِسْقَ أفضَلُهُ   وفِعلُهم كلُّه البهتانُ والدَّجَلُ[٧]

وقوله:-

جَلاَ اليأسُ عن أرجائِنا، وانتَشى القلبُ وهروَلَ عنّالهَمُّ، والبُؤْس والكَرْبُ [٨]

---

[١] نفس المصدر، ص١٣٨.
[٢] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ط٢ (بيروت، دار القلم، ١٩٧٢) ص٣٥٤ وأنظر، يوسف بكار، مرجع سابق، ص ١٠٦- ١١٠.
[٣] رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ط٢ (القاهرة، مكتبة الخانجي، الرياض دار الرفاعي، ١٩٨٣) ص٣٠٨، وأنظر، أميل بديع: فقه اللغة العربية وخصائصها، ط١ (بيروتو دار العلم للملايين، ١٩٨٢) ص ١٧٣ – ١٧٥.
[٤] أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر: الكتاب – كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط٢ (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧) ج١، ص٢٤.
[٥] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٢٠.
[٦] نفس المصدر، ص٥٢.
[٧] نفس المصدر، ص١٣٠.
[٨] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٣٢.

وقوله عن الشباب المخنث:-

وإذا سـار، سـار كـالرِّئم وثبـاً   حاسِـباً أنـه اسـتحالَ غـزالا[1]

وقوله مخاطبا اليهود:-

"فتهتَّكُـوا، وتكبَّـروا، وتجبَّـروا   وسـعوْا لِسَـحْق الشَّـعبِ بالإرهـابِ[2]

وقوله:-

ونَـزرعُ بالجحافـلِ كـلَّ سَـهْلٍ   وحَـزْنٍ، لا نَلِـينُ ولا نَـرقُّ

....

لِـنَجْعَلَهمْ جميعـاً مثـلَ واوٍ   لـداودٍ، لهـا لَفْـظٌ ونُطْـق[3]

وقوله:-

نَـتَلَمَّسُ الآمـالَ شَـتَّتها الـوَنَى   فنـؤوبُ لا أَمَـلٌ، ولا أحـلامُ[4]

وقوله أيضا:-

للفـاتحين شُـواظُ دبّأبـاتِهِمْ   ولنـا خطـابُ مُفَـوَّهٍ، وكَـلامُ[5]

فقد ظهر الترادف إلى حد ما في الأبيات السابقة بين العد والاحصاء، والبهتان والدجل، والهم والبؤس والكرب، والرئم والغزال، والتهتك والتكبر والتجبر، واللين والرقة، واللفظ والنطق.

والجدير بالذكر أن استعمال المترادف يمنع "أن تكون الكلمة قد أدت معنى جديداً لم يفده غيرها.. من أجل هذا عيب على الشاعر استعمال الكلمة الزائدة، واستخدام المترادف، والمجئ في كلامه بالحشو، لأن الكلمة حينئذ لم تؤد معنى جديدا"[6]وهو ما رأته نازك الملائكة في قولها أن "الوقوع في الترادف بقية من تقاليد الشعر في عصور الفترة المظلمة وفي رأينا – ونحن أبناء هذا العصر – أن استعمال المترادف في الشعر يضعف التعبير بما يلف حوله من صنعة ظاهرية لا معنى لها ولا ضرورة[7]" ورأت أن الترادف يزداد ضعفا" حين يجئ في قافية البيت.. لأن القافية، ببروزها ورنينها، تظل أهم لفظه في البيت، بحيث ينتظرها السامع متطلّعا، فإذا بلغها ووجدها

---

(1) محمد العدناني: ديوان الروض، ص٤٤.
(2) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٨٣.
(3) نفس المصدر، ص١٤٧ – ١٤٨.
(4) نفس المصدر، ص١٥٠.
(5) نفس المصدر، ص١٥١.
(6) أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص ٤٦٥ – ٤٦٦.
(7) نازك الملائكة: محاضرات في شعر علي محمود طه، ص١٨٠.

مجرّد تكرار لمعنى مرّ في البيت قبلها، ضاق بها وأحسها ضعيفة، قلقة، لا تستاهل الاهتمام"[١] ، ولكن رغم هذا الموقف من الترادف إلا انه وجد عند العدناني العديد من الترادفات التي عبّرت عن نفسيته وذلك بتكرار المعنى الذي اختلج فيها بألفاظ متقاربة في المعنى مختلفة في اللفظ، ومثال ذلك في الأبيات السابقة وفي قوله أيضا:-

وهيهاتَ أنس غادة ووحيدها وقد هالها التنكيلُ، والبطشُ، والقَسرُ [٢]

وافق ترادف المعنى وتقاربه في كلمة التنكيل والبطش والقسر مشاعر العدناني النفسية، فقد ذاق هو وأبناء وطنه ألوانا من العذاب جعلته يكرر هذا المعنى بألفاظ متقاربة في ترادفها لتوافق عمقه في نفسه والحاحه عليه.

وكر العدناني أيضا اللفظ المترادف في قوله عن اليهود:-

ومَنْ يبْلُهُمْ والتَّيمِسييِّنَ مثلَنا يَرَ المكرَ، والبُهتانَ، والزَّيْفَ، والكِذْبا[٣]

فان شدة البلاء الذي لاقاه هو وأبناء شعبه جعله يكرر صور الآلام والمصاعب- التي وجدوها- بألفاظ مختلفة مع أنها تعبر عن معنى مترادف ومتقارب إلى حد ما، فالحاحه على هذا المعنى الذي علق في نفسه هو الذي دفعه لمثل هذا الترادف. لذلك فإن الترادف عند العدناني نابع من مشاعره النفسية التي ألحت على فكره فجعلته يكرر المعنى الواحد بأشكال لفظية مختلفة ليوافق الإلحاح الداخلي.

١١- اسلوبه:

اتسم اسلوب العدناني بسمات عديدة منها غلبة الاسلوب الخطابي على شعره، فظهر فيه الأمر والنهي والنداء والتحذير والنفي والاستفهام وغيرها من الأساليب، ويرجع ذلك إلى "المرحلة النضالية التي يمر بها الشعب الفلسطيني، فقد لجأ ..الشعراء إلى الألفاظ المدوية المجلجلة، لتعزيز الموقف الخطابي الذي يقفه الشاعر، والعدناني من رواد هذا النمط"[٤]، ومن أمثلة شعره في ذلك قوله:-

صُبُّوا على العادِي النِّقَمْ وابنُو الضحايا كالهرَمْ
واقضُوا على الصِّلِّ الذي يَفِحُّ في جَوْف الدَّسَمْ
وَقَلِّدوا أجيادَكم عِقْدَ العقيقِ والعَنَمْ
....

(١) نفس المرجع ، ص١٨١.
(٢) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٥.
(٣) نفس المصدر، ص٩١.
(٤) واصف أبو الشباب: شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص٩٤.

يـــــا انكليــــــزُ إحســــبُكمْ — مـــــن الرَّزايــــا مـــــا دَهـــــم
فالشّــرُّ مــن صَـدَاقةِ اليهــود، — لـــــــو تــــــــدرونَ، جَـــــــم
مـــافي فِلَسْــــطينٍ لهـــــم — يـــــومَ الـــــوغَى قِيـــــدُ قَـــدَم
....
يــــا عُـــرْب شُـــبُّوها لنـــا — حَرْبـــاً تَنـــاهَى فـــي العِظَـــمْ
شــــعواءَ تجتـــاحُ العـــدا — عِملاقَهـــــم مــــــعَ القَــــــزمَ
واســـتَدْفِقُوا جيشـــاً يُغَطِّـــى — البيــــــدَ طُــــــرّاً والآلــــــمْ[(١)]

استعمل العدناني هذا الأسلوب "كي يصل إلى هدفه في مخاطبة الجماهير"[(٢)] لذلك ظهر فيه النداء والأمر والتحذير والنفي. ومثال قوله مستعملا النهي والاستفهام:-

أيـن المسـاواةُ التـي وَعَـدتْ بهـا — كَــذِباً فرنســـةُو رَبَّـــةُ الطُّغيـــان؟[(٣)]
أيـن العَدَالـةُ فـي الـبلاد مُشـعَّةً، — أَيــنَ المعاهِـدُ أَيــنَ اَيــن البــاني؟[(٤)]

وقد ظهر الأسلوب الخطابي في كل دواوينه حتى غدا السمة الغالبة عليها، ويرجع اهتمام الشاعر به إلى سرعة تأثيره في المتلقين والى طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها فلسطين والتي كانت تستدعي مثل هذا الأسلوب الشعري ليُشارك في المعركة.

ومن السمات التي اتسم بها أسلوب العدناني أيضا اسلوب الحوار القصصي ومثاله الحوار الذي أجراه مع فراشه:-

وأتَـــتْ غلـــيّ وحَومَـــتْ — حولـــو وقـــد طـــاش الصَّـــوابْ
فســـألتُها: مـــاذا أتـــى — بـــك، رَبَّـــةَ السِّـــحرِ المُـــذابْ
وعـــلامَ جئـــتِ، وقـــد خَبـــا — - أوْكـــادَ- مِصـــباحُ الشّـــبابْ
أفراشـــــةُ تَهَـــوي الظُّلَـــمْ — والـــرّوْضُ بـــالنُّورِ اســـتَحَمْ
والزَّهْرُمعسوُلُ الرُّضابْ؟
قالـــت: بيـــاضُ المَفْـــرِقَيْنِ — أذاعَ سِـــــــرَّ الأرْبَعـــــــينْ
وروَتْ غُصـــونُ جَبينِـــكَ — الوضّـــاحِ لـــي ظُلْـــمَ السِّـــنينْ

---

(١) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص ١٨- ٢١.
(٢) واصف أبو الشباب: شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص٩٤.
(٣) محمد العدناني: ديوان الوثوب و ص١١.
(٤) نفس المصدر، ص١٢..

لكـــــنَّ وَقْــــدَةَ عَزْمْـــــةِ   دَلَّـتْ علـى مَـنْ فـي العَـرينْ
فأتيــــتُ أقتــبِسُ الِهَمـــمْ   مِمّــنْ أَفــاضَ علــى الأَلَـــمْ
في الرّوْعِ اشراقَ اليقينْ[١]

وقول العدناني أيضا:-

قــالُوا: أتبحَــثُ عــن وَغْــدٍ لتهجُــوَهُ   وفـــي جـــوارِكَ ربُّ اللـــؤْمِ قـــد قَطَنَـــا
فقلتُ: خِفْتُ مِنض اسْمِ النَّذْلِ تَحْمِلُـهُ   شِـــعري، فيُصـــبحُ ديـــواني بـــهِ نَتِنـــا
فَحَسْـــبُهُ أنَّـــه غـــنْ قـــالَ قـــائلُكم: مَنْ أَسْفَلُ النّـاسِ أخلاقـاً؟ أجـابَ: "أنـا"[٢]

وقد استعمل العدناني هذا الأسلوب في ملحمة الأمومه[٣] وفي مواضع كثيرة من دواوينه الشعرية، ولعل أكثار العدناني منه يرجع إلى أنه يتميز "بالسهولة والوضوح، وينأى عن التعقيد والغموض، ويتلون بتلون المواقف" [٤].

وقد اشتهر بأسلوب الحوار القصصي عمر بن أبي ربيعة في غزلياته التي منها قوله:-

فقالــتْ فإنــا قــدْ بــذَلْنا لــكَ الهــوى   فبالطّـــائر الميمـــون تُلْقَـــى وتُحبـــرُ
فقلْــتُ لهـــا إنْ كنــتِ أهــلَ مــودّةِ   فمِيعـــادث مـــا بَيْنِـــي وبينـــكِ عَـــزْوَرُ
فقالــتْ فإنـــا قَــدْ فعلْنـــا وَقَــدْ بــدا   لنـــا عِنْــدَ مـــا قالــتْ بنـــانٌ ومحجـــرُ[٥]

وظهر أيضا في أسلوبه الجانب الفكاهي وذلك في مثل قوله تحت عنوان "سمج":-

قــــد ابتُليــــتُ بِســــمْجٍ   فــي غضــفْلَةٍ مِــن زمــاني
كأنّـــهُ حيـــنض يَهْـــذِي   لَفْـــظٌ بـــدونِ معـــاني
هـــاتُوا مِقَـــصّ نعـــالٍ   لِقَـــصِّ ذاكَ اللِســـان[٦]

وقوله في هجاء شخص أسمه نجاتي:-

لَوَجْهُكَ حين تبِسمُ يا "نجاتي"   كعَجْـز القـردِ، أو وجهـش الحَمـاةِ
وظِلُّـــكَ كالجبـــالِ الشُّـــم وزْنـــاً   وقلبُـــك فـــي الجَـــراءةِ كالقَطـــاةِ

[١] محمد العدناني: ديوان الروض، ص ١٢٨- ١٢٩.
[٢] نفس المصدر، ص٧٤.
[٣] أنظر، محمد العدناني: ملحمة الأمومة، ص١٣٦ – ١٤٦.
[٤] محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات (القاهرة، نشر مكتة الخانجي، ١٩٧٨) ص٢٢٥.
[٥] عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة (بيروت، دار القلم، بدون تاريخ) ص٩٩.
[٦] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٤٣.

إخـالُ عُـروقَ وجهِـكَ لـيسَ فيهـا   دِمــاءٌ، بــل جليــدٌ يــا نجــاتي
إذا لــم تَقْـضِ حــينَ تـراهُ بَــرْدا   "لَعَمْرُك تِلْكَ إحدَى المعجزاتِ"[1]

وقوله عندما عرض عليه الزواج في أيام شبابه:-

أيهــا الغِيــدُ لا أُريــدُ الزَّواجــا   أصـبحَ الـدِّيكُ لا يُجـبُّ الـدَّجاجا
ومِزاجــي صــافٍ، فأبْعِـدْنَ عنّــي   لا تعكـــزْنَ بـــالغَرامِ المِزاجـــا[2]

والملاحـظ أن هـذا الأسـلوب الفكـاهي لـم يفـارق العـدناني حتـى فـي معالجاتـه اللغويـة والنحوية، ففي معالجاته النحوية قوله معترضا على بعض القواعد القديمة: "وإذا جاء طفل واحد مـع امـرأة قلنـا: داءوا، ولـم نقـل جـئن، فميـا للظلـم الفـادح الحـالِّ بأمهاتنـا، وأخواتنـا، وبناتنـا، وحفيداتنا"[3] وقولـه: "عندما نقول في رسائلنا" سلموا علـى الأسرة فردا فردا". هل يجوز أن نقول فردة؟، الفصحى تجيز ذلك، ولكن هل تسمح لنـا النسـاء بذلك، أم يلحقننـا وفـي أيـديهن فردات نعـالهن؟"[4] ، أمـا مـا ورد فـي معالجاتـه اللغويـة وفـي تسمية الغـارة بالمسـجع قولـه: "ولكن كلمـة مسجع ثقيلة الظل، يتعثر بها اللسان، وتخدش الآذانو وتنفر منها الذاكرة، ولا أدري لماذا نحاول الهرب من كلمـة "فأرة" وقد أطلقتها الفصحى علـى الوعـاء الذي يجتمع فيه المسك.. لذا أرى أن نضـرب صـفحا عن المسـجع "ونستعمل "الفأرة" وان كنت لا أستطيع تخطئـة من يستعمل كلمـة "المسجع" مع أن فيها ثلاث أحرف من أحرف السماجة".[5]

---

[1] نفس المصدر، ص٥٣.
[2] نفس المصدر، ص٧٥.
[3] محمد العدناني:"المرأة العربية والنجاة" مجلة الدوحة، العدد ٧٠، أكتوبر ١٩٨١، ص٧٦.
[4] نفس المصدر، نفس الصفحة.
[5] محمد العدناني: معجم الأخطاء الشائعة، ص١٩٢.

وظهر في أسلوبه ايضا البساطة في بعض المقاطع الشعرية، وهو غير ما عهد عليه من مكانة الأسلوب ورصانة الجمل وقوة العبارة، ولعل مرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع الذي تناوله الشاعرو فأغلب هذه المقاطع كانت تُقال في حوادث يومية عادية، وعادة ماكان ينظمها في حينها دون تدقيق أو تنقيح. ومثال ذلك قوله في هزيمة حزيران عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين:-

أنـــا لا أُصــــدقْ أَننـــا   أمـــسُ انهَزَمْنـــا، لا أُصـــدِقْ
قـــولٌ إذا اســـتَمَعَتْ إليـــه   الـــروحُ يَوْمـــاً، كـــادَ يُزهِـــقْ
ويُجّمِـــدُ الأنفـــاسَ فـــي   صـــدْري، وفـــي لَيْلـــى يُـــؤرّقْ
ويـــذرف العبـــراتِ حتّـــى   روضـــــة الآمـــــالِ يُفْـــرقْ
أنـــا لا أُصـــدِقْ أَنْنـــاَ   أمـــسُ انهزَمْنـــاَ، لا أُصـــدِقْ[١]

ومثل قوله في هجاء أطلق على صاحبه لفظ، "بارد":-

خـــافَ يومـــاً مـــن بـــاردٍ   حـــين وافـــاهُ علـــى نـــارِ جَهَـنَّمْ
زَفَـرَ الأنفـاسَ ثَلْجـاً، ورأى   مالــكٌ كــلَّ يكمُــنُ فـــي الــدَّمْ
فاقشَـعَرَّتْ سَـقرٌ مِـنْ دَمِـهِ   قارســـاَ، لمّـــا تَمَطَّـــى وتَكَلَّـــمْ
ورأى خازِنُهـــــا إلحاقَـــــهُ   بـأبي مُـرَّةَ فـي الـدُّنياو فأقـدَمْ[٢]

وأضافة إلى الميزات السابقة في لغة العدناني وأسلوبه فإن هناك بعض الاخفاقات البسيطة هي بعض الألفاظ والمعانيو منها قوله:-

فمـا زَحْزَحْننـا حتَّـى غـدوْنا   تُشِـيرُ إلـى بطولتنـا البنَـانُ[٣]

فكلمة زحزحننا فيها ثقيل في اللفظ ناتج عن تشابه الحروف وتكرارها في نفس الكلمة حيث تكرر كل من حرف الزاء والحاء والنون مرتين، إلى جانب تكرار حرف النون دون فاصل بينهما يخفف من حدتهما.

وقوله:-

وَابْـــروا بصمصـــــاماتكم   هامـــاتِهم بَـــرءىَ القَلـــم[٤]

---

[١] حسان الكاتب: "العدناني ومعجم الأخطاء الشائعة "مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣، ص٢٦.
[٢] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٩٣ – ٩٤.
[٣] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٣٦.
[٤] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٢٢.

فقد ظهر الثقل في كلمة صمصماتكم بسبب تكرار حرف الصاد وحرف الميم. فمن حسن اللفظة اتصافها "بحروف مختارة متباعدة المخارجو مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما".(١)

وأما في المعنى قوله:-

صوْتث البُطونِ، مِنَ الخُبْرِ القَفارِ خَلَتْ لِتُشْبِعَ الحاكمينَ الأشعبِيِّنا(٢)

فصل الشاعر بين الموصوف وهو البطون والصفة وهي القفار بالجار والمجرور وهو من الخبر، مما أدى على صعوبة التوصول إلى المعنى بسهولة، إذ للوهلة الأولى يظن القارئ أن القفار صفه للخبر مما يحدث لبسا في المعنى.

وقوله:-

راعِفُ المِنجَلِ، مشوبُ الصّدَى فاذا عَبَّ الدَّمَ المسفوكَ زادا(٣)

يظهر للقارئ أن الضمير في زاده يعود للدم المسفوك بينما قصد الشاعر عودته للصدى المشوب، بمعنى أنه كلما شرب من الدم المسفوك ازداد العطش.

وقوله:-

وإنْ عابَنِي غِبَّ ارتحالِيَ حاسِدٌ إلى الرَّمسِ نادَتْ: رَبِّ ارْحمْهُ، أَعْظُمِي(٤)

جعل الشاعر العظام هي التي تطلب الرحمةو مع أنه من المعهود أن الروح أو النفس هي التي تطلب وترجو وتتمنى، إلى جانب أن الروح هي الباقية بعد الموت دون العظام التي تتحلل وتندثر، ولعل الشاعر اضطر لكملة أعظمى ليوافق قافية القصيدة التي جاءت على حرف الميم.

وبعد هذا العرض لخصائص لغة العدناني نلحظ "تاثر شاعرنا بتراثنا الآدبي القديم تأثر واضح، مرده إلى طول تمرسه بأساليب البيان العربي وعمق غوصه في دور الفصاحة العربية"(٥)، فغدت بذلك مغرداته فصيحة وجمله متينة بليغة.

(١) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص٢٢٢.
(٢) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٧١.
(٣) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٦١.
(٤) محمد العدناني: فجر العروبة، ص١١٢.
(٥) ناصر الدين الأسد: محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، ص٢٦٧ – ٢٦٨.

الفصل الثاني

الموسيقا

الموسيقا

تلعب الموسيقا دورا هاما في رفع القيمة الفنية والجمالية للشعر بما تضفي عليه من ايقاع في الوزن والقافية وألوان من الجرس اللفظي تجعله مقبولا لدى المتلقين، ويمكن النظر إلى موسيقا الشعر من زاويتين، الأولى خارجية تختص بالوزن والقافية، والثانية داخلية تختص، بموسيقا الكلمة وجرسها داخل القصيدة، وعليه يمكن تقسيم الدراسة في هذا الفصل من خلال هاتين الزاويتين، كالآتي:-

أولا: الموسيقى الخارجية:

أ- الأوزان:-

اهتم الشعر العربي بالأوزان اهتماما كبيرا لكون "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية[1] ولأن "الفرق بين الشعر والنثر بالوزن.. وبالتقفية"[2] ، لذلك كان الشعر مهتما "بارضاء الآذان فلا يلقى إلا ما تستريح إليه، فإذا تهاون الشاعر فأخل الوزن، أو تهاون فلم يقط القافية حقها لم يغتفر السامعون ولا النقاد له ذلك".[3] تلك الأهمية للوزن تجعله ألا يكون "عنصرا عضويا محضا، ينحصر في وحدات "التفعيلة"، بل يتعدى ذلك إلى المحتوى الشعري، فيؤثر في اختيار الشاعر للألفاظ، وللفكرة ويجعل للكلمة منزلة جديدة في عقد القصيدة – غير التي تواضع عليها الناس – تشع عليها بالإيحاء والظلال"[4]، وهذه الأهمية أيضا جعلت شاعرنا العدناني يهتم بالأوزان اهتماما كبيرا، ويولي الموروث منها عنايته، ويقف بشدة أمام الذين تركوا أوزان الخليل ونظموا أشعارهم على طريقة الشعر الحر، حيث أسماهم "بالشعراء الشعوبيين، الذين تنكروا لتراثنا الشعري العريق، وهجروا الأوزان والقوافي، وقضوا على الإيقاع الشعري العربي الرخيم"[5] ، لذلك نظم العدناني على معظم بحور الشعر المشهورة، وحافظ على النمط التقليدي مع نوع من التجديد والحداثة في الأوزان لمواكبة تطورات العصر.

---

(1) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص١٣٤.
(2) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، شرح وتعليق: عبد المتعال الصعيدي (القاهرة، مطبعة محممد علي صبيح، ١٩٦٩) ص ٢٧٩.
(3) سعد اسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي (القاهرة، نشر مكتبة غريب، ١٩٧٧) ص١٢٢.
(4) محمد الصادق عفيفي: النقد التطبيقي والموازنات، ص٢٨٨.
(5) محمد العدناني: "الى هلال ناجي" مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٠، أكتوبر ١٩٧١، ص٥٦.

ولو نظرنا نظرة احصائية لدواوين الشاعر نجدها ماثلت دواوين الشعراء القدامى في نسب استعمال البحور، فمثلا ديوان اللهيب نجد نسبة التقريبية كالآتي:-

بحر الطويل: خمسة وعشرون بالمئة.
بحر الوافر: ثمانية عشر بالمئة.
بحر البسيط: ستة عشر بالمئة.
بحر الخفيف: ستة بالمئة.
بحر الرمل: ثلاثة بالمئة.

* أما مجزوءات البحور: كالآتي:

مجزوء بحر الخفيف: تسعة بالمئة.
مجزوء بحر البسيط: ستة بالمئة.
مجزوء بحر الرمل: ستة بالمئة.
مجزوء بحر الكامل: ثلاثة بالمئة.
مجزوء بحر الرجز: ثلاثة بالمئة.

* وافقت هذه النسب إلى حد ما نسب بحور الشعر في المفضليات التي جاءت فيها كالآتي:-

بحر الطويل: أربعة وثلاثون بالمئة.
بحر الكامل: تسعة عشر بالمئة.
بحر البسيط: سبعة عشر بالمئة.
بحر الخفيف والمتقارب والرمل: خمسة بالمئة.
بحر السريع: أربعة بالمئة.
بحر المنسرح: واحد بالمئة[١]

---

[١] ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٠٩ – ٢١٠.

وكذلك وافقت ما اشتملت عليه الأغاني من شعر في الأجزاء الأثنى عشر الأول، حيث كانت كالآتي:-

بحـــر الطويـــل: ســـتة وثلاثـــون بالمئـــة.
بحــر الكامــل والبســيط: اثنــا عشــر بالمئــة.
بحـــر البســـيط: ســـبعة عشـــر بالمئـــة.
بحـــر الـــوافر: اثنـــا عشـــر بالمئـــة.
بحر الخفيف والمتقارب والرمل: خمسة بالمئة.
بحـــــر الســـــريع: أربعـــــة بالمئـــــة.
بحـــــر المنســـــرح: واحـــــد بالمئـــــة[١]

وكذلك وافقت ما اشتملت عليه الأغاني من شعر في الأجزاء الاثنى عشر الأولى، حيث كانت كالآتي:-

بحـــر الطويـــل: ســـتة وثلاثـــون بالمئـــة.
بحــر الكامــل والبســيط: اثنــا عشــر بالمئــة.
بحـــر الـــوافر: اثنـــا عشـــر بالمئـــة.
بحـــــر الخفيـــــف: ثمانيـــــة بالمئـــــة.
بحـــر الرجـــز والمتقـــارب: أربعـــة بالمئـــة.
بحـــر الســـريع والمنســـرح: ثلاثـــة بالمئـــة.
بحـــــر الرمـــــل: اثنـــــين بالمئـــــة.
بحـــر الهـــزج والمديـــد: واحـــد بالمئـــة.[٢]

ونلاحظ من خلال النسب السابقة التوافق التقريبي بين ديوان اللهيب وكل من المفضليات وأجزاء الأغاني المذكوره، فقد أعطوا بحر الطويل الصدارة، فكان في المرتبة الأولى من النسب، ثم جاءت بعده البحور متقاربة إلى حد ما في نسبها، وفي الاهتمام بأولوية النظم عليها، ثم ان

---

(١) ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٠٩ – ٢١٠.
(٢) نفس المرجع، ص٢١٠

اهتمام العدناني بالطويل أولا والوافر ثانيا والبسيط ثالثا وافق تماما اهتمام أبي فراس الحمداني الذي جعل للطويل أربعين بالمئية والوافر أربعة عشر بالمئة وللبسيط تسعة بالمئة. [١]
وأما ديوان الوثوب فإن نسبة التقريبة كالآتي:

بحر الكامل ومجزوءه: سبعة وعشرون بالمئة.
بحر الوافر ومجزوءه: ستة عشر بالمئة.
بحر البسيط: خمسة عشر بالمئة.
بحر الخفيف: خمسة عشر بالمئة.
بحر الطويل: اثنا عشر بالمئة.
بحرالمجتث: ثمانية بالمئة.
بحر الرمل: أربعة بالمئة.
مجزوء بحر المتدارك: أربعة بالمئة.

فقد قاربت هذه النسب نسب ديوان جرير التي جاءت كالآتي:

بحر الكامل: تسعة وعشرون بالمئة.
بحر الوافر: ثلاثة وعشرون بالمئة.
بحر الطويل: واحد وعشرون بالمئة.
بحر البسيط: ستة عشر بالمئة.[٢]

نلاحظ توافق بين العدناني وجرير في اعطاء بحر الكامل المرتبة الأولى، واعطا ءالوافر المرتبة الثانية، وكل من البسيط والطويل المرتبة الثالثة.

---
[١] نفس المرجع، ص٢١٦.
[٢] نفس المرجع، ص٢١٣.

وجاءت نسب ديوان فجر العروبة كالآتي:

بحـــر البســـيط: ثمانيـــة وثلاثـــون بالمئـــة.
بحـــر الطويـــل: ســـبعة عشـــر بالمئـــة.
بحـــر الـــوافر: ســـبعة عشـــر بالمئـــة.
بحـــر الخفيـــف: ســـبعة عشـــر بالمئـــة.
بحـــــر الكامـــــل: ثمانيـــــة بالمئـــــة.
بحـــر مجـــزوء المتـــدارك: أربعـــة بالمئـــة.

قارب ديوان أبي نواس في النسب، وفي إعطاء الأولوية لبعض البحور، وقد جاءت نسب ديوان أبي نوانس كالآتي:-

بحـــر البســـيط: عشـــرون بالمئـــة.
بحـر الطويـل: سـبعة عشـر بالمئـة.
بحـر الكامـل: خمسـة عشـر بالمئـة.
بحـر الـوافر: ثلاثـة عشـر بالمئـة.
بحـــر الرمـــل: تســـعة بالمئـــة.
بحـــر المنســـرح: ثمانيـــة بالمئـــة
بحـــر الســـريع: ثمانيـــة بالمئـــة.
بحـر وكـل مـن الخفيـف والرجـز والمجتـث والمتقـارب والمديـد: عشـرة بالمئـة[١]

نلاحظ اهتمام الشاعران ببحر البسيط أوال ثم الطويل ثانيا ثم الوافر والكامل.
وديوان الروض جاءت نسبه كالآتي:

بحـــر الـــوافر: عشـــرون بالمئـــة.
بحـــر البســـيط: أحـــد عشـــر بالمئـــة.
بحـــر الطويـــل: تســـعة بالمئـــة.

[١] نفس المرجع، ص٢١٥.

بحـــر الكامـــل: تســـعة بالمئـــة.

بحـــر المجتـــث: ســـبعة بالمئـــة.

بحـــر الخفيـــف: ســـتة بالمئـــة.

بحـــر المتقـــارب: أربعـــة بالمئـــة.

بحـــر المتـــدارك: اثنـــان بالمئـــة.

بحـــر الرمـــل: اثنـــان بالمئـــة.

بحـــر الهـــزج: اثنـــان بالمئـــة.

أما المجزوءات كالآتي:

مجـزوء بحـر الرجـز: تسـعة بالمئـة.

مجـزوء بحـر الكامـل: سـبعة بالمئـة.

مجـزوء بحـر الرمـل: أربعـة بالمئـة.

مجـزوء بحـر المتـدارك: اثنـان بالمئـة.

مجـزوء بحـر الـوافر: اثنـان بالمئـة.

وقد وافقت ديوان زهير الذي جاءت نسبه على النحو الأتي:

بحـر الطويـل: ثلاثـة وعشـرون بالمئـة.

بحـر البسـيط: خمسـة عشـر بالمئـة.

بحـر الكامـل: خمسـة عشـر بالمئـة.

بحـر الـوافر: خمسـة عشـر بالمئـة.

بحـــر المنســـرح: اثنـــان بالمئـــة.

بحـــر المتقـــارب: اثنـــان بالمئـــة.[1]

ظهر توافق الشاعرين في أن كليهما أعطى الأولوية للوافر والبسيط والطويل والكامل في نظمه للشعر، ثم تأتي بعد ذلك بقية البحور الأخرى في المرتبة الثانية.

---

[1] نفس المرجع، ص٢١٢.

من خلال العرض السابق لنسب دواوين العدناني ودواوين القدماء كالمفضليات والأغاني وديوان زهير جرير وأبي نواس، نلاحظ أن العدناني سار على نمط الأقدمين في التزامهم بالبحور المشهورة والرئيسية في النظم، من أجل ذلك "لو أخذنا عينة من الشعر الكلاسيكي الفلسطيني لمعرفة مدى تقيد هذا الشعر بضوابط القصيدة القديمة من حيث موسيقاها، بالتزام الوزن والقوافي العربية القديمة، لوجدنا الشاعر محمد العدناني خير من يمثل هذا الاتجاه، فهو يتقيد.. بقوانين الشعر التقليدي وهو حريص.. على أن يترسم خطي الشعراء الكلاسيكيين، ليس فقط بالتقيد بنظام القصيدة القديمة، وما تتضمن من موسيقى.. بل باستعمال التعابير القديمة، والتقيد ببحور الشعر التي كانت أكثر رواجا في العصور السابقة".[١]

ورغم هذا التقليد من قِبَل العدناني، إلا أنه أخذ من معاصرته الشئ الكثير، فقد ظهر في دواوينه استعماله لمجزوءات البحور الكثيرة، واستعماله الموشحات والمسمطات بأنواعها المختلفة، ومثال المجزوءات في ديوان اللهيب استعماله لمجزوء المتدارك والكامل والخفيف والبسيط والرمل والرجز، [٢] ديوان الوثوب استعمل العدناني فيه مجزوء المتدارك والوافر والكامل[٣]، وديوان فجر العروبة مجزوء المتدارك[٤]، وأما ديوان الروض فقد حوى على أكبر عدد من المجزوءات كادت تناصف البحور الكاملة، ويرجع ذلك إلى أن هذا الديوان يحتوي على عدد كبير من الاخوانيات والمسجلات والمداعيات والحكمة والتهكم والوصف والاباء والأزاهير، ومثل هذه المواضيع لا تحتاج في الغالب إلى البحور التامه، لذلك استعمل العدناني فيه مجزوء الكامل والبسيط والمتدارك والوافر والرمل والهزج والرجز[٥]، هذا يرجع احتفاله بالمجزوءات في دواوينه "إلى اكثار الشاعر من نظم الأناشيد والتي تحتاج بدورها إلى النغم الخفيف والسريع، حيث يسهل حفظها وتداولها بين الناس"[٦].

إلى جانب استعمال المجزوءات نجد الشاعر قد أحدث بعض التصرف في البحور الشعرية بما أورد من أكاشل لم ينص عليها العروضين الأقدمون، ومثال ذلك ايراده بحر المتدارك في كل شطر تفعيلتين على أن يحتوي البيت على أربع تفعيلات، وهذه الصوره غير معهودة في هذا البحر لأنه لا يأتي إلا كاملاً في كل شطر أربع تفعيلات أو مجزوءات في كل شطر ثلاث تفعيلات، والصورة التي أتى بها العدناني هي قوله:

---

[١] واصف أبو الشباب: شخصية الفلسطيني في الأدب الفلسطيني المعاصر، ص١٠٧.
[٢] أنظر: محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٨،٢٥، ٥٧، ٦٥، ٧٤، ٧٥،٧٧،٨٠، ١٠٢، ١٤٥، ١٤٧.
[٣] أنظر: محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٥٢، ١٥٤، ١٦٣، ١٧٨، ١٩٨.
[٤] أنظر: محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٣٢.
[٥] انظر: محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٤، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٥٤، ٦٢، ٧١، ٨٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤و ١٠٦، ١١٠، ١١٧، ١٢٧.

[٦] واصف أبو الشباب: شخصية الفلسطيني في الأدب الفلسطيني المعاصر، ص١٠٨.

شـــــاعر الهـــوى　　نـــــاظم الـــــدرر
أنــــــت مهلـــــــم　　يخلـــد السُّـــور[1]

على وزن:-

فاعلن فعِل　　فاعلن فعل (دخل الخبن والقطع[2] على العروض فأصبحت فاعلن فعِل)
فاعلن فعِل　　فاعلن فعِل

وفعل كذلك في "نشيد الثأر" حيث أتى بـ (فاعلن "مرتين في كل شطر كالآتي:-

اســــمَعِي يَـــأرُبَى　　وأنظُـــري يـــانُجودْ
وأشـــهَدي يـــا دُنـــى　　كيـف نُلقِـي اليهـودْ
في اللُّحودْ[3]

على وزن:-

فاعلن فاعلن　　فاعلن فاعلان (دخل على ضربه التذييل[4])
فاعلن فاعلن　　فاعلن فاعلان (دخل على ضربه التذييل فاعلان)

ولعل مثل هذا التصرف في البحر، والاتيانو به في صورة خفيفة ثنائية في كل شطره مع ادخال التذييل على الضرب، جعل له رونقا موسيقيا عذبا.

ومن نفس البحر استخدم الشاعر تفعيلة "فاعلن" في كل شطر، مع أنه لم يرد ذلك في صور البحر، فقال الشاعر:-

إنهضُـــوا　　يــــاعَرَبْ
فالأســـى　　قـد ذهـب
والفَخــــا　　رُ اقتـــربْ
فابشِـــرُوا　　يـــاعَرَبْ[5]

---

[1] محمد العدناني: ديوان الروض، ص ١٤.
[2] القطع: هو حذف آخر الوتد المجموع واسكان ثانيه: (فاعلن) تصبح (فاعل) فتحول إلى (فعلن)، والخبن: هو حذف الثاني الساكن من التفعيلة: فاعلن فتصبح (فعْلن) – أنظر، الخطيب التبريزي: الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: عمر يحي وفخر الدين قباوه، ط٣ (دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩) ص٥٠ – ٥١.
[3] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٣٢.
[4] التذييل: وهو زيادة حرف ساكن على وتد مجموع، فتصحب فاعلن (فاعلان) أنظر، الخطيب التبريري: الوافي في العروض والقوافي، ٥٩.
[5] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٣٤.

وقد تصرف الشاعر أيضا في بحر البسيط، فأتى بصوره منه لم ترد فيه، فمن المعروف أن يأتي البسيط تاما يحتوي كل شطرا على أربع تفعيلات، أو مجزوءا في كل شطر ثلاث تفعيلات، أو مخلّعا في كل شطر ثلاث تفعيلات، أما أن تكون عروضه مقطوعة وضربه كذلك مقطوع مع دخول الخبن عليهما فذلك لم يعهد عليه.

فالصورة التي أتى بها العدناني هي "مستفعلين فعْلن" في كل شطر من بحر البسيط، وهي كالآتي:-

مدينـــــةُ القُــــدْسِ ريحانَـــــةُ الشَّـــرْق

ومنيـــــة الــــنَّفْسِ وشُـــعْلَةَ الحَـــقِّ[١]

على وزن:-

مـــــتفعلن فعْلـــــن مســــتفعلن فعْلـــن

مـــــتفعلن فعْلـــــن مـــــتفعلن فعْلـــن

ومن ضمن تصرف العدناني في البحورو ايراده البحر بأشكال مختلفة في نطاق القصيدة الواحدة، ومثال ذلك استعماله بحر البسيط التام وجزءا من تفاعيله، بحيث أورد الشاعر عشرة أبيات من بحر البسيط التام ثم أتبعها بمقطوعة صغيرة مكونة من أجزاء من نفس البحر، وذلك في مثل قوله:-

الشعب يبكي أسى من هول نكبته وهم قد انغمسوا في حمأة الطرب

....

فـــالمُزْنُ قـــد تفْتَـــدِى فـــــي قُبّـــــةِ الجَلَـــــدِ

فـــــــوّارَةَ الكَبِـــــــدِ رَعَّـــــــــادةَ الجَسَـــــــدِ

مِنْ وَقْدَةِ الغَضَبِ[٢]

على وزن:-

مستفعلين فاعلن مستفعلن فعِلن مـــتفعلن فعِلـــن مســـتفعلن فعِلـــن

مســــــتفعلن فــــــاعلن مســــــتفعلن فعِلــــــن

مســــــتفعلن فعْلــــــن مســــــتفعلن فعْلــــــن

مستفعلن فعِلن

---

[١]نفس المصدر، ص٦٥.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٧٠.

سار العدناني على هذا النمط في كل القصيدة، فبعد كل عشرة أبيات من بحر البسيط التام أتى بمقطوعة صغيرة مجتزءة من نفس البحر، ولعل مثل هذا التغيير الموسيقي داخل القصيدة وما يلحقه من تغيير في القافية يحدث متعة عظيمة في النفس، وتنويعها ايقاعيا يذهب الملل والسأم الناتج عن رتابة النغم والواحد.

وتصرف العدناني بمزج تفاعيل بعض البحور خلال قصيدة أو أنشودة واحدة، فهو مثلا في أنشودة "يارب" استعمل مشطور الرجز ثم تفعيلة من بحر المتدارك (فاعلن) ثم أذالها لتصبح (فاعلان)، واستعمل أيضا في نفس الأنشودة جزء من بحر البسيط على وزن (مستفعلن فاعلن)، فقال:-

يـــــاربّ ازَوِّدْنـــــا بعـــــزمٍ لا يَلـــــيْن

....

يـــــا حَفِـــــيظْ   يـــــا مُعـــــينْ

يـــــــــــــارَبْ   يـــــــــــــارَبْ

سَنسـحْقُ الغَرْبـا   إنْ هـاجَمَ العُرْبـا

ونفـــتَحُ الـــدَّرْبا   لِلْعِـــزِ والمجـــدِ[١]

على وزن:-

مستفعلن مستفعلان (مشطور بحر الرجز وعروضه جاءت مذاله).

فاعلان فاعللان (تفعيله من بحر المتدارك وجاءت مذاله).

فعْلن فعْلن (تفعيله من بحر المتدارك دخل عليها الخبن والاضمار). [٢]

متفعلن فعلن مستفعلن فعلن

والجدير بالذكر أن الشاعر أحمد شوقي استعمل هذه التشكيلة من بحر البسيط في قوله في وصف مرقص:

طـــــال عليهـــــا القـــــدَمْ   فهـــــي وجـــــودٌ عَـــــدَمْ

قـــد وُئِـــدتْ فـــي الصِّـــبا   وانبعثـــــتْ فـــــي الهَـــــرَمْ[٣]

---

[١] نفس المصدر، ص٦٦.

[٢] الاضمار: هو تسكين الثاني المتحرك مثل (فعلن) تصبح (فعْلن) – أنظر التبريزي: الوافي في العروض والقوافي، ص٨٥.

[٣] أحمد شوقي: الشوقيات، م١، ج٢، ص٩١.

على وزن:-

مســتعلن فــاعلن   مســتعلن فــاعلن

مســتعلن فــاعلن   مســتعلن فــاعلن

ومثل هذا الاستعمال "مل يقل به أهل العروض في كتبهم، إلا إذا اعتبروا هذا من مشطور البسيط الذي عده الثقات من أصحاب العروض شاذا لا يعول عليه"[1]، ولكن رغم ذلك فإن مثل هذا التنويع في الأوزان والقوافي وخاصة في الأناشيد له أهميته في تجديد الإيقاع وتنويعه حتى لا تؤدي رتابة الوزن والقافية إلى نوع من الملل فتنصرف الآذان إلى عمل أخر.

وتصرف العدناني في بحر الرمل في شكل من أشكال التوشيح، فأتى به مشطورا ومجزوءا خلافا لما نص عليه العروضيون الأقدمون، ومثال ذلك قوله:-

جَلَت المحءنَـةُ عنّـا، والخُطُـوبْ   بالجِهـــادْ

ثُـمَّ جَمَّعْنـا مِـنَ العُـرْبِ القُلـوبْ   فـي اتَّحـادْ

....

ثـــار شـــعْبُ الضَّـــادِ ثَـــارْ   إنَّـــــــهُ بُركــــــانُ نـــــارْ

فاســــــــــتعِدُّ للـــــــــــدَّمارْ   واشــرَبُوا المــوتض الزُّؤامــا

بالجُفُونِ[2]

على وزن:-

فعلاتن فعلاتن فاعلان   فاعلان (الشطر الأول مشطور الرمل والثاني)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلان   فاعلان(تفعيله من نفس البحر دخلها القصر[3] كما دخل العروض)

---

(1) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٢٠، ٢٢١.

(2) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٧٣، ١٧٥.

(3) القصر: هو اسقاط ثاني السبب الخفيف واسكان أوله، مثل (فاعلاتن) تصبح (فاعلات) وتحول إلى فاعلان – انظر، الخطيب التبريزي: الوافي في العروض والقوافي، ص٤٨ – ص١٢٢.

العدناني في موسيقى الموشح قسم جزءا من الأبيات (تقسيما جديدا تتجمع في شطره الأول والأكبر كل الدفعة الموسيقية، ثم يأتي الشطر الثاني بتوقيع صفير كأنه "الجواب")[1]، أما الجزء الثاني فقد جاءت الدفعة الموسيقية فيه متوازنة في كلا الشطرين.

واستعمل أيضا بحر الخفيف مشطورا في ملحمته العشرية مع أن هذه الصورة من البحر لم تعهد عليه ولم ينص عليها العروضيون، ومثال ذلكم قوله:-

زاد ثـوب الحـداد سـلمى جمــالا
وكســاها الحــزن الـدفين جــلالا
فأشــعت أخــت الصــبا آمـــلا[2]

على وزن:-

فاعلاتن متفعلن فاعلاتن
فعلاتن مستفعلين فعلاتن
فعلاتن مستفعلن مفعولون (التفعيلة الأخيرة أصابها التشعيب) [3]

ومن خلال العرض السابق لأوزان العدناني الشعرية، نلاحظ أنه سار في دواوينه على نمط الأقدمين، فاهتم بالبحور التي أكثروا من النظم عليها كالطويل والوافر والكامل والبسيط وغيرها، إلا أنه مع ذلك قام بتجديد في موسيقاه بما أحدث من تصرّف في بعض البحور، وبما قام من مرج بينها في عمل شعري واحد، وبما أتى من صور جديدة لها لم ينص عليها العرضيون الأقدمون.

<u>ارتباط الأوزان بنفسه الشاعر:-</u>

لعله من المعلوم "أن الإيقاع بجميع صوره، وثيق الصلة بالجانب الانفعالي للإنسان"،[4] لذلك يظهر أثره جليا واضحا على الأوزان "فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس ونبضات قلبه حين يتملكه سريعة يكثُر عددها في الدقيقة، ولكنها بطيئة حين يستولي

---

(1) عز الدين اسماعيل التفسير النفس للأدب، ط٤، القاهرة طبع ونشر مكتبة غريب ١٩٧٧، ص٧٥.

(2) محمد العدناني: الأمومة، ص٥٥.

(3) التشعيب: هو حذف أول أو ثاني الوتد المجموع، كما في (فاعلاتن تصبح (فاعاتن) أو (فالاتن) ثم تحول إلى (مفعولن) – أنظر الخطيب التبريزي: الواقي في العروض والقوافي، ص١٥٨.

(4) شكري محمد عياد: موسيقى الشعر العربي (مشروع دراسة علمية) ط١ (القاهرة، دار المعرفة ١٩٦٨) ص١٠٤.

عليه الهم والجزع"[١] وعليه "لا بد أن تتغير نغمة الانشاد تبعا للحالة النفسية، فهي عند الفرح والسرور متلهفة مرتفعة، وهي في اليأس والحزن بطيئة حاسمة"[٢]، إضافة إلى ذلك فإن نبضات القلب السليم يبلغ عددها ستة وسبعين مرة في الدقيقة، على أن هناك صلة بين نبضات القلب والجهاز الصوتي الذي في قدرته على النطق بعدد من المقاطع، يقدره الأطباء للإنسان في الأحوال العادية بثلاث مقاطع صوتية كلما نبض قلبه نبضة واحدة، علما بأن بحر الطويل يحتوي على ثمانية وعشرين مقطعا صوتيا، وعليه يحتاج إلى تسع نبضات قلبية حتى يتم النطق به،[٣] والإنسان "يستطيع في النفس الواحد أن ينطق بمقاطع كثيرةو إلا أن قدرته في هذا محدودة يسيطر عليها ماهو فيه من حال نفسية: وهو حين يكون هادئا وادعا أقدر على النطق بمقاطعه الكثيرة دون أن يشوبها ابهام في لفظها، وهو اقل قدرة على هذا حين يكون سريع التنفس كما هو الحال في الانفعالات" [٤]، وهذا ما يمكن ملاحظته عند شاعرنا محمد العدناني وخاصة بعد أن فوجئ بخبر انفصام الوحدة بين مصر وسوريا، وهو الشاعر الذي كان يحلم بدوامها وازدهارها حتى تعم العالم العربي كله فيصبح الولايات العربية المتحدة، ففي هذا الجو المضطرب الذي حطّم آماله نظم قصيدة أسماها "بقايا حطامي" وقد استعمل معها بحر المجتث الذي لا يأتي إلا مجزوءا، فقال:-

واليـــأس أتـــونُ نـــارٍ يصـــــلاهُ كــــلُّ الأنـــامِ
وأضـــــلعي كســــــفينٍ فـــــي بحــــرهمٍّ طـــــامِ
لمّـــا رأيـــتُ بــــلادي فـــي فُرقَـــةٍ وخِصـــامِ[٥]

وكان انفصام الواحدة في الثامن والعشرين من أيول عام ألف وتسعمائة وواحد وستين، وفي الخامس من تشرين الأول من نفس العام نظم العدناني هذه القصيدة التي منها الآبيات السابقة فكانت أول عمل شعري ينظمه الشاعر بعد الانفصام، لذلك جاءت معبرة عن اضطرابه النفسي وانفعاله المتلاحق وأنفاسه المتتابعة، فكانت عباراتها قصية وألفاظها سهلة وبحرها مجزوء، فوافقت بذلك تغيراته النفسية و (الفسيولوجية) الطارئة، وفي العاشر من تشرين من نفس العام أيضا – وبعد أن هدأت نفسي العدناني واستسلمت لليأس والقنوت – نظم قصيدة كفر فيها بالعرب على

---

[١] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص١٩٣.

[٢] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[٣] أنظر، نفس المرجع، نفس الصفحة.

[٤] نفس المرجع، ص١٩٤.

[٥] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٣٤-١٣٥

ماقاموا به من انفصام للوحدة – وقد استعمل شاعرنا في هذه بحر البسيط التام الذي يتكون من ثماني تفعيلات أربعة في كل شطر وذلك لتوافق طول نفسه وهدوء دقات قلبه الناتجة عن اليأس والسكون، فقال:–

إنّـي كفَـرْتُ – وحَـقِّ العُـرْبِ– بـالعَرَب   قـومي الّـذينَ بـأمّي أفتـدى، وأبـي
كـانوا أهـازيجَ، ثَغْـرُ الـدَّهرِ أنشـدَها   فأصـبحُوا سُـبَّةَ الأقـلامِ والكُتُـبِ
أغضَـوْا عـنِ المجْدِ فـي تـاريخِهِمْ عَبقاً   وعـن مـديحِ الـورى فـي سـالِفِ الحِقَبِ
ثُـمَّ انتَضَـوْا قُضُـب الأحقـادِ بيـنهُمُ   وكشَّـروا عـن نُيـوبِ الشَّرِّ والعَطَـبِ[١]

وفي قصيدة للعدناني أسماها "يأس" واستعمل معها بحر البسيط التام أيضا، وقال فيها:–

يابسـمةً عَرَفَتْهـا العُـربُ حـوْلَ فَمـي   عيضـى فـإنَّ المُنَـى زلَّتْ بهـا قدمي
وأتْـرَعَ اليـأس كـأس الـنفسِ فانـدفعتْ   ولْهـي تَخَـبَّط فـي يـمٍّ مـن الظُّلَّـمِ[٢]

وفي موقف حزن ويأس آخر قال مستعملا بحر الطويل:–

طَغَـى الهَـمُّ حتّـى كـاد يقتلنـي غمّـاً   فَعَـمَ أبُـثَّ الطِّـرس مِمَّـا دَهَـى عَمّـاً[٣]

نلاحظ أن الشاعر في "حالة اليأس والجزع تتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما يتنفس عنه حزنه وجزعه، فاذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية"[٤] ، والحال كذلك في حالة انفعال الفرح، ففي حادث الانقلاب الذي قام به ضباط الجيش السوري على النظام الذي شارك في انفصام الوحدة، قال شاعرنا مستخدما مجزوء بحر الكامل في شكل موشح ليوافق سرعة انفعاله واندفاع أنفاسه وتلاحق دقات قلبه:–

فـمُ الـدُّنيا لَنـا ابتَسَـما   وَأَوْقَـعَ عُودُهـا النَّعَمـا
وليْـلُ المِحْنـةِ انهزَمـا   ومـادَ الهَـوْلُ وانحَطَمـا
صباحَ الوحدةِ الكبرى[٥]

---

[١] نفس المصدر، ص١٤٥–١٤٦.
[٢] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٢٣.
[٣] نفس المصدر، ص١٠٧.
[٤] ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص١٩٦.
[٥] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٦٣.

هذا وكانت ثورة الجيسش في ثمانية آذار عام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين، وكان نظم العدناني للموشحة التي منها الأبيات السابقة في الثاني عشر من آذار من نفس العام، وفي التاسع عشر من آذار من العام نفسه أيضا وبعد أن هدأت نفس العدناني واستقر انفعاله، قال في نفس الموضوع مستخدما بحر الكامل التام ليتوافق مع نفسيته التي فارقها حدة الانفعال:-

الفرحَـــةُ الكُبْـــرَى طَغَــتــء، فعصــاني ... شــعري، وعَــيَّ عــن الكــلام لســاني
جَمَـدتْ علـى ثغْرى الحـروف، وعقّنـي ... مِــن بعــد غســلاس القِيــادِ بيــاني
وفــي الشَّــام قــدْ جَمحَـتْ بــه أحْـداثُها ... لمّــا غـــدَتْ فـــي فُوهِـــة البُركـــانِ
عصــفَ الأتِــى[1] بكــلِّ وغْــدٍ جــائعٍ ... للغــربِ ســفيها، مُرْهَــفِ الطُّغيــانِ[2]

وإذا كان "لكل قصيدة نغمتها الخاصة التي تتفق وحالة الشاعر النفسية"[3] فان العدناني على جانب ذلك جعل اختلاف النغمة داخل القصيدة الواحدة تمشيا مع اختلاف انفعاله ومشاعره أثناء نظمها، فقد نظم قصيدة بدأها بانفعال هادئ استعمل معه بحر البسيط التام، ثم أخذ بعد ذلك يرتفع شيئا فشيا حتى وصل إلى الذروة التي تبعها تلاحق الأنفاس ودقات القلب، فاستنجد بمشطو رالبسيط ليوافق ثورته الانفعالية هذه، فقال:-

مـــا لِلتســـاؤُمِ ضَــــمَّتْنِي جوانِحُــــهُ ... ورُحــــــتُ أُورِدُ قلبــــــي الهَــــمَّ، والحَزَنــــا
وكيــفَ أنسَــى فرنســا، وهْــي جاثيــةٌ ... أمـــــامَ هتْلــــرَ ذُلاًّ، أظْهـــــرَ الجُبُنــــا
داســــتْ جحَافِلُـــهُ بالنَّعـــلِ هامَتَهـــا، ... وهَــــدَّم الجــــوْرُ مِــــن ســــاداتِها البَــــدنا
وأرَّق العَسْــفُ أجفانــاً قــد انفتَحــتْ ... علــى المخــازي، فعافــتْ فــي الــدُّجَى الوسَــنا
غــداً تجُــوسُ جُيــوشُ العُــرعِبِ ظــافرةً ... خِــــلالِ بــــاريس تُلقِــــي الرُّعْــــبَ والمِحَنــــا
الله أكبـــــــرُ ! إنْ دوَّت حناجرُنـــــــا ... بهـــا، تزلْـــزلَ رُكــــنُ المُعتَــــدِي وهنــــا
وأصــبحتْ أرضُ شــعْبِ السين أنْدلُســاً ... سيُخضِــعُ العُــرْبُ فيهــا الخَصْــمَ، والزَّمنــا
ولــــن تزحــــزحَهُمْ عنهــــا عمالقــــةٌ ... مــــن الخطــــوبِ تَــــزُفُّ الويــــلَ، والشَّــــجَنا
ولــــن تَــــرَى غيــــرَ الــــيَمِّ مَــــدفَنَهَا ... فرنْسَــــــــةٌ، وســــــــوى أمواهـــــــهِ كَفنَــــــا
فمَــنْ عــدا ظالمــاً يومــاً علــى وطــنٍ ... غـــدَتْ لِشـــعْبٍ مُغيـــرس أرضُــــهُ وطنـــا

---

[1] الأتي: هو السيل الغريب، أنظر، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص١٦٢٤.
[2] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٦٧ – ١٦٨.
[3] عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص٧١.

فالعسْـــفُ فتَّـــاكُ جَنـــــــاهُ أشـــــــواكُ

مــا عــاشَ سَـفَّاكُ لـــم تغْـــدُ أشـــراكُ

قبْأً بـهِ دُفِنا[١]

ان ارتباط الايقاع بنفسيتة يجعلنا نرى أن "موسيقا الشعر ليست تطريبا فحسب، بل هي وسيلة من وسائل التعبير والايحاء[٢]، لا تقل أهمية عن التعبير اللفظي، بل لعلها تفوقه، وذلك لأن موسيقى الشعر هي التي تخلق الجو، وهي التي توحي بالظلال الفكرية والعاطفية لكل معنى، وقد تكون تلك الظلال أكثر فاعلية في النفس من المعنى المجرد بحيث يعتبر لذلك فان "خير الموسيقا ما تتمشى مع الأفكار وتتساق مع المعاني وتتجاوب نغماتها مع حالات النفس"[٣].

ب- القوافي:-

نالت القافية قديما شأنها كبيرا واهتماما عظيما من قبل الشعراء والنقاد الذين أولوها عنايتهم واهتمامهم، فتحدثوا عن محاسنها وعيوبها وجيّدها ورديئها، ومن ذلك قول شبيب بن شيبه الذي أعرب أن "حظ جودة القافية وان كان كلمة واحدة، أرفع من حظ سائر البيت"،[٤] وبشر بن المعتمر الذي اشترط فيها أن تحلّ في مركزها، توضع في نصابها، وتتصل بشكلها، وإلا كانت قلقة في مكانها، نافرة في موضعها، [٥] وأبو هلال العسكري الذي يرى أن على الشاعر يوفق بين القافية والموضوع، فقال: "وينبغي..تركيب قافية تطيعك في استيفائك له"[٦] أي الموضوع، ووضع حازم القرطاجني أربع شروط للقافية هي: التمكين، وصحة الوضع، والتمام أو عدمه، وموقعها من النفس، [٧]لذلك فإن القافية "يجب ان تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بسقطه والا كانت قلقة في مقرها مجلتلبة لمستغن عنها" [٨] كل ذلك جعل شاعرنا يهتم بالقافية اهتماما كبيرا، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال أقسام القافية عنده على النحو الآتي:-

---

[١] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٧٦-٧٧.

[٢] محمد مندور: الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة روافد أبو للو (القاهرة، مطبعة نهضة مصرو دون تاريخ) ص٩٧-٩٨.

[٣] سعد اسماعيل شلبي: الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، ص١١٨ – وأنظر، عبد العزيز نبوي: الاطار الموسيقي للشعر، ملامحه وقضاياه (القاهرة، مطبعة حسان، ١٩٨٦) ص ٣٣٤ – ٣٤٥.

[٤] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣ (القاهرة، مكتبة اخلانجي ومكتبة الهلال ابيروت، ١٩٦٨) ج١، ص١١٢.

[٥] أنظر، نفس المرجع، ج١، ص١٣٨.

[٦] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص١٦٥.

[٧] أنظر، حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٢٧١.

[٨] أحمد بن محمد ابن الحسن المرزوقي الأصبهاني: شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، تحرير: محمد الطاهر ابن عاشور بيروت، مطابع دار الكشاف، ١٦٥٨) ص٩٥.

١ – **القوافي الذلل:–**

وهي "ماكَثُر على الألسن، وهي عليه في القديم والحديث"[١] وحروفها الباء والتاء والراء والعين والميم والياء والنون والكاف والفاء والسين والجيم والحاء والدال. [٢]

فالباء استعملها العدناني كثيرا في دواوينه، ومن ذلك قوله:–

أتــاهم رســولُ الله بالــدينِ مُشْــرقاً   وبـــالخُلْقِ عملاقـــاً، وأثوابُــهُ قُشــبُ

هُوَ الشمسُ في شِبْهِ الجزيرةِ بُرْجُها   ويقبِسُ من أنوارها الشّرقُ والغربُ [٣]

وقد جاز بحر الطويل والبسيط والوافر على النصيب الأعظم مع القافية البائيةو حيث ورد حرف الباء أربع مرات لكل بحر، وبحر المتدارك والكامل الخفيف ومجزوء الكامل مره واحدة لكل بحر أيضا [٤].

والتاء استعملها العدناني بقلة في موضعين فقط من دواوينه، ففي الموضع الأول قوله:–

إخــالُ وجهــكَ لــيس فيهــا   دمــاءٌ، بــل جليــدٌ يــا نجــاتي [٥]

سمعتُ الشِّعْرَ مختصراص ركيكاً   فلــم يَسْــلَمْ مِــنَ الإســغافِ بيْــتُ [٦]

إذا كان الشعراء قد عدّوا التاء المؤنثة التي لم يسبقها حرف مدٍّ ضعيفة، [٧] فان العدناني خرج من هذا المأزق بالتزامه قبل التاء حرف مد كان في المثال الأول الألف وفي الثاني الياء، وكانت كلماء القوافي في باقي أبيات هذه المثالين كالآتي:–

الأول: الحماة، القطاة، نجاتي، المعجزات[٨].

الثاني: بيت، ذويت، رأيت، ميت. [٩]

---

[١] ابو العلاء المعري: لزوم ما يلزم اللزوميات (بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦١) م١، ص٣٧.

[٢] أنظر عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وضاعتها، ط٢ (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٠)ج١،ص٤٦–٥٤.

[٣] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٣٢–٣٣.

[٤] أنظر محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٧، ٩ – والروض، ص١١٦، ١٣٣– فجر العروبةو ص٩، ٣٨و ٥٩، ٧٨، ٨٠، ٩٩، الثوب، ص٣٢، ٤٤، ٨٩، ١٤٥، ١٩٤، ١٩٨.

[٥] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٥٣.

[٦] نفس المصدر، ص٩٠.

[٧] أنظر، ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٧٧.

[٨] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ص٥٣.

[٩] أنظر، نفس المصدر، ص٩٠ – ٩١.

والعبرة من اشراك حرف آخر مع التاء تكمن في ألا "يكون ما يتكرر في أواخر الأبيات مقصورا عليها"[١]، وللخروج من هذا المأزق أيضا جاء الشاعر بالتاء المكسورة في المثال الأول، وهي أخف وأيسر من التاء المضمومة في المثال الثاني، لكونها "قريبة من النون في السهولة إذا جاءت مكسورة"[٢] ، وقد استعمل الشاعر مع هذه القافية بحر الوافي في الموضوعين، وذلك لسهولة مجيئه معها وخاصة أنها قافية متواتره[٣]، سبقت بحرف مد ساكن فوافقت التفعيلة الأخيرة من هذا البحر والتي تكون موضع العروض والضرب وموضع كلمة القافية وهي "فعولن" فاللام في مفعولن هي عادة موضع حرف الروى وهي مسبوقة بحرف مد ساكن أيضا هو الواو.

واستعمل حرف الراء في مثل قوله:-

هـو العسـف لا يـألو تُسّدده الـدَّهرُ ... إلــى مهجــة المحــزون أنهكــه الشّــرُّ
أناخَـــتْ بـــه الآلامُ تَتَــرى كأنَّهـــا ... ذئـابُ فـلاةٍ غـضّ أحشـاءها السُّـعْرُ [٤]

وقد أورد الشاعر روى الراء في ديوانيه اللهيب والروض، ونال الطويل منها النصيب الأكبر حيث وردت معه خمس مرات، ومع كل من الوافر والمتقار والبسيط والمجتث والهزج ومجزوء الرمل ومجزوء الخفيف ومجزوء الكامل ومجزوء الهزج مرة واحدة لكل بحر. [٥]

واستعمل العين في موضعين في ديوانه الروض فقط، ومنها قوله:-

لمّــا رأيــتُ النــاّس أصـبحَ جُلُّهُـمُ ... مثـــل الثّعالـــب خِسَّـــة وخِـــداعا
ورأيـــتُهم جعلـــوا النُّقـــودَ حبيبـــةً ... يُولُونَهـــا الأبصـــار والأســـماعا [٦]

واستعمل الميم في مثل قوله:-

ياراهبـاً فـي ضـلوعي، عافـك الألـمْ ... وبِـتَّ كالصُّـبحِ، لا بـأسٌ، ولا سَـقَمُ
جَرَّعتُـكَ الغَـمّ ألوانـاً، يَضـيقُ بهـا ... صـدرُ الأنـام، ويخشى حمْلها العَلَم [٧]

ويحسن "في الميم حين تقع رويا ألا تكون جزءا من ضميره: كما في الضمير الذي للمثنى والجمع .. فإذا تصادف أن جاء الروى لتلك الذي قبلها"[١]، والعدناني لم يستعمل الميم ضميرا

---

(١) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٧٧.

(٢) عبدالله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٤٦.

(٣) القافية المتواترة: هي مجئ حرف متحرك بعد ساكن، أنظر، أبو يعلي عبد الباقي عبد الله ابن المحسين التنوخي: كتاب القوافي، تحقيق: عوني عبد الرؤف، ط٢ (القاهرة، نشر مكتبة الخانجي، ١٩٧٨) ص٧٠.

(٤) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١١.

(٥) أنظر، محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١١، ٢٦، ٣٧، ٤١، ٧٧، ٨٠، ١٠٦، ١٣٥، وأنظر- ديوان الروض، ص١٨، ٢٧، ٩٥، ١١٢، ١٠٤، ١١٧، ١١٨.

(٦) محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٣٦، وأنظر – الموضع الثاني، الروض، ص٨٧.

(٧) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٥٦.

ولكنه مع ذلك التزم في بعض قصائده الميمية حرفا قبلها وفي البعض الأخر لم يلتزم، لذلك كان النوع الأول الذي التزم فيه بحرف قبل الروى جمل من الناحية الموسيقية لأن تكراره مع تكرار الروى ايضا يعطي نغما موسيقيا رائعا وايقاعا حيويا للقصيدة. وقد جاء روى الميم مع بحر البسيط ست مرات، ومع الطويل ثلاث مرات، ومع الوافر مرتين، ومع كل من الكامل والمجتث والخفيف مرة واحدة لكل بحر. [٢]

واستعمل الياء في ثلاث مواضع، مرتين مع بحر الطويل ومرة مع بحر الكامل[٣]، ومثال استعماله لها قوله:-

مـن لـم يـدافع باسلاً عـن نفسـه	داسـتْهُ أقـدامُ المُسـاور طاغيـا
ومـن اسـتكانَ لنكبـةٍ حَلَّـتْ بـه	هبـتْ عواصـفُها سـوافيا [٤]

أما النون فقد استعملها بكثرة في دواوينه، فحاز بحر الوافر على خمسة مواضع والبسيط على أربعة والكامل على ثلاثة وكل من الخفيف والطويل والمجتث والرمل على موضع واحد لكل بحر، [٥] ومثال استعماله له قوله:-

طلمـوا العـزمَ، وأصْـلُها زَبُونـا	تجـرفُ الأعـداءَ، والـدّاء الـدَّفينا
وأسـيلُوهُ نجيعـاً قانيـاً	يجعـلُ الرِّبيـةَ فـي الحـربِ يقينـا [٦]

والكاف استعملها الشاعر في موضع واحد من ديوانه فجر العروبة ومع بحر الكامل، فقال فيه:-

لـولاك لـم يشد فـي الاضـلاع، لـولاكِ	قلبـي الـذي لقَّنَتْـهُ الحُـبَّ عينـاك
تَيَّمْتِـهِ، فهَفَـتْ ألحانُـهُ أرجـا	عَرَفْـتُ فـي كـلّ حـرفٍ منـهُ رَيّـاكِ [٧]

نلاحظ أن استعمال العدناني لروى الكاف قليل، ومرجع ذلك أنه "يندر أن تجئ" الكاف "التي ليست للحظات رويا في كل أبيات القصيدة وذلك لقلة شيوعها في أواخر كلمات اللغة

---

[١] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٨١.

[٢] أنظر، محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٩٧، ١٠٧، ١٢٣، ١٤٩، والروض ص٢٤، ٧٨، ١٥١، وفجر العروبة، ص٣٧، ١٠٥، ١٥٠، ١٥٦، و الوثوب، ص١٩، ٢٧، ١٣٣.

[٣] أنظر، محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٨٨، والروض، ص٧٣، ١٥٩.

[٤] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٧١، ١٧٢.

[٥] أنظر، ديوان فجر العروبة، ص١٩، ١١٤، ١١٩، ١٣٥، اللهيب، ص٦٧، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٨، الروض ص٧٤، ١٤٣، الوثوب، ص١١، ١٢،١٤، ٧٧، ١٣٧، ١٦٧.

[٦] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١١.

[٧] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٢٥.

والذي يحدث عادة أن تشتمل القصيدة التي رويها "كاف" لغير الخطاب، على كاف الخطاب في بعض أبياتها".[١]

وهو ما وجد عند العدناني، فقد أدخل كلمات فيها كاف الخطاب في القصيدة التي احتوت على الكاف التي لغير الخطاب، بل ان الكلمات التي احتوت على كاف الخطاب أكثر عددا من التي لم تحتو، وذلك ليسر ادخال هذه الكاف على كثير من مفردات اللغة، والكلمات التي استعملها العدناني وأدخل عليها الكاف هي: عيناك، رياك، خداك، ثناياك، صباياك، بمرآك، أهواك، بلقياك، [٢] أما التي فيها الكاف أصلية هي: نساك، الشاكي، والباكي،[٣] وقد التزم الشاعر في هذه الكلمات بحرف مد قبل حرف الروى وهو الألف، وكرره طوال القصيدة الى جانب تكرار حرف الروى،وهو ما اشترطه أحد الباحثين لحسن القصيدة الكافية الروى [٤]

واستعمل الفاء رويا في مثل قوله:-

يـا عُمْـدَةَ التَّسْـويفِ ورائِـــدَ التَّخْويـــف

ومُعجَمـاً مـن سِـبابِ مـا زال فـي التّـاليف [٥]

وقد جاءت مع كل من بحر الكامل والمجتث ومجزوء الرجز مره لكل واحد[٦] ، ولعل قلة استعمال العدناني لحرف الفاء ناتج عن صوبتها في الارتياد الشعري رغم أن أصولها في المعاجم كثيرة. [٧]

---

[١] ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٨٠.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٢٥- ٢٦.

[٣] نفس المصدر، نفس الصفحات.

[٤] أنظر، أبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٧٩.

[٥] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٠٦.

[٦] أنظر، محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٢٥، والروض، ص١٠٦، ١٤٤.

[٧] أنظر، عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٤٩.

والسين أيضا استعملها الشاعر بقلة في موضعين من ديوانه الروض مع بحر البسيط وبحر الكامل[١].

ومثال قوله:-

يــا ناشــداً آســياً للــرّأس مقتــدراً	إليـكَ صـبحي طبيـبَ القلـبِ والـرّاسِ
كـم أنقـد القـدُّ مرضـى، كـاد داؤهُـمُ	فـي الـرّاس يُـورِدُهُم أجـواف أرمـاسِ [٢]

وإذا كان العدناني قد استعمل الفاء رويا مع البسيط والكامل، فأن أحد الباحثين وجد ان أكثر البحور استئثارا به الخفيف والسريع والمنسرح، أما البسيط والكامل فيأتي معهما قليلا، إلى جانب أن سينيات الكامل جيدها قليلا أيضا[٣]، ولعل استعماله السين رويا ناتج عن طبيعة الموضوع وطبيعة الكلمات التي أراد أن يستعملها، فالموضوع شكر وثناء لطبيب يدعى صبحي، والكلمات مثل رأس وأرماس وناس ونبراس وأنفاس وغيرها.

والجيم أيضا في موضعين من ديوانه الروض مع مجزوء الرجز وبحر الخفيف[٤] ، ومثاله قوله:-

أنــــــفُ شــــــريف القُــــــبَّجِ	يُفْــــــدَى بــــــأغلى المُهَــــــجِ
ومــــــا علــــــى القاضــــــي إذا	دغدغــــــه مــــــن حــــــرجِ [٥]

وما على ما يبدو أن الشاعر استعمل الجيم رويا لأنه أراد أن يأتي بالقبج وهو اسم المهجو في القافية، وعليه التزم الجيم في باقي القصيدة، والحال كذلك في الموضع الثاني الذي أراد أن يستعمل فيه كلمة الدجاجة. ويرجع قلة استعمال العدناني لهذا الحرف في أنه "حرف خداع، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، المتخيرات فيه قليلة جدا." [٦]

والحاء في موضع واحد من ديوانه فجر العروبة مع بحر الخفيف، حيث قال:-

فهـو لا يبتغـى سـوى المـال حتَّـى	يسـحق الخصـم، وهـو شـاكي السـلاحِ
فابـــذُلوا المـــال للـــوغي حاتميّـــاً	لا تُقـــاسُ الأمـــوالُ بـــالأرواحِ [٧]

---

[١] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٠٠، ١٥٤.

[٢] نفس المصدر، ص١٠٠.

[٣] أنظر، عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٥ – ٥٩.

[٤] أنظر، محمد العداني: ديوان الروض، ص٦٢، ٧٥.

[٥] نفس المصدر، ص٦٢.

[٦] عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٥١.

[٧] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٣١.

ولعل الذي جعل الشاعر يلتزم الحاء رويا، أنه قال هذه القصيدة في عيد التسلح في مدينة حلب، وأنه جعل كلمة السلاح في القافية، فالتزم بعدها بكلمات مثلها في الروى كالجراح والصباح والنواح والأرواح والسلاح وغيرها.

وأما حرف الدال فقد استعمله الشاعر بكثرة، فقد جاء مع الخفيف أربع مرات ومع الطويل ثلاث ومع الوافر اثنين ومع كل من الرجز والبسيط والمجتث والرمل مرة لكل واحد [١]، ومثال استعماله له قوله:-

إلبسي الأسود يا قدسُ حدادا   وابعثيها أنه تشجن الجمادا
أمن المجرمُ في ملجئِهِ   وسَلَخْتِ الليل يا ثكلى سُهادا [٢]

٢- القوافي النفر:-

وهو القوافي التي تكون "أقل استعمالا"[٣] من غيرها، حروفها هي: الصاد والزاء والضاد والطاء والهاء الأصلية والواو[٤]. وشاعرنا لم يستعمل الصاد والزاء، واستعمل الضاد في مقطوعتين من ديوانه الروض مع بحر الهزج وبحر الطويل[٥]، وقد اعتمد العدناني في هاتين المقطوعتين الصغيرتين ثلاث كلمات هي: الأرض والعرض وعرض، ويرجع عدم استعمال العدناني للصاد والزاي، وقلة استعماله للضاد الى قلة مجئ مثل هذه الكلمات في اللغة العربية، مما يفرض على الشاعر محدودية استعمالها، ثم أن شعور العدناني بأن "الضاد أيسر من الصاد شيئا"[٦] جعله يأتي بهاتين المقطوعتين، والتي قال في أحدهما:-

وقالوا: للفتى عرضٌ   ولكن ماله عِرْضُ
وظِلُّ الوَغدِ ذو وزنٍ   تنُوءُ بِحَمْلِهِ الأرْضُ [٧]

---

[١] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ص٢٦، ٧١، ٧٦، ١٢٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٥، الوثوب، ص١١٥- اللهيب، ص٥٨، ٨٢، ١٦٠- فجر العروبة، ص٧٠٤.

[٢] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٥٨.

[٣] أبو العلاء المعري: اللزوميات،م١ ، ص٣٧.

[٤] أنظر، عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٥٩.

[٥] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ٨٩، ٩٩.

[٦] عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٦٠.

[٧] محمد العدناني ديوان الروض، ص٩٩.

ولم يستعمل الشاعر حرف الطاء رويا وذلك لثقله وثقل الحرف وثقل الكلمات التي تحويه، وكذلك الهاء الأصلية لكونها "عسرة للغاية، وثقيلة غاية الثقل"[١] إلى جانب "أن مجئ هذا النوع من القصائد قليل الشيوع في العشر العربي، وذلك لأن ورود الهاء في أواخر كلمات اللغة العربية قليل غير شائع"[٢]، وقد استعمل الشاعر الهاء غير الأصلية وصلا[٣] وما قبلها هو حرف الروى، فاستلزمه ذلك تكرار حرف الروى مع الهاء غير الأصلية أيضا مما أضفى على كلمة القافية نغما موسيقيا رائعا وايقاعا نغميا جميلا، ومثاله قوله:-

فمـــــا دامَ لِلــــــرّوض أزهـــــارُهُ   تَـــــنَفّسُ فــــي المُهــــجِ الآســـــيَهْ
فمـــا عَجَــب إنْ غَــدَتْ مُهجَتـــي   مَــدَى العُمــرِ فــي روضِــها شــاديهْ [٤]

ولم يستعمل العدناني الواو رويا سواء الساكنه أو المتحركه، لأنها تعتبر حفا ضعيفا، لا يستقل النطق بها لوحدها ولا السمع بنفسها، إلى جانب كونها تأتي في أواخر بعض الأسماء المنقوصة على نحو "مرعَوٍ"[٥].

٣- القوافي الحوش:-

وهي القوافي التي "تهجر فلا تُسْتَعمل"، [٦] حروفها هي: الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين، "وكلها قد ركبها الشعراء، ولم يجيئوا إلا بالفث"[٧]، وشاعرنا العدناني هجر الثاء والخاء والذال والظاء ولم يأت إلا بالشين والغين، أما الشين فقد استعملها مع مجزوء بحر الرجز، وأتى بها لهجاء شخص يدعى "نربيش دعدوش" وعلى ما يبدو أن اسم المهجو هو الذي فرض عليه التزام الشين رويا، ورغم ذلك فإن العدناني وفق هذا الاختيار وذلك لموافقة الشين الجو العام للقصيدة، وهو ابراز التشويش والازعاج الذي يحدثه دعدوش، فقال:-

يــــــا مُــــــزدرى دَعْــــــدُوشُ   بِــــــكَ اقتــــــدَى شَـــــــمرُوشُ
إن كــــــانَ جُنْــــــدِيَّ الأذى   دَيْدَنُــــــــــــهُ التّشـــــــــــــويشُ
فأنــــــــت ياشـــــــرَّ الأنــــــا   مِ لــــــــــلأذى "شـــــــــاويشُ"[٨]

---

[١] عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم اشعار العرب، ج١، ص٦١.
[٢] ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٢٨١.
[٣] الوصل: وهو حرف يكون بعد الروى ومتصل به – أنظر أبو يعلي التنوخي: كتاب القوافي، ص١١٩.
[٤] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٣٢.
[٥] أنظر، عبد الله الطيب: المرشد الى فهم أشعار العرب،ج١، ص٦٢.
[٦] أبو العلاء المعري: اللزوميات، م١، ص٣٧.
[٧] عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج١، ص٦٢.
[٨] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٠٤.

والغين فقد استعملها في بيتين فقط مع بحر الكامل، وهجا بها أحد المتشاعرين، فقال:-

قـــالوا: تشـــاعرَ ثعلـــبٌ روّأغُ　　قُلنـــا: أصـــفعوهُ، فإنَّـــهُ الـــوَلاغُ

فـي وَجْهِـه رَتَـع الرِّيـاءُ، فَعَرْبَدَتـء　　فـوقَ المُحيّـا الزّائـفِ الأصـباغُ[1]

٤- القوافي المقيدة:-

استعمل العدناني القافية المقيدة في ثلاثة عشر موضعا شعريا موزعا بين مقطوعة وقصيدة، نال منها حرف الميم الساكن على ستة مواضع، والراء الساكنة على خمسة مواضع، وكل من النون والهاء والدال والباء والسواكن موضع لكل واحد[2]. وقد شمل نظم العدناني كافة أنواع هذه القافية، والتي تُقسم كالآتي:-

أ- مقيدة مجرّدة:-

وهي المجرّدة من الردف[3] والتأسيس[4][5]، وقد استعملها العدناني مرتين مع مجزوء الخفيف، ومرة واحدة مع كل من بحر الرمل ومجزوء الرجز ومجزوء المتدارك ومجزوء الكامل[6]، ومنها قوله على سبيل المثال:-

العُـــــربُ أنـــــوارُ الـــــدُّنَى　　ونارُهـــــا يـــــومَ الـــــنِّقَمْ

كـــــم مَـــــرّةٍ تقـــــاطرُوا　　علـــــى الحِمـــــام فابتَسَـــــمْ

رأي بهِـــــــمْ مَنْهَلَـــــــهُ　　يـــومَ الـــوغَى قـــد ازْدحَـــم[7]

ب- مقيّدة مردفة:-

"وهي التي سبق رويها الساكن حرف مد"[8] وقد استعملها العدناني في موضع واحد من ديوانه الروض مع بحر الرمل، فقال:-

---

(1) نفس المصدر، ص٩٥

(2) أنظر، محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٨، ٧٥، ١٠٢، والروض، ص١٤، ٨٠، ٩١، ٩٣، ٩٨، وفجر العروبة، ص٣٤، والوثوب، ص٥٤، ٩٨، ١٥٤، ١٧٨.

(3) الردف: هو الحرف الذي يأتي بعده الروى بغير حاجز، وهو أحد ثلاث أحرف هي (الواو والألف والياء) أنظر، أبو يعلي التنوخي، كتاب القوافي، ص١١٤.

(4) التأسيس: هو ألف يفصل بينها وبين الروى حرف – أنظر، نفس المرجع، ص١٠٦.

(5) أنظر، نفس المرجع، ص١٤٣.

(6) أنظر، محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨، ٧٥، ١٠٢، والروض ١٤، ٩٣، ٩٨.

(7) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٢٣.

(8) عبد العزيز يزنبوي: الاطار الموسيقي للشعر ملامحه وقضاياه، ص٢٦٢.

مِهْرجانُ الشِّعْرِ، بِئْسَ المِهْرَجانْ   زفـــهُ بـــالأمس إبلــــيسُ الأوانْ
بنهيـــقٍ لـــم نَجِـــدْ نـــدّاً لــــه   مِـنْ حِمـارٍ قُبْـرُصٍّ، أو أتـانْ[1]

ج- مقيدة مؤسسة:

" وهي التي فصل بين رويها وألف التأسيس حرف دخيل – نظرا لتلازم التأسيس والدخيل"[2]، وقد استعملها الشاعر مرتين مع كل من بحر الخفيف وبحر الوافر، ومرة واحدة مع كل من بحر الكامل ومجزوءه[3]، ومنها قوله:-

فلـن يقـوَى البُغـاثُ علـى عِـراكٍ   إذا لَقِــيَ الخالــبَ، والمَناسِــرْ
ولــم أرَ أُمّــةً عاشــتْ طــويلاً   وليسَ لسها من الأخـلاق زاجرْ[4]

نلاحظ من خلال عرض أنواع القافية المقيدة أن العدناني أكثر من المقيدة المجزوءة والمقيدة المؤسسة، وأقل من المردفة، ولعل مرجع ذلك يعود إلى أن الحرف الذي جاء قبل الروى الساكن في المجردة متحرك، مما أحدث نغما موسيقيا متنوعا، وانتقالا ايقاعيا من ساكن الى متحرك فأحدث في الأذن نغما جميلا وايقاعا صائغا. والحال كذلك في المؤسسة التي يتم فيها الانتقال من متحرك الى ساكن، إلى جانب أن الحرف المتحرك فيها يكون بمثابة الفاصل الإيقاعي بين حرف المد الساكن وبين حرف الروى الساكن أيضا، مما يحدث تنويعا ايقاعيا ينتقل من ساكن الى متحرك إلى ساكن، وأما القافية المقيدة المردفة فان رويها الساكن سبق بحرف مد ساكن مثله، فأدى ذلك إلى ركود موسيقى انتجهُ الانتقال من ساكن إلى ساكن.

٥- القوافي المتنوعة:

حافظ الأقدمون على وحدة القافية حفاظا كبيرا جعلهم لا يعبأون بتنوعها، وقد ساعد على هذا الالتزام آراء النقد والمشتغلين بالأداب، فحازم القرطاجني رأى أن الذي "يجب اعتماده في مقاطع القوافي أن تكون حروف الروى في كل قافية من الشعر حرفا واحد بعينه، غير متسامح في إيراد ما يقاربه معه. وقد وقع ذلك لبعض لا يحفل به من العرب الذين كان بضاعتهم في الشعر فرجاة"[5]، وابن رشيق رأى أن اختلاف القافية يُعد عيبا في التقفية[6] .

---

(١) محمد العدناني: ديوان الروض، ص٩١

(٢) عبد العزيز نبوي: الاطار الموسيقي للشعر ملامحه وقضاياه، ص٢٦٢.

(٣) انظرو محمد العدناني: ديوان الروض، ص٨٠، وفجر العروبة، ص٣٤، الوثوب، ص٥٤، ٩٨، ١٥٤، ١٧٨.

(٤) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص ٥٥ – ٥٦.

(٥) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص٢٧٢.

(٦) ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٣٤.

وإذا كان نهج الأقدمون يُعد التزاما تاما بالقافية، ونهج بعض المحدثين من أصحاب الشعر الحر يعد تحررا تاما أيضا منها، فان العقاد وقف موقف الوسط ورأى أن "سليقة الشعر العربي تنفر من الغاء القافية، ونهج المحدثين من أصحاب الشعر الحر يعد تحررا تاما أيضا منها، فان العقاد وقف موقف ورأى أن "سليقة الشعر العربي تنفر من الغاء القافية كل الألغاء حتى في الأبيات التي تحررت منها بعض التحرر..فانتظام القافية متعه موسيقية تخف إليها الآذان، وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسمع عن طريقه الذي أطرد عليه..انما المتوسط بين المتعة والايذاء هو ملاحظة القافية على مقطوعة بعد مقطوعة تتألف من جملة أبيات على استواء في الأوزان والعدد، أو هو ملاحظة الازدواج والتسميط وما إليها من النغمات التي تتطلبها الآذان في مواقعها"[1] ، وعليه فان تنوع القافية إذا جاء ضمن نظام نمطي منسق كما في الموشحات والمسمطات والمقطوعات والأناشيد والمزدوج، فان الأسماع لا تمجه والآذان لا ترفضه، وهو ما حرص عليه العدناني الذي نوع في القافية ضمن هذه الأجناس الآدبية المشهورة مما أدى إلى خلو شعره من اختلاف القافية في كل بيت.

هذا وقد استحوذ النشيد على قدر كبير من تنوع القافية في شعره، فقد نظم خلال دواوينه ثلاثة عشر أنشوده اختلفت فيها القافية بنسق مرتب، واستعمل مع هذه الأناشيد مجزوءات البحور عدا أنشوده واحدة استعمل معها بحر البسيط التام، واستعمل أيضا مع قصيدتين، واحدة من بحر البسيط التام والثانية من مجزوء الكامل[2] وقد كانت مقطوعة في هاتين القصيدتين تستقل بقافية خاصة بها.

ومثال استعمال العدناني لهذه القافية في النشيد قوله:-

إنهضُــــــوا يـــــا عــــــربْ
فالأســـــــى قــــــد ذهــــــب
والفَخـــــــــا رُ اقتـــــــــــربْ
فابشِـــــــرُوا يـــــا عَـــــرَبْ
عَـــــمَّ نُـــــو رُ الأمَـــــــــــلْ
ســــــــــهلَنا والجبَـــــــــــلء
فأزيحوا الكسلْ
واعمَلـــــــوا يـــــا عَـــــربْ[3]

---

[1] عباس محمود العقاد: يسألونك (القاهرة ، مطبعة مصر، لجنة البيان العربي، ١٩٤٦) ص ٦٦ -٦٧.

[2] انظر، محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٥٢، ١٦٣، والروض، ص٢٠، ٢٢، ١٠٢، ١١٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، واللهيب، ص٢٤، ٧٤، ١٤٥، وفجر العروبة ص٣٢، ٦٦، ٦٩، ١٢٣.

[3] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٣٤.

والجدير بالـذكر أن الشـاعر اعتمـد فـي بنـاء قوافيـه المتنوعـة هذه علـى نظـام الموشـحات والسمطات لما يعطيان الشاعر من حرية في التشكيل الموسيقي للقوافي. ومثال استعماله الموشح قوله:-

(دور)

إيـــهِ يـــا فجـــرَ المعـــالي   لا تَـــرِمْ هـــذي الرُّبـــوعْ
لـــم نَعُـــدْ قُـــوت الليـــالي   ومَطايـــــا للخُنـــــوعْ

(اللازمه)

إنّمـــا الفُصـــحَى حيـــاةٌ   لِريـــــــاضِ الأدبِ
ســـوف يحميهـــا أُبـــاةٌ   مِـــن صَـــميمِ العَـــرَبِ

(دور)

إنْ تَـــنَمْ عـــينُ الزّمـــان   عَنْـــكِ يـــا أُمّ اللغـــاتْ
فالشـــبّابُ المتفـــاني   ضـــامِنٌ فـــلّ السُّـــباتْ[1]

ومثال السمط الرباعي قوله:-

تاريخُهـــا فَخْـــرُ   وتُرْبُهَـــا تِبْـــرُ
وجَوّهـــا سِـــحْرُ   وخيرُهـــا بحـــرُ

***

هـــذى فِلسْـــطِينُ   إســـعادُها ديـــنُ
وحُورُهـــا عِـــينُ   ومجـــدها وفـــر[2]

ومثال المسمط الخماسي قوله أيضا:-

غَسِّـــلُوهُ بـــدموعي   وادفنـــوه فـــي ضُـــلوعي
واذكُـــروا أنّ هُجـــوعي   فـــرّ مفجُوعـــاً وهامـــا

عن جفوني

قـــد ذوىَ زهْـــرُ الأقـــاحِ   فاكتويْنـــا بـــالنُّواحِ
وَمَضَـــتْ عـــينُ الصّـــباحِ   تَـــذْرفُ الـــدّمعَ سِـــجاما

في جُفونِ[3]

---

(1) محمد العدناني: ديوان الروض، ص٢٠.

(2) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٧٤.

(3) نفس المصدر، ص٢٤.

ولعل تنوع هذه القوافي يؤدي إلى نغم موسيقى جميل يجعل الأسماع في حيوية دائمة، لأن تجديد الايقاع بين الحين والحين يحفز قوى الآذان السمعية ويجعلها تستعيد نشاطها مع بداية كل ايقاع قافية جديدة، وهو ما لا يتوفر في القافية الموحدة التي قد تُؤدي إلى السأم الملل من جراء السير على نغم واحد فترة طويلة من الزمن.

معارضات العدناني:-

إذا كان الحديث السابق عن الأوزان قد أثبت تأثر العدناني بأوزان الأقدمين، فان الحديث عن المعارضات يثبت تأثره أيضا بأوزانهم وقوافيهم، وبأوزان وقوافي من جاراهم من الشعراء المحدثين، ومثال ذلك معارضة العدناني عمر بن كلثوم في معلقته التي جاءت على بحر الوافر والتي مطلعها:-

ألا هُبّي بصحنكِ فاصبحيْناَ ... ولا تُبقِي خمورَ الأندريناَ[1]

فقال العدناني معارضا بنفس الوزن والقافية:-

أيا زعماءَ يعرُبَ أجْمعينا ... اصِيْخوا لي لتعْتقدوا اليَقِيْنَا[2]

وعارض ابن زريق البغدادي في قصيدته التي جاءت على بحر البسيط والتي مطلعها:-

لا تَعْذُلِيْهِ فإنَ العَذْل يُوْلِعُهُ ... وقد قُلتِ حقاً وَلكِن ليْس يَسْمعُهُ[3]

عارضها الشاعر بقوله على نفس الوزن والقافية:-

رَأَيْتُهُ عندها، والدّمعُ مضطربٌ ... الجِفْنُ يَحْبِسَهُ والْوَجدُ يَدْفَعُهُ

وخِلْتَ نفسَكَ تَدْرى ما ألمَ بِها ... يومَ الفراقِ ما تُبديهِ أدْمُعُه

وفي المَآقِى دموع لسْت تُبْصِرُها ... وفي الضّلُوعِ أنِينٌ لَسْتَ تَسْمَعَهُ[4]

وعارض أبا فراس الحمداني في قصيدته التي جاءت على بحر الطويل التي قال فيها:-

مُعَلّلَتِي بالوصلِ! و الموتُ دُونهُ ... إذا مِتُ ظمْآناً فلا نَزلَ القطْرُ[5]

فقال العدناني: "هالني أن أسمع الناس يرددون قول الشاعر العباسي أبي فراس الحمداني.. دون أن يعلموا الحالة النفسية التي كان فيها الشاعر عندما نظم رائيته الخالدة، فخفت أن يحذوا

---

(١) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزاني: شرح المعلقات السبع (بيروت، المكتبة الشعبية، دون تاريخ) ص١٦٥.

(٢) محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٣٩.

(٣) محسن جمال الدين: أدباء بغداديون في الأندلس، ص٣٦.

(٤) محمد العدناني: "العدناني ومعجم الأخطاء الشائعة" مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣، ص٥٣.

(٥) أبو فراس الحمداني: ديوان أبو فراس، ص١٥٧.

حذو شاعرنا الكبير المحبوب، ويجعلوا الأنانية مذهبا لهم، فيزيدوا أنانيتنا التي نئن منها"[(١)] فقال معارضا قوله على نفس الوزن والقافية:-

إذا مِتَ ظمآناً، فلا نحبسَ القَطْرُ ولا مات إنسان صدرى، واصَّحَى الْعُمْرُ
ولا جفّ نبتٌ في البلادِ، جميعِها ولا عمّ محلٌ بينَ أنيابهِ الفَقْرُ
ولا عَطِشتْ وحش الغلا، وظباؤُها ولا تَاقَ في روضٍ إلى طَلّهِ زَهْرُ
فانْ كان ماءُ القلبِ يُنقذ مُدنفاً مَنحتُ دمى كيمَا يُشَدّ بِهِ الأزر
فَبِدْءُ حياةِ المرءِ من بعد مَوْتِهِ إذا طابَ في الأفواهِ منْ فِعْلِه الذّكرُ[(٢)]

وإذا كان العدناني قد عارض الأقدمين في أوزانهم وقوافيهم فانه أيضا عارض من ساروا على نهجهم وترسموا خطاهم، ومن ذلك الشاعر أحمد شوقي، فقد عارضه الشاعر في قصيدته نهج البرده التي جاءت على بحر البسيط والتي مطلعها:-

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعلَمِ أَحلَّ سفْكَ دَمي في الأشهرِ الحُرمُى[(٣)]

وقوله في قصيدة، "ضجيج الحجيج" من بحر البسيط أيضا:

ضجّ الحجازُ وضجّ البيتُ والحرمُ واستَصرَختْ ربّها في مكةَ الأُمَمُ[(٤)]

فقال العدناني معارضا:-

كَفْكِفْ دُموعَكَ، واشهَدْ أدْمُعَ القَلَمِ حمراءَ تهْتِكُ ستْرَ الظلْمِ و النِّقَمِ
واسمَعْ دَوِيَّ نُفوسٍ أرْعَدَتْ غَضَباً على دخيلٍ يداهُ التاثَتَا بِدَمِ[(٥)]

وعارض أحمد شوقي في قصيدته التي بعنوان "شهيد الحق" والتي جاءت على بحر الوافر ومطلعها:-

إلاَمَ الْخُلْفُ بَينَكُمُ إلاْ مَاْ؟ وهَذِي الضّجةُ الكُبرىَ عَلاَمَا؟
وَفِيْمَ يَكَيْدُ بعضُكم لبعضٍ وتُبدُون العَداوةَ والخِصَامَا؟[(٦)]

---

(١) محمد العدناني: "الذكر الحسن" مجلة الأديب، الجزء ٨، السنة ٢٨ أغسطس ١٩٦٩، ص٣.
(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٣) أحمد شوقي: الشوقيات، م١،ج١، ص١٩٠.
(٤) نفس المرجع، م١ج١، ص٢١١.
(٥) محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٩.
(٦) أحمد شوقي: الشوقيات، م١، ج١، ص٢٢١.

فقال العدناني معارضا بنفس الوزن والقافية:-

عَـلامَ نَخـاَفُ فِـي الهَيْجَـا الحِمَامَـا ... ونحـــــنُ سُـــــقاتُهُ جَاْمَـــــاً فَجَاْمَــــا
أَرَدنَـــــاهُ علــــى الثّقلــــيْنِ طُــــرّاَ ... كُؤُوســــاً تَحْمِــــلُ المــــوتَ الزُّؤامَــــا؟[١]

ثانيا الموسيقا الداخلية:-

وهي الموسيقا التي "تحكمها مجموعة من القيم الصوتية، وتتجلى في مقومات ايقاعية في بنية الشعر تشمل..الوحدة اللغوية سواء أكانت جملة أو كلمة أو مجموعة مؤتلفة من الحروف ذات الجرس المميز"[٢]، ويمكن أن نقسم مقوماتها الايقاعية الى الآتي:-

١- الجناس:-

وهو أن "تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاستقاق"[٣] بحيث "يورد المتكلم كلمتينن تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها"[٤] ، ولا يخفى ما في هذا التجانس من نغمة موسيقية "تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية، تجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان يستمع بها من له دراية بهذا الفن، ويرى فيها المهارة والقدرة الفنية"[٥]، هذا وقد استخدم العدناني الجناس بنوعيه الناقص والتام ليغني موسيقا شعره بأبعاد ايقاعية صوتية جميلة، ومثال ذلك قول الشاعر:-

فقـد مـلأً الكـؤوسَ، كـؤوسَ نَفسـي، ... مُنــــــىً غـــــراً، وأحلامــــــاً عِــــــذابا[٦]

وقوله:-

دواءُ الظــــالمِ الفتّـــأكِ ظُلـــم ... يجندلُــــــــهُ، وللغــــــــدّر غــــــــدرُ
ويُبطِـــلُ كيْــدَ ربّ المكـــرِ كيْــدُ ... وينفــــي الشـــرَّ فــــي الَّلاواءِ شــــرُّ[٧]

---

[١] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٤٩.

[٢] النعمان القاضي: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، ص٤٧٥.

[٣] أبو الفرج قدامه بين جعفر: نقد الشعر، تحقيق وتعليق: عبد المنعم خفاجي ،بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ) ص١٦٣.

[٤] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص٣٥٣.

[٥] ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٥٣.

[٦] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨.

[٧] نفس المصدر، ص٣٩.

وقوله:–

وانصِــبُوا مِــنْ قُــواكمُ، وهــو اكُــمْ ... شـــــرَكاً مِنـــــهُ لا يُتـــــاحُ الهُـــــروبُ
ان تَضِيقْ بالصِعّابِ منكم صُدورٌ ... فلِـــــدَهْرِ الـــــدَّءُوب صَـــــدْرٌ رَحيـــــبُ
لا تخـــافُوا مِـــن خَيْبـــةٍ تتـــراءىَ ... بَعْـــدَ جهـــدٍ، إنْ تَصْـــبروا اولا تخِيبُـــوا
....
تـــرّبِضُ الأُسْـــدُ قبـــل ان تَثِـــبَ ... الأُسْـــدُ ويـــأتي بمُبتقاهـــا الوُثُـــوبُ[١]

وقد حاول العدناني جعل كلمات الجناس متتابعة في الترتيب، وذلك ليحدث تقاربا في النغم الايقاعي، وتكثيفا في البنية الموسيقية للبيت الشعري مما يضفي عليه جمالا ايقاعيا متوالي النغم، ومثاله قوله:–

يـا فِلَسْـطِينُ! لـن يُـوَفّى قريضـى ... لـــكِ حقّـــاً، يـــا عُـــدَّتي وعَتـــادي[٢]

وقوله:–

تَمَـــزّقَ عِرضُـــها شِـــلواً، فشِـــلواً ... وأوْسَـــــعَهُ بَنُـــــو الليـــــلِ انتهابـــــا
وتنْـــزلُ عقربـــاً فـــي كُـــلِّ أرضٍ ... فتلـــــدَغُ بالزُّبـــــانى والزُّنـــــابى[٣][٤]

وقوله:–

أتوْهـــــا بالحديـــــدِ، وبالمنايـــــا ... مِـــــنَ الأجـــــواءِ تصَـــــبُّ انصـــــبابا
فمـا وجـدُوا سِـوَى عُقبـانِ حـربٍ ... بِهـــم هزئـــوا، ومـــا حَسَـــبُوا حســـابا[٥]

وقوله:–

فلـــم أر الـــذي فعلـــتْ فرنســـا ... وغَضَـــبةِ شـــعبِها العَجَـــبَ العُجابـــا[٦]

وقوله:–

يا عُصْبةَ الحقِّ مِن أشبالِ عدْنانِ ... جـــــزاكمُ الله إحســـــاناً بإحســـــان
دليلُهـا العقـلُ، والشـورى مُحرّكُهـا ... وعزمُهـــا عـــزمُ قحطـــانٍ، وغسَّـــأنِ[٧]

---

[١] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٠١.

[٢] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١١٩.

[٣] زباني العقرب: ما تلدغ به من طرف ذنبها – وزناباها: قرناها – أنظر، محمد الرازي: مختار الصحاح، ص٢٦٨.

[٤] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٥٩.

[٥] نفس المصدر، ص٦٠.

[٦] نفس المصدر، ص٦٤.

[٧] نفس المصدر، ص١١٤.

ولعل تردد مثل هذه "الأصوات في الكلام وما يتبع هذا من ايقاع موسيقي تطرب له الأذان وتستمتع به الأسماع"[١] يجعل البيت الشعري ذا ايقاع موسيقي مُبدع يتطلب من الشاعر "المهارة والبراعة، وقد لا يقدر عليه إلا الأديب الذي وهب حاسة مرهفة في تذوق الموسيقا اللفظية".[٢]

٢- المقابلة:-

عرفها أبو هلال العسكري بأنها "ايراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة"،[٣] واعتبرها الخطيب التبريزي بأنها اتيان "الشعر في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف"[٤]، وأما قدامة بن جعفر فقال: "هو أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطا ويعدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفي ما يخالف بضد ذلك"[٥].

هذا وقد أكثر العدناني من المقابلة في شعره لما لها من أثر موسيقي جميل يرفع من قيمة البيت الشعري، ومثالها قوله:-

العَـدْلُ حيـثُ الـبطشُ وارٍ زَنْـدُهُ   والحـقُ حيـثُ الجـيشُ، وَهْـوَ لُهـامُ[٦]

ظهر أثر المقابلة في هذا البيت بما أحدثت من توازن موسيقي بين شطريه، فايقاع جملة "العدل حيث البطش" مقابلة لايقاع" الحق حيث الجيش"، فالعبارتين عملتا توازن موسيقي رائع جعل البيت الشعري مقطوعة موسيقية عالية النغم.

ومثالها أيضا قول العدناني:

ففـي راحـاتِهم لمْـعُ الخَنـاجِرْ   وفـي حَـدَقاتِهم لَهَـبُ المَجَـامِرْ[٧]

وظهر أيضا مقابلة الشطرين الايقاعية في قوله "ففي راحتاتهم" و في حدقاتهم "وفي "لمع الخناجر" و "لهب المحاجر"، مما جعل البيت ذا نغمة ايقاعية رائعة.

---

[١] ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص٥٤.

[٢] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[٣] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص٣٧١.

[٤] الخطيب التبريزي: الوافي في العروض والقوافي، ص٢٦٤.

[٥] قدامه بن جعفر: نقد الشعر، ص١٤١.

[٦] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٥١.

[٧] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٦٠

ومثالها عن المتبرجات اللواتي هجرن البيوت قوله:

وصـــار النّهــارُ بكــنَّ ظلامـــاً وكانـــــت بكـــنَّ الــــدَّياجى نهــــارا
وأصــبحتْ بكــنَّ الثّــواني طِــوالاً وكانـــــتْ بكـــنَّ الليـــالي قِصـــارا[١]

فالمقابلة الايقاعية واضحة بين كل شطر من هذين البيتين.

وقال الشاعر :-

تَنَكَّـرَ لــي الزّمــانُ، فخــابَ فــأْلي وبـــان لـــي السَّــرابُ، فطـــاشَ لُبّـــى [٢]

ظهر الايقاع التقابلي بين "تنكر لي الزمان" و"بان لي السراب" وبين "فخاب فألي" و"فطاش لبى".

وقال الشاعر أيضا محاولا الحفاظ على الإيقاع التقابلي في أكثر من بيت شعري:-

وإن غضِبنا عليهم أجمعين رَضُوا وإن قطعنـــــاهُمُ دُونَ الــــورى وصَـــلُوا
وإنْ أخـــذناهُمُ أزْمـــةٍ نَصَـــروا وإن ظلمنــــاهُمُ فــــي حُكمِنـــا عــــدَلوا
وإن كســرناهُمُ فـــي نكبـــةٍ جَبَـروا وإن حَبَســـنا العطايـــا عــــنهمُ بــــذلوا
وإن شـرِبْنا الـدّواهي حـنظلاً شـربوا وإن أكلنــــا الرّزايــــا علقمــــاً أكلــــوا
وإن غفتْ عينُنا عن واجبٍ سـهروا وإن نكلنـــا عَـــنِ الإقـــدام مـــا نكلـــوا[٣]

ولا يخفى ما في تكرار النغم التقابلي على مدار خمسة أبيات من جمال تلذ بـه الآذان بما يقوع فيها من نغمات مرتبة في كل شطر.

[١] محمد العدناني: ديوان الروض، ص ٢٨ – ٢٩.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٤٠.

[٣] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٣٣.

٣- التقسيم:-

وهو كما عرفه قدامه بن جعفر "أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساما فيستوفيها ولا يغادر قسما منها"[١]، وكما عرفه أبو هلال بأنه "تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه وألا يخرج منها جنس من أجناسه"[٢]، وأما ابن رشيق فرأى "أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به"،[٣] لذلك يظهر من خلال التعريفات أن هؤلاء النقاد اهتموا بالتقسيم من ناحية استيفاءه لجميع أقسام الشيء المراد ذكره، رغم أن في "التقسيم..تجزئة الوزن إلى مواقف، يسكت عندها أثناء التأدية للفظ البيت، أو يستريح قليلا، كأنه يومئ إلى السكت".[٤]

وبناء على هذه النظرة الموسيقية للتقسيم، يمكن أن ننظر إلى تقسيمات العدناني الشعرية والتي ظهر فيها التقسيم الموسيقي الذي يوحي بالسكت أو بالفاصل الموسيقي، ومثال ذلك قوله مقسما في الشطر الأول:-

وتَخْصِــــرْنَ تِيهـــــاً، وتمشِـــــينَ دَلاًّ   فَتَتَــــرُكْنَ فـــــي كـــــلّ رأسٍ دُوارا [٥]

وقوله:-

ويطوي سِجِلّ الخَسْفِ، والبطشِ والأذى   ويسـقى الـورى خمـراً تَهِـيمُ بهـا الخَمـرُ [٦]

وقوله:-

فرُوحـــي، وقلبـــي، واللســـانُ، ونُهيتـــي   ســاترُكها للعُــربِ فخــرِ الــورى نَهْبــا[٧]

وقوله جاعلا التقسيم في الشطر الثاني:-

ولا أغـــارت علينـــا عُصــــبةٌ عُرِفــــتْ   بــــالجُبنِ والعــــار والتقتيــــرِ والقــــرَمِ[٨]

وقوله:-

تُـــزجّجِنَ بــــالحِبْرِ قــــوْسَ العيـــونِ   فتكتُــــبنَ زيْفـــاً، وطيشــــاً، وعــــارا[٩]

---

[١] قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص١٣٩.

[٢] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص٣٧٥.

[٣] ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص٢٠.

[٤] عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج٢، ص٧٠٢.

[٥] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٣٦.

[٦] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٤٤.

[٧] نفس المصدر، ص٩٦.

[٨] نفس المصدر، ص١٢٨.

[٩] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٣٢.

وقوله:-

ويمسَـــحُ دمـــعَ البائســـينَ براحـــةٍ نماهـا النَّـدَى، والعمـزمُ، والحِلـمُ، والبِـرُّ [١]

وقوله عن العرب جاعلا التقسيم في كل البيت:-

حُمْـــرٌ قنـــابلُهمء، سُـــودٌ مَعـــارِكُهمْ بـــيضٌ صـــوارِمُهُمْ، خُضْـــرٌ أكُفُّهُـــمُ [٢]

وعن اليهود:-

نحـــسٌ كـــواكِبُهم، شَـــرٌّ طبـــائِعُهمْ إفْـــكٌ مَـــزاعِمُهُمْ، عـــارٌ جـــوارُهُمُ [٣]

وقوله أيضا:

إذا شـــــاهدتَهُ، ألفَيْـــــتَ مَبْنـــــى وإنْ حادثتـــه، لـــم تُلـــف مَعنـــى [٤]

يظهر من خلال الأمثلة السابقة جمال التقسيم الموسيقي، سواء كان في الشطر الأول أو الثاني أو في البيت كله، ومثل هذه التقسيمات الإيقاعية تجعل للبيت الشعري قيمة وتعطيه رونقا موسيقيا خاصا ناتجا عن السكتات البسيطة بعد كل مقطع موسيقي، وتوحي أيضا بنفسية الشاعر من خلال الإيحاءات التي تخرج منها.

والجدير بالذكر أن الجمل المعترضة تحدث في البيت الشعري أيضا نوعا من التقسيم الموسيقي، وذلك عندما يقف الشاعر سكتة ضئيلة قبلها وبعدها ليوحي باعتراضها. ومثال ذلك قول الشاعر:-

وإنْ تصـــامَمْتُ عمَّـــا أرجَفـــوا، حَسِـــبُوا – يـــا للْغبـــاوةِ- أنـــي أشـــتكي الصَّـــمَمَا [٥]

جَهَـــنَّمُ العُـــرْبِ- لويـــدْرُونَ- مـــا حقـــةٌ ولـــن يُطيـــقَ لَظاهـــا أيُّ إنسَـــانِ [٦]

وقوله:-

فهوَى الكراسيَّ – لا كانتْ – ولورُفِعتْ علـــى دعـــائمَ صِـــهْيَوْنِيَّةِ النَّســـبِ [٧]

وقوله:-

يكـــاد قضـــاء الله- أن هـــم تبســـموا- يهـش ويبـدو لؤلـؤث المبسـم الرّطـب [٨]

---

[١] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٤٤.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١٦٠.

[٣] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[٤] نفس المصدر، ص١٤٢.

[٥] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٥١.

[٦] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص١١٨.

[٧] نفس المصدر، ص٦٩

[٨] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٣٨.

فالسكتة التي قبل وبعد "ياللغباوة" و "لويدرون" و "لا كانت" و "أن هم تبسموا" أحدثت نوعا من التقسيم الموسيقي، جعل في البيت الشعري تنويعا موسيقيا واختلافا ايقاعيا أعطى البيت الشعري جمالا ورونقا شدّ إليه الألباب والأسماع.

٤- التصريع:-

هو "ما كانت عروض البيت تابعة لضربه، وتنقص بنقصه وتزيد بزيادته"[١]، وتكمن أهميته في أنه ينبأ المتلقى بقافية البيت الأول وبالتالي بقافية القصيدة كلها، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها"[٢]، إلى جانب ذلك فإن التصريع ديدن "الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين... ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتا أخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره"[٣] ، ويوقل أبو يعلي التنوخي عن التصريع، في غير البيت الأول: "والتصريع في غير البيت الأول كثير، وليس عيبا، بل هو دليل على البلاغة والاقتدار على الصنعة، ويستحب أن يكون ذلك عند الخروج من قصة إلى قصة. [٤]

هذا وقد حافظ العدناني على التصريع في مقدمات قصائده كلها سواء كان بالزيادة أو بالنقصان، ولم يهتم باعادته في منتصف القصيدة إلا ما ندر وجاء بغير قصد[٥]، ومثال تصريع الزيادة قوله:-

لبنـــــانُ! يـــــا بَلَـــــدَ الجمــــــالِ	وَكِنـــــــاسَ ربَّـــــــاتِ الحجـــــــالِ[٦]
متفـــــــــــاعلن متفـــــــــــاعلان	متفـــــــــــاعلن متفـــــــــــاعلان

---

[١]ابن رشيق: العمدة، ج١، ص١٧٣.

[٢]ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر، تحقيق وتعليق، أحمد الحوفي وبدويطبانة، ط١ (القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩) ج١، ص٣٣٨.

[٣]قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص٨٦.

[٤] أبو يعلي التنوخي: كتاب القوافي، ص٧٨.

[٥] أنظر، محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص ٣٤- ٣٦، ٥٩- ٦٣، ٦٩- ٧٠، والوثوب، ص٥٤ – ٦٠.

[٦] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٨٧.

تم الحاق العروض بالضرب المذال، فجاءت بذلك العروض مذاله مثله، ومثله أيضا قول الشاعر:–

ضَـــجَّ الأنـــامُ مِـــنَ الحبيـــبِ　　　عَبْـــدِ الصّـــهاينَةِ المُريـــبِ[١]

متفـــــاعلن متفـــــاعلان　　　متفـــــاعلن متفـــــاعلان

أيضا تم الحاق العروض بالضرب المذال، فجاءت مذالة مثله، وقد استعمل العدناني هذا النوع بقلة في دواوينه، ومثال تصريع النقص– وهو الأكثر– قوله:–

لا تَلُومُـــوهُ، قَـــدْ أَضَـــلَّ صَـــوابَهْ　　　يَـــومَ راحَ الكرسِـــيُّ يقْـــرَعُ بابَـــهْ[٢]

فـــاعلاتن فعلاتـــن فعلاتـــن　　　فـــاعلاتن فـــاعلاتن فعلاتـــن

حيث أخبنت العروض لتوافق الضرب المخبون، ومثاله أيضا قول الشاعر:–

أكـادُ أكْفُرُ – رغمَ القلبِ– بـالعربِ　　　وأحسبُ الجدثَ المهجُورَ أجدربي[٣]

مـــتفعلن فعلـــن مســـتفعلن فعِلـــن　　　مـــتفعلن فعلـــن مســـتفعلن فعِلـــن

ولا يخفي ما للتصريع من أهمية موسيقية في البيت الشعري، وذلك بما يحدثه فيها من توازن موسيقي في آخر كل شطرة منه، إذ أن ايقاع التفعيلة في عروض الشطر الأول تكرر بنفس النغم ونفس الإيقاع في ضرب الشطر الثاني.

والجدير بالذكر أن العدناني أكثر من استعمال التصريع بالنقص وخاصة في البحور التامة، ومرجع ذلك على ما يبدو أن البحور التامة تكون حركاتها الإيقاعية كاملة وتامة، فتكون في هذه الحالة قابلة للنقص أكثر منها إلى الزيادة، فإذا قام الشاعر بإحداث النقص، فإنه يقلل من عدد الإيقاعات التي قد يدعو طولها إلى الملل، لذلك يخرج البيت الشعري بهذا التصريع خفيف الإيقاع سريع النغم، واستعمل الشاعر تصريع الزيادة مع بعض مجزوءات البحور، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن المجزوءات تكون قد حذف منها كثير من الحركات الإيقاعية، مما يجعلها قابلة لمزيد من الحركات الجديدة، وعليه يكون بمقدور الشاعر أن يدخل عليها من الإيقاعات التي تزيدها قيمة موسيقية رائعة، وهذا ما وضح في الأمثلة السابقة، فالمثال الأول والثاني من مجزوء بحر الكامل، فأدخل عليها الشاعر التذييل فزاد من ايقاعها ايقاعا جديدا وجميلا، وأما المثال

---

(١) نفس المصدر، ص١٩٨.

(٢) نفس المصدر، ص١٨٤.

(٣) محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ص٦٩.

الثالث الذي جاء فيه التصريع بالنقص فقد جاء من بحر الرمل التام لذلك خبن الشاعر وعروضه وضربه مما جعل البيت أكثر خفة من أصلة، والمثال الرابع جاء من بحر البسيط التام فخفف منه الشاعر بالخبن أيضا، لذلك فإن شاعرنا وفق في الإتيان بتصريع زاد البيت الشعري جمالا موسيقيا رائعا سواء في البحور المجزوءة التي أضاف عليها أو في البحور التامة التي أنقص.

٥- رد العجز على الصدر:-

إن لرد العجز على الصدر "موقعا جليلا من البلاغة..وله في المنظوم خاصة محلا خطيرا"[١] لذلك حافظ العدناني على إيراده في نظمه بجميع أشكاله وسواء من كانت اللفظة الأولى منه في صدر الشطر الأول أو في منتصفه أو في آخره أي في عروضه، ومثاله في أول البيت عند الشاعر قوله:-

كبحـــــوا جِمـــــاحَ إبائـــــهِ وشَـــــقاؤُهُ لــــن يُكْبَحــــا[٢]

وقوله:-

نـــادتِ الأقـــدارَ كــيْ تُنْقِــذَها أيـن يـا قلبـي تُـرى كـانَ المُنـادي؟[٣]

وقوله:-

وتَجْثُــو قُلــوبُ البَــرا يــا لهــا ولــم تُــرَ يومــاً لهــمْ جاثِيَــةْ[٤]

ومثاله في منتصف الشطر الأول قوله:-

وصِرتُ إذا طلبتُ السُّحْبَ صيداً مــددْتُ العــزمَ فــاقتنصَ الســحابا

وإن لمــع السَّــرابُ وبــي غليــل فَجَــرتُ المــاءَ فأكتســحَ السَّــرابا[٥]

وقوله:-

وإن رحلنــا عـن الأوطـانِ مُرْغمـةً أنوفُنـا فـي الـوغى الهوجـاء مـا رحلـوا[٦]

وقوله:-

وإن سخرتْ من قوةِ الخصمِ أُمَّـةٌ غــدا الــدّهر فيهــا المعــامع ســاخرا[١]

---

[١] أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص٤٢٩.

[٢] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٥٤.

[٣] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٥٩.

[٤] محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٣١.

[٥] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٩.

[٦] نفس المصدر، ص١٣٤.

[١] نفس المصدر، ص١٣٦.

وقوله:-

وإذا الصَّـــدرُ بالسِّـــخائمِ سُـــوداً أتْخمـــوهُ، فلـــنْ تُسـلَّ السَّـــخائِمِ[١]

أما النوع الذي جاء في أخر الشطر الأول، مثال قوله:-

لــئن شِــدنا لمــاء النيــل ســدّاً فَمِـــنْ أبْطالنـــا شِـــدْنا ســـدودا[٢]

وقوله:-

هــذى مَــدافِعُهم، وذى أقلامُنـــا، أَعَلَـــى المــدافعِ تُشْـــهَرُ الأقـــلامُ؟[٣]

وقوله:-

كـــان بـــينَ العُـــداةِ ليثـــاً وحيـــداً ورأوه فـــي الـــبطشِ غيـــر وحيـــد[٤]

وقوله:-

وأبصرَ القومَ قد شادوا لهم صَنَماً فأصـبحوا -ويحَهُـمْ- مـن أعبُـدِ الصَّـنمِ[٥]

ولا يخفى ما لمثل هذا النوع من التردد من جمال موسيقى ويقاع نغمي ناتج عن دلالته الصوتية وذلك "لأن اللفظة التي ذكرت في الشطر الأول ما يكاد تردد صداها ينداح حتى يتردد مره أخرى في الشطر الثاني، ومن شأن هذا التردد أن يهب النص جمالا موسيقيا، وهو أشبه بوثاق رقيق أو نغمة موحدة تربط بين شطري البيت بحيث يصبح عجزه وصدره كلا لا ينفصل ونغما واحدا متصلا"[٦].

٦- البيت المدود:-

وهو البيت الذي تكون عروضه متصلة بصدر الشطر الثاني منه، وفائدته الشعرية أنه "ليس مجرد اضطرار يلجأ إليه الشاعر. ذلك أنه يسبغ على البيت غنائية وليونة لأنه يمده ويطيل نغماته"[٧]، والشاعر "مرهف الحاسة، فمن مارس النظم السليم، ونما سمعه الشعري، لابد أن يدرك بالفطرة أن هناك قاعدة خفية تتحكم في التدوير بحيث يبدو في مواضع ناشزا يؤذي المسع"[١]، ورأت نازك الملائكة أن مواطن الحسن والإبداع في البيت المدو يمكن في ايراده مع

---

[١] محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص١٠٥.

[٢] محمد العدناني: ديوان فجر العروبة، ١٣٦.

[٣] نفس المصدر، ص١٥١.

[٤] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨٣.

[٥] نفس المصدر، ص١٢٦.

[٦] النعمان القاضي: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، ص٥١٠.

[٧] نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ١١٢.

[١]نفس المرجع، ص١١٣.

بحر المتقارب وبحر الخفيف ومجزوء الرجز، ثم خصّت بحر المتدارك والخفيف لأنهما ينتهيان بسبب خفيف[١] وفي ذلك تقول: "ملاحظتي الشخصية أن التدوير يسوغ في كل شطر ينتهي عروضه بسبب خفيف مثل "فعولن"[٢]، أما مجزوء الكامل ومجزوء الرجز فمع أنهما ينتهيان بوتر مجموع[٣] إلا أن موطن الجمال الموسيقي فيهما يكمن في "أن المجزوء قصير بحيث لا يعسر فيه التدوير"[٤] وعلى ذلك يكمن تطبيق نظرة الشاعرة نازك على شعر العدناني لرؤية مدى مطابقة ملاحظتها وشعر العدناني لرؤية مدى مطابقة ملاحظتها وشعر العدناني بوصفهما شاعرين تذوقا العمل الشعري وكان لهما الباع الطويل فيه، فالعدناني استعمل البيت المدور مع بحر المتقارب خمس مرات في قصيدته التي بعنوان "المتبرجات" ومثاله فيها قوله:-

أيا حُورُ مَن ذا يطيقُ على طيشِكُنَّ غداةَ الجِماح اصطِبارا[٥]

وقوله:-

حذارِ! فلا تحسَبِنَ زئيرَ اللّيوثِ، إذا ما تعالى، خُوارا[٦]

فالقاسم المشترك بين الشطرين في المثال الأول كلمة "طيكشن" والثاني كلمة "الليوث".

أما مع بحر الخفيف فقد استعمله الشاعر بشكل ملحوظ في قصيدته التي بعنوان "الشباب المخنث" حيث أورده في ثلاثة عشر موضعا، ومثاله قوله:-

خِلْتُهُ، والحديثُ رقَّتْ حواشِيه، فتاةً حَيِيَّةً أو خَيالا[٧]

وقوله:-

صَاحباتِ الحِجالِ! باللهِ خَلِّينَ لِرهْطِ المخنَّثينَ الحِجالا[٨]

القاسم المشترك بين الشطرين في المثال كلمة "حواشيه" والثاني كلمة "خلين".

---

[١] السبب الخفيف: هو حرف متحرك يأتي بعده ساكن نحو (/ه) – (قَدْ) و(هَلْ) – انظر الخطيب التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، ص٢٨.

[٢] نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص١١٣.

[٣] الوتر المجموع: هو حرفان متحركان بعدهما يأتي ساكن نحو (//ه) – (قَضَى) و (دَعَا) أنظر، الخطيب التبريزي: الوافي في العروض والقوافي، ص٢٨.

[٤] نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص١١٦.

[٥] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٢٨.

[٦] نفس المصدر، ص٣٧.

[٧] نفس المصدر، ص٤٣.

[٨] نفس المصدر، ص٤٨.

ولقد استعمل الشاعر البيت المدور كثيرا مع هذا البحر – أي بحر الخفيف – وفي مواضع عديدة من دواوينه[١] ، ومرجع ذلك أن العدناني قدّر القيمة السوقية التي يُضْيفها مدور بحر الخفيف على البيت الشعري ومن ثم القصيدة جميعها. أما قلة استعمال الشاعر لمدور بحر المتقارب يرجع إلى أن الشاعر لم يستعمل هذا البحر إلا في موضع واحد في ديوانه الروض مع قصيدة "المتبرجات" ومع ذلك فقد استخدمه خمس مرات فيها، وهذا دليل على أن الشاعر لو استخدم هذا البحر بكثرة لا ستعمل معه البيت المدور، كما هو الحال مع بحر الخفيف.

ووافق العدناني أيضا نظرة نازك الملائكة باستعماله مجزوء الكامل ومجزوء الرجز، بكثرة، ومثال ذلك في مدور مجزوء الكامل قوله:-

يـا صـاحبي! صـبراً علـى الألـمِ المُبَـرِّحِ فـي السَّـريرِ[٢]

وقوله:-

وتَحُـوُلُ شـاهقةُ الحُضـونِ – متـى نَسَـفْتَ – إلـى قُبـور[٣]

فالقاسم المشترك بين الشطرين في المثال الأول كلمة "الألم" وفي الثاني كلمة "الحصون" ويرجع إكثار العدناني لمدور مجزوء الكامل في دواوينه[٤] إلى إدراكه لقيمته الموسيقية بما يحدث من إيقاع متواصل داخل البيت الشعري وكأنه مقطوعة موسيقية مستمرة النغم.

واستعمل أيضا مجزوء الرجز[٥] بصورة أقل من مجزوء الكامل، ومنه قوله عن أنف أحد أصدقائه:-

ولونُهـا قـانٍ كَلَـوْنِ الشَّـفَقِ المضَـرَّجِ[٦]

---

[١] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ص ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، وفجر العروبة، ص٢٣، ٢٩، ٣٠، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، والوثوب، ص٢٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٢، ١١٧ ، ١١٨، ١٢١، ١٢٤، ١٢٨، ١٣١، واللهيب، ص٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.

[٢] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص٨١.

[٣] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[٤] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ص٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٩٨، والوثوب، ص١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.

[٥] أنظر، محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، والروض، ص٦٥، ٦٦، ٨٧.

[٦] محمد العدناني: ديوان الروض، ص٦٥.

وقوله عن الطلاب ذوي العقول المريضة:-

لـم يُثْمِـرِ التّـدريسُ فيهـا، فَهْـيَ فَقْرٌ بَلْقـعُ[١]

القاسم المشترك بين الشطرين في المثال الأول كلمة "كلون" والمثال الثاني كلمة "فيها".

وأما مدور باقي مجزوءات البحور الآخرى فقد استعملها العدناني بقلة، وهي أربع مواضع في ديوان اللهيب، واحد منها مع مجزوء الرمل[٢]، وثلاثة مع مجزوء البسيط[٣]، وموضعين في ديوانه الروض مع مجزوء المتدارك[٤].

واستكمالا لنظرة نازك عن مواضع استعمال البيت المدور نجدها تقول: "أن الشعراء قلما يقعون في تدوير البحر (البسيط) أو (الطويل) أو (السريع) أو (الرجز) أو (الكامل) [٥]، وهو ما وجد عند شاعرنا العدناني الذي عزف عن استعمال مدور هذه البحور إلا ما ندر، ففي ديوانه الوثوب جاء بيت واحد من بحر البسيط، وبيتان في اللهيب واحد من بحر الطويل والثاني من بحر البسيط، وبيت واحد في الروض من بحر البسيط أيضا، أما ديوانه فجر العروبة فقد خلا من مثل هذه الأبيات المدورة[٦]، ومثال هذا النوع في البسيط قول الشاعر عن خيرات لبنان:-

فَلْيَهْنِـــئِ الجـــارَ تُفّــاحُ الخـــدود ورمّـــانُ الصـــدور فـــربُّ الحُســـنِ لُبنـــانُ[٧]

وقوله مستخدما بحر الطويل:-

ودوَّى نـذيرُ الويـل فارتعَـدتْ لـه الفَـرَا ئِـصُ الأوصـالُ وانقَـبَضَ الصَّـدْر[٨]

---

[١] نفس المصدر، ص٨٧.

[٢] أنظر محمد العدناني، ديوان اللهيب، ص٥٧.

[٣] نفس المصدر ، ص١٠٤، ١٠٥، ١٤٧.

[٤] أنظر، محمد العدناني: ديوان الروض، ص١٦، ١٧.

[٥] نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص١١٤.

[٦] أنظر محمد العدناني: ديوان الوثوب، ص٤٩ – واللهيب، ص٢٥، ١٣٨ – والروض ص٩٧.

[٧] محمد العدناني: ديوان اللهيب، ص١٣٨.

[٨] نفس المصدر، نفس الصفحة.

ولعل اجتناب العدنانى لمدور هذه البحور ناتج عن أنها ذات حركات ايقاعية كثيرة ، يحتاج عند النظم عليها سكته بعد الشطرالأول ليتهيء لايقاعات الشطر الثانى ، لذلك يكون معبا عليه السير فى ايقاعات الشطرين دفعه واحد دون توقف لكثرتها وثقلها عند الوصل ن وهو مالا ينطبق على المجزوءات التى تكون قليلة الايقاع ، مما يسهل على الشاعر وصل الشطرين وجعلها قطعة موسيقية متماسكة جميلةالايقاع وخفيفة النغم .

وكل هذه الظاهر الموسيقية فى شعر العدناني جعلته يفتخر بأوزان شعره وقوافيه :-

يعبَــقُ العِطــر مــن قوافِيــه حتــى	حِســـــبوها منظومــــــةٌ مـــــن ورودٍ
وتَفــــيض الانغـــــامٌ منهـــا كـــأني	أنظِــم الشـــعرَ بـــينَ دُفـاء وعُــودِ [(١)]

ومن خلال العرض السابق يظهر مدى توفيق العدناني فى موسيقى شعره ، حتى جعله يعبق بالعطر ويفيض بالأنغام وكأنه ينظم بين الدف والعود ن الا أنه مع ذلك هناك بعض الألفاظ القليلة جاء ايقاعها الموسيقى ثقيل ، من ذلك قوله :-

رُبَّ طَبْــلٍ دَرْدابـــه ازْعَـــجَ الِفيــلَ،	وأودَى براحـــــــــةِ الأجســـــــــادِ[(٢)]

وقوله :-

وَبَــــدَتْ لـــــى انْكِلتـــرا وفَرَنْســـا	كالفقـــاقيعِ فـــى خِضَـــمٌّ بـــلادى[(٣)]

وقوله :

أم يُسَــــمَّى الوصِـــيُّ عَبْـــدَ الـــهِ	وَهْـــوَ مُـــذْكانَ عبْـــدُ الاســـتَرلِيْنى
فـــاذا مـــــا رأى دُولارَ أمِرْكـــا	فنُيويُــــــوركُ كَعْبَــــةُ المَأْفـــونِ [(٤)]

وقوله :

للفـــــاتحينَ شُـــــواظُ دبّابـــــاتِهم	ولنـــا خطـــابُ مُفَـــوهٍ ، وكَـــلامُ[(٥)]

وقوله :

نـــــــرص برشّاشَاتِنَــــــــــا	حَمـــــاقَكم رمـــــــىَ الـــــرَّخَم[(١)]

---

(١) نفس المصدر ،،ص١٦٩.

(٢)نفس المصدر ص ٨ .

(٣)نفس المصدر ص ٨ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٣

(٥) نفس المصدر ،،ص١٥١.

وقوله :

وُبفهِـــــمُ قـــــومَ ريكـــــادوسَ أَنّـــــا سـنجعلُ صَـــرْحَ مكـــرِهِمِ خَرابـــا [٢]

وقوله :-

أضـــــرسُ فَمِـــــي ، أم دَيْنَ مَيـــــتٌ تَفَجّـــــر ثـــــورةً تغلـــــى وحقـــــدا؟

كـــــأَنَّ الكهرَبـــــاءَ تَســـــيلُ منْـــــهُ حِمامـــــاً يَصْـــــرَعُ العَـــــزْمَ الأَشَـــــدّا[٣]

وقوله:

لَسْـــــتُمُ مِـــــنْ تُوتَنْخَمُـــــون ،فـــــانتم نســـلُ عـــدنانَ ذى النِّجـــارِ الكـــريمِ[٤]

وقوله :

بِنْ يَهُودا ، والبُسْتُ ، والمُنِتفُوري شاهداتٌ على الفَعالِ الحميدِ[٥]

فكلمات مثل درداب وفقاقيع استرلينى ونيويورك ودبابات ورشاشات وريكاردوس وديناميت وكهرباء وتوتخمون والبست والمنتفوري ، تعتبر ثقيلة في الوزن الموسيقى الشعرى وقد حذرت نازك الملائكة من هذا الكلمات من هذا النوع من الكلمات فقالت :"من أخطر العبارات ذوات الكيان غير الشعرى تعبيرات العلم الدارجة فهى تُقَيّض الشعرية بحيث تهرب الموسيقى لمجرد دخولها حرم القصيدة"[٦] ، ولكن رغم ذلك فان مثل هذه الكلمات لا تنقص من مقدرة الشاعر شيئا لأنها كلمات قليلة لا يقاس يقاس عليها ، ولعله اضطر الى استعمالها ليعبر عن طبيعة المواقف التى كان يواجهه أصدق تعبير ، وليَعِفَ وقائع عمره أصدق وصف ، وخامه فى وصفه لالات فى العالم العربي سواء فى الجانب السياسي أو الجانب الاقتصادي ، وللأماكن التى كانت تجرى فيها بعض الأحداث ، والتى لا يجد مفر من ذكرها فى شعره وان كانت ثقيلة النغم صعبة الايقاع .

---

(١) محمد العدنانى : ديوان اللهب ص ٢٠

(٢) نفس المصدر ،،ص١٢٢.

(٣)محمد العدنانى : ديوان الروض، ص ١٣٩ .

(٤)محمد العدنانى : ديوان الوثوب ، ص ٢٠ .

(٥)محمد العدنانى : ديوان اللهب ، ص ٨٥ .

(٦)نازك الملائكة : محاضرات فى على محمود طه ،ص ١٨٣ .

وبعد هذا العرض لخصائص موسيقا شعر العدناني ، نلحظ أنه كان محافظا على الأوزان التى احتفل بها القدماء مع احداثه نوعا من التجديد المسموح به كاستعماله الموشحات والمسمطات والمزدوج وغيرها من الأشكال العروضية التى استخدمها عادة فى النشيد والمقطوعات الصغيرة ن كل ذلك جعل شعره جميل الايقاع عالى النغم على مستوى الموسيقا الخارجة أو على مستوى الموسيقى الداخلية .

الفصل الثالث

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية

تعتبر الصورة الشعرية سمة بارزة فى العمل الأدبي ومكونا مهما فى بناءه ،فهي "تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التى يرمز بها للواقع كما يتخيله ، وقد لاتسعفه الألفاظ فى اللغة العاديةن فيرى نفسه مدفوعا بثورة خياليه الى تشكيل علاقات لغوية خاصة يؤلفها بخياله المبدع ليعبر عن رؤية خاصة به " [١] وهى أيضا"صيغة جزئية ينسجها العقل ليخزن فيها تمثيل الذات لشذرة من شذرات الموضوع ، ومنسوجة صغيرة يودعها انفعال الداخل أمام الخارج ، مما يخول لنا حق تصويرها كخزان صغير يحتقب كلا من التصورات الذهبية والتفاعلات النفسية المتخارجة أى رؤية الداخل للخارج ، من جهة ،واستجابته لهذا الخارج ، من جهة أخرى"[٢]، وقد قسمها بعض الباحثين الى نوعين : الصورة النقلية ، وتظهر "مهمة الشاعر فى مثل هذا الوصف أن يلتقط وجه الشبه الحسى بين أمرين مختلفين فسصور الأشياء جامدة ومتحركة فى اطارها المكانى والزماني". [٣] والصورة الرؤيوية ،وهى التى يتخطى بها الشاعر " حدود الرؤية المباشرة الى أفق كلىّ رؤيوى يسجل فيه بالصورة والرمز خلاصة موقف موحد من جزئيات المشاهدة والاحاسيس التفصيلية والمشاعر الانية المحددة . [٤] هذا وقسمها بعض باحث اخر الى : الصورة التقريرية ،وهي التى لا تحتوى على أى تشبيه أو مجاز ،والصورة التشبيهية ،والصورة الرمزية ، والصورة الكنائية . [٥]

ولو نظرنا لمفهوم الصورة عند المذاهب الأدبية المختلفة ،لوجوناها تعنى عند الكلاسيكيين [٦] "أداة تعبيرية تزينية من تركيب الذهن والمعادلات التشبيهية التى يقوم بها العقل

---

[١]على ابراهيم أبو زايد : الصورة الفنية فى شعر دعبل بن على الخزاعى ط ١(القاهرة ،دار المعارف ،١٩٨٧) ص ٢٤١ وأنظر ، محمد على هدية : الصورة فى شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق ن ط١ ٠ دون مكان الطبع والمطبعة الفنية ، ١٩٨٤) ص ٤٧.

[٢]يوسف اليوسف : مقالات فى الشعر الجاهلى ط٣ (الجزائر ، دار الحقائق ، ١٩٨٣)ص ٢٩٨.

[٣]ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها فى ابداع أبى نواس ،ط١ (بيروت ن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،١٩٨٢) ص ٢٣_أنظر ، على البطل : الصورة فى الشعر العربى حتى أخر المقرن الثانى الهجرى دراسة في أصولها وتطورها ،ط٣ (بيروت ن دار الأندلس ،١٩٨٣) ص ١٥-١٩ .

[٤]ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها فى ابداع ابى نواس ن ص ٣٤.

[٥] انظر ، نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى : فى ضؤ النقد الحديث ، ط٣ (عمان ، طبعة جمعية عمال المطابع التجارية ، ونشر وتوزيعع مكتبة الأقصى ،١٩٨٣) ص ١٣-١٨

[٥] الكلاسيكية : هى مذهب أدبي ظهر فى القرن السادس عشر ، وازدهر فى القرن السابع عشر ، وانسحب أمام هجوم الررومانسية فى القرن التاسع عشر ، وقد بدأ جذوره فى ايطاليا وتفتح فى فرنسا ثم انتقل الى انجلترا وألمانيا ، من أهم مبادئه تمجيد الأدبين اليونانى والرومانى واعتبار العقل هو أساس الجمال . انظر ايليا الحاوى : الكلاسيكية فى الشعر الغربى والعربى ، ط١ (بيروت ، دار الثقافة ن ١٩٨٠) ص ٢٥_٣٧

بين المحسوسات .. فالصورة فى مثل هذا الشعر منتظمة واضحة مركزة تعبر عن حقائق ثابتة تستند الى قوانين العقل والطبيعية ، لذا غهى تقريرية الخيال فيها مروّض ، والعاطفة ملجوجة لأن العقل الذى اتبعها يفرق بين الوهم والحقيقة "[١] وهى عند الرومانطيقيين [٢] "

تقوم على مبدأ التداعى كما هى الحال فى الأحلام . وقد تكون خالية من المعنى وقد لاتكون مترابطة الأجزاء لأنها ليست وليدة الوعي فى الانسان وانما هى وليدة الصدفة والاتفاق "[٣] وتأتى الصور عند هؤلاؤ ممزقة من أشتات متباينة من جراء معاناة الشاعر من التمزق والضياع والشتات ، والرمزيين [٤] يبعدون الصورة عن السرد والتقرير والمباشرة ، ويولون الرمز اهتمامهم فهو عندهم رابط خفى وسائطى وايمائى ينتظم الصورى فى تكوينها ،[٥] ونظر اليها البرناسيون [٦] بأنها "وسيلة نقل الأحاسيس والمشاعر من منظقة التجريد الى منطقة التجسيد " [٧]واعتبروا أن الصورة الشعرية " يجب أن تكون موضوعية تعبر عن مشاعر وحالات نفسية وأفكار عامة تختفى شخصية الشاعر وراءها ولا تظر ظهورا مباشرا ، كما رأوا هذه الصورة غاية فى ذاتها ، وليست وراءها غاية أخرى ، ولذا يجب أن يختفى الشاعر بها [٨] وأما الالسرياليون [٩] فقد اعتبروا أن الصورة " تنبع من مواقع غامضة فى الذات بتأثير لا ارادي من الايحاء غير الواعى وذلك

---

[١]ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها فى اباع ابن نواس ، ص ٤٣ .

[٢]الرمانطيقية : مذهب أبى ظهر كرد فعل على يود الكلاكسية ، وساعد على ظهوره أوضاع فرنسا وأحداث الثوره الفرنسية الى جانب ظهور تيار فلسفى يدعو الى الانطلاق من الفكر والتحليل من جميع الاضوابط ، من أهم مبادئه رفض كل مبدىء الكلاسيكية واهتموا بالعاطفة والوحدان والخيال ومظاهر الطبية والعوالم الغريبة والأحلام وغيرها .–أنظر ، عبد الباسط بدر : مذاه الأدب الغربى – رؤية اسلامية (الكويت ،نشر شؤكة الشعاع ،١٩٨٥)ص ٤٢–٤٥

[٣] ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع أبى نواس ٤٥ .

[٤]الرمزية : مذهب ظهر فى فرنسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى نتيجة عوامل عقدية واجتماعية وفنية وثقافية ، ومن أشهر روادها (بوردلير ورامبو روفير لبن ومبالارميه)ومن مبادئها رفض العبير المباشر واعتماد أساليب تعبيره جديدة منها ترال الحواس وغيرها .– أنظرعبد الباسط بدر ك مذاهب الأب العربى ،ص ٧٥–٧٨

[٥]أنظر نفس المرجع ص ٧٥–٧٨.

[٦]البرناسية : مذهب يهتم بالجمال ورى أن الأدب غاية فى ذاته ومن مبادئه "الفن للفن " ونظروا للفن بأنه يشبه الحقاق الرياضية ولا يخضع لمقياس الاخلاق ، فلا يوصف بالخير والشر وانما يوصف بالجمال والقبح ومن أشهر رواده (لو كنت دوليل وتيوفيل جوتييه) _انظر ايليا الحاوى : البرناسية أو مذهب الفن للفن فى الشعر الغربى والعربى ،ط١ (بيروت ،دار الثقافة ،١٩٨٠)ص ٩–١٢ .

[٧].محمد عنيمى هلال : دراسات ونمازج فى مذاهب الشعر وقده (القاهرة ،دار نهضة مصر للطبع والنشر ، دون تاريخ)ص ٩٠

[٨]نفس المرجع ،نفس الصفحة .

[٩].السريالية : مذهب اقامه (اندريه بريتون) على أنقاض مذهب (الدارديه ، ويقوم هذا المذهب على فرض ما وصل اليه الانسان من قيم حضارية واجتماعية ودينية والتركيز على الاحساسات الداخلية عند الانسان كاللاشعور والحلم لذلك يهملون الواقع ويتعلقون بعالم الاحلام والعقد ، أنظر عبد الباسط بدر : مذاهب الأدب الغربى نص ٨٣–٨٤ .

بفضل ممارسة الكتابه الأليـة [1] فهـى عبـارة عن شراره أو لمعـة تظهـر فـى لحظـة كانـت قبلهـا مكبوتة فى العقل الباطن .

وبعد هذا العرض حول تعريف الصورة ومفهومها فى نظر المذاهب الأدبية المختلفة ، يمكن تناول الصورة الشعرية عند شاعرنا العدنانى من وجه نظر بلاغية تختص بدور التشبيه والاستعادة والكناية فى تشكيلها ، دون الخوض فى تفعيل هذه العناصر البلاغية ، فالدراسة منهجية على مدى تشكيل هذه الأجناس للصورة عند العدنانى شاعرنا وعلاقة هذه الصورة بنفسيته وما توحيه من مدلولات ايحائية مختلفة .

<u>عناصر تشكيل الصورة عند العدناني :</u>

<u>١ – التشبيه:</u>

يعتبر " التشبيه من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفنطة والبراءة [2] " لذلك حافظ الشعراء على استعماله فى تشكيل صورهم الشعرية وحاولوا الاجادة فيه باحداث علاقة جديدة بين شيئين يشتركان فى بعض الامور والصفات ويختلفان فى البعض الاخر لأن الشىء "لايشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات اذ كان الشيئان اذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البته اتحدا ، فصلر الاثنان واحدا ، فبقى أن يكون التشبيه أنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معانى بعفتهما ، ويوصفان بها وافتراق فى اشياء ينفرد كل واحد منهما بعفتها "[3] وفى نفس نفس المعنى قال ابن سنان الخفاجى أن :" صحة التشبيه ، وهو أن يكون أحد الشيئين مثل الأخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البته ، لان هذا لوجاز لكان أحد الشيئين يشبه الاخر بعينه "[4] .

واذا كان القدماء قد استحسنوا الجانب الحسى فى التشبيه وخاصة اذا انتقل من صورة المجرد الى صورة المحسوس [5] فان نظرة الحداثة ترى أن " التشبيه صورة شعرية ، والنظر اليه يكون من خلال مفهومها . فهو يقرب حقيقتين مختلفتين ، فلا ينظراليه فقط من خلال طبيعة كل

---

[1] ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها فى ابداع ابى نواس ، ص ٦٣ .

[2] قدامه بن جعفر : كتاب نقد النشر ، تحقيق : طه حسين ، وعبد الحميد العبادى (القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٣٣)ص ٤٩.

[3] قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ،ص ١٢٤.

[4] ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبى : سر الفصاحة ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدى (القاهرة ،مكتبة ومطبعة محمد صبيح ١٩٦٩)ص ٢٣٧.

[5] أنظر ، أبو هلال العسكري : الضاعتين ،ص ٢٦٣-٢٦٤ ،وأنظر ابن رشيق العمدة ،ج١ ص ٢٨٧.

حقيقية ن اذا كانت مجرده أو حسيه ، وانما من خلال عملية التقريب والجمع بحد ذاتها ، ومع وقع هذا الجمع داخل السياق العام . وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة بين طرفى التشبيه أن تولد من ايحاءات ومدلولات " [١] ومن خلال منظار الحداثه هذا يمكن تناول الصورة الشعرية ضد العدنانى . فلا نحكم عليها بالحسن والقبح بقدر اقترابها عن الجانب الحسى أو ابتعادها عنه ، ولكن بقدر ما نرى فيها من جمال التصوير وعمق المدلولات والايحاءات التى تكشف عن عالم الشاعر الداخلي .

هذا وقد قسم عب القاهر الجرجانى التشبيه الى نوعين :الأول لا يحتاج الى تأويل وذلك كتشبيه الشىء بالشىء من جهة الصورة والشكل وهى كتشبيهات الشعراء الحسية المجردة ،والثانى يحتاج الى ضرب من التأويل ، وهو التشبيه الذى يعتمد على التمثيل [٢] ،
وقد استخدم العدنانى هذين النوعين فى تشكيل صورة ،فالنوع الأول استخدمه الشاعر كثيرا فى الهجاء والمديح مستخدما معه التشبيه بالحيوانات كالكلاب والثعال والأسود وغيرها ، ومثاله قوله عن أحد الشعراء المتكلفين :–

أُنَقّـــبُ عـــن عِـــرْضِ المخنَّـــثِ جاهـــدا   فألفيتُـــهُ مثـــل الكِـــلابِ بـــلا عِـــرْضِ

....

بنهيـــــقٍ لـــــم نَجِـــــدْ نـــــدَّاً لـــــه   مـــــن حِمارٍقبرُصِـــــيٍّ ، أو أتـــــان[٣]

فَهْـــــوَ كالبَغْـــــلِ ، إذا لـــــم تُوهِـــــهِ   بالعصـــا ضـــرباً ، تمـــادى فـــى الحِـــرانْ

وله رِجْلانِ يمشِى بهما   مِثْلَنـــــا ، فاعجَـــــبْ لهـــــذا الحَيَـــــوانْ [٤]

برزت صور العدناني التشبيهية فى هذه الأبيات معتمدا على ايراد المشبه به من الحيونات ،وذلك لإذلال المشبه وتقليل قدرة ومكانته ،فهو تارة يصوره بالكلب وتاره بالحمار القبرص وثالثة بالأتان واربعة بالبغل أو بالحيوان . هذا وقد لعب الجانب النفسي دوره فى تشكيل مثل هذه الصور فمن عمق مشاعره الداخلية الناقمة على هذا المتشاعر أظهر صورته وهو ينهق كالحمار القبرصي أو الأتيان ، وكالبغل الذي يعيش على رجلين اذا يُضرب بالعصا زاد فى عصيانه ، وكالكلب الذى لا مرض له . وقد حاول الشاعر أيضا أن يطابق ويوائم بين طرفى الصورة وذلك يحذف أداة

---

[١] صبحي البستانى :الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية ،الأصول والفروع ،ط١ (بيروت ،دار الفكر اللبناني ١٩٨٦)ص ١١٥.

[٢] أنظر ،عبد القاهر الججانى : أسرار البلاغة فى علم البيان ، تصحيح وتعليق : محمد عبده ، ط٦ (القاهرة ، مطبعة محمد على صبيح ، ١٩٥٩) ص ٦٤–٦٨ .

[٣] الأتان : الحمارة ، أنظر الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ص ١٥١٥

[٤] محمدالعدناني : ديوان الروض ،ص ٩٠–٩٢ .

التشبيه لأن الشاعر " عندما يحذف اداة بين طرفى التشبيه ن يزداد التطابق بينهما ويدنوان الى حال الاتحاد "[١] ومثال تصويره التشبيهى الذى حذفت منه الأداة قوله فى هجاء أحد خصومه :-

وتُساقُ تَيْساً ذا قُرون   نَحْوَ مَذْبَحِكَ الرَّهيب [٢]

يظهر فى هذه الصورة مدى التطابق بين طرفى الصورة وكأن المهجو التيس الفعلى وليس كالتيس ، لذلك كان حذف الأداة هنا قادرا على أحداث عمق دلالى يوحى طرفى الصورة المتبه والمشبه به :-

ومثال استخدام الشاعر التشبيه بالحيوانات فى المدح قوله :-

ونسيرُ بالعُربِ الضراغِمِ جَحْفلاً   يهفُو لـه عَلَمٌ يُحلِّقُ عاليا [٣]

وقوله عن عبد القادر الحسيني:-

لم يَدُرْ لى موتُ الشجاع ببالٍ   وهو ينقَضُّ فى لبوغى كالأُسودِ[٤]

وقوله ايضا يدعو العرب للجهاد :-

واملأُوا الأرض بالأراجيف حتى   بحسَبَ الناسُ أنكم كالأسودِ[٥]

ومن الملاحظ أن العدنانى استعمل فى الصور السابقة أيضا الحيوان وجعله عنصرا من عناصر تشكيل الصورة ، ولكن فى هذه المرة استعمل صورة الأسد بما توحى من قوة وشجاعة وبما توحى من مدلولات نفسية مرتبطة بأحاسيس الشاعر فى أنه أراد لمن يحبهم كقومه وكعبد القادر أن يكونوا أسودا شجعانا ليحققوا الغلبة والنصر على أعدائهم .

واذا كان العدنانى قد حاول من خلال الصور التشبيهية السابقة أن يقرب بين طرفى التشبيه ، فانه فى المقابل حاول فى صور أخرى التفريق بينهما ، وذلك بتفصيل صورة المشبه على صورة المشبه امعانا فى اذلاله وتحقيره ، ومثال ذلك الصورة التى شكلها العدنانى

---

[١] صبحي البستانى : الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية ، الأصول والفروع ص ١٠٨.

[٢] محمد العدنانى : ديوان الوثوب ،ص ٢٠٤.

[٣] محمد العدنانى : ديوان الروض ص ١٧٨ .

[٤] محمدالعدناني : ديوان اللهيب ،ص٨٣.

[٥] :نفس المصدر ، ص ٨٨.

للمتشاعر الذى صور نسله الكلاب ، ثم عدل فى ذلك ليحدث التفريق بين طرفى الصورة فجعل صورة المشبه به وهو الكلب أفضل من صورة المشبه به وهو المتشاعر وذلك لأن للكلب وفاء وهواء لا نكران فيهما ، فقال : –

أو قُلْتُ: إ نَّكَ مِن نَسْلِ الكلابِ لَمَا أَفْلَتُّ مِنْ عَضَّةٍ منها على الأَثَر
فلِلْكِلابِ وفاءٌ لستَ تُدركُه وللكلابِ عُواءٌ ليسَ بالنُّكُر [1]

ومثله أيضا هجاءه لشخص يدعى الحبيب حيث صور وجهه بصورة وجه القرد الشاحب ، ولولا تضرح عجز هذا القرد لحسبه الشاعر وجه الحبيب ، وبعد هذا التقريب بين طرفى الصورة ، أراد الشاعر أن يُحدث تفريقا بينهما وذلك بتفصيل صورة المشبه به على صورة المشبه بحيث جعل المشبه به وهو القرد أمينا لم يخن قومه يوما من الأيام فى مقاب خيانة المشبه الدائمة ، وزيادة فى التفريق بين طرفى الصورة جعل المشبه من نسل الذيب ،

فقال : –

فَبَدا مُحَيّاهُ الصَّغِيقُ كوجه فرد ذى شحوب
لولا تَضَرُّجُ عَجْزِهِ لَحَسِبْتُهُ وجهَ الحَبيبِ
يا قِرْدُ ! عَفْوَكَ إنّنى أَغْرَقْتُ نفِسىَ فى الذنُوبِ
لمّا جَعَلْتُكَ شبْهَ ذا كَ الأَحْمَقِ الوَعْدِ الضّخُوبِ
ما خُنْتَ يوماً قَطُّ (م) جِنْسَكَ مِن بعيدٍ أو قريبِ
وأبُورٌقَيْبَةَ خاننا وكَأنَّهُ مِنٌ نَسْلِ ذِيبِ [2]

وفد حاول العدنانى أن تُشكل صورته من عدة تشبيهات وذلك لينوع من مشاهدها وأبعادها النفسية وايحاءاتها الدلالية ومثل ذلك قوله عن الشريف الرضى:–

إن الرَّضِيَّ مثدامَةٌ تُسْبي النُّهَى ومُهَنَّدٌ يُغنى الأمادىَ ساطيا [3]

رسم الشاعر فى هذا البيت صورة متكاملة ومتعددة الجوانب للشرف الرضى ، ففى الوقت الذى صوره فيه بأنه كالمدامة يسبى العقول بحسنه ووسامته ووقته وحسن قصائده _ وهو

[1] محمد العدنانى : ديوان الروض ص ٩٦ .
[2] محمد العدنانى : ديوان الوثوب ص ١٩٩–٢٠٠ .
[3] محمد العدنانى : ديوان الروض ص ١٢٧ .

الجانب اللين من شخصيته _ صوره أيضا بالمهند الذى يفرى رقاب الأعداد من سطوته مبرزا بذلك جانب القوة والشجاعة فى شخصيته . واذا كان قدامه بن جعفر يرى أن من المستحسن .. أن تُجمع تشبيهات كثيرة فى بيت واحد وألفاظ يسيرة "[1] فإن العدنانى قد استغل هذا الاستحسان فى رسم صورة متكاملة ومتعددة الجوانب لشخصية الشريف الرضى .

ومثله أيضا قول العدنانى :-

ورابعُهـــم ، هُـــو الـــذّئبُ المُرَجَّـــى ⠀⠀⠀ لنِشْـــرِ العـــدلِ مـــا بـــينَ الخِـــرافِ[2]

قرن العدنانى صورة رئيس الجامعة العربية وحوله مندوبى الدول العربية ، وهم يتباحثون مشاكل العالم العربى ، بصورة الذئب الذى ينشر بين الخراف ، مع ما توحيه كلمة ذئب من مكر وخداع وتظليل وما توحيه أيضا كلمة الخراف من خنوع وخضوع وانصياع . والملاحظ على الصورة أنها اعتمدت على التشبيه بالحيوانات وهى حال الصورة الهجائية عند شاعرنا العدنانى ، ولعل ذلك له ابعاده النفسية فى تشكيل صوره ، ففى حالة غلبة مشاعر الغضب والانتقاد على نفسية الشاعر تجاه المشبه فانه يصوره بالحيوانات المنفردة كالحمار والكلب والثعلب والقرد وغيرها ، وفى حالة غلبة مشاعر الحب والرضا عنه فانه يصوره بالحيوانات والطيور المحببة التى توحى بالشجاعة والفروسية كالأسد والصقر والنسر وغيرها ، والملاحظ أيضا فى الصورتين السابقتين صورة الشريف الرضى وصورة فيهما جاء بدون ذكر أداة التشبيه ، وعدم ذكرها هذا " غير فى القدرة الدلالية [3]" فى الصورة التشبيهية ويعطيها عمقا ايحائيا كبيرا وخاصة أن طرفى الصورة يكونان وكأنهما شى واحد .

ومثال تعدد التشبيه مع حذف الأداة قوله :-

حَصَـــلَ دَهْـــرُكُمْ إذا مـــا أَرتُـــمْ ⠀⠀⠀ وَهْوَ، إن شئتموهُ، ياعُرْبُ، يا عُرْبُ ذِيبُ[4]

يظهر فى هذه الصورة الى جانب تعدد مشاهدها وحذف الأداة التى تفعل بين طرافها ، أنها مشروطة " برغبة ، ومرتبطة بمشيئة وقدرة ، فاذا تمت وتوافرت عقدت الصلة ، وأدركت العلاقة

---

[1] قدامه بن جعفر : نقد الشعر ، ص ١٢٧ .

[2] محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ص ص ١٤٣ .

[3] صبحى البستانى : الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية الأصول والفروع ، ص ١٠٨

[4] محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ١٠٢ .

بين طرفين "[1] فاذا ما أراد العرب القوة والعزة والكرامة كان دهرهم كالحمل ، واذا ما أرادوا الذل والهوان كان دهرهم ذئب ، فاتصال العلاقة بين طرفى الصورة مرتبط بمشيئة العرب وارادتهم .واذا كن العدنانى قد استعمل فى تصويره السابق صورا كانت متداوله فى الماضى ، فانه مع ذلك استعمل صورا برز فيها عنصر الحداثه ، وهى الصور التى تأثرت بخبرته الطبية عندما كان طالبا فى كلية الطب ، ومثالها قوله :-

هَبَطُوا الجحيمَ ، فقالَ نَيْرُونٌ لهم   أَهلاً بكمْ جُرثُومةَ الإجْداب[2]

وقوله :-

فَلْيَحْشدوا نسْلَ إسرائيلَ أجمَعُه   كيما نُبيدُ الطُّفيليَاتِ بالرَّعُبِ[3]"

حيث ظهر الحكام في الصورة الأولى وهم يهبطون في الجحيم ونيرون يرحب بهم وداعيا اياهم بجرثومة الحدب والهلاك ، وفي الصورة الثانية صور نسل اسرائيل وهو محتشد بصورة الطفليات التي تباد بالرعب والقهر ، ومثل هذا التصوير بالجراثيم والطفليات من نتاج المعاصره والعلم والحديث في الطب. ومثل التصوير الجديد عند شاعرنا أيضا ، تصويره محق اليهود بالواو والتي في داوود ، فان شاء العرب كتبوها وان شاءوا محقوها من القرطاس ، رغم أن لها افظا ونطقا ن وذلك في قوله : -

لِنَجْعَلَهمْ جميعا مثل واوٍ   لداودٍ، لها لَفْظٌ ونُطْق[4]

وقوله مصورا الحكام بالمطبخ وببياذق الشطرنج:-

لستُمُ غيرَ مطبَخٍ   مِلءُ أَحشائِهِ دَسَمْ

....

أتُراكم بياذِقاً   فوقَ شِطْرَنجِ مُتَّهَمْ[5]

نَقَّلتْكمْ يمينُهُ   كيفما شاءَ أو رَسَمْ[6]

---

[1] على ابراهيم أبو زيد : الصورة الفنية فى شعر دعبل بن على الخزاعى،ص٢٦٥ .

[2]محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ،ص ٨٥.

[3]نفس المصدر ،ص ١٣٤ .

[4]نفس المصدر ،ص ١٤٨ .

[5]البيذق : هو أصغر حجارة الشطرنج _أنظر ، ابراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، ج١ ،ص ٨٧.

[6]محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ١٠٤.

وأما النوع الثاني من التشبيه والذي رأى عبد القاهر أنه يحتاج إلى ضرب من التأويل وذلك لاعتماده على التمثيل، فإن العدناني استعمله في تشكيل بعض صوره التشبيهية أيضا، ومثاله قوله مصورا المعقول بالمحسوس:-

وأرقُب فجَر السَّعْدِ يَقظانَ فى الدّجَى　　　كما رَقَبَ الوَظْفاءَ فى المَهْمَةِ الظَّمِى[١]

يصور الشاعر في هذا البيت حاله وهو يقظان يرقب فجر السعد بعد أن لاقى من دياجي الأيام ضياع الوطن واساءة أبناء القوم بحال الظمآ الذي يرقب السحابة الغزيرة الماء التي تُذهب ظمأة. ويظهر من خلال مَسْهَديْ الصورة التشبيهية هذه مدى ما يشعر به الطرفان من عوز وانتظار بفارغ الصبر ليزول ما بهما من كوب ومنحة، ويظهر أيضا مدى اجادة الشاعر في تشكيل هذه الصورة وذلك باقران صورته بصورة الظمآن، فالظمآن يكون وضعه الجسمي والنفسي متدنيا من جراء فقدان الماء الذي يعتبر عماد الحياة بالنسبة له، فإذا ما استمر انقطاعها عنه فانه سيلاقي حتما الموت والهلاك، وكذلك حال العدناني فإنه إذا لم يأت فجر السعد بعد هذه الدياجي فإنه أيضا سيقابل نفس المصير الذي ينذر بالموت والهلاك.

ومثاله أيضا قوله مصورا المحسوس بالمحسوس:-

وفى غدٍ سنرى إسرائيلَ قد فتكتْ　　　بها العُروبةُ فتكَ النار بالحطبِ[٢]

لقد عبرت هذه الصورة عن مدخلات الشاعر النفسية وذلك حين صور فتك العرب باسرائيل بصورة فتك النار للحطب، مع مافي ذلك من شدة وقوة.

فالعدناني من خلال هذه الصورة – التي أتى بها دون أداة التشبيه ليزيد الصورتين تقاربا وتماثلا – أفرغ شحنة مشاعره التعيسة الناجمة عن الحقد والغضب على اسرائيل بمحاولة الفتك بها كفتك النار للحطب.

وقوله عن مكانة فلسطين مصورا المحسوس بالمحسوس:-

قد كُنتِ لي وردةً طافَ الأريجُ بِهَا　　　ظَوافَ رَهْطٍ من الحُجَّاجِ نُسَّاكِ [٣]

---

(١) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ص ١٠٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٥ .

قرن الشاعر صورة طواف الأريج بالوردة – عانيا فلسطين– بصورة طواف رهط من الحجاج النساك بالكعبة المشرفة، فأوحت هذه الصورة– التي جاءت دون أداة التشبيه– أولا بجمال فلسطين وطيب رائحة ترابها وذلك حين صورها بالوردة التي تمتاز برائحتها وجمال منظرها، وأوحت ثانيا بقداستها وذلك حين صور طواف الأريج بها بطواف رهط الحجاج النساك بالبيت الحرام. أوحت أيضا بمدى براعة العدناني في إيجاد علاقات بين الأطراف المتباعدة المشكلة لصورته، فجمال الشعر يكمن في "اكتشاف العلاقات بين الأشياء المتباعدة، فلا جناح على الشاعر في أن تكون صوره التي يشكلها قوة التخيل والملاحظة عنده غير موجودة في عالم الواقع، أو غير مدركة في مجملها للحس. والمهم أن تتآلف عناصر هذه في نسق يقبله العقل"[١]
ومنه قول الشاعر مصورا حالة الدائن، مصورا الجانب الحسي بالحسي:–

وإذا رآهُ الدَّائن	العاتي يَزُوغُ تتحنحا
فكأنَّهُ بُرٌّ يُوَلْوِلُ	تحتَ أَضراسِ الرَّحَى [٢]

تظهر براعة التصوير عند الشاعر في أنه شابه بين صورة الدائن عندما يرى المدين وما يقوم به من حمحمات وهمهمات بصورة البر الذي يولول تحت أغراص الرحى. فأعطت هذه الصورة بذلك ايحاءات دلالية كثيرة، منها الدلالة النفسية التي تكمن في شعور الدائن بالاضطراب والاحراج حين رؤية المدين، فيصدر لذلك التنحنحات لانقاذ نفسه من الموقف العصيب ومنها الدلالة الاجتماعية التي تكمن في شعور المدين بالانزعاج وعدم تحمل الدائن وخاصة اذا انقضت المدة المقررة للسداد، مما يجعل مجالا لظهور الممارسات الربوية التي تضر بالمجتمع، وأما الدلالة الاقتصادية التي أوحت بها الصورة أيضا هي ارتفاع مستوى المعيشة في مقابل ضآلة مربت الموظف.
وقوله مصورا المعنوي بالمعنوي:–

يَحنُّ إلى فلسطينَ فُؤادِي		حنينَ البيدِ للسُّحبِ الغَوَادِي [٣]

[١] جابر احمد عصفور : الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى (القاهرة ، دار المعارف ن ١٩٧٧ ٩ ص ٦٥ .
[٢]محمد العدنانى : ديوان الروض ، ص ٥٥ .
[٣]محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ص ١٣٨ .

صور العدناني في هذا البيت حنينه لفلسطين بحنين البيد للحسب الغوادي، وقد حذف من أداة التشبيه ليزيد التلاحم بين طرفي الصورة حتى تظهر صورة المشبه وكأنها صورة المشبه به تماما دون أي حاجز بينهما.

أما الإيحاءات الدلالية في هذه الصورة تكمن في مدى أهمية رؤية فلسطين لفؤاد العدناني الذي أوشك على الهلاك، وقد برز ذلك عندما قرن حنينه بحنين الصحراء المجدبة القاحلة لسحب السماء الغادية والتي لو استمر انقطاعها عنها يكون مصيرها انعدام الحياة فيها، كما هو الحال لفؤاد الشاعر الذي إذا ما استمر بعده عن فلسطين واشتد حنينه لها كان مصيره انعدام الحياة فيه أيضا.

ومثاله قول الشاعر مصورا بطولة المجاهد عبد القادر الحسيني مصورا المحسوس بالمعنوي:-

وقد تَلاشَى الأبطالُ بينَ يَديهِ   كَتَلاشِي الأحلامِ بَعْدَ الهُجودِ [(١)]

صور الشاعر تلاشي الأبطال بين يدي عبد القادر بصورة تلاشي الأحلام بعد الهجود، وقد أوحت هذه الصورة بمدى فروسية عبد القادر وسرعة تلاشي الأبطال بين يديه وذلك حين قرن ذلك بتلاشي الأحلام بعد الهجود، فمن المعروف أن الإنسان لحظة انقطاع هجوده تتقطع أحلامه بسرعة شدية جدا لا تتعدى مدتها الثواني القليلة.

وقال مصورا المعنوي بالمعنوي:-

وتَنْزِعُ شطَرها رُوحى اشتياقاً   نُزوعَ نفقسِ قومي للجهادِ[(٢)]

صور العدناني نزوع روحه اشتياقا لوطنه بصورة نزوع نفوس قومه للجهاد، فأتت هذه الصورة بمعان دلالية منها أنها أوحت بشدة نزوع روحه لفلسطين وذلك حين قرنها بنزوع نفوس قومه للجهاد، مع العلم أن نفوس قومه لديها نزوع شديد إليه وذلك بسبب ضياع أرضهم وممتلكاتهم، إلى جانب أن الجهاد فيه التصميم والاصرار والثأر والتضحية بالأرواح والأموال وغيرها، كل ذلك جعل نزوع العدناني ليس مجرد مشاعر عارضة أو موقفا زائلا، وانما نزوع يرويه بالدماء ويبذل من أجله الغالي والرخيص، كما يفعل أهل موطنه في جهادهم، ومن المعاني الدلالية أيضا ايحاء الصورة بشجاعة أبناء فلسطين حين جعل الشاعر نزوعهم للجهاد في موضع المشبه به، ومن المعروف أن التشبيه العادي- غير المقلوب- تكون الصفة فيه أصلية وثابته من أجل ذلك يؤتي به في موضع المشبه به لكي يُضفى على الصورة المشبه بعضا من صفاته .

---

(١) محمد العدناني : ديوان اللهيب ، ص ٨٣ .

(٢) محمد العدناني : ديوان فجر العروبة ، ص ١٣٨ .

ظهر فى الصور التشبيهية السابقة غلبة تشكيل الصورة من عناصر الطبيعة نفسها "[١]، مع ذلك فقد جاءت بعض الصور معتمدة على تصوير المحسوس بالمعنوى أو بالمعنوى بالمعنوى ، ظهر حسن ربطه بين عناصر تشكيل الصورة ن فكان هذا الربط اما لاحداث التلاحم والتوائم التام بين طرفى الصورة ن واما التفريق والتباعد بينهما ليفاضل الاشعر أحدهما على الاخر . وظهر أضا عمق صورة الايحائى والدلالى مع ارتباط هذه الايحاءات والدلالات بالجانب النفسى والوجدانى عند الشاعر .

الاستعارة :-

الاستعارة هى "نقل العبارة من موضع استعمالها من أصل اللغة الى غيره لغرض . وذلك الغرض (اما) أن يكون شرح المعنى وفضل الابانه عنه (أو) تأكيده والمبالغة فيه (أو) الاشارة اليه بالقليل من اللفظ (أو) بحسن المعرض الذى يبرز فيه " [٢] ، وقد اعتبر ابن رشيق أن "الاشارة أفضل من المجاز ، وأول أبواب البديع وليس فى حلى الشعر أعجب منها ، هى من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها "[٣] وتكمن براعة الشاعر فى التصوير الاستعارى فى حسن ربطه بين صورة المستعار وصورة المستعار له ،فيكون الربط " اما قربا ، أو تشابها ، أو علاقة ما يقبلها الذوق . العربى . الذى تعود صلات خاصة وعلاقات معينة بين الأشياء فى الشعر والقول بصفة عامة " ، [٤] ومع تطورات العصر تقوى " قدرة الشاعر على كشف علاقات بين الأشياء كانت تبدو فى الماضى متباعدة إلى حد استحالة الجمع فيما بينها [٥] ، الى جانب أن النظام الاستعارى العام .. يكشف على الدوام ، علاقات جديدة بين الأشياء ، ويدأب الشاعر على الكشف والتغيير من تصور الشاعر قبله هذه العلاقات " [٦]مما يعطى الشاعر " ما يشاء لخياله من خصوصية وامتياز حقيقيين ، ومن ثم كانت المنفذ الاكبر للمغامرات الخصبة الفذة "[١] .

---

[١] على ابراهيم أبو زيد : الصورة الفنية فى شعر دعبل بن على الخزاعى ، ص ٢٨٣ .

[٢] أبو هلال العسكرى : الصناعتين ، ص ٢٩٥ .

[٣] ابن رشيق : العمدة ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

[٤] محمد زغلول سلام : النقد العربى الى القرن الرابع الهجرى (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤) ج ١، ص ١٨٦ .

[٥] صبحى البستانى : الصورة الشعرية فى الكتابة الفنية ، الأصول والفروع ، ص ٩٩ .

[٦]مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ط ٣ (بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨٣) ص ١٤٧ .

[١]نفس المرجع ، نفس الصفحة

والملاحظ على صور العدنانى الاستعارية أنها جاءت على شكل لوحات فنية كبرى ، ظهر خلالها عنصر الخيال الذى أحدث فى اللوحات تجسيدا وتشخيصا ، وتحويلا للمعانى من مجردة الى كائنات حية تمتاز بالحس والنطق والحركة ، والملاحظ أيضا اعتماده فى تشكيلها على عناصر الطبيعية المختلفة ، فأوحت بذلك بمعانى الدلالية ارتبطت بمشاعر العدنانى النفسية ، ومن أمثلة لوحاته قوله فى استشهاد عبد القادر الحسينى :-

سبقَ الدمعُ خاطرى فتهاوَى فوقَ خَدى قانِياً والجِيدِ
وغَلى مِرْجَلُ الأسَى فى فؤادي فتشظى دمعاً مُريعَ الوُقودِ
ورأيتُ الأنفاسَ رَيا من الحُزنِ عليها غِلالةُ المفؤودِ
وأنينى ظغَى على مأتَمِ القلب جَريحاً فيا لِقلبى العميدِ
والأمانى كفنْتُها بشَفافى ثم اودعتُها بُطون اللحودِ[١]

ظهر فى هذه اللوحة تكاثف الصور الاستعارية التى أدت بمجموعها الى هذا التشكيل الذى عبر عن مشاعر العدنانى النفعنه بالحزن والأسى على فقدان المجاهد عبد القادر الحسينى ، وقد ظهرت هذه الاستعارات فى قوله : سبق الدمع خاطرى ، وغلى المرجل الاسى وتشظى دمعا ، والأنفاس ريا وعليها علالة المفؤدة، والأمانى كفنتها بشفافى وأودعتها بطون اللحود، وظهرت اللوحة ايضا بصورة العدنانى ودمعة القانى يسابق خاطره المجسد فوق خده وحيده ، وظهر الأسى مجسدا على مرجله وفي فؤاده وهو يتشظى دمعا مريع الوقود ، وأنينه ظغى على مأتم قلبه الجريح . بحيث شخص بطون اللحود كما هو حال بنسبة للانسان ، لذلك فقد اوحت هذه اللوحة بمشاعر العدنانى النفسية التى غلب عليها الاسى حتى وصل مصيرها لان تكفن هى والقلب وتوضع فى بطون اللحود ن وعليه فإن" محاولة صبغ الصورة بحالة النفس تخلق منها حالة الفنان الحادق كاملة الاصباغ والالوان ، محكمة الخطوط والأضواء " [١] هذا وقد لعب الخيال دوره فى جمع اطراف الصور هذه اللوحة ذلك لأن الاستعاره تغطر للشاعر ما يشاء لخياله من

---

[١] محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ٨٣- ٨٤ .

[١] فتحية محمود فرج العقدة : الفكر والصورة فى شعر زهير بن أبى سلمى (رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، رقم ٨١٩/ ٣٩٩٥) ص ١٤٨ .

خصوصية وامتياز حقيقيين ، ومن ثم كانت المنفذ الأكبر للمغامرات الخصبة الفذه"[١] ومن اللوحات ايضا قول الشاعر لما وصله نعى أمه مستخدما التصوير الاستعارى والتشبيهى :-

لقــد جَرعُــوا قلبـــى نَعيــكِ علقمــا وَمــا علمُــوا أَنْ جَرعُــوا قلبــىَ الســـما
قضــى حَزَنـاً حتــى غـدا الصـدْرُ رمسَـهُ وكُـل مـن الأَضــلاعِ مـن حوْلــهِ رَجْمــا[٢]

استعمل العدنانى فى هذه اللوحة التصوير الاستعارى والتشبيهى ليكثف الجوانب الايحائية فيها ليعطيها عمقا جدديا موائما لنفسيته التى فجعت بخبر هذا النعى ،فقد جسد النعى فى التصوير التشبيهى وجعله كلعلقم ثم وجد ان العلقم لا يفى بلغرض ولا يعطى العمق الدلالى والايحاء النفسى المطلوب ، فصورة بالسم ، وذلك ليعمق المعنى الدلالى فى تصويره هذا ، فكان نعى أمه بمثابة سم الذى انذره بانتهاء حياته ، لذلك جاء البيت الثانى مؤيدا لهذا الايحاء حين قضى الشاعر حزنا ، وحين صور الصدر رمسا لقبله الميتمن جزاء تجرع السم ، والأضلاع التى حوله كالحجارة التى تتعب حول الرمس، والجدير بالذكر أن الخيال جمع بين اطراف هذه الصوره المتباعدة ، فكأنت بمثابة " العامل الاساسى الذى يترتكن اليه الاديب فى صناعته ،بل هو كان كل شىء فى هذه الصناعة ،طالما كان صاحب الفضل الاول فى ابتكار المعنى وفى تكوين المعطيات "[٣] التى تجىء "للدلالة على كل ماله صلة بانتاج الصورة الحسية أو تصويرها اشياء عن الحس". [٤]

وقال العدنانى معبرا عن الامه من جراء نعى أمه ، ومستخدما الخيال بشكل واسع :

أتيْـــتِ بـــه للـــرزءِ والــــداءِ والأَسَــــى فحِيكـتْ لـه ثوبـاً ، وأضـحى لهـا جسـما
وجَـــررَ ذاكَ الثـــوبُ ضــــافي ذيولِــــهِ غـداةَ اصـطفاكِ المـوتُ مـن أُفْقِنـا نَجْمـا
كــــأنى عـــــروسٌ للخُطـــــوبِ تَزُفهـــــا إلــى الــدواهى الحُمُــر ضَــرِيَتْ نَهْمــا[٥]

اعتمدت هذه اللوحة فى تشكيلها على التصوير للاستعارى والتشبيهى الى جانب الخيال والتجسيد ، وذلك لتخرج قوة الايحاء عظيمة الدلالة قليلة فى اللفظ والتراكيب ، فلعدنانى مثلا

---

[١] مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص ١٤٧ .
[٢] محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ١٠٨ .
[٣] عبد الفتاح الديدى : الخيال الحركى فى الأدب النقدى ، ط ١ (القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٥)ص ٤٠ .
[٤] تامر سلوم : نظرية اللغة والجمال فى النقد العربى ، ط ١ (دمشق ، دار الحوار ١٩٨٣)ص ١٧٠ .
[٥] محمد العدنانى : ديوان اللعيب ، ص ١١٢-١١٣ .

جسد الرز والداء والاسى عندما تخيل ان هذه الاشياء حيكت له ثوبا ضافيا وأضحى هو لها جسما ، وزاد من عمق الخيال فشخص الثوب ورأى انه بدأ يجر ديوله ، وحين استطفى موت أمه التى صورها نجما فوق أفقنا الارض ، الى جانب انه جسد وشخص الموت فى ان واحد حين جعله يصطفى من بين الناس من يشاء حتى اصطفى أمه، ومضى الشاعر معتمدا على الخيال ، فصور نفسه بلعروس التى تزفها الدواهى الحمر الشديدة النهم لتقدمها للخطوب ، مع ما فى هذه الصورة من تجسيد والتشخيص للخطوب ، وكذلك الدواهى التى جعها ضارية النهم ، لقد استطاع العدنانى عن طريق توسله بالخيال أن يقيم لكل صورة :خلقا جديدا علاقات جديدة فى طريقة جديدة من التعبير " . [١].

واذا كانت اللوحات سابقة قد عبرت عن مشاعر العدنانى الحزينة فان هناك لوحات أيضا عبرت عن مشاعر سعيدة ، ومثلها قوله :

جَنَيْنـــــا الســــعْدَ بعــــدَ الفـــوْزِ وَرْداً		بــــهِ زُهْـــرُ المُنَــــى شُـــغِفَتْ فُتونـــا
ولـــــم نتـــــرُكْ لِصَــــهباءِ الأمـــــانى		كُؤُوســـــا أَتْرِعَـــــتْ ، إلا رَوِينـــــا
فَسِـــرْنا فـــوقَ هـــامِ الـــدهرِ صــيداً		ووجهْنــــا خُطـــاهُ كيـــفَ شِـــينا
وأَمليْنـــــا علـــــى التـــــاريخِ سِــــفْراً		مِـــن الأَمجـــادِ أَذْهَلَـــتِ الظنونـــا[٢]

اعتمد الشاعر فى تشكيل هذه اللوحة على تجسيد وتشخيص المعنويات ، وقد ساعد على ذلك الخيال الذى قرب بين أطراف الاستعارة ، فصور السعد وهو معنوى بالورد الذى يجنى ، وصور المني زهرا يشغف فتونا بالسعد ، وصور الأمانى كؤوسا مليئه بالصهباء ، وشخص الدهر بجعل هامة له وخطٍ يوجه كيفما شاء العرب ، وشخصه أيضا بجعله كأنسان يملى عليه فيكتب شعرا من الامجاد.فكل هذه الصور التنى شكلت هذه اللوحة جاءت لتواءم مشاعر العدنانى المفعمة بالأمل والفرح والسرور ٠

وقد حاول العدنانى فى صورة التى عبرت عن مشاعر الفرح أن يدخل عناصر الطبيعة لتشاركه مشاعره هذه ،فقال فى ذكرى جلاء الفلارنسيين عن سوريا :–

فكـــانِ جــلاءٌ قـــامَ فـــى الصـــدر عُرْسُـــه وغنّـــى لـــهُ مـــن مِنْبَـــرِ الأضـــلُعِ القلـــبُ

---

[١]احسان عباس : فن الشعر ، ط ٢ (بيروت، نشر وتوزيع دار الثقافة ، ١٩٥٩) ص ٢٦٠ .

[٢] محمد العدنانى : ديوان الوثوب ، ص ٨١ .

وأزهَــــرَتِ الآمـــــالُ، فانحسَرَالأَسَــــــى وأقبَــلَ مَزْهُـــواً بِنـــا الأمـــلُ الرطْـــبُ

وباتَـــتْ رِحـــابُ الـــنفسِ جَـــد فَســـيحة وأَخْضَـــبَ مِـــن نَعْمائِهـــا الفَدْفَـــدُ الجَـــدْبُ

وهَبَـــت نُســـماتُ الأصـــيلِ عليلـــةً وجـــاءَتْ إلـــى جنـــاتِ ســـوريَةٍ تَحْبُـــو

ومَرغَـــتِ الخـــديْنِ فـــى تُـــربِ مـــوطنى فاكسَـــبَ خـــديْها الشـــذا العـــابقَ التـــربُ

وراحـــتْ نجـــومُ الليـــلِ تغمِزُنـــا هـــوىً وفـــى الطـــرْفِ وَمْـــضٌ سِـــحرُهُ الفَـــذ لا يخبُـــو

وغَـــردتِ الأَطيـــارُ فـــوقَ غصـــونِها شَـــجِى لحُـــونٍ ، بـــات يحتازُهـــا الْلُـــبٌ

وفـــى بـــردَى الأمـــواهُ حـــاكَى خَريرُهـــا غِنـــاءَ كَعـــابٍ صـــوتُها فـــاتِنٌ عـــذْبُ

وَغَنـــتْ علـــى العاصـــى النـــواعيرُ بعـــدَما شـــجَتْنا أنينـــاً ، دُونَـــه النـــوْحُ والنـــدْبُ[١]

تكاثفت مظاهر الطبيعة مع هذه اللوحة الاستعارية لتشارك الشاعر فرحته بذكرى الجلاء ، لذلك جاءت الاستعارات مكثفة بحيث حوى البيت الشعوى الواحد على أكثر من تصوير استعارى ، وظهر هذا التكثيف حين جعل للجلاء عرسا قام فى الصدر ، والقلب يغنى على منبر الأضلاع له ،وجسد الامال حين ازدهرت ، والأسى حين انحسر ، والأمل الرطب حين جاء مزهوا ، والنفس حين باتت فى رحاب فسيحة ، وشخص النسيم حين جعله يحبو ويُمرغ خده فى تراب الوطن ، ونجوم بليل حين راحت تغمرهم هوى ، وأدخل التصوير التشبيهى ليزيد اللوحة جاللا وتشكيلا وتعاقدا حين صور تغريد الاطيار بشجى اللحون ، وخرير الامواه بردى الكعاب ذوات الصوت الفاتن ، وشخص الشاعر نواعير حين جعلها تغنى بعد الانين المشجن ،هذا وقد لعب تشبيه دورا فعالا فى نسج العلاقات بين اطراف الصور وبين الصور نفسها حيث خرجت اللوحة بهذا التكامل التصويرى المبدع .

وقد استعمل العدنانى الرمز فى تشكيل الصورة الاستعارية ، حيث رمز لفلسطين بلمحبوبة ، فقال :-

لـــولاكِ لـــم يشـــدُ فـــى الأضـــلاع ، لـــولاك قلبـــى الـــذى لقنَتْـــهُ الحُـــب عينـــاكِ

تيمتْـــــهِ ، فهفـــــتْ ألحانُـــــهُ أرجـــــاً عرفْـــتُ فـــى كـــل حـــرف منـــهُ ريـــاكِ

روضٌ مـــن الحســـن فـــى الزنـــدين زنبقُـــهُ والـــوردُ أطلعـــهُ للـــروض خـــداكِ

والجُلنـــارُ بـــدا فـــى الثغـــر مختضـــباً والشـــهدُ عبثْـــهُ روحـــى مـــن ثنايـــاكِ

والصـــدر رمانـــه كـــم رُحـــتُ أقطفُـــهُ فلـــم تَصُـــد خليـــلَ الـــروح يُمنـــاكِ

[١] نفس المصدر ، ص ٩١-٩٣ .

وكـــم شـــممتُ شـــذا الأنفـــاس عابقـــةً فخلـــتُ جنـــات عـــدْنٍ فـــى صـــباياكِ
قـــد كنـــتِ وردةً طـــافَ الأريـــجُ بِهـــا طَـــوَافَ رهـــطٍ مـــنَ الحجـــاجِ نُســـاكِ
....
أَيَـا فلسـطينُ إيـا قلـبَ العرروبـةِ ، يَـا مَهْـدَ المُنَـى ، ومـلاَذ البـائِسِ الشـاكِى[1]

لقد استعان العدنانى بالرمز فى تكوين لوحته هذه ، وذلك لان الصورة الرمزية يكون من مهمتها أن تقوم بايحاءات متتالية " [2]، تعطى عمقا دلالية معبرا عن خلجات الشاعر النفسية ومن افكار العقلية فشاعر رمز الى فلسطين بلمحبوبة ثم بدأ يتغزل بها . فولاها لم يشد قلبه ، ولولاها لم يعرف حسن الزندين ، واختضاب الجلنار ، والرمان الصدر ، وشذا الانفاس ، وقد تظافرت الصور الاستعارية والصور التشبيهية فى رسم هذه اللوحة ، فظهرت فيها فلسطين بصورة المرءة التى منحت للقلب شدوه ولقنته بعينها الحب الصافى حتى تيمته فهفا بألحانه العقبة ، وعرف من رياها رَوْضَ الحُسْنَ الذى ظهر زمبقه فى الزندين ، واختضاب الجلنار وعبء روح الشاعر الشهد من ثنايا ، وقطف الرمان الصدر ، وشم شذا الانفاس العابقه حتى غدت وردة طافى الاريج بها كما يطوف رهط من الحجاج النساك بالبيت الحرام ، وقد مثلت هذه اللوحة " وعى الشاعر ادراكه الفنى لأن الشاعر فى حقيقته يتعدى دائرة المحسوسات ويتجاوزها الى دائرة أوسع وأشمل وأكثف وهو يعتمد على استغلال طاقات الكلمة مفجرا فى انحائها ما يوحى برموز عن القارىء ان يتعاطف معها"[3]

وقد صور العدنانى المشنوقين بلوحة اعتمد فى صورها على الخيال والتصوير الاستعارى والتشبيهى ، فقال :-

فمضَـــى ينصِـــبُ الأراجـــيحَ حتـــى تجلُـوَ الـروحُ عـن جسـومِ الضـياغِمْ
فعلَوْهـــا ، ومـــا المِشـــانِقُ إلا لِلعُلَـــى حَصـــنُها الرفيـــعُ الـــدعائمْ
هللُـــوا باسِـــمينَ لِلْحتْـــفِ يســـعَى وحـــوالِيْهُمُ سَـــنَى المجـــدِ حـــائِم
لـــم يشـــاءُوا أن يُسْـــلِمُوا الـــروحَ إلا وهُـــمُ ســـابحونَ مِثـــلَ الغَمـــائِمْ
وأَبَـــوْا أَنْ يُلامِســـوا تُـــرْبَ أرضٍ قـــد مشَـــى فوقَهـــا ســـليلُ الجـــرائِمْ

---

[1] محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص ١٢٥ _ ١٢٦ .
[2] رجاء عيد : دراسة فى لغة الشعر . رؤية نقدية (القاهرة ، مطبعة أطلس ، نشر منشأة المعارف ، ١٩٧٩) ص ٤٦ .
[3] نفس المرجع ، ص ٤٤ .

فَتَـــدَلى مِـــن كُـــل عُـــودٍ شـــهيدٌ　　مثـلَ نجـمٍ فـى أُفْقِـهِ الرحْـبِ حـالِمْ
قـــد حكـــوْا بـــاهِر الشـــموسِ ضـــياءَ　　فأنـــارُوا للمُـــدْلجِينَ المَعـــالِمْ
صَـــمَتُوا فـــوقَ مِنْبَـــرِ المـــوتِ صـــمتاً　　فيـــه كـــانُوا المفـــوهِينَ الأكـــارِمْ[(١)]

لقد اعتمدت هذه اللوحة على التصوير الاستعارى والتصوير التشبيهى وعلى الخيال أيضا حتى خرجت بهذا الشكل الذى ظهر فيه التصوير الاستعارى فى جلاء الروح من الجسوم ، وفى الحتف وهو يسعى ، وفى المجد وهو حائم ،وفى اسلام الروح ، وفى مشى سيل الجرائم فوق الأرض وفى النجم وهو حالم ، وفى منبر الصوت ، وأما التصوير التشبيهى فقد ظهر فى تصوير جسوم الشهداء بجسوم الضياغم ، ودعائم المشنقة بالحصون ، والشهداء وهم سابحون فى الفضاء بالغمائم وبالنجم وبباهر الشموش ، وصمتهم بالمفوهين الأركام ، لذلك أوحت هذه اللوحة بعدى مكانة هؤلاء الشهداء فى نفسية العدنانى ، وذلك من خلال التصويرات الاستعارية والتشبيهية السابقة ، ومن خلال تصويرهم وهم معلقون أمواتنا فوق أمواد المشانق بلغمائم مع ما فى الغمائم من خير يرجوه الناس ، وكأن العدنانى يريد أن فاشدة هؤلاء الشهداء فى زرع روح التضحية والفداء فى نفوس الناس وما يعود ذلك عليهم من نفع كفائدة الغمائم التى تعود بالنفع والفائدة على الناس .

وقد واكب التصوير الاستعارى مراحل عصر العدنانى المختلفة ، ففى سن الأربعين قال فى حوار مع فراشه :-

فســـــــألتها : مـــــــاذا أتـــــــى　　بـــكِ ، رَبـــةَ الســـحْرِ المُـــدابْ
وعـــــلامَ جئـــــتِ ، وقـــــد خَبـــــا　　ــ أوكـادَ　　. مِصـباحُ الشـباب
أفراشــــــــةٌ تَهــــــــوَى الظلَــــــــمْ　　والـــــروْضُ بـــــالنورِ اســـــتَحَم
والزهْرُ معسُلُ الرضابْ ؟
قالــــــــت : بيـــــــاضُ المَفْــــــــرِقَيْنِ أذاعَ سِــــــــر الأَرْبَعــــــــين[(٢)]

وفى سن الستين قال :-

[(١)]محمد العدنانى :ديوان الوثوب ص ٩٩-١٠٠.

[(٢)]محمد العدنانى : ديوان الروض ، ص ١٢٨ .

مضـــت الســـتونَ لـــم أشـــعر بهـــا		فـــإنى أمـــس وافيـــتُ المنـــى
مـــا خلاعـــيش مـــن هـــم ، لا		رتـع ابـنُ الصـدر فـى روضِ المنـى[١]

وقال فى سن السبعين :-
لــك الحمــد يــاربى علــى الــنعَمِ الكُثُــرْ		علـى السعدِ رفاقـاً ، علـى العـزمِ والصـبر
....
علــى العمــر ، والســبعون تَوجَـتْ النهــى		أكاليلُهـــا بـــالعلم والشـــعر والنثـــر[٢]

شخص الشاعر فـى هـذه الصـورة الفراشـة وجعلهـا تتحـدث وتقيم معـه حـوارا ظهـر مـن خلالـه التصوير الاستعارى فى السحر المذاب ومصباح الشباب والفراشة تهوى الظلم ، والروض استحم بالنور ، وإذَاْعَةُ بياضُ المفرقين لسحر الأربعين . وفى صورة الستين ظهر تصويره الاستعارى فى مضت الستون ، وفى تجسيد المنى وَجَعْلِ روض لـه ، أما السبعون فقد ظهر التصوير الاستعارى فى السعد رفافا ، وفى أكاليل السبعين التى توّجت العقل بالعلم والشعر والنثر .

وقد ظهر فى تصوير العدنانى الاستعارى الجمع بين شيئين مختلفين مع رابط دلالى بينهما ، ومثال ذلك قوله :-
ألا إن هـــذا العـــامَ فجـــرُ وثُوبنـــا		وبعــدَ عُبــوسِ الليــل يبتسِــمُ الفَجْــرُ[٣]

ظهر الاختلاف فى الشطر الثانى فى عبوس الليل وفى ابتسام الفجر ولكن رغم ذلك فان العالقة بينهما علاقة دلالية تكاملية ،معبوس الليل أوحى بزمن ظلم الاستعمار وقهره ، وابتسام الفجر أوحى بمرحلة التخلص منه ومن أغلاله . وظهر أيضا فى قوله :-
إن المَنِيـــــةَ إنْ راودْتَهـــا امتَنَعـــتْ		وإنْ تجنبتَهـــا ، جاءَتْـــكَ تختَـــرِمُ[٤]

ظهر الجمع بين فى هذا البيت بين صورتين مختلفتين هما صورة امتناع المنية مع مراوتها ، وصورة مجيئها تخترم مع تجنبها ، ورغم هذا الاختلاف فقد تعاضدت الصورتين لتوحى بصورة الشجاع الذى يراود الموت دون خوف لذلك فالموت يتجنبه ، وصورة الجبان الذى يتجنبه ولكنه يأتيه رغم حرصه . فساعدت الصورتان على اكتمال جوانب هذه اللوحة الشعرية الاستعارية .

---

[١] محمد العدنانى : " الستون" مجلة الأديب الجزء ٧ ، السنه ٣٢ ، يوليو ١٩٧٣ ، ص ٢٤ .
[٢] محمد العدنانى : " السبعون " مجلة الأديب ، الجزء ٤ ، السنه ٣٢ ، ابريل ١٩٧٣ ، ص ١٨-١٩ .
[٣]محمد العدنانى : ديوان اللهيب ، ص ٤٧ .
[٤]محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ، ص١٦٠ .

وبعد هذا العرض لجوانب التصوير الاستعارى عند العدنانى نلاحظ أنه اعتمد فيه على تصوير اللوحات التى كان يدخلها التصوير التشبيهى الى جانب التصوير الاستعارى مما كان يُضغى عليها تنويعا تصويريا وجمالا شكليا وعمقا دلاليا يُغنى اللوحة ويثريها ، واعتمد الشاعر أيضا جانب التجسيد والتشخيص والخيال والرمز واشراك عناصر الطبيعة مع ارتباط هذه الجوانب بنفسيته الشاعر ومشاعره فى مراحل حياته المختلفة .

٣_ الكناية :–

الكناية هى "لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز ..والدليل على ذلك أن الكناية فى أصل الوضع أن تتكلم بشىء وتريد غيره ، يُقال كنيت بكذا عن كذا ، فهى تدل على ما تكلّمت به ، وعلى ما أرادته فى غيره "[١] ، فهى بذلك تلعب دورا هاما فى الايحاءات الدلالية فى الصورة الشعرية ، الى جانب أنها " وسيلة قوية من وسائل التأثير والاقناع ، ولها اثر كبير فى تجسيد الاسلوب ، وتزيين الفكرة "[٢] وهى "أبلغ من الافصاح ، والتعريض أوقع من التصريح "[٣] لذلك يلجأ اليها الشعراء "للتعبير عمّا يدور فى نفوسهم من المعانى ، ويجيش فى صدورهم من الخواطر [٤] هذا وقد ساعدت الكناية فى اغناء الجانب الدلالى للتصوير الشاعرى عند العدنانى ، ومن امثلتها عنده قوله :–

واللـــب فـــى غيـــر أُولَـــى القبْلتـــين إذا بحثْـتُ عنـهُ ، وَحـق العُـرْبِ ، لـم أَجِـدَ[٥]

ظهر الجانب الدلالى فى أولى البلتين وهى كناية عن المسجد الأقصى وهى المدلول الحسى الأول ، وأما المدلول الثانى وهو المعنى متمثل فى مكانه المسجد الدينية لدى المسلمين ، ويمكن ابراز الانحراف الدلالى من الحسى الى المعنوى فى هذه الصورة على النحو الاتى :–

دال ← مدلول أول ← مدلول ثانى

[١] ابن الأثير : المثل السائر ، ج ٣ ، ص ٥٢_٥٣ .
[٢]محمود اليد شيخون : الاسلوب الكنائى . نشاته . تطوره . بلاغته ، ط ١ (القاهرة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ة، ١٩٧٨) ص ٨٧ .
[٣]عبد القاهر الجرجانى : دلائل الاعجاز (فى علم المعانى) تصحيح محمد عبده محمد الشنقيطى ، ط ٦ (القاهرة ، مطبعة محمد على صبح ، ١٩٦٠) ص ٦٠ .
[٤]محمود السيد شيخون : الأسلوب الكنائى ، ص ٨٧ .
[٥]محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ص ١٣٠ .

أولى القبلتين	الصورة الحسية لأولى القبلتين	الصورة المعنوية لأولى القبلتين
	هى المسجد الاقصى	هى مكانة المسجد الدينية عند المسلمين

وقوله :-

فصـــحا الـــوردُ حـــين نَبهَـــهُ الطـــل ، وراعـــي النجـــومِ فـــي الأُفْـــقِ ســـاهرْ [١]

راعى النجوم كناية عن القمر وهو المدلول الأول الحسى ، والثانى مدلول معنوى يظهر فى الرعاية والسيطرة والهيمنة من قبل القمر نفسه ، ويمكن التمثيل لدلالات الكناية فى الآتى :-

دال ←	مدلول أول ←	مدلول ثانى
راعى النجوم	الصورة الحسية للدال هى القمر	الصورة المعنوية للدال الرعاية والسيطرة والهيمنة .

ويظهر من خلال الصورة السابقة دور الكناية فى العمق الدلالى للصورة الشعرية ، فقد ظهرت الصورة حين صحا الورد على أثرِ تَنْبِيْهِ الظل له ، وفى هذا الجانب من الصورة تصوير استعارى فيه تشخيص ، أما التصوير فى الجانب الكنانى ظهر فى المدلول الايحائى عن "راعى النجوم " فالصورة الحسية التى تتبادر للذهن لأول وهلة هى صورة صورة القمر ، ولكن بقليل من التفكير يظهر الانحراف الدلالى من الحس الى المعنوى فى أن رعايته هذه فيها الرحمة مع السيطرة والتفوق والهيمنه . ولعل البحث من الدلالات المعنوية فى الكناية يمكن فى أن " الأخذ بالدلالات الحقيقية والاصطلاحية لايفى بدوره بالغاية ، فتبقى هذه الدلالات مقصّرة عن اعطاء التعبير حقه . لذلك فان غايةً ما ، أو بالأحرى دلالة ثانية مستورة ، يرمى اليها كل الكاتب والشاعر ، متى وصلنا اليها استقام المعنى "[٢] ومن التصوير الدلالى للكناية أيضا قوله فى ذكرى تقسيم فلسطين :-

وتـــورِقُ أحلامـــى، فيهفـــو الـــى اللقَـــى حبـيسُ ضـلوعٍ ضَـم أشـلاءَهُ الجنْـبُ[١]

[١] محمد العدنانى : ديوان الروض ص ٨٠ .

[٢] صبحى البستانى : الصورة الشعرية فى الكتابة ، الأصول والفروع ، ص١٦٢ .

[١] محمد العدنانى : ديوان الوثوب ،ص ٦٧ .

تعاون الصتوير الكنائى الدلالى مع التصوير الاستعارى فى تشكيل الصورة فى هذا البيت ، فظهر التصوير الاستعارى فى الأحلام المورقة ، والتصوير الدلالى الكنائى ظهر فى حبيس الضلوع كناية عون القلب وهو المدلول الأول الحسى ، أما المدلول الثانى الناتج عن الانحراف الدلالى هو مرارة الغربة وألم الفراق وشدة الحنين الذى يشعر به العدنانى تجاه وطنه فلسطين ، ويمكن التكثيل لهذه الدلالات كالآتى :

دال ←	مدلول أول ←	مدلول ثانى
حبيس ضلوع	الصورة الحسية للدال هى القلب	الصورة المعنوية للدال هى حرارة الغربة وألم الفراق وشدة الحنين

ومن الكنايات التى دلت على القلب قول الشاعر :-

وَمُنْيَــــةَ الـــــروحِ تُصــــبِيني خمائِلُهــــا   أَهْـواكِ ، مـا نَـبَض ابـنُ الصـدرِ، أَهـواكِ[١]

وقوله :-

إذا عَللْـــــتُ باللقيــــا ابـــنَ جَنْبــــي   لِأَ بـــذرَ فـــى دروب القُـــدسِ حُبــــى[٢]

وقوله :-

وحســـبىَ أنِـــي نظمـــتُ ابـــنَ أضـــلُعي   قصـــيداً بـــهِ أَرْثِـــي أَمانِينَـــا ، حَسْـــبِي[٣]

الملاحظ على الصور السابقه التى اشتركت فيها الاستعارة والكناية فى تشكيلها ، أن الكناية جاءت معبّرة عن آلام الشاعر ولوعته وأساه من جرّاء فراقه لوطنه ،فوافقبذلك على تعبيره الكنائى فى ابن الصدر ، وابن جنبى ، وابن أضلعى تصويره الاستعارى الذى عبر عن نفس الآلآم ونفس الأحزان فى إصباء منية روحه ، وفى تعليله اللقاء لِقَلْبِهِ لِيَبْذُرَ فى دروب القدس حبه ، وفى نظمه له قصيدا . والملاحظ أيضا أن الألفاظ الكنائية الدالة على القلب استعملها العدنانى بكثرة مع التصوير التشبيهى والاستعارى الدال على الحزن والأسى وألم الفراق ، وذلك لما فى هذا

(١) محمد العدنانى : ديوان فجر العروبة ،ص ١٢٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥١ .

النوع من الكنايات من معانى حزينة توافق المدلول الايحائى الحزين فى التصوير التشبيهى والاستعارى .

وقول الشاعر فى وصف الربيع :-

رشَفَ الراحَ من كؤوسٍ زَواهرْ   فانتَشى غبطةً رسولُ البشائر[1]

ظهر اللفظ الكنائى فى هذا البيت فى رسصول البشائر كناية عن النسيم وهو المدلول الأول الحسى ، والمدلول الثانى المعنوى هو الخير والبشرى والمنفعة التى يحملها هذا النسيم وقد توافق مدلول الكناية مع المعنى الدلالى للصورة الناتجة عن التصوير الاستعارى ، فالربيع فى غمرة فرحه رشف الخمر من كؤوس الأزاهر ، ورسول البشائر شارك الربيع فرحته فانتشى غبطة وَسَرَى فى الرياض يكشف ما بها من سرائر .

مما تقدم يظهر أن الايحاء الكنائى لعب دوره فى تشكيل الصورة الشعرية عند شاعرنا العدنانى بما أعطاها من عمق دلالى الناتجة من انحراف من المدلول الحسى المباشر الى المدلول المعنوى الخفى ، وتكاثف هذا المدلول مع المدلولات الصورة الكلية .

ظهر من خلال العرض السابق لصورة بأنواعها الثلاثة التشبيهية والاستعارية والكنائية اعتدال العدنانى فى التصوير وبعده من المبالغات الغير مقبوله ، الا انه مع ذلك وقع فى بعض المبالغات التى تعارضت مع مفاهيم الدين ، ولعل مثل ذلك ناتج عن جنوح خياله لا عن قصد وتعمد لأن سيرة الشاعر الذاتية تدل على تمسكه بلمبادىء الدين والأخلاق ، ومن هذه الصور قوله عن احدى الفتيات الجميلات : -

تَفتِنُ اللُبب رِقةً ودَلالاً   بقَوامٍ لَدْنٍ وشَعْرٍفاحِمْ

وجَمالٍ لوشامَهُ يُوسُفُ الصديقُ (م) يوماً ، لَضَمها وَهْوَ صائما [2]

---

[1] محمد العدنانى : ديوان الروض ص ٨٠ .

[2] محمد العدنانى : ديوان الوثوب ص ١١٢ .

فلا يصح القول عن سيدنا يوسف عليه السلام مثل ذلك لأنه نبى من أنبياء الله ، والله سبحانه وتعالى صرف عنه كيد امرأة عزيز مصر وكيد النسوة المحيطات بها حين ستجاب له ربه فى" قوله تعالى: فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُن إِنهُ هُوَ السمِيعُ الْعَلِيم " .

وقوله مصور امداد المؤمنين بالملائكة فى موقعة بدر :

كـــأن أبـــا الـــردى عزريـــل عبـــدٌ   وســـــادته الجنـــــود المســـــلمونا
يبلـــــى أمـــــرهم أبـــــدا فيـــــردى   متـــى حمـــى الوطيســـى المشـــركينا[١]

وفى هذه الصورة جعل الشاعر الملائكة عبيدا للمسلمين ينفذون أوامرهم رغم أن الملائكة لا يطيعون الله ولا يأتمرون إلا بأمره وحده ، فى ذلك بقوله تعالى " لا يَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُون " [٢].

وقوله عن شجاعة العرب :

يكـادُ قضـاءُ اللهِ . إن هـمْ تَبَسـمُوا   يَهِـش ويبـدو لُؤْلُـؤُ المَبْسِـمِ الرطـبُ
ويَرْبَـد منـهُ الوجـهُ حـينَ يـراهُمُ   غِضـاباً مِـنَ الأحـداقِ ينـدلِعُ اللَهْـبُ[٣]

ربط العدنانى قضاء الله بمشاعر العرب ، فان هم تبسموا فإنه يهش ويبدوا لؤلؤ مِبْسَمِهِ الرطب ، ويَرْبِدُ منه الوجه حين يغضون ويندلع من أحداقهم اللهب ، مع أن ذلك مُخالف لقوله تعالى :" وإِذَا قَضَى أَمْرَاً فإنمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون"[٤]، ورغم محاولة العدنانى تخفيف حدة المبالغات السابقة بكلمة يكاد ألا أنها جاءت غير موفقة مخالفتها مفاهيم الدين .

ومن الصور التى يوفق فيها العدنانى قوله :-

زَهَـــرُ البُرتُقـــالِ صَـــيرَ يافـــا   دُرةَ الكـــونِ فـــى الربيـــعِ الزاهـــرْ

---

[١] محمد العدنانى : ديوان اللهيب ص ٧١ .

[٢] سورة التحريم آية رقم ٦ .

[٣] محمد العدنانى ك ديوان الوثوب ص ٣٨_٣٩

[٤] سورة البقرة آية رقم ١١٧

فالبَســـــاتينُ تَلــــبَسُ الـــــدر ثَوْبـــــاً   وجَناهـــــــا حمـــــــــائمٌ وجـــــــآذر[١]

فالمعنى الذى أراده العدنانى من هذه الصورة هو أن "زهر البرتقال أبيض كالدر . والحسان بأثوابهن الأبيض ، والملونة يحكين الحمائم ، ويشبهن بعيونهن ووثباتهن الجابر [٢]" مع ان أركان الصورة السابقة لا توحى بهذا الشكل الكامل الذى أضر العدنانى الى توضيحه فى الحاشية ، مما يوحى بأن ألفاظ الصورة قصرت من تكثيف المعنى وتصويره حسب ارادة الشاعر .

ومن الصور أيضا :-

وإنْ عـــابَنِى غِـــب ارتحـــاليَ حاسِـــدٌ   إلى الرمسِ نادَتْ: رَبيَ ارْحَمْهُ ، أَعْظُمِي[٣]

فالشاعر جعل العظام هى التى تطلب الرحمة بدل الروح ، مع أن العظام ينتهى دورها بموت الانسان ، ويكون مصيرها الغناء ، لذلك فهى لا تمثل بعدا معنويا وعمقا روحيا موحيا كما هو الحال بنسبة للروح التى تبقى بعد موت الانسان وتبقى مدلولاتها المعنوية والروحية التى تُغنى الصورة الشعرية .

والجدير بالذكر أن العدنانى استعمل الروح فى صورة أخرى استعمالا ناجحا خلافا للصورة السابقة، فقال : -

تَنـــزتْ أَعُظمِـــي وأنتـــكَ روحـــى   فكانـــتٌ للنـــداءِ هـــى الجوابـــا[٤]

فالشاعر فى هذه الصورة جعل الروح هى التى تلبى النداء وهو مالم يحصل فى الصورة السابقة ، ولعل استعمال العدنانى لأعظمى ناتج عن حفاظه على قافية القصيدة التى جاءت ميمية الروى ، ورغم هذه المآخذ على بعض صور العدنانى إلا انها تبقى جميلة التشكيل ، عميقة الدلالة ، عزيزة الايحاء ، كما تم استعراضه خلا لا هذا الفصل .

هكذا ظهرت الصورة الشعرية عند العدنانى عميقة الايحاء ، غزيرة المدلول ، معبرة عن شخصية الشاعر وواقعه ،سواء كانت صورة شعرية تشبيهية أو استعارية أو كنائية.

---

[١] محمد العدنانى : ديوان الروض ص ٨٣_٨٤ .

[٢] نفس المصدر ص ٨٤ .

[٣] محمد العدنانى : ديوان فجرالعروبة ، ص ١١٢ .

[٤] محمد العدنانى : ديوان اللهيب ،ص ١١٨ .

"الخاتمــة "

الخاتمـة

تناولت الدراسة في هذا البحث شعر محمد العدناني "دراسة نقدية" وقد توصلت فيها إلى أهم هذه النتائج:-

١ -أن الفترة الطويلة التي عاشها العدناني مكنته من معاصرة ثلاث فترات تعاقب على حكمها العثمانيون والبريطانيون واليهود، فعبر عن هذه الفترات الثلاث من خلال شعره أصدق تعبير، فكان بمثابة الصورة الصادقة لواقعه الذي عاش فيه.

٢ -أن العدناني شارك أبناء قومه وأبناء وطنه آلامهم وآمالهم مستغلا في ذلك كل حادثة وكل موقف حتى غدت دواوينه سجلا تاريخيا وأدبيا لهذه الأحداث الجسام التي غيّرت من مصير أمته ووطنه.

٣ -أن الشاعر كان من السبّاقين بالدعوة إلى الوحدة العربية على أساس قومي عائد للغة والعادات والتاريخ المشترك ولكن دون أن تمثل عنده عقدية بديله عن الإسلام، فقد كان مفهوم العروبة والقومية ممتزجا عنده بالدين والأخلاق.

٤ -أن الشاعر سجل المواقف السياسية المتعلقة بالوطن العربي عامة وبفلسطين خاصة كالهجرة اليهودية ووعد بلفور وقرار التقسيم لفلسطين وغيرها من المقرارات والمواقف التي كان لها الأثر المؤلم في ضياع فلسطين وشتات أهلها.

٥ -أنه كان مصلحا اجتماعيا ومربيا ناجحا عبر عن قضايا مجتمعه أصدق تعبير، فقد حارب المفاسد الاجتماعية المتمثلة في التبرج والتخنث والفقر والافتتان بمفاسد حضارة الغرب وغيرها من القضايا التي كان لها الدور الكبير في انحراف مسار المجتمع وتقويض سلوكه.

٦ -أنه أهتم بالقدوة الصالحة التي تكون بمثابة المثال الذي يحتذى به، من أجل ذلك حاول جاهدا أن يتمثل ذلك في نفسه بتربيتها على الأخلاق والفضائل، وفي أطار ذلك قسم الناس إلى فئات بحسب ما يقومون به من خدمة للآخرين، وبحسب خدمتهم لأمتهم ووطنهم.

٧ -أنه حاول جاهدا أن يبعث الأمل في نفوس أبناء أمته بعد أن دب فيها اليأس والقنوط، فكان في أغلب قصائده يأملهم بالنصر ويحفزهم على الجهاد والنهوض للتحرر من الأغلال، ويصور لهم بأن النصر قريب وأنه آت لا محالة.

٨ -أنه هاجم الكثير من الدعوات الإقليمية التي تحاول تفتيت العالم العربي، وشن حملة على دعاة الشعر الحر واتهمهم بالشعوبية لأنهم – حسب رأيه- خرجوا عن المألوف من الأوزان والقوافي مما يشكل خطرا على اللغة العربية والتراث العربي كافة.

٩ -أنه شغل بقضية فلسطين وأبنائها مصورا تشريدهم وتهجيرهم وما لاقوا في ذلك من آلام ومتاعب، فعبر عنها وعن جور الأشقاء العرب الذين لم يحسنوا استقبالهم. كما وعبر عن آلام أرض فلسطين بسهولها وجبالها ومروجها ومقدساتها، وعن حنينه وشوقه لها.

١٠ - أنه شاعر محافظ وظف ثقافته اللغوية المعجمية في نظم شعره وصياغته، فكان بذلك متين البنيان قوي السبك، إلى جانب تأثره بلغة القرآن وبالألفاظ القاموسية وبألفاظ الفحول السابقين، وامتياز ألفاظه بالإيحاء، والتناغم الصوتي والمعنوي، واتسام أسلوبه بالنبرة الخطابية المباشرة وأسلوب الحكمة، مع ارتباط هذه الأساليب وتلك التناغمات بنفسية الشاعر وشخصيته.

١١ - أنه حافظ على بحور الشعر القديمة والمشهورة التي احتفل بها القدماء مع مجاراته بعض التطورات المسموح بها كأوزان الموشحات والمسمطات والمزدوج وغيرها من الأشكال الشعرية، إلى جانب إبداع الشاعر في موسيقا شعره الداخلية والتي أحدثت عناصرها مجتمعة تناغما موسيقا رائعا رفعت من قيمة شعره ومكانته.

١٢ - أنه أبرز الأثر النفسي والإيحائي في شعره، فكان شعره في هذه الناحية معبّرا عن مشاعره وعن مشاعر الإنسانية في حالة الفرح والألم وقد ساعد على ذلك الدلالات الإيحائية التي انبعثت عن المدلول اللغوي والمدلول الموسيقي والمدلول التصويري.

"المصادر والمراجع"

المصادر والمراجع

أولا: كتب قديمة:

- ابن الأثير: (ضياء الدين بن الأثير)، (١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط١ (القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩).

- ابن الأثير: (عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني)، (٢) الكامل في التاريخ (بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥).

- الأصبهاني: (أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصبهاني)، (٣) شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، تحرير: محمد الظاهر ابن عاشور (بيروت، مطابع الكشاف، ١٩٥٨).

- بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمزاني المصري: شرح ابن عقيل على ألفية أبي عبد الله محمد جمال، (٤) الدين بن مالك، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٤ (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٤) ج١، ص٣٢٠.

- الترمذي: (محمد بن عيسى بن سورة الترمذي)، (٥) سنن الترمذي، ط٢ (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣)

- أبو تمام: (أبو تمام حبيب بن أوس الطائي) (٦) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤).

- التنوخي: (أبو يعلى عبد الباقي عبد الله ابن المحسن التنوخي) (٧) كتاب القوافي، تحقيق: عوني عبد الرءوف، ط٢، (القاهرة، نشر مكتبة الخانجي، ١٩٧٨).

- الجاحظ: (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) (٨) البيان والتبين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣ (القاهرة، مكتبة الخانجي، ومكتبة الهلال، ١٩٦٨).

- ابن جني: (أبو الفتح عثمان بن جني) (٩) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢ (بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، دون تاريخ).

- حازم القرطاجني: (أبو الحسن حازم القرطاجني) (١٠) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢ (بيروت، دار المغرب العربي، ١٩٨١).

- الحسن بن هانئ: (أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول الصاح الحكمي الدمشقي) (١١) ديوان أبي نواس – تاريخه– رأي الشعراء فيه – نوادره – شعره، وضع ترتيب: محمود كامل فريد (القاهرة، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٥).

- (الخطيب التبريزي) (١٢) الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: عمر يحي وفخر الدين قباوه، ط٣ (دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩).

- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) (١٣) مقدمة ابن خلدون (القاهرة، دار النهضة للطباعة والنشر، دون تاريخ).

- الرازي: (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي) (١٤) مختار الصحاح (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨١).

- ابن رشيق: (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٤ (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢).

- (زهير بن أبي سلمى) (١٦) ديوان زهير بن أبي سلمى (بيروت، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤).
- الزوزني: (أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني) (١٧) شرح المعلقات السبع ،بيروت، المكتبة الشعبية، دون تاريخ).

- ابن سنان الخفاجي: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي) (١٨) سر الفصاحة، شرح وتعليق: عبد المتعال الصعيدي (القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٩).

- سيبويه: (أبو بشر بن عثمان بن قنبر) (١٩) الكتاب – كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٢، (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٧).

- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) (٢٠) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٠بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ).

- الصباني: (محمد بن علي الصبان) (٢١) حاشية الصباني على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (القاهرة، دار الأحياء للكتب العربية، دون تاريخ).

- صفي الدين الحلي: (صفي الدين أبو المحاسن عد العزيز بن سرايا ابن أبي القاسم الحلي التنبسي) (٢٢) ديوان صفي الدين الحلي (بيروت، مطبعة الآداب، ١٨٩٢).

- ابن طباطا: (محمد أحمد بن طباطا العلوي) (٢٣) عيار الشعر، تحقيق: عباس بعد الساتر، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢).

- الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) (٢٤) تاريخ الطبري، ط١ (القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٤١هـ).

- (عبد القاهر الجرجاني) (٢٥)أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق: محمد عبده، ط٦، (القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح ١٩٥٩).

(٢٦) دلائل الإعجاز (في علم المعاني) تصحيح: محمد عبده ومحمد الشقيطي، ط٦ (القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٠).

- (أبو العلاء المعري) (٢٧) لزوم ما لا يلزم اللزوميات (بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦١).

- (عمر بن أبي ربيعة) (٢٨) ديوان عمر بن أبي ربيعة (بيروت، دار القلم، دون تاريخ).

- (أبو فراس الحمداني) (٢٩) ديوان أبي فراس، رواية أبي عبد الله الحسن بن خلويه (بيروت ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤).

- الفيروز أبادي: (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي) (٣٠) القاموس المحيط، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦).

- ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) (٣١) الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢).

- (قدامه بن جعفر) (٣٢) نقد الشعر، تحقيق وتعليق: عبد المنعم خفاجي (بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ).

- القيرواني: (أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحضري القيرواني) (٣٣) زهر الآداب وثمرة الألباب، شرح وتعليق: علي مجد البجاوي، ط١، (القاهرة، دار أحياء المكتبة العربية، ١٩٥٣).

- (قيس بن الملوح) (٣٤) ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج (القاهرة) دار مصر للطباعة، ١٩٧٩).

- مسلم بن الحجاج: (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري).

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم (استامبول، الطبعة العثمانية، ١٣٣٤).

- النيسابوري: (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني) (٣٦) مجمع الأمثال (بيروت، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٦٢).

- أبو هلال العسكري: (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) (٣٧) كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميمه، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤).

- ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الروحي البغدادي) (٣٨) معجم البلدان، ط١ (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٦٠).

ثانياً: كتب حديثة:-

- إبراهيم أنيس (٣٩) موسيقى الشعر، ط٤، (بيروت، دار القلم، ١٩٧٢) (٤٠) الأصوات اللغوية، ط٥ (القاهرة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩).

- إبراهيم خليل (٤١) إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية (القاهرة، مكتبة الوعي العربي، ١٩٨٣).

- إبراهيم الحلو (٤٢) القومية العربية في معركة فلسطين والعراق (دون مكان الطبع، منشورات مؤسسة النوري للطباعة والنشر، دون تاريخ).

- إبراهيم رضوان الجندي (٤٣) سياسة الانتداب الاقتصادية في فلسطين ١٩٢٢ – ١٩٣٩ ، ط١ (عمان، منشورات دار الكرمل، سلسلة صادر (٤)، ١٩٨٦).

- إبراهيم مصطفى وآخرون (٤٤) المعجم الوسيط (القاهرة، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، ١٩٦٠).

- إبراهيم ناجي، (٤٥) ديوان ناجي، جمع وتحقيق: أحمد رامي وآخرون (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١).

- إحسان عباس (٤٦) فن الشعر ، ط٢ (بيروت، نشر دار الثقافة، ١٩٥٩).

- أحمد أحمد بدوي (٤٧) أسس النقد الأدبي عند العرب (القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩).

- أحمد سليمان الأحمد (٤٨) الشعر العربي والقضية الفلسطينية من النكبة إلى النكسة (دمشق، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦).

- أحمد شلبي (٤٩) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٤ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دون تاريخ).

- أحمد شوقي (٥٠) الشوقيات (دون مكان الطبع، دار الفكر للطباعة والنشر، دون تاريخ)

- أحمد فريد علي (٥١) الجامعة العربية بين القوى الرجعية والقوى الشعبية (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ).

- أحمد قبس (٥٢) تاريخ الشعر العربي الحديث (دون ذكر الطبعة أو مكانها، ١٩٧١).

- أحمد مرعشلي، عبد الهادي هاشم، أنيس صايغ (٥٣) الموسوعة الفلسطينية، ط١ (دمشق، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤).

- أحمد مصطفى المراغي (٥٤) علوم البلاغة – البيان والمعاني والبديع ط٣ (بيروت، دار الكتب العليمة، ١٩٨٦).

- أحمد نوري النعيمي (٥٥) أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين (بغداد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢).

- أسعد زورق (٦٥) الصهيونية وحقوق الإنسان العربي (بيروت، مركز الأبحاث،١٩٦٨).

- أميل بديع (٥٧) فقه اللغة العربية وخصائصها، ط١ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢).

- أنيس صايع (٥٨) فلسطين والقومية العربية (بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٦٦) .

- أنيس المقدسي (٥٩) اتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط٤ (بيروت، دار العلم للملايين، دون تاريخ).

- إيليا الحاوي (٦٠) الكلاسيكية في الشعر الغربي والعربي، ط١ (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠).
(٦١) البرناسية أو مذهب الفن للفن في الشعر الغربي والعربي، ط١ (بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠).

- بيان نويهض الحوت (٦٢) القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين – ١٩١٧ – ١٩٤٨، ط١ (بيروت، مطابع الكرمل الحديثة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١).

- نامر سلوم (٦٣) نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط١ (دمشق، دار الحوار، ١٩٨٣).

- جابر أحمد عصفور (٦٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧).

- خالد الحسن "أبو السعيد" (٦٥) السلام في الشرق الأوسط – وجهة نظر فلسطينية، ط٢ (عمان، دار الكرمل، سلسلة دراسات "صامد الاقتصادي" (٢٢)، ١٩٨٦).

- خليل السواحري (٦٦) الفلسطينيون – التهجير القسري والرعاية الاجتماعية، ط١ (عمان، منشورات دار الكرمل، سلسلة "صامد الاقتصادي" (٢١)، ١٩٨٦).

- الرابطة الإسلامية (٦٧) مشاريع الحلول السليمة على الساحة الفلسطينية في الفترة ١٩٤٨، ط١ (الكويت، إصدار الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين، مطبعة الفيصل الإسلامية، ١٩٤٨).

- رجاء عيد (٦٨) دراسة في لغة الشعر – رؤية نقدية (القاهرة، مطبعة أطلس، نشر منشأة المعارف، ١٩٧٩).

- رمضان عبد التواب (٦٩) فصول في فقه العربية، ط٣ (القاهرة، مكتبة الخانجي، والرياض دار الرفاعي، ١٩٨٣).

- ساسين عساف (٧٠) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ط١ (بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٢.

- سعد اسماعيل شلبي (٧١) الأصول الفنية للشعر الجاهلي (القاهرة، نشر مكتبة غريب، ١٩٧٧) .

- سيد قطب (٧٢) معركتنا مع اليهود، ط٧ (القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣).

- شكري محمد عياد (٧٣) موسيقى الشعر العربي (مشروع دراسة علمية) ط١ (القاهرة، دار المعرفة، ١٩٦٨).

- شوقي ضيف (٧٤) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٨ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤).

- العصر العباسي الأول، ط ٦ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦).

- (٧٥) العصر العباسي الأول، ط٦ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦).

- (٧٦) العصر العباسي الثاني، ط٢ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥).

- صبحي البستاني (٧٧) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، ط١ (بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٨٦).

- صبحي الصالح (٧٨) دراسات في فقه اللغة، ط٩ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١).

- صلاح شادي (٧٩) صفحات من التاريخ – حصاد العمر، (القاهرة، مطبعة التقدم، نشر شركة الشعاع الكويت، ١٩٨١).

- صلاح فضل (٨٠) نظرية البنائية في النقد الأدبي القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨).

- عبد الباسط بدر (٨١) مذاهب الأدب العربي رؤية إسلامية (الكويت، نشر شركة الشعاع، ١٩٨٥).

- عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني (٨٢) مكائد يهودية عبر التاريخ، ط٥ (دمشق، دار القلم، ١٩٨٥).

- عبد الرحمن الكيالي (٨٣) الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ط١ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥).

- عبد الرحمن النحلاوي (٨٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط٢ (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٣).

- عبد الرحمن ياغي (٨٥) حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة ....حتى النكبة، ط٢ (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١).

- عبد الرحيم محمد زلط (٨٦) العروبة في شعر المهاجر الجنوبي، ط١ (دون مكان الطبع، دار الفكر، ١٩٧٢).

- عبد العزيز عزام (٨٧) العدوان الصهيوني وواجب الشعوب الإسلامية والعربية (بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١).

- عبد العزيز نبوي (٨٨) الإطار الموسيقي للشعر ملامحه وقضاياه (القاهرة، مطبعة حسان، ١٩٨٦).

- عبـد الفتـاح الديـدي (٨٩) الخيـال الحركـي فـي الأدب النقـدي، ط١ (القـاهرة، دار المعرفـة، ١٩٦٥).

- عبد الكريم آزاري الشيرازي (٩٠) الوحدة الإسلامية – أو التقريب بين المذاهب السبعة، ط١ (بيروت، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، دون تاريخ).

- عبـد اللطيـف البغـدادي (٩١) مـذكرات عبـد اللطيـف البغـدادي (القـاهرة، مطـابع الأهـرام التجارية، ١٩٧٧).

- عبد الله الطيب (٩٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط٢ (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٠).

- عبـد المـنعم تليمـة (٩٣) مـدخل إلـى علـم الجمـال الأدبـي (القـاهرة، دار الثقافـة للطباعـة و النشر، ١٩٧٨).

- عبد الوهاب الكيالي (٩٤) تاريخ فلسطين الحديث، ط١ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٠).

- عز الدين اسماعيل (٩٥) الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣ دون مكان الطبع، دار الفكر العربي، ١٩٨٧).
(٩٦) الأدب وفنونه – دراسة ونقد، ط٦ (دون مكان الطبع، دار الفكر العربي، ١٩٧٦).
(٩٧) التفسير النفسي للأدب، ط٤ (القاهرة، طبع ونشر مكتبة غريب، ١٩٧٧).

- عزيـزة مريـدن (٩٨) القوميـة الإنسـانية فـي شـعر المهجـر الجنـوبي (القـاهرة، الـدار القوميـة للطباعة والنشر، دون تاريخ).
- علي إبراهيم أبو زيد (٩٩) الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، ط١ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٧).
- علي البطل (١٠٠٩ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، ط٣ (بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣).

- علي محمد علي (١٠١) فلسطين بين عصبة الأمم المتحدة (القاهرة، الدار القومية للطباعة، دون تاريخ).

- عمر دقاق (١٠٢) الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ط٢ (حلب، طبعة دار الشرق، ١٩٦٣).

- عنان العامري (١٠٣) التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني، "١٩٠٠ – ١٩٧٠" بحث إحصائي (بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٤).

- عيسى خليل محسن (١٠٤) فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني، ط١ (دون مكان الطبع، دار الفكر، ١٩٧٢).

- عيسى الناعوري (١٠٥) خليل السكاكيني: أديبا ومربيا، ط١ ٠عمان، دار الكرمل، سلسلة إحياء التراث الفلسطيني (٣)، ١٩٨٥).
(١٠٦) أدب المهجر ط٣ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧)

- غسان كنفاني (١٠٧) أدب المقاومة في فلسطين المحتلة – ١٩٤٨-١٩٦٦، ط٢ (بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ومؤسسة غسان كنفاني الثقافية، سلسلة أعمال غسان كنفاني (١٤)، دون تاريخ).
- كامل السوافيري (١٠٨) الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠-١٩٦٠ (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩).
(١٠٩) الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط١ (القاهرة، طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣).
(١٠١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٦٠، ط٢ (دون مكان الطبع، مطابع سجل العرب، ١٩٨٥).

- كمال الخالدي (١١١) الأرض في الفكر الاجتماعي الصهيوني ١٩٤٨ – ١٩٧٣، ط١ (دمشق، مطابع دار الجاحظ، ١٩٨٤).

- كمال خير بك (١١٢) حركة الحداثة في الشعر المعاصر – دراسة حول الإطار الاجتماعي والثقافي للاتجاهات والبنى الأدبية، ط٢ (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٦)ز

- قسطنطين خمار (١١٣) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ط٢ (بيروت، طبع ونشر المكتبة التجاري، دون تاريخ).

- قاسم مومنى (١١٤) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري (القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٢).

- محسن جمال الدين (١١٥) أدباء بغداديون في الأندلس، ط١(بغداد، دار التضامن للطباعة ومكتبة النهضة للنشر، ١٩٦٢ – ١٩٦٣).
(١١٦) مصر في المشروع الإسرائيلي للسلام، ط١ (بيروت، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٠).

- محمد حسين هيكل (١١٧) ثورة الأدب، ط٣ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، ١٩٦٥).

- محمد زغلول سلام (١١٨) النقد العربي في القرن الرابع الهجري (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤).

- محمد الصادق العفيفي (١١٩) النقد التطبيقي والموازنات (القاهرة، نشر مكتبة الخانجي، ١٩٧٨).

- محمد عبد المطلب الكفراوي (١٢٠) الشعر العربي بين الجمود والتطور، ط٣ (بيروت، دار القلم، دون تاريخ).

- محمد عبد المطلب (١٢١) ديوان محمد عبد المطلب، شرح وتصحيح: إبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شلبي، ط١ (القاهرة، مطبعة الاعتماد، دون تاريخ).

- محمد عبد المنعم خفاجي (١٢٢) ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، ط٢ (القاهرة، دار العهد الجديد للطباعة، ١٩٥٨).

- محمد العدناني (١٢٣) ديوان اللهيب (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٤).
(١٢٤) ديوان فجر العروبة (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٠).
(١٢٥) ديوان الوثوب (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٥).
(١٢٦) ديوان الروض (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٦).
(١٢٧) الأمومة – ملحمة شعرية (بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٧).
(١٢٨) معجم الأخطاء الشائعة، ط٣ (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٣).

- محمد عزه دروزه (١٢٩) العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها (بيروت، دار الكلمة للنشر، ١٩٧٩).

- محمد علي هديه (١٣٠) الصورة في شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق، ط١ (دون مكان الطبع، المطبعة الفنية، ١٩٨٤).

- محمد غنيمي هلال
(١٣١) الأدب المقارن، ط٥ (بيروت، دار العودة ودار الثقافة، دون تاريخ)
(١٣٢) دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده (القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دون تاريخ).

- محمد كمال عبد الحميد (١٣٣) معركة سيناء وقناة السويس (القاهرة، طباعة دار النشر للجامعات المصرية، دون تاريخ.

- محمد متولي العتربي (١٣٤) قضية فلسطين قضية عالمية (القاهرة، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٨٢).

- محمد محمد حسين (١٣٥) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر، ط٥ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢).

- محمد محمد سطيحه (١٣٦) اليمن شماله وجنوبه (القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعةو معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٨٢).

- محمد مندور (١٣٧) الشعر المصري بعد شوقي، الحلقة الثالثة روافد أبولو (القاهرة، مطبعة نهضة مصر، دون تاريخ).

- محمود السيد شيخون (١٣٨) الأسلوب الكنائي – نشأته – تطوره – بلاغته ،ط١ (القاهرة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨).

- محمود بن الشريف (١٣٩) الشعب الملعون في القرآن (بيروت، منشورات الهلال، دون تاريخ).

- محمود نضاعه (١٤٠) الصهيونية في الستينات – الفاتيكان واليهود (القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ).

- مصطفى ناصف (١٤١)الصورة الأدبية، ط٣ (بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣).

- موفق ياسين (١٤٢) مشكلات تعليم أبناء فلسطين في مراكز تجمعاتهم الكبرى في الدول العربية (١٩٤٨ – ١٩٧٣) (بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٦).

- نازك الملائكة (١٤٣) محاضرات في شعر علي محمود طه – دراسة ونقد (القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ٦٤ –١٩٦٥).
(١٤٤) قضايا الشعر المعاصر، ط٧ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣).

- ناصر الدين الأسد (١٤٥) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن (القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٧).
(١٤٦) محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن (القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٠ – ١٩٦١).

- نصرت عبد الرحمن (١٤٧) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط٢ (عمان، طبعة جمعية عمال المطابع التجارية، ١٩٨٢) .

- النعمان القاضي (١٤٨) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي (القاهرة، دار التوفيق للطباعة ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢).

- واصف أبو الشباب (١٤٩) شخصية الفلسطيني المعاصر، ط١ (بيروت، دار العودة، ١٩٨١).

- وليم فهمي (١٥٠) الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١).

- يعقوب العودات (البدوي الملثم) (١٥١) أعلام الفكر والأدب في فلسطين (عمان، جمعية عمال المطابع الثقافية، ١٩٧٦).

- يوسف حسين بكار (١٥٢) بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) ط٢ (بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣).

- يوسف اليوسف (١٥٣) مقالات في الشعر الجاهلي، ط٣ (الجزائر، دار الحقائق، ١٩٨٣).

ثالثا: المراجع المترجمة إلى العربية:-

- براهام وغنر (١٥٤) القرار الإسرائيلي "دراسة للقرار الإسرائيلي في حربي ١٩٦٧، ١٩٧٣" ترجمة: ميخائيل الخوري، ط١ (بيروت، دار القدس، ١٩٧٨).

- حكماء صهيون (١٥٥) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتعليق: محمد خليفة التونسي، ط٦ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢).

- لويس هورتيك (١٥٦) الفن والأدب، ترجمة: بدر الدين قاسم الرفاعي (دمشق، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٥).

- ميغل (١٥٧) فن الشعر، ترجمة: جورج طرابيش، ط١ (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١).

رابعا: الرسائل الجامعية:-

- درويش حمودة أبو زور (١٥٨) إبراهيم طوقان – حياته وشعره (رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، رقم٩٦، ٩٢٨، أغسطس ١٩٧٥).

- فتحية محمود فرج العقدة (١٥٩) الفكر والصورة في شعر بن أبي سلمى (رسالة، ماجستير، جامعة عين شمس، رقم ٨١٩، ٣٩٩٥).

خامسا: الدوريات:-

- جميل بركات (١٦٠) "العدناني ومعجم الأخطاء الشائعة" **مجلة الأديب**، الجزء ١٠، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣.
- حسان الكاتب (١٦١) "مع العلامة محمد العدناني" **مجلة الأديب**، الجزء ٨، السنة ٣٣، أغسطس ١٩٧٤.
- حمادة فراعنة (١٦٢) "أهداف التعليم الجامعي في الضفة الغربية وقطاع غزة" **مجلة صامد الاقتصادي**، العدد ٥٨ ، السنة السابعة ١٩٨٥.
- زكي المحاسني (١٦٣) "تحية إلى محمد العدناني "**مجلة الأديب**، الجزء ٩ السنة ٢٩، سبتمبر ٢٩٧٠.
- عبد الرحمن الناصر (١٦٤) "بعد ربع قرن على الانفصال: لماذا تفشل مشاريع الوحدة بين العرب؟! "**مجلة المجتمع**، السنة ١٧، أكتوبر ١٩٨٦.
- عبد القادر يوسف (١٦٥) "إلى محمد العدناني" **مجلة الأديب**، الجزء ٧، السنة ٣٣، يوليو ١٩٧٤.
- فؤاد الرفاعي (١٦٦) :إلى محمد العدناني "مجلة الأديب، الجزء ٥، السنة ٣٠، مايو ١٩٧١.
- ليلى الصباغ (١٦٧) "نحو تقدم جديد للحياة الفكرية في البلاد العربية في المرحلة الأولى من الحكم العثماني "**مجلة أوراق**، العدد ٣، ١٩٨٠.

- (١٦٨) **مجلـة الدسـتور**: "أبـو حنيك تفـوق علـى لـورانس العـرب" العـدد ٤٢٠، السـنة ٨٦، مارس ١٩٨٦.
- محمد العدناني (١٦٩) "صبحيني "**مجلة الأديب**، الجزء ٩، السنة ٣١، فبراير ١٩٦٧.
(١٧٠) "عيل اصطباري" مجلة الأديب، الجزء ١١، السنة ٢٨، نوفمبر ١٩٦٩.
(١٧١) "مـن محمـد العـدناني إلـى الأسـتاذ رشـاد علـي أديـب "و" إلـى الشـاعر نـزار القبـاني " مجلة الأديب، الجزء ٧، السنة ٢٩، يوليو ١٩٧٠.
(١٧٢) "من محمد العدناني إلى الشاعر اللغوي رشاد علي أديب مجلة الأديب، الجزء ٨، السنة ٢٩، أغسطس ١٩٧٠.
(١٧٣) "من حمد العدناني إلى الدكتور زكي المحاسني" مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٢٩، أكتوبر ١٩٧٠.
(١٧٤) "خلاصة قلب "مجلة الأديب، الجزء ١، السنة ٣٠، مارس ١٩٧١.
(١٧٥) "إلى المحامي عبد القادر عياش" مجلة الأديب، الجزء ٣، السنة ٣٠، مارس ١٩٧١.
(١٧٦) "من محمد العدناني إلى الشاعر الملهم فؤاد الرفاعي" مجلة الأديب، الجزء ٧، السنة ٣٣، يوليو ١٩٧١.
(١٧٧) "إلى هلال ناجي" مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٠، نوفمبر ١٩٧١.
(١٧٨) "الفقيد البدوي الملثم" مجلة الأديب، الجزء١١، السنة ٣٠، نوفمبر ١٩٧١.
(١٧٩) "السفير الشاعر أحمد عبد الحميد" و "صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني" مجلة الأديب، الجزء ١، السنة ٣١، يناير ١٩٧٢.
(١٨٠) "إلى الشاعر سعيد عقل" مجلة الأديب، الجزء٢، السنة ٣١، أغسطس ١٩٧٢.
(١٨١) "رابعة العدوية "مجلة الأديب، الجزء ٣، السنة٣١، أغسطس ١٩٧٢.
(١٨٢) "قلبي" و "إلي الصديق المؤرخ الأستاذ محمود العابدي" مجلة الأديب الجزء ٥، السنة ٣١، مايو ١٩٧٢.
(١٨٣) "من محمد العدناني إلى القاص الأستاذ إلياس قنصل" مجلة الأديب، الجزء ١، السنة ٣٢، يناير ١٩٧٣.
(١٨٤) "مصرع غرناطة "و "السبعون" مجلة الأديب، الجزء ٤، السنة ٣٢، ابريل ١٩٧٣.
(١٨٥) "من محمد العدناني إلى القراء الكرام "و"الصفاء" مجلة الأديب، الجزء ٦، السنة ٣٢، يونيو ١٩٧٣.
(١٨٦) "الستون" مجلة الأديب، الجزء ٧، السنة ٣٢، يوليو ١٩٧٣.
(١٨٧) "ديوان عمر أبو قوس" مجلة الأديب، الجزء ٨، السنة ٣٢، أغسطس ١٩٧٣.

(١٨٨) "الصهاينة" مجلة الأديب، الجزء ١٢، السنة ٣٢، ديسمبر ١٩٧٣.
(١٨٩) "ن محمد العدناني إلى الشاعر الكبير عدنان مردم بك" مجلة الأديب، الجزء ١، السنة ٣٣، يناير ١٩٧٤.
(١٩٠) "لكل قصيدة قصة" مجلة الأديب، الجزء٣، السنة ٣٣، مارس ١٩٧٤.
(١٩١) "إلى الدكتور عبد القادر يوسف" مجلة الأديب، الجزء٧، ٣٣، يوليو ١٩٧٤.
(١٩٢) "الحسان" مجلة الأديب، الجزء ٨، السنة ٣٣، أغسطس ١٩٧٤.
(١٩٣) "أنه شاعر" مجلة الأديب، الجزء١٠، السنة ٣٣، أكتوبر ١٩٧٤.
(١٩٤) "المرأة العربية والنجاة" مجلة الدوحة، العدد ٧٠ أكتوبر ١٩٨١.

- محمود إبراهيم (١٩٥) "معجم الأخطاء الشائعة" مجلة الأديب، الجزء ١٠، السنة ٣٢، أكتوبر ١٩٧٣.
- معروف الدواليبي. (١٩٦) "من هم الفلسطينيون؟" مجلة الأديب، الجزء ٤، السنة ٢٩، يوليو ١٩٧٠.
- وزارة الارشاد القومي (١٩٧) ملف وثائق فلسطين، الجزء الأول من عام ٦٣٧ إلى عام ١٩٤٩ (القاهرة، وزارة الإرشاد القومي الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٩).
- المنظمة العربية للتربية (١٩٨) مجلة شؤون عربية (عدد خاص عن الوحدة العربية) سبتمبر ١٩٨٥، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

"فهرس الموضوعات"

فهرس الموضوعات

الباب الأول

قضايا المضمون في شعر محمد العدناني

الباب الثاني

قضايا الشكل في شعر محمد العدناني